وكتورتم ام صندان

المالية المالي

مكناهاومناها



34·32 شــارع فكــور هيكـو الهانف 36·53·46 ــ 26·23·75 ــ 26·23·75 ص.ب. 4038 الدار البيضاء (المغرب)



طبعة 1994 جميع الحقوق محفوظة

فسهسرس

منفحة

تقديم . ملابسات هذا البحث ملابسات هذا البحث

مقعمة: طابع الدراسات اللغوية العربية القديمة مطالب المنهج المحديث مدى وفاء الدراسات اللغوية العربية بهذه المطالب النحو تحليل والبلاغة تركيب وأسلوب ما أصلول الفقه والنظارة الى الدلالة ما الناظرون في المعنى من الغربيين ما في الابيسستيمولوجيا ما في المنطق ما في علم النفس ما لدى علماء الرمز ما في النقد الأدبى ما في الدراسات اللغوية الحديثة الما علماء الرمز ما في النقد الأدبى ما في الدراسات اللغوية الحديثة

الغصل الأول: الكلام واللغة:

الفصل الثاني : الأصوات :

النطق والكتابة _ الأصوات دراسة عملية بالملاحظة والتسجيل والوصف دون التجريد والتنظيم _ يستطيع الباحث في الأصوات ان يتصدى لأصوات لغة لا يفهمها ولكنه لا يستطيع ذلك على مستوى الصوتيات _ سيبويه والأصوات العربية _ مصطلح سيبويه _ جدول للاصوات كما فهمها صديبويه _ مصطلحات غامضة عند سيبويه _ سيبويه والحدثون

الغصل الثالث: النظام الصوتي (علم الصوتيات):

بعد اتمام الوصف العضوى يبدأ أستقراء القيم الخلافية · · النظام الصـــوتى نتيجة التبويب ورصد الفروق ـ وظائف الاصوات الصجيحة ـ وظائف العلل ـ الصوت والحرف ـ

20

الفصل الرابع: النظام الصرفي:

ثالثا: المبنى - مبانى التقسيم - مبانى التصريف - مبانى القرائن ـ

الصيغة ـ صيغ الأسماء ـ صيغ الصفات ـ صيغ الأفعل ـ معانى الصيغهالاصول الثلاثة ومعنى الصيغة ـ الصيغة والميزان الصرفى ـ لا صيغ للضمائر ولا للخوالف ولا للظروف ولا للأدوات ـ مبنى كل من هذه الاقسام هو صورته على اطلاقها ـ القيم الخلافية تفرق بين الصيغ لأمن اللبس ـ المحايد الصرفى ـ امكان اختراع الصيغة لاثراء اللغة ارتباط الصيغة بحقائق التحليل فى الجدول ـ اللغة ارتباط الصيغة بحقائق التحليل فى الجدول ـ الالصاق : المعانى الصرفية العامة ذات اللواصق ـ الريادة : المعانى المفهومة ـ بالزوائد ـ

تعدد المعنى الوظيفى للمبنى الواحد - تعدد وظيفة القسم بعينه من أقسام الكلم - تعدد معانى الصيغة الواحدة من صيغ هذا القسم - تعدد معانى اللاصقة الواحدة - تعدد معانى المبنى الواحد من مبانى القرائن - تعدد المعنى لمبنى معين من مبانى الجمل .

الفصل الخامس: النظام النحوي:

١ _ قرائن التعليق : جدول للقرائن ٠

القرائن المعنوية والقرائن اللفظية ـ تضافر القرائن ـ القرائن ـ العنوية : الاســناد ـ التعدية ـ الغائية ـ المعية ـ الظرفية ـ التقوية ـ الملابسة ـ التفســي ـ الاخراج ـ الخلاف ـ النسبة ـ التنبعية ـ

القرائن اللفظية: العلامة الاعرابية _ الرتبة _ الصييغة _ المطابقة _ الربط _ التضام _ الأداة _ التنغيم .

القرائن تغنى عن العوامل

اطراح القرينة: اطراح العلامة الاعرابية ـ اطراح الرتبة ـ اطراح الرتبة ـ اطراح الطراح الواح الطراح الطراح الطراح الطراح الطراح الطراح الطراح المناعب ـ اطراح الأداة ـ اطراح التنغيم ١٩١٠٠٠

٢ ـ الزمن والجهة: الزمن الصرفي والزمن النحوى الفرق بين زمن الفعل وزمان الظرف ـ الزمن وظيفة السياق ـ تفاعل الزمن والجهة في أنباط الجملة العربية المختلفة ـ الزمن والصفات الخمس ـ القرائن تعين على تحديد زمن الصفة ـ الزمن والمصدر ـ القرائن تعين على تحديد زمن المصلم نتائج دراسة الزمن ـ الجهات المخصصة للزمن والجهات المخصصة للزمن والجهات المخصصة لعلاقة الاســـاد
 ٢٤٠ الجهات المخصصة لعلاقة الاســـاد

الفصل السادس: الظواهر السياقية:

طبيعة الظواهر السياقية – اتجاه الذوق العربي هو أساس هذه الظواهر – كراهية توالى الإضداد والأمثال هي مناط هذه الظواهر – ظاهرة التأليف – الوقف – المناسبة – الاعلال والابدال – التوصل – الادغام – التخلص – الحذف – الاسكان الكمية – الاشباع والاضعاف – النبر – التنفيم – النبر باع والاضعاف – النبر – التنفيم – النبر باع والاضعاف – النبر باعد والاضعاف – الاسمال باعد والاسمال باعد والاضعاف – الاسمال باعد والاضعاف – الاسمال باعد والاضعاف – الاسمال باعد والاسمال باعد والاضعاف – الاسمال باعد والاضعاف – الاسمال باعد والاسمال باعد والاضعاف – الاسمال باعد والاضعاف – الاسمال باعد والاسمال باعد وا

الفصل السابع: المعجم •

الفصل الثامن : الدلالة :

اللغة ظاهرة أجتماعية _ فكرة المقام مركز علم الدلالة _ المقام والمقال ـ الاستشهاد اقتراض لمقال ما ليستعمل في مقام مشابه لمقامه الأصلى _ يتطلب المعنى السـامل تحليلا للنص على مستوى الأنظمة ، والمعجم والمقام جميعا ؛ فلا يغنى واحد من ذلك عن الآخر ــ آلمقام هو العنصر الاجتماعي في الدلالة ــ أنواع المقام المختلفة ــ النص المكتوب بعماجة الى مقدمة تصف المقام ــ المواد المســاعدة لمادة اللغة تعين على تصـــور المقام ومن ثم على فهم النص ــ الأصوليون حافظوا على فهم ألمقام عند استنباط الأحكام من القرآن والحديث _ كما يعين ألمقام على الوضوح قد يكون فهمه عذرا عن قصد التعمية _ عناصر المقام _ الفرق بين المقام ومقتضى الحال _ يتوقف المعنى الدلالي على تحليل المعنى الوظيفي والمعنى المعجمى ثم على عناصر الثقافة الشعبية الماضية والحاضرة _ الثقافة الشعبية يمكن تبويبها على أسس - دور الفرد في المجتمع - دور الفرد في الأداء - غايات الأداء - قد تتحول غايات الأداء بحسب المقام ـ سبق العرب على الاوربيين في فهم ضرورة اعتبار المقام في تحليل المعنى ٣٣٥

تقتديم

هذا البحث نتاج زمن طويل من إعمال الفكرة و محاولة إخر اجها في صورة م مقبولة، فأول عهدى بفكرة هذا البحث ماكان من ورو دها على الخاطرسنة وه١٩ عند ظهور كتابى و مناهج البحث في اللغة ۽ فقد جاء ذلك الكتاب ف حينه ليقدم إى القارىء العربى ما اصطنعه الغربيون من مهج و صفى، و ليعرض هذا المنهج عرضا مفصلا آخذا أمثلته ووسائل إيضاحه من الفصحي حينا ومن العاميات حينا ومن لغات أجنبية حيناً ثالثاً ، فلم يكن بحثاً خالصاً للعصحي بقدر ماكان عرضاً للمهج الوصني،ولكنهمس موضوع هذا الكتاب م خِفيفًا على أى حال ، وحين كنت أتولى تدريس علم الأصوات الافوية لمللبة السنة الثانية بكلية دار/العلوم بالقاهرة فيها بين عامي١٩٥٣ و١٩٥٩ –كان الاتجاه العام بين أساتذة الكلية في ذلك الحين هو إلى التشكيك في قيمة الدراسات اللغوية الحديثة ولاسيها عند تطبيق منهجها وأفكارها على دراسة اللغة الفصحي،وكان هؤلاء يرون أن المنهج الوصلي إن صادف أي قدر من القبول في نفوسهم فما كان لهذا القبول أن يتعدى تطبيق هذا المنهج على اللهجات العامية ، أما الفصحى فهيهات! لأن الأول ماترك للآخِر شيئاً حتى إن النحو قد نضج حتى احترق ؛ لهذا كله كنت أقدم للراسة الأصوات اللغوية كل عام بموضوع بمت إلى هذا البحث بأوثق صلة يستغرق محاضرتين جعلت عنوانه و تشقيق المعنى ۽ وكنت أبين في تدريس هذا الموضوع . ما تتطلبه الفصحي من إعادة النظر في مهجها و طريقة تناولها ، و في سنة ١٩٥٩ تحولت عن قسم الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم (وهو القسم الذي يعني آساساً يالمناهج الحديثة في دراسة اللغة) إلى قسم النحو والصرف والعروض

وهو المقابل التقليدى القسم السابق الذكر ، وكان من بين الدهاقين الذين يعيبون هذا الجديد كبار رجال هذا القسم ، ولقد أشفقت أول الأمر على ما يدور في رأسي من أفكار المهج الوصني أن تهب عليها رياح اللوائع والسلطة الرسمية ومطالب تنشئة الطلاب في النحو العربي التقليدي تنشئة تؤهلهم بعد قليل لأن يعلموا هذا النحو في مدارس الدولة على الطريقة التي ألفتها هذه المدارس منذ نشأت في ظل التقاليد . من هنا آثرت أن أبتعد بأفكار المهج الوصني عن طلبة السنوات الأربع التي تنهي بالدرجة الجامعية الأولى ، ولكني أكدت عن طلبة السنوات الأربع التي تنهي بالدرجة الجامعية الأولى ، ولكني أكدت وجود هذه الأفكار وأصررت عليها بالنسبة لطلبة الدراسات العليا فلم أقبل الإشراف على طالب من هؤلا يسعى مثلا إلى كتابة ترجمة لنحوى أو تحقيق كتاب أو بحث لا يتناول فكرة مهجية نقدية ترمي إلى تطعيم أفكار النحاة القدماء بأفكار المهج الوصني الحديث . وهكذا وردت أفكار هذا البحث مع كل رسالة علمية أشرفت عليها وكان من بينها العناوين الآتية :

ابن مضاءو منهج النحاة القدماء في ضوءالدر اسات اللغوية الحديثة (ماجستير) اسم الفاعل بين الاسمية و الفعلية

الصواب و الحطأعندالنحاة الأقدمين في ضوء الدر اسات اللغوية الحديثة (دكتوراه)

وسائل أمن الليس في النحو العربي النه من أن الله من المام الله من الله

الوحدات انصرفية و دورها في تكوين الكلمة العربية

ته ميم الكلام العربي (دكتوراه)

وفى سنة ١٩٦٥ و ١٩٦٦ تقدمت على الترتيب ببحثين إلى الندوة التى يقيمها الأساتذة فى دار العلوم يناقشون بها بحوثاً يتقدم بها أفراد مهم وكان موضوع البحث الأول: « نقد مهج النحاة العربية » وموضوع البحث الثانى: « أمن اللبس ووسائل الوصول إليه فى اللغة العربية » فكان فى هذين البحثين عود إلى موضوع هذا الكتاب فى ذلك الوقت، ثم دعانى المصديق البحثين عود إلى موضوع هذا الكتاب فى ذلك الوقت، ثم دعانى المعديق الكريم الأستاذ محمد خلف الله أحمد عميد معهد الدراسات العربية التابع الكريم الأستاذ محمد خلف الله أحمد عميد معهد الدراسات العربية التابع المناف العربية إلى تدريس موضوع خاص لطلبة هذا المعهد فاخترت الذلك « مشكلة المعنى » وعدت بذلك إلى موضوع هذا الكتاب. ثم جرت إعارتى فى ١٩٦٧ إلى قسم اللغة العربية بجامعة الحرطوم فقمت بتدريس بعض ما يشتمل عليه هذا البحث من موضو عات لطلبة الدراسات العليا والقسم .

وهكذا تعددت روافد هذا البحث وطال الأمد على إعداده حتى قدر له آخر الأمر أن يدون ويعد للطبع وأنا لا أزال معاراً لقسم اللغة العربية بجامعة الخرطوم .

ومجال هذا البحثءو اللغة العربية الفضحي بفروع دراستها المختلفة، فليس هذا الكتاب كتاباً في فرع معين من فروع هذه الدراسات ولكنه يجول فيها ويأخذ من كل فرع منها ما يراه بحاجة إى معاودة العلاج على طريقة تختلف اختلانا عظيما أو يسيراً عن الطريقة التي ارتضاها القدماء تم ينتهي أخيراً إلى نتيجة مختلفة أيضاً . وإذاكان مجال دذا الكتاب هو الفروع المختلفة لدراسة اللغة العربية الفصحى فلابد أن يكون المعنى دو الموضوع الآخص لهذا الكتاب؛ لأن كل دراسة لغوية ـلا في الفصحي فقط بل في كل لغة من لغات العالم ــ لابد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة، فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة وهو العرف و دوصلة المبي بالمعنى. وهذا النوع من النظر إلى المشكلة يمتد من الأصوات إلى الصرف إلى النحو إلى المعجم إلى الدلالة ويتم ذلك أحياناً بإطراء القديم و الإشادة به ،وأحياناً أخرى باستبعاده و الاستبدال بهو أحياناً بالكشفءن الجديد الذى لم يشر إليه القدماء مع وضوحه أمام أنظارهم، وأحياناً نجمع الظواهر المتفرقة المترابطة التي لم يعن القدماء بجمعها في نظام واحد . كل أولئك هو بجالهذا البحث ومنثم تصبح اللغةالعربية كلها مجالا لهويصبح على ضآلة حجمه قد جعل كل تفكير لغوى سبقه في متناول نقده ، إما على صورة مباشرة

وهذه العبارة الأخيرة ربما صلحت لأن تكون تلخيصاً لأبعادهذا البحث من وجهة النظر السلبية ، أما إيجاباً فقد كشف هذا الكتاب عن أنظمة اللغة العربية ووضعها لأول مرة فى مقابل مشاكل التطبيق، ففسر بهذه الطريقة بعض ماكان بعتبر من فاواهر الشذوذفى التركيب اللغوى وربط هذه الظواهر بالواقع ، وأضاف إليها غيرها مما لم يدرس من قبل، وبين ارتباط هذه الظواهر بالمعنى على مستوياته المختلفة . فلقد بين هذا الكتاب كيف ينبنى كل نظام من من أنظمة اللغة العربية على طائفة من المقابلات أى أنواع التخالف أى القيم

الخلافية وهي قيم عدمية شكلية ووظيفية إن صح أن يقوم عليها نظام ساكن صامت لم يصح أن يقوم عليها سياق متحرك منطوق وهذا التقابل ، بين النظام والسياق هو الذي سميته مشاكل التطبيق أي مشاكل و ضع النظام في مجال عمل وحركة مع ما يقو د إليه ذلك من تعارض مطالب السكون و مطالب الحركة . و لقد جاءت حَلُولُ مَشَاكُلُ النَّطبيق على الأنظمة جميعاً في صبورة حلول صوتية ، وقد سميتهاجميعاً ظواهر موقعية ووضعتها جميعاً فى ذيل الأنظمة اللغوية الثلاثة لتوقف المعانى الصرفية والنحوية عليها فىالأعمالأغلب . وبيّن هذا الكتاب النظام الصرفى للغة المبنى على قيم خلافية شكلية ووظيفية ويمكن لهذا النظام كما أمكن للنظام الصوتى من قبله أن يمثل في صورة جدول تتشابك فيه العلاقات طولا وعرضاً حتى ببدو النظام كلا مترابطاً وفي صورة وحدة عضوية مفردة . ومثل ذلك أمر النظام النحوى للغة كما بمكن أن يرى في موضعه من هذا الكتاب. أما المعجم فهو إنكان جزءاً من اللغة فليس نظماً وإنما هو قائمة من الكلمات ذات المعانى المتباينة غير المتقابلة بالضرورة . و أما المعنى الاجتماعي الدلالي فينبى على فكرة المقام الذي يجرى فيه الكلام ويتوقف فهمه عليه ولا يستغنى عن التحليل اللغوى للمقال أي الجملة المنطوقة أو المكتوبة. وهذا المقام تحدده التجربة الاجماعية وتتعدد المقامات الاجماعية بحسب إطار الثقافة ولكن المقامات حتى في هذا الإطار لا تسلك في نظام ثابت لأن الثقافة

والغاية التى أسعى وراءها بهذا البحث أن ألتى ضوءً جديداً كاشفاً على التراث اللغوى العربى كله منبعثاً من المنهج الوصفى فى دراسة اللغة . وهذا النطبيق الجديد للنظرة الوصفية فى هذا الكتاب يعتبر (حتى مع التحلى بما يذبغى لى من التواضع) أجرأ محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية بجرى بعد سيبوية وعبد القاهر . أقول أجرأ محاولة لأننى أعرف أنها كذلك ولا أقول أخطر محاولة لأننى لا أعلم ما يترتب عليها من آثار . ولو أن جمهور الدارسين أعطى هذا الكتاب ما يسعى إليه من إثارة الاهمام، فانه ينبغى لهذا الكتاب أعلى هذا الكتاب ما يسعى إليه من إثارة الاهمام، فانه ينبغى لهذا الكتاب على حسن الانتفاع بها لهذا الجيل وما بعده من أجيال . والله أسأل أن يوفقنا جميعاً إلى سواء السبيل .

مقدمة

لم يكتب للدر اسات اللغوية العربية أن تنمو فيها بعد القرن الحامس الهجرى فلقد كان كل جهد يبذل بعد ذلك القرن إما في سبيل الشرح وإما في سبيل التعليق وإما في سبيل التحقيق والتصويب. أما العمل المبتكر والذهن المبدع فقد قضى عليهما ظهور العنصر التركي على مسرح السياسة واستبداده بأسر الحلافة وضيق أفقه في الفكر وقلة حماسه للعلم وتلك ظاهرة ظلت تتضع في العالم العربي والإسلامي يوماً بعد آخر وتستشرى باطراد حتى انتهت آخر الأمر عاسموه إقفال باب الاجتهاد. وكان معنى ذلك إضفاء الشرعية على التقليد وانتماس النجاة في ظل أعواده اليابسة التي غرسها الشؤم في صحراء الجهل ويبابه ، كيف لا ومن قلد عالما لتي الله سالما ! ولم تعد البصرة والكوفة وبغداد ومكة والمدينة والقاهرة و دمشق والقيروان من عواصم الابتكار في الحلافة تنبض بالحياة كماكانت في أيامها الحوالي حين كان العلماء في كل فرع من فروع الدراسة سدنة على الفكر الحلاق وحين كان العلماء في كل فرع من بين هؤلاء العلماء أرفعهم صوتاً وأجرأهم عقلا وآصلهم فكراً وأثبهم من بين هؤلاء العلماء أرفعهم صوتاً وأجرأهم عقلا وآصلهم فكراً وأثبهم على الطريق قدماً .

ولكن الظروف التي دعت إلى نشأة الدراسات اللغوية العربية كانت العامل الرئيسي في تحديد مسار هذه الدراسات وفلسفة منهجها . فلقد نشأت دراسة اللغة العربية الفصحي علاجا لظاهرة كان يُخشى منها على اللغة وعلى القرآن وهي التي سموها و ذيوع اللحن ، وعلى الرغم من أن تسمية هذه الظاهرة المذكورة لا تشير إلا إلى الحطأ في ضبط أو اخر الكلمات بعدم إعطائها

العلامات الإعرابية الملائمة أشعر بميل شديد إلى الزيم بأن الأخطاء اللغوية التى شاعت على ألسنة الموالى وأصابت عدواها ألسنة بعض العرب لم تكن مقصورة على هذا الذوع من أنواع الأخطاء . فأكبر الظن أن هذا الذى سموه لحناً كان يصدق على أخطاء صوتية كالذى يشير إليه مغزى تسمية اللغة العربية الفصحى «لغة الضاد »ويفصله ما يروى من نوا در الموالى كأبى عطاء السندى (١) وغيرها . كماكان يصدق على الحطأ الصرفى الذى يتمثل في تحريف بنية الصيغة أو فى الإلحاق أو الزيادة ، وعلى الحطأ النحوى الذى كان يتعدى مجال العلامة الإعرابية أحياناً إلى مجالات الرتبة و المطابقة وغيرها . وعلى الحطأ المعجمى الذى يبدو فى اختيار كلمة أجنبية دون كلمة عربية وعلى الحطأ المعنى نفسه . ويصدق على جميع هذه الأنواع من الحطأ أنها أخطاء فى المبنى أولا وأخيراً ولو أدت فى النهاية إلى خطأ فى المعنى لم يكن نتيجة خطأ فى القصد

من هذا اتسمت الدراسات اللغوية العربية بسمة الاتجاه إلى المبنى أساساً ولم بكن قصدها إلى المعنى إلا تبعاً الملك وعلى استحباء . وحين قامت دراسة العلم المعانى الله في مرحلة متأخرة عن ذلك في تاريخ النقافة العربية كانت طلائع القول في هذه الدراسة كما كانت في بداية دراسة النحو من قبلها تناولا للمبنى المستعمل على مستوى الجملة لكن لا على مستوى الجزء التحليلي كما في الصرف ولا على مستوى الباب المفردكا في النحو . ومن هنا رأينا عبد القاهر في دلائل الإعجاز يتكلم في النظم والبناء والترتبب والتعليق وكلها أمور تتصل بالراكيب أكثر مما تتصل بالمعانى المفردة . وسنحاول فيما يلى أن ننظر عن كثب في طابع منهج النحاة وفي طابع منهج البلاغيين لنرى صلة كل منهما بالآخر، ثم ننظر من بعد في صليهما عنهج المعجمين إجهالا لنصل من وراء كل ذلك إلى تقويم للدراسات العربية من حيث صلاحيتها لنصل من وراء كل ذلك إلى تقويم للدراسات العربية من حيث صلاحيتها للكشف عن المعنى .

⁽۱) الأغاني جـ ۱٦ ص ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨٤ .

⁽۲) الفهرست ص ۶۰ ،

اقد ذكرت من قبل أن الطروف التي دعت إلى نشأة الدراسات اللغوية عند العرب كانت العامل الرئيسي في تحديد مسار هذه الدراسات ونزيد هنا لا أن الغاية التي نشأ النحو العربي من أجلها وهي ضبط اللغة وإبجاد الأداة التي تعصم اللاحنين من الخطأ ، فرضت على هذا النحو أن يتسم في جملته بسمة النحو التعليمي لا النحو العلمي أو بعبارة أخرى أن يكون في عمومه نحوا معيارياً لا نحواً وصفياً ولعل أحسن تلخيص لموقف النحو العربي من هذه الناحية المعيارية هو قول محمد بن مالك في ألفيته :

« فها أبيح افعل ودع ما لم يبح (١) »

ولقد تعلقت الإباحة وعدمها بقواعد معيارية تفرض نفسها على الاستعال وعلى المسموع وكان توصل النحاة إلى هذه القواعد نتيجة نشاط استقرائي تحليلي للغة سواء في ذلك مفر دانها و تراكيبها ولكنهم بعد وصولهم إلى ما ارتضوه من قواعد جعلوا هذه القواعد « أحكاماً » فكانت في نظرهم أولى بالاعتبار مما خالفها من المسموع ومن ثم أعملوا فيما خالف قواعدهم من النصوص حيل التخريج والتأويل والتعليل فاذا لم يتأت لهم ذلك قالوا في المسموع « يحفظ و لا يقاس عليه » . وهذا موقف من النحاة يفتر ض في العربي الأول أنه كان على بصر بأقيستهم وعللهم وقد ورد عن بعض أساطين النحاة ما يؤيد دعوى هذا الافتراض .

والذي يرضاه المنهج الحديث في در اسةاللغة أن يتوافر لموضوع الدراسة الشرطان الآتيان :

- ان يتناول لهجة واحدة من لهجات لغة ما، فلا يخلط في دراستها
 بينها وبين لهجة أخرى من اللغة نفسها.
- ب أن يعنى في هذه الدراسة الوصفية بمرحلة زمنية و احدة من مراحل
 تطور هذه اللهجة .

والغاية التي يسعى الشرط الأول إلى تحقيقها، ألا يخلط في دراسة المعنى على المستوى التحليلي الوصنى بين لهجة وبين لهجة أخرى، لأن كل واحدة

⁽١) منهج النحاة العرب ... بحث قدمه المؤلف الى ندوة أساتذة دار العلوم ١٩٦٥ -

مهما تمثل نظاما متكاملا مستقلا من أنظمة الرمز العرفي بحيث ترمزكل علامة فيه إلى معنى معين بختلف عما في اللهجة الآخرى لسبب بسيط جداً وهو أن العرف ذاته بختلف في أى مجتمع عنه في الحبتمع الآخر مهما ضيقنا مدلول كلمة و مجتمع ، ولا شك أن الخلط بين نظامين عرفيين من أى نوع سيؤدى في النهاية إلى عدم تمييز أى من النظامين، و حل يمكن لامرىء أن يفهم تقاليد مجتمع وقد خلط بيها وبين تقاليد مجتمع آخر ؟

وأما الغاية التى يسعى الشرط الثانى إلى تحقيقها فهى الفصل بين أى طورين مختلفين من أطوار نمو لهجة واحدة بعينها فى دراسة يرجى لها أن تكون وصفية لا تاريخية . فدراسة الأطوار المتعاقبة هى دراسة تاريخية و هى تكون مطلوبة لذاتها عند إرادة دراسة تاريخ تطور اللهجة . ولقد حمدنا لأصحاب تاريخ الأدب أن يقوموا بدراسة تاريخية لنتاج لغوى ما لأن العنصر التاريخي هنا مقصو د لذاته . أما الدراسة الوصفية فإنها تتطلب حالة يزعمها الباحث ثابتة ليكون وصفه إياها مقبولا من الناحية المنهجهية على الرغم من أن التطور اللغوى لا يشتمل على حالات ثابتة كتلك التي يزعمها الباحث في اللغة على المستوى الوصني .

والمعروف أن النحاة العرب درسوا لهجات عربية متعددة ليستخرجوا منها نظاماً نحويا موحداً، وأنهم فوق ذلك درسوا هذه اللهجات في أطوار متعددة من نموها، فلم يفطنوا إلى ضرورة الفصل بين مرحلة ومرحلة أخرى من تطور اللغة كما فعل أصحاب تاريخ الأدب بتطور التعبير اللغوى الجميل . فلقد اعترف مؤرخو الأدب بعصر جاهلي وآخر إسلامي ثم أموى فعباسي وهلم جرا، ولكن النحاة أخذوا شو اهدهم من فترة لغوية دامت أكثر من خمسة قرون كاملة . « والذين عنهم نقلت العربية وبهم اقتدى وعنهم أخذ اللسان العربي من قبائل العرب هم قيس و تميم وأسد فإن هؤلاء الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم الكل في الغريب وفي الإعراب والنعريف . ما أخذ ومعظمه وعليهم الكل في الغريب وفي الإعراب والنعريف .

⁽۱) الاقتراح للسيوطي ۱۹ _ ۲۰ .

ومعنى اقتصار النحاة على هذه القبائل دون غبرها ودون سائرها أن النحاة وضعوا لأنفسهم معياراً خاصاً للانتقاء و فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط ولاعن سكان البرارى ممنكان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولم « (١) . ولقد كان لهذا الموقف التلفيتي من قبل النحاة آثره في المعنى النحوى والصرفى سواء ماكان من ذلك متصلا بالرواية أو بالاستشهاد أوبالسماع والقياس أو بالتمرينات القياسية التي كانت تأخذ صورة تراكيب لم تسمع عن العرب أو بموقفهم من التصويب والتخطئة (٢) .

والمعنى التحليلي الوظيفي الذي درسه النحاة وجعلوه حقل تخصصهم ذو ثلاث شعب :

٦ ــ الشعبة الأولى دراسة الأصوات العربية وقدفصل النحاة القول في وصف مخارجها وصفائها فرادى ثم تناولوا بالدراسة ما رأوه منها داخلا في حيز الإدغام كما فهموه وذلك مثل إدغام المهائلين مخرجاً والمتقاربين مخرجاً والمشتركين فى طرف اللسان ثم الإدغام بالصفة مثل إدغام الحجهور والمهموس معاً بأن يصيرا معاً إلى الجهر أو إلى الهمس وبعض أمثلة القلب و بعض الأمثلة الشاذة .

٣ _ والشعبة الثانية دراسة الصرف التي عنوا فيها بالأصول والزوائد وبيان المشتق والجامد وتحديد أشكال الصيغ وحصر اللواحق وأماكن إلحاقها والزيادات وأماكن زيادتها ثم ما يلحق الصيغ من إعلال أو إبدال أو قلب أو حذف . وهذه الشعبة من دراسة اللغة وإجادة القول فيها أفردت الصرفيين العرب بمكان لا يدانيه أى مكان آخر في عالم اللغويين قديمًا أو حديثًا ولا يزال كيشفهم عن النظام الصرفى العربى موضع الإعجاب والاحترام وسيظل دائماً كذلك فى نظر اللغويين في مختلف أنحاء العالم .

⁽۱) الرجع للسه •

⁽٢) ذلك كله مدروس بالتفسيل في البحث الذي سبق أن أشرت اليه تحت عنوان جمنهج النحاة العربه

٣ - والشعبة الثالثة دراسة النحو و قد حاولوا فيها تقسيم الكلام وبيان علامات كل قسم ثم كشفوا عن المعرب والمبنى من هذه الأقسام وشرعوا بعد ذلك فى بيان الأبواب النحوية فى داخل الجملة وما يمتاز به كل باب من علامات يعرف بها وبينوا بعض المعانى الوظيفية التى تؤديها العناصر اللغوية كالتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير والإفراد والتثنية والجمع والتكلم والحضور والغيبة وكالصرف وعدمه والعلامة الإعرابية وهلم جرا.

والمعروف أن هذا الحانب التحليلي من در اسة النحو لا يمس معنى الجملة في عمومه لا من الناحية الوظيفية العامة كالإثبات والنفي والشرط والتأكيد والاستفهام والتمنى الخ. ولا من ناحية الدلالة الاجتماعية التي تنبي على اعتبار المقام في تحديد المعنى وإن كانت تمس ناحية من نواحي الترابط بين أجزاء الجملة بروابط مبنوية أو معنوية ذكروها فرادى ولم يعنوا بجمعها في نظام كامل كالذي فعلته في هذا البحث تحت عنوان التعليق.

والذى نريد أن نخلص إليه هنا أن دراسة النحوكانت تحليلية لا تركيبية أى أنها كانت تعنى بمكونات التركيب أى بالأجزاء التحليلية فيه أكثر من عنايتها بالتركيب نفسه . أقصد أنهم لم يعطوا عناية كافية للجانب الآخر من دراسة النحو و هو الجانب الذى يشتمل على طائفة من المعانى التركيبية و المبانى التي تدل عليها فمن ذلك مثلا معنى الإسناد باعتباره و ظيفة ثم باعتباره علاقة ثم تفصيل القول في تقسيمه إلى إسناد خبرى و إسناد إنشائى و تقسيم الحبرى بلك مثبت ومنى و مؤكد، و تقسيم الإنشائى إلى طلبي و غير طلبي النج مما يتصل بتحديد التركيب المناسب لكل إسناد من حيث الأداة والرتبة والصيغة والعلاقة . وللتعليق وسائله المختلفة معنوية كانت كعلاقات الإسناد ذاته وكالتخصيص والنعليق و سائله المختلفة معنوية كانت كعلاقات الإسناد ذاته وكالتخصيص والنبية والربط و المطابقة و الصيغة و الرتبة و الأداة و النغمة و ذلك مع تحديد مجالات المطابقة في العلامة الإعرابية ، والنوع والعدد والشخص والتعيين على نحو المطابقة في العلامة الإعرابية ، والنوع والعدد والشخص والتعيين على موضعه ما سنراه بالتفصيل عند تناول القرائن اللفظية في دراسة التعليق في موضعه

من هذا الكتاب مع العناية الواجبة في كل ذلك بالمعالم السياقية باعتبارها ظواهر لا تبدو إلا في التركيب .

ولقدكان على النخاة من حيث المبدأ أن ينظروا إلى التحليل باعتباره طريقاً للوصول إلى التركيب ذلك بأن المادة المدروسة نصل إلينا حين تصل في صورتها المركبة ولكن الاعتبارات العملية لدراسة هذه المادة تفرض على هذا السياق المركب أن ينحل إلى أصغر مكوناته وعناصره حتى يمكن الوصول إلى الخصائص التحليلية لهذه العناصر . و النتائج التي يو صل إليها بو اسطة التحليل تحمل في طيها زعما اعتباطياً بصدقها واطرادها حتى في السياق ولكن هذا ليس أكثر من زعم وكان على النحاة أنفسهم أن يدركوا ذلك وأن يعلموا آن هذا الزعم لا مبرر له إلا الاعتبارات العملية للبحث وأن نتائج النظر إلى السياق تفرض عناصر جديدة على المكونات التحليلية هي حلول لما قديكون بين النظام وبين السياق من تضارب ، أو هي بعبارة أخرى معالم سياقية أو ظواهر موقعية لا وجو د لها إلا في السياق المنطوق وبسببه . ولكن النحاة لم يفطنوا إلى طبيعة التعارض الممكن حدوثه بين النظام ومطالب السياق أو بعبارة أخرى التعارض بين مطالب التحليل ومطالب التركيب فوقعوا في أخطاء منهجية كان من أخطرها ما سنشير إليه فيما بعد عند دراسة الزمن النحوى من أن النحاة درسوا زمن الأفعال على المستوى الصر في ٤ و هي في عزلتها عن التراكيب ولم يختبروا نتائج دراستهم إلا في تركيب الجملة الخبرية البسيطة فرأوا الماضي ماضيادائما والمضارع حالا أو استقبالا دائماً فوضعوا بذلك قواعدهم الزمنية ثم اصطدموا بعد ذلك بأساليب الإنشاء والافصاح فنسبوا وظيفة الزمن إلى الأدواتوهى منه براء وإلى الظروف وهى تفيده معجميا لا وظيفيا وسنرى ذلك مفصلا فى مكانه من هذا الكتاب . كذلك لم يفطن النحاة إلى أهمية بقية الظواهر السياقية في تحديد المعنى النحوى على نحو ما سنرى فيها بعد .

وإذاكان النحو على الصورة التي شرحتها هو تقعيد أبواب المفردات فقـــدكانت الحاجة معـــه ماســـة إلى دراسة أبواب الحمل. ولمـــا ظهر الاتجاه البلاغي إلى دراسة المعنى كان من طلائع كتبه د لاثل الإعجاز وأسرار البلاغة للعلامة عبد القاهر الجرجاني الذي أعترف لآرائه الذكية بقدر غير يسير من الفضل على الجزء الخاص بتناول المعنى النحوى والدلاني من هذا الكتاب حيث جرى الانتفاع أحياناً بعبارات هذا العلامة وأحياناً أخرى بإشاراته. ولقد انجهت عناية البلاغيين بالمعنى في النهاية ثلاثة اتجاهات مطابقة لتقسيم علوم البلاغة الثلاثة : المعانى والبيان والبديع . فأما فى در اسة ﴿ المعانى ﴾ فقدكان التركيب هو موضوع الدراسة فتناول البلاغيون أنواع التر إكيب من إثبات إلى ننى إلى استفهام وهلم جرا لا على طريقة النحاة من التركيز على الأدوات والمكونات الأخرى ونسبة المعنى إليها وإنما على طريقة النظر فى التركيب نفسه من جهة أسلوب وصفه وطرق التعبير به وما فيه من إيجاز وإطناب ومسأواة وما فيه من فصل ووصل وقضر وتقديم وتأخير تما اعتبره النِحاة ـــ وما أصابوا ــ خارج مجال اهتمامهم . والواقع أن هذه الدراسة للمعنى – وهى دراسة معان وظيفية في صميمها – تبدو أكثر صلة بالنحو مها بالنقد الأدبى الذي أريد بها خطأ أن تكونه . ومن هنا نشأت هذه الفكرة التي تتر دد على الخواطر منذ زمن طويل أن النحو العربى أحوج ما يكون إلى أن يدعى لنفسه هذا القسم من أقسام البلاغة الذي يسمى علم المعانى حتى إنه ليحسن في رأيي أن يكون علم المعانى قمة الدراسة النحوية أو فلسفتها إن صح هذا التعبير . ولقدكانِت مبادرة العلامة عبد القاهر رحمه الله بدراسة النظم وما يتصل به من بناء و ترتيب/و تعليق من أكبر الجهود التي بذلتها الثقافة العربية قيمة في سبيل إيضاح المعنى الوظيني في السياق أو التركيب (١) . ومع قطع النظر عن رأبي الشخصي في قيمة البلاغة العربية بعامة من حيث كونها منهجاً من مناهج النقد الأدبى وعن صلاحيتها أو عدم صلاحيتها في هذا المجال أجدنى مدفوعاً إلى المبادرة بتأكيد أن دراسة عبدالقاهر للنظم ومايتصل به تقف بكبرياء كتفأ إلى كتف مع أحدث النظريات اللغوية في الغرب وتفوق معظمها في مجال فهم طرق التركيب اللغوى هذا مع الفارق الزمني الواسع

⁽١) دلائل الاعجاز لمهد القاهر الجرجائي ،

الذي كان ينبغي أن يكون ميزة للجهود المحدثة على جهد عبد القاهر. ولكن هذا الطابع الذي اتسم به علم المعانى من بين علوم البلاغة جعل هذا العلم نحواً من النحو وصيره كالنحو صناعة مضبوطة Exact System لا منهجاً لموقياً للنقد الأدبي.

وأما علم البيان فأكثر صلة بالدراسة المعجمية منه بالقواعد التي تبحث فى المعانى الوظيفية . فمجال علم البيان كمجال المعاجم هو النظر فى العلاقة بين الكلمة وبين مدلولها ولقدكان البيانيون دائما على ذكرمن الطبيعة العرفية لوضع الكلمة ومن تخصيص كل كلمة بمعنى تدل عليه بحسب الوضع فلا تكون أوسع منه ولا أضيق في الدلالة . وكما يختلف التبحليل والتركيب في صناعة النحو على مثال ما ذكرنا من قبل يختلف معنى الوضع كذلك عن معنى الاستعال في دراسة البيان. فالواضع يضع اللفظ لمعنى مطابق فتكون دلالته على هذا المعنى من باب و الحقيقة ، ولكن اللغة _ أى لغة في العالم _ أضيق في بجالها اللفظي من حقل الأفكار التي تردعلي ذهن المتكلمين بها ومن الصور و الظلال التي ترد على أخيلتهم ومن هنا تصبح المعانى العرفية (أي الحقيقية) للألفاظ قاصرة عن الوفاء بمطالب التعبير اللغوى وفى مجالالأفكار المجردة والصور والظلال بوجه خاص . ومن هنا يصبح التعبير اللغوى بحاجة إلى جواز الحقيقة العرفية إلى استعال آخر للفظ يسمى المجاز . وإذا نظرنا إلى المعانى المتعددة للفظ الواحد فى أحد المعاجم فسنجد أحدها يفهم من اللفظ بطريق الحقيقة العرفية ونجد بقيتها مجازات عن هذه الحقيقة فإما أن يتضح فيها الطابع المجازى فى و قتنا هذا و إما أن يكون طول استعالها فى مجاز ما قد أحكم الربط بينها وبين هذا الحجاز حتى ليظنه غير الخبير به استعالاً حقيقياً آخر للكلمة . و طرق المجاز معروفة مشهورة فمن شاء فليرجع إليها فى علم البيان . ولكن الذي لابدأن نشير إليه هنا هو أن العناية في عام البيان إذ تتجه إلى در اسة اللفظ في دلالته على معناه العرفي و المطابقي ۽ أو للدلالة على و بعض معناه ، أو على و لازم معناه ، تجعل علم البيان قمة علم المعجم كماكان علم المعانى قمة علم النحو . ومن هنا يصبح علم البيان في إطار الثقافة العربية هو النظرية الوحيدة التى تصلح نواة لغرس علم جديد فى تربة هذه الثقافة يسمى علم المعجم

Iexicology يتناول بالدراسة والتحليل والنقد والتأريخ والمقارنة تلك الطرق والمناهج التي استخدمها المعجميون العرب في جمع معاجمهم موصياً بأحسن الطرق التي وصلت إليها المناهج العلمية في هذا الحجال في مختلف لغات العالم . ولعل لفظ « البيان » ومعناه « الشرح » يذكرنا بأن عمل المعاجم هو بيان دلالة الألفاظ واختلاف هذه الدلالة بحسب الاستعال .

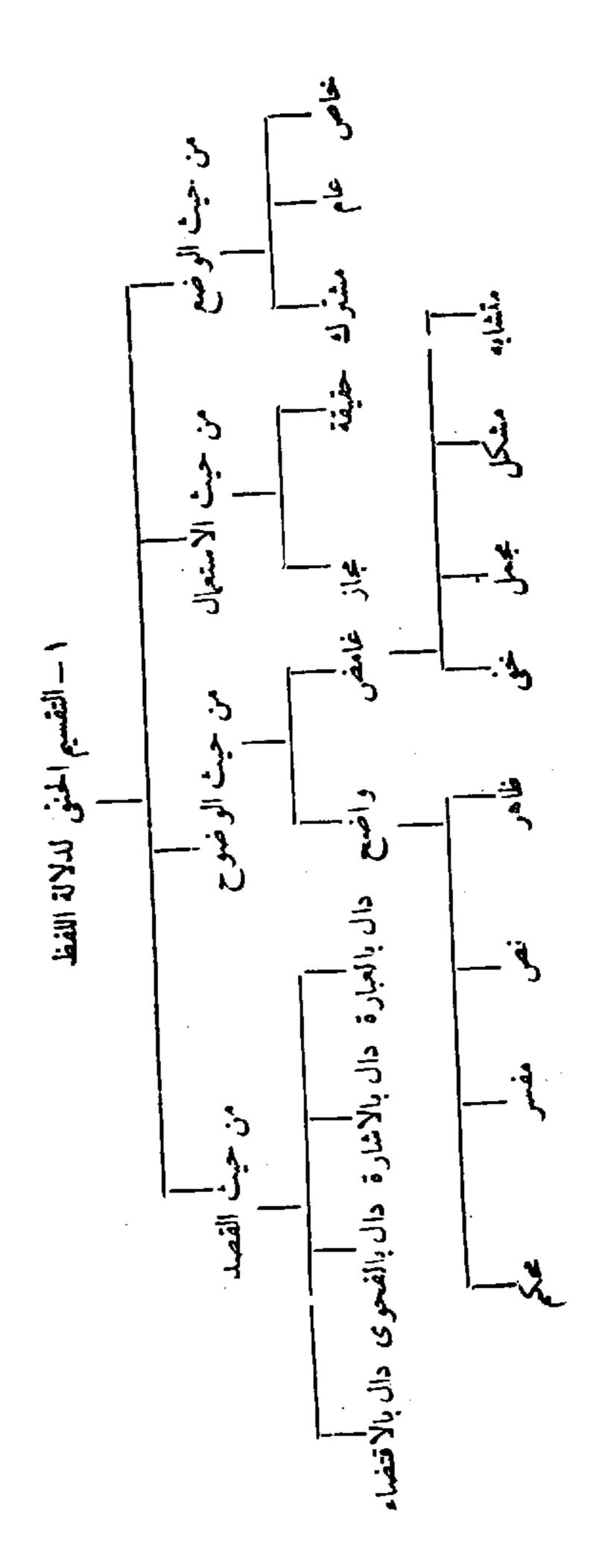
وأما الفرع الثالث من فروع البلاغة وهو علم البديع فقليل من ظواهره ما يتصل بالمعنى كالجناس والتورية ونحوهما . وإن الجناس التام ليحمل بعض عناصر الشبه بالمشترك اللفظى حيث يتحد اللفظ و يختلف المعنى على أن جمهرة الظواهر البديعية ليست أكثر من محسنات لفظية – وكذلك سهاها الأولون – فلا تدخه ل في دراسة المعنى العرفي دخولا مباشر آلان معناها أي المقصود منها هو و التحسين ، وهو فني لا عرفي .

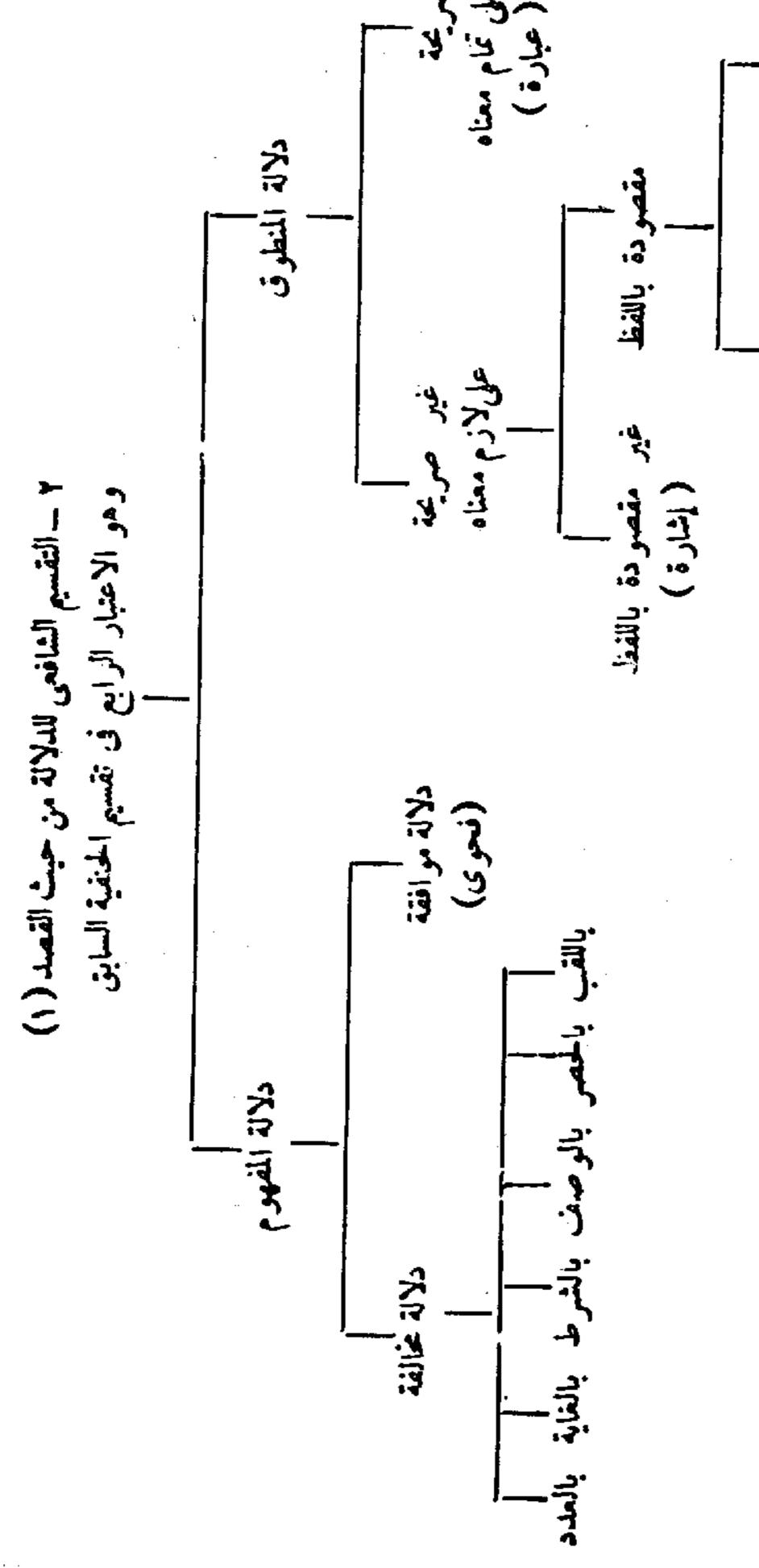
وإذا علمنا أن علم المعانى يتناول المعنى الوظينى وأن علم البيان يتناول المعنى المعجمى وأن علم البديع يتناول صنعة فنية لا يتحتم فيها أن تتصل بالمعنى علمنا أن البلاغة العربية لا تتناول المعنى الاجتماعى تناولا مقصوداً ولكنها على الرغم من ذلك قدمت لدراسة المعنى الاجتماعى أو المعنى الدلالي كما أسميه في هذا البحث فكرتين تعتبران اليوم من أنبل ما وصل إليه علم اللغة الحديث في بحثه عن المعنى الاجتماعى الدلالي : وأولى هاتين الفكرتين فكرة والمقال ، في بحثه عن المعنى الاجتماعى الدلالي : وأولى هاتين الفكرتين فكرة والمقال ، من ذلك أن علماء البلاغة ربطوا بين هاتين الفكرتين بعبارتين شهيرتين من ذلك أن علماء البلاغة ربطوا بين هاتين الفكرتين بعبارتين شهيرتين أصبحتا شعارا يهتف به كل ناظر في المعنى : العبارة الأولى و لكل مقام مقال ، والعبارة الثانية ولكل كلمة مع صاحبتها مقام ».

فأما العبارة الأولى فتؤكد أن استخراج المعنى من المقال فحسب لابد أن يشتمل على إغفال معيب لأهم عنصر من عناصر المعنى وهو « المقام » أو الظرف الذي حدث فيه « المقال » وسوف يتضح لنا فيما بعد عند در اسة المعنى الدلالى خطر هذا العنصر الاجتماعي (عنصر المقام) من عناصر المعنى .

وأما العبارة الثانية فتلخص الصلة بين ظاهرة النضام Collocation في اللغة العربية وبين المعنى اللغوى الدلالي الاجتماعي وهي ظاهرة سنقوم بدر استهاكذلك عند النظر في المعنى الدلالي في هذا الكتاب. وسيتضح من هذا الدراسة أن أقسام المقامات الاجتماعية ترتبط بتعبيرات يتم فيها النضام بين الكلمات مختلفاً باختلاف المقام. فهاتان العبارتان مما خلفه البلاغيون في تراثهم المثين تعتبر انمن نتائج المغامر ات الفكرية في در اسة اللغة في الغرب المعاصر.

و في فرع آخر من فروع الثقافة العربية هو أصول الفقه دراسة للمعنى على مستوى استنباط الأحكام الفقهية من النصوص و هو أمر يثير في الذهن مقابلة فكرية بين هذا وبين استنباط الأحكام المنطقية من القضايا مما يبرر دعوى وجود منهج فكرى إسلامي مغاير للمنهج الآخر الإغريتي لاستنباط الأحكام والنتائج من النصوص. ولكن المعنى في الحالتين – حالة الأصوليين وحالة المناطقة ــ وحكم » أى أنه ليس عرفيا ولا اجتماعيا وإنما هو عقلى في لا صلة له بالعرف العام وإن اتصل بعرف خاص هو عرف الأصوليين آو عرف المناطقة .وكما نظر المناطقة في المطابقة والتضمن واللزوم والماجري والماصدق والحد والمقولة والجنس والنوع والفصل والحاصة والعرض وفى المقدمة الصغرى والكبرى وفى الكلية والجزئية وفى السالبة والموجبة نظر الأصوليون في مفاهيم اقتضاها مهجهم سواء من حيث العلاقة بين الكلمة ومدلولها أو من ناحية القواعد الأصولية العامة أو من ناحية طريقة الحكم . فآما من حيث دلالة الكلمة ـ فقد قسموها باعتبارات مختلفة هي الوضع والاستعال والوضوح والقصد ولكن اختلف نظر الحنفية عن نظر الشافعية **بالنسبة لدلالة القصد كما يبدو من التخطيطين التاليين** :





(١) ملتصة من كتاب أمول التشريع الاسلامي للاستاذ عل حسب اله

(اقتضاء)

ومثل القواعد الأصولية في استخراج الأحكام مثل الترتيبات الشكلية القضايا المنطقية وكما يكون الحكم المنطقي بالصواب أو الخطأ يكون الحكم الأصولي بالوجوب أو الإباحة أو التحريم فالمعنى الأصولي إذا من قبيل المعانى العقلية لا العرفية ومن الفنية لا الاجتماعية ومع ذلك ينبغي لنا أن نشير هنا إلى أن الأصوليين قد أبلوا بلاء حسنا في تحديد المعنى على طريقتهم وأنهم أثناء تقسيمهم لدلالة الكلمة قدموا لنا نوعا سلبياً هاما جدا من هذه الدلالة اصطلحوا على تسميته و مفهوم المخالفة ». ولهذا المفهوم قيمة خاصة لدينا الآن عند الكلام عن « القيم الحلافية » التي تتكون منها الأنظمة اللغوية على نحو ما سنرى بعد قليل و كلاها يذكرنا بفكرة الحلاف التي قال بها الفراء من النحاة .

والذي تقدم يحكى قصة موقف التراث العربي والإسلامي من قضية المعنى . أما الغربيون من الناظرين في المعنى فقد تعددت هوياتهم ومشاربهم فقد نظر في المعنى كثير من فروع الدراسات الإنسانية كالفلسفة والمنطق وعلم النفس والأنثر وبولوجيا والأدب واللغة وغيرها . ولقد اختلفت النظرة إلى المعنى باختلاف هذه الفروع وبحسب اهمام كل فرع منها بجانب خاص من جوانب المعنى . فأما الفلاسفة فيتناولون دراسة المعنى في كلامهم عن و الابيتستيمولوجيا ، وهي فرع من الفلسفة يدور حول نظرية المعرفة . و الابيتستيمولوجيا ، وهي فرع من الفلسفة يدور حول نظرية المعرفة . وهم يدخلون إلى الكلام في مشكلة المعنى من مدخل العلاقة بين الدوال و المداولات (١) ويستطيع من يشاء النظر في ذلك أن يطلع على كتاب والمداولات (١) ويستطيع من يشاء النظر في ذلك أن يطلع على كتاب والمداولات (١) ويستطيع من يشاء النظر في ذلك أن يطلع على كتاب موضوعه في عنوانه بأنه A Study of the بالمناولات ولقد علما في هذا الكتاب موضوعات فلسفية من الأهمية كما يتضح من عناوين فصوله التي نكتني بايرادها هنا عن استعراض الكتاب نفسه .

Ogden and Richards, The Meaning of Meaning. (1)

- ۱ ـــ Thoughts, Words and Things و يدرسان به العلاقة بين الفكرة والكلمة والشيء
- The Power of Words Y ويوضحان به أهمية الكلمات واللغة والرتباطهما بالمعتقدات البدائية .
- Sign Situations ۳ ویعالجان فیه الارتباط بین نظریة المعنی و نظریة الرمز .
- £ __ Signs in Perception ويهمان فيه بعلاقة الرمز بالإدراك.
- Canons of Symbolism _ و يعددان به قوانين الرمز و هي الوحدة
 و التحديد و التوسيع و الفعلية و التلاقي و الفردية .
 - Definition - 7
- The Meaning of Beauty -- V وفيه تطبيق على حد الجمال و اختلاف الفلاسفة فيه و انتقاد لموقف اللغويين من المشكلة و اعتذار عنهم -
- The Meaning of Philosophers _ _ ^

 المعنى .
- The Meaning of Meaning ويأتيان فيه باستعراض لستة عشر تعريفا للمعنى مقسمة إلى أربعة أقسام رئيسية .
- ١٠ وطريقة الرمز وتعدد وظائف اللغة والآثار الاجتماعية والعلمية
 لفهم اللغة بوضوح.

وربما كان من المستحسن أن ننبه هنا إلى أن طريقة الفلاسفة في علاج المعنى لا تفيد المراسات اللغوية مها إفادة مباشرة لأن الفلاسفة يهتمون بالعلاقات الذهنية على حين يهتم اللغويون بالعلاقات العرفية التي تربط بين المبنى والمعنى ، وإذا اهتم الفيلسوف بكنه العلاقة اهتم اللغوى بشكل العلاقة بين الرمز وبين مدلوله . ويهتم اللغوى فوق ذلك بنوع من المعنى ينسب إلى الأجزاء التحليلية يسمى المعنى الوظيفى ، كما يربط بين المقام وبين المعنى الوظيفى ، كما يربط بين المقام وبين المعنى

ربطا مقصودا وهما أمران لايهتم بهما الفيلسوف كثيرا ، لأن التأملات الفلسفية عودت نفسها فى الغالب على الانجاه إلى الشق المعجمى من المعنى وهذا الشق خاص بالكلمات المفردة فقط .

وأما المناطقة ــ وقد سبقت إشارة سريعة إليهم عند الكلام عن الأصوليين – فقد انشغلوا بالمعنى على مستوى المنطق الشكلي الأرسطي الذي لم يفتصل فيه بين المنطق وبين اللغة من وجهة النظر الدراسية . فلقد خلط أرسطو أول الأمر بين هاتين الدراستين فتكلم في اللِغة كلاما منطقيا وتكلم فى المنطق كلاما لغوياً، واختــلط فى ذمن المناطقــة الشكليين النظر إلى الموضوع والمحمول بالنظر إلى المسند إليه والمسند، وبني المنطق قضاياه العقلية من جمل لغوية وخلط بين القواعد النحوية والنتائج المنطقية فسمى كلتيهما « أحكاماً ؛ وأصبحت قواعد النحو من ثم « أحكاماً » نحوية فوقع الفكر في أسر اللغة كما وقعت اللغة في أسر المنطق. وكان من الخير لكل منهما أن يستقل بطريقة علاجه لقضاياه ، لأن منطق اللغة ومقولاتها يختلفان تماما عن منطق الفكر ومقولاته واللغة آخر الأمر نمطية صياغية لاتخضع للفكر وإنما تخضع لمقتضيات الرمز العرفى الاعتباطى، فليس فىالفكر ما يبرر تقسيم الأشياء بين التذكير والتأنيث حتى الجهادات منها وليس فيه ما يبرر تقسيم العدد النحوى إلى «مفرد » للفردو «مثى » للاثنين ثم شمول كل عدد بعد الاثنين تحت عنوان موحد هو ﴿ الجمع ﴾ . وليس في الفكر ما يسمح ﴿ بدلالة و فَـَعـَل ، على المستقبل فى نحو قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصَرَ اللَّهُ وَالْفَتَحِ ﴾ وهُلُم جَرَا ، والمعروف أن اللغة أضيق من الفكر ، وهذه دعوى تتضح عند التصدى للترجمة من لغة إلى لغة أخرى . فلا شك في أن المترجم العربي بجد صعوبة في ترجمة كلمة أجنبية مثل Standardization أو كلمة Monads أو كلمة Transendental كما لا أشــك في أن المترجم الإنجليزي يجــد صعوبة فى ترجمة بعض الكلمات العربية مثل : «المسلابيّر» و «المكاتب » و ۱ الحذعة ، و ۱ الظعينة ، و ۱ الحيزبون، و ۱ أهل الحطوة ، . والمغزى الواضح لذلك أن كل لغة في العالم إنما تسميّىتجارِب مجتمعها وتقصر دون تسمية تجارب المجتمعات الأخرى وبذا تضيق عن أن تشمل مجالات الفكر الإنسانى فى عمومه بل لا تشمل فكر الأفراد أنفسهم حيث يقف الفرد أحيامًا ولديه فكرة دقيقة يريد أن يعبر عنها فيتخلف به عدم الكلمات عن بلوغ غايته . وبهذا يظهر لنا أن الفكر أوسع من اللغة وأن فى ربط المنطق واللغة برباط واحد ظلما لهما جميعا .

ولقد تعددت وجهة نظر المناطقة إلى المعنى من حيث هو معنى كلمة واحدة مفردة أو معنى قضية أو نتيجة منطقية تؤخذ من مقد مات . فالمعنى في نظر هم يبدو تارة في صورة الماجرى والماصدق وتارة أخرى في صورة المطابقة والتضمن والمازوم وتارة ثالثة في صورة التعريف ورابعة في صورة الحكم وخامسة في صورة علاقات رياضية يعبر عنها برموز جبرية تقصد بها كيات أو مدلولات غير محددة ولكنها صالحة للتحديد كرموز الجبر تماما . كيات أو مدلولات غير محددة ولكنها صالحة للتحديد كرموز الجبر تماما . كالرمز الجبرى . وواضح أن المعنى بالنسبة للمنطق كما كان بالنسبة للمنطق كما كان بالنسبة للابيستيمولوجيا معنى ذهني غير عرفي أي أنه حكم يحدده الفكر الفردى للفيلسوف أو المنطق وليس علاقة عرفية اعتباطية يحددها المجتمع كما سنرى في المعنى اللغوى .

والفئة الثالثة التي نظرت في المعنى هي فئة علماء النفس سواء في ذلك الميتافيزيقيون منهم والتجريبيون والتحليليون. والمعنى في نظر هؤلاء أيضا غير عرفي ولا اجتماعي ولكنه خاضع للتكوين النفسي للفرد فيخضع تارة للغرائز وتارة أخرى لغريزة واحدة بعينها تعتبر أهم هذه الغرائز. وقد يخضع للعقل الظهر أو العقل الباطن. وقد يخضع للحاجات العضوية أو غير العضوية مما يحسه الفرد وقد يرتبط بظرف معين فيصاحبه وجودا وعدما بطريقة تولدية (١) آلية على مثال نجربة بافلوف.

أما علماء الرمز فقد حاولوا أن يقسموا معنى الرمز إن طبيعي و ذه في و عرق فقالوا إن المعنى الذي يدركه المرء من النغمة الموسيقية معنى ناشىء

⁽۱) أقصد بالتولد هنا رد الفعل reaction على طريقة استخدام الكلمة في مقالات الاسلاميين لأبي الحسن الأشعري .

عن طبيعة النغمة نفسها فإذا كانت على صورة ما أفهمت الحزن وإذا كانت على صورة أخرى أفهمت الفرح مثلا ، وكذلك يدل البرق والرعد على احتمال المطر والصواعق كما تدل الخضرة على وجو د الماء . أما المعنى المذى يفهم من الآثر الذى يدل على سالك الطريق . وكذلك دلالة آثار المجرم على شخصه فهى معنى ذهنى وأما دلالة الكلمة بالوضع على ما تستعمل له فدلالة عرفية .

والأدباء والنقاد يهتمون بالمعنى الفنى الجمالى لا بالمهنى العرفى بل إن بعضى أصحاب المذاهب الأدبية جاهروا بعدائهم للمعنى العرفى فى الأدب و فادوا بالعلول عنه إلى معنى آخر فنى جمالى طبيعى يتصل أشد الاتصال بمهنى النغمة الموسيقية الذى تكلمنا عنه منذ قليل. هؤلاء هم الرمزيون، وهم بهذا يدخلون فى تقويم المعنى بمقاييس مما وراء منهج اللغة بل مما وراء المنهج السائد فى النقد.

وللمراسات اللغوية الحديثة اهتمام خاص بلراسة المعي يقويه ويدعمه أن المعنى في نظر هذه المراسات صدى من أصداء الاعتراف باللغة كظاهرة اجتماعية و نتيجة لتشابك العوامل المختلفة في إطار سياق الثقافة الشعبية من عادات وتقاليد وفلكلور وأغان ومناهج عمل وطرق معيشة وهلم جرا . فاللغة أداة اجماعية يوجدها المجتمع للرمز إلى عناصر معيشته وطرق سلوكه ولذا يحدد طرق هذه اللغة واستعالاتها ويضعها موضع الظاهرة الاجتماعية فيصدق عليها ما يصدق على كل ظاهرة اجهاعية أخرى من الحضوع لظروف التعارف ما يصدق على كل ظاهرة اجهاعية أخرى من الحضوع لظروف التعارف وللتصويب والتخطئة بحسب هذا التعارف. ولقد كانت العناية بهذا الجانب الاجتماعي للغة سببا في اعتبار « المقال » عنصرا واحدا من عناصر الدلالة لا يكشف إلا عن جزء من المعنى الدلالي وينقصه أن يستعين بالمقام الاجتماعي الذي ورد فيه المقال حتى يصبح المعنى مفهوما في إطار الثقافة الاجتماعية أو بعبارة أخرى ثقافة المجتمع . ومن هنا أيضا دعت الحاجة المهجية إلى اتنحليل في النظام أو في السياق على حد سواء . والثاني المعنى المعجمي للكلمة المتحدد ومحتمل خارج السياق وواحد فقط في السياق والثالث المعنى للكلمة وكلاها متعدد ومحتمل خارج السياق وواحد فقط في السياق والثالث المعنى

الاجماعي أو معنى المقام و هو أشمل من سابقية و يتصل بهما على طريق المكامنة (١) لأنه يشملهما ليكون بهما و بالمقام معبراً عن معنى السياق في إطار الحياة الاجتماعية على نحو ما سنرى بعد قليل . وهذا التشقيق هو ما أسهمت به الدراسات اللغوية الحديثة في محاولة الكشف عن المعنى اللغوى وسنحاول في هذا الكتاب أن نطبقه على اللغة الحربية الفصحي مع تسليط أضواء المنهج الحديث على النتائج الباهرة المشرفة التي توصل إليها علماؤنا الأقدمون في حقل الكشف عن المعنى والتي وصلتنا في كنوز البراث العربي و مع محاولة الإفادة من الأفكار والمصطلحات الصالحة للاستعال في الحاضر من هذا البراث لمن صع بها هذه الدراسة للمعنى معترفين طول الوقت بالفضل لأعظم رجلين من رجال الدراسات اللغوية في الثقافة العربية وها سيبويه وعبد القاهر و يبلو فضل أولهما في حقل التحليل كما يبدو فضل ثانيهما في حقل التركيب .

وآمل أن يرى القارىء من خلال هذا البحث الحصائص التركيبية المختلفة للعة العربية ثما يتضح منه علاقاتها الداخلية وعبقريتها فى الصياغة وأسرار جهلها وكفاءتها وهى التي نبهت أذهان الكثيرين من الدارسين قليما وحديثا فحاول كل منهم من جانبه أن يستعرض هذه النواحي تحت عنوانات مختلفة منها و الحصائص» و « أسرار العربية » و « أسرار اللغة » و و عبقرية اللغة العربية » و ذلك إلى جانب ما اشتملت عليه فصول كتب فقه اللغة من دراسات فى هذا الحقل تحت عنوانات عنتلفة فأثمر بعض هذه المحاولات رطباً جنيا وأثمر بعضها الآخر حصر ما ولكن ما أثمر وما لم يثمر كانا جميعا صدى لإدراك شخصى من قبل المؤلفين لوجود خصائص تركيبية دقيقة للغة العربية . وهذه الحصائص مبان للمعانى والمعانى غايات لها . ومن أمثلة صور احتباك تركيب السياق فى مبان للمعانى والمعانى غايات لها . ومن أمثلة صور احتباك تركيب السياق فى النحوى وفى حقل الظواهر الموقعية السياقية لأن كل هذه الظواهر مناط النحوى وفى حقل الظواهر الموقعية السياقية لأن كل هذه الظواهر مناط للمعانى الوظيفية كما يتضح فى الفصول التالية من هذا الكتاب .

 ⁽۱) انظر شرح المقصود بمعنى اصطلاح «المكامنة، مقسالات الاسلاميين للأشعرى ج ٢
 ص ٢٣ ـ ٢٤ ٠

	•			
			,	•

الغصل الأول

الككلام واللغاب

ق كتابى « مناهج البحث فى اللغة » كلام مطول عن الفرق بين الكلام واللغة يستغرق ما يقرب من ثلاثين صفحة كاملة وفى كتابى « اللغة بين المعيارية والوصفية » اشتملت مقدمة الكتاب على عبارات تفرق بين طابع عمل المتكلم وبين طابع عمل اللغوى يمكن أن نوردها فيما يلى : « اللغة إذا بالنسبة للمتكلم معايير تراعى وبالنسبة للباحث ظواهر تلاحظ . وهى بالنسبة للمتكلم ميدان حركة وبالنسبة للباحث موضوع دراسة وهى بالنسبة للمتكلم وسيلة حياة فى المجتمع وبالنسبة للباحث وسيلة كشف عن المجتمع .

المتكلم يشغل نفسه بواسطتها والباحث يشغل نفسه بها ويحسن المتكلم إذا أحسن الفياس على معاييرها ويحسن الباحث إذا أحسن وصف نماذجها . اختلاف الأساليب في استخدامها اختلاف في الجهال والفن والتطبيق واختلاف الطرق في بحثها اختلاف في الدقة والتناول والبحث والنص على لسان الأديب موضوع للتذوق ولكنه في يد الباحث موضوع للدراسة . وأخيراً اللغة في خدمة المجتمع والمهج في خدمة اللغة » .

ولست أجد لدى الآن ما أعارض به هذا الذى قلته فى سنى ١٩٥٥ و ١٩٥٨ ولكن الأغراض العملية لهذا الكتاب تتطلب منى أن أخوض فى موضوع التفريق بين الكلام وبين اللغة من زاوية جديدة غير الزاوية المنهجية البحتة تلك هى زاوية طبيعة كل منهما وتكوينه . فالكلام عمل واللغة حدود هذا العمل . والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط والكلام حركة واللغة نظام هذه الحركة والكلام يحس بالسمع نطقا والبصر كتابة واللغة تفهم بالتأمل فى الكلام . فالذى يقوله أو نكتبه كلام ، والذى نقول بحسبه ونكتب بحسبه هو اللغة فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب واللغة هى الموصوفة فى كتب القواعد وفقه هو المنطوق وهو المكتوب واللغة هى الموصوفة فى كتب القواعد وفقه هو المنطوق وهو المكتوب واللغة هى الموصوفة فى كتب القواعد وفقه المنطوق وهو المكتوب واللغة هى الموصوفة فى كتب القواعد وفقه المنطوق وهو المكتوب والكلام قد يحدث أن يكون عملا فرديا ولكن اللغة لا تكون إلا اجتماعية .

المعروف أن الجسم الإنساني جهاز حيوى واحد ذو وظيفة معينة ربما صح أن نسميها ه تحقيق الوجو دالبيولوجي الإنسان. ولكن هذا الجهاز الحيوى مركب من أجهزة فرعية كالجهاز الهضمي والعصبي والإفرازى والدورى والتنفسي وغير ذلك. وهذه الأجهزة جميعا تقوم بوظائف يمكن فهم كل منها على حدة إذا نظرنا إلى الجهاز الذي يؤ ديها مستقلا عن بقية الأجهزة . ولكن هذه الأجهزة لا يستقل أحدها عن بقينها من الناحية العملية. إذ يجرى بينها نوع من تنسيق الوظائف والتكافل في نطاق الجهاز الحيوى الأكبر ولصالحه . وكما أن جسم الإنسان جهاز أكبر مكون من أجهزة فرعية نجد اللغة جهاز آكبر مكون من أجهزة فرعية نجد الأكبر وذاك أن الجسم جهاز حيوى وأن اللغة جهاز رمزى عرفى . وكما أن المرء يستطيع فهم الأجهزة الفرعية في الجسم مستقلا بعضها عن بعض في المرء يستطيع فهم الأجهزة الفرعية في الجسم مستقلا بعضها عن بعض في المدن لا في الحقيقة يمكن أن يفهم المرء الأجهزة الفرعية في اللغة فرادى ، مع أن و ظائفها لانتحقق عمليا إلا والأجهزة متناسقة متكاملة متكافلة في إطار

اللغة ، فلا يقوم جهاز منها مستقلاعن بقيتها إلا فى مقام الوصف والتحليل . وكما أن وظيفة الجسم الإنساني هن تحقيق الوجود البيولوجي للفرد نجد وظيفة اللغة تحقيق الوجود البيولوجي للفرد نفسه .

فاللغة إذن منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع وهذه المنظمة تشتمل على عدد من الأنظمة (وقد سميناها من قبل بالأجهزة) يتألف كل و احد منها من مجموعة من « المعانى » تقف بازائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو د المباني ، المعبرة عن هذه المعاني ، ثم من طائفة من و العلاقات ، التي تربط ربطاً إيجابيا ، والفروق « القيم الحلافية » التي تربط سلبيا – بإيجاد المقابلات ذات الفائدة ـ بين أفراد كل من مجموعة المعانى أو مجموعة المبانى . وكما أن « المعانى » الصرفية غير المعانى النحوية على نحو ما سنرى بعد قليل نجد « المبانى »تتنوع بين فرع وآخرمن فروع الدراسات اللغوية . فالمبانى المأخوذة من النظام الصوتى حروف phonemes وهي في النظام الصرفى وحدات صرفية morphemes ويعتمد النحو فى التعبير عن معانيه وعلاقاته السياقية على هذين النوعين من المبانى كالحركات والحروف والزوائد واللواصق والصيغ . وأما « العلاقات » الرابطة، و « القيم الخلافية ، المفرقة فهي عناصرهامة جدا في نظام اللغة بعامة . على أن ، القيم الحلافية ، وهي المقابلات أو نواحي الحلاف بين المعنى والمعنى أو بين المبنى والمبنى أهم بكثير جدامن العلاقات الرابطة لأنها أقدرمن تلك العلاقات على تحقيق أمن اللبس و هو الغاية القصوى للاستعال اللغوى، فإنه ليمكن الزعم أن كل نظام لغوى ينبني أساسا على مجموعة من القيم الجلافية التي بدونها لا يكون اللبس مأمونا ولا الكلام مفهوما . وقد كان ابن مالك محقا حبن الحص هذه القضية في شطرة واحدة من ألفيته تقول :

و وإن بشكل خيف لبس يجتنب ، .

فالجهاز الصوتى أو النظام الصوتى للغة يدرسه علم و الصوتيات ، Phonology مستخدما في دراسته العناصر الآتية :

المعطيات علم الأصوات هي أوصاف للحركات العضوية التي يقوم بها الجهاز النطقي أثناء النطق وكذلك الآثار السمعية المصاحبة لهذه الحركات . ويقوم هذا الوصف على الملاحظة الذاتية أو الحارجية من قبل الباحث . وقد تدعم هذا الوصف على الملاحظة الذاتية أو الحارجية من قبل الباحث . وقد تدعم هذه الملاحظة بوسائل آلية في معمل الأصوات اللغوية مثل الحنك الصناعي والكيموكر افيا و الاسيكتر وجراف و الأوسيلوجراف و صور الأشة الثابنة أو المتحركة و هلم جرا . ويستعين الباحث على تسجيل مادته تسجيلا مسموعا بالأشرطة و الاسطوانات و على تسجيلها تسجيلا منظور أبو اسطة الكتابة الصوتية العالمية العالمية المحاولة إلى الجهاز النطقي كما توصف الآثار السمعية دائما العضوية إلى الجهاز النطقي كما توصف الآثار السمعية دائما منسوبة إلى الجهاز النطقي كما توصف الآثار السمعية دائما الموصوف ، كما يكون النشاط الموصوف هو و الكلام » . و هذا الكلام الموصوف ، كما يكون النشاط الموصوف هو و الكلام » . و هذا الكلام الموصوف ، كما يكون النشاط الموصوف هو و الكلام » . و هذا الكلام الموصوف ، كما يكون النشاط الموصوف هو و الكلام » . و هذا الكلام الموصوف هو و الكلام » . و هذا الكلام الموصوف هو و الكلام » . و هذا الكلام الموصوف ، كما يكون النشاط به بعموعة من الشروط تسمى و اللغة » .

و القيم الخلافية ، للتفريق . بين أى صوت وصوت آخر ولو من جهة واحدة على الأقل وقد تكون من أكثر من جهة ، و ذلك و كالعلاقة ، بين الباء على الأقل وقد تكون من أكثر من جهة ، و ذلك و كالعلاقة ، بين الباء والميم إذ تشتر كان بالعلاقة العضوية في الخرج الشفوى والجهر . وتفارق إحداها الأخرى بالقيمة الخلافية إذ تكون بينهما و مقابلة ، من حيث الأنفية و عدمها والشدة و عدمها . وقد بما أدرك الكوفيون قيمة و المقابلة ، في إيضاح المعنى فسموها و الخلاف ، كما أشرنا من قبل إلى اعتداد الأصوليين بما سموه : ومفهم م المخالفة ، .

فمعطيات علم الأصوات والعلاقات والقيم الحلافية هي العناصر التي يتكون منها النظام الصوتي للغة ويقوم علم الصوتيات على هذه الأسس بواسطة استخدام هذه العناصر بالكشف عن هذا النظام الصوتي .

وأما النظام الصرفى للغة فهو مكون من ثلاث دعائم هامة : ١ ـــ مجموعة من والمعانى والصرفية التي يرجع بعضها إلى التقسيم ا كالاسمية والفعلية والحرفية ، ويرجع بعضها الآخر إلى والتصريف و كالإفرادو فروعه والتكلم و فروعه وكالتذكير والتأنيث والتعريف والصيرورة ويرجع بعضها الثالث إلى مقولات الصياغة الصرفية كالطلب والصيرورة والمطاوعة والألوان والأدواء والحركة والاضطراب أو إلى العلاقات النحوية كالتعدية والتأكيد وهلم جرا .

۲ — طائفة من «المبانى» morphemes تتمثل فى الصيغ الصرفية وفى اللواصق والزوائد والأدوات فتدل هذه المبانى على تلك المعانى أحيانا بوجو دها إيجابا وأحيانا بعدمها سابا وهو ما يسمونه morpheme ويسميه النحاة «الدلالة العدمية » وهى نفسها دلالة الحذف والاستتار والمحل الإعرابى عندهم .

٣- طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية وأخرى من المقابلات أو القيم الحلافية بين المعنى والمعنى وبين المبنى والمبنى كالعلاقة الإيجابية بين هضرب و «شبه م من حيث تشابها في الصيغة ، فهي « فيعل و فيهما و كالمقابلة التي تتمثل في القيمة الحلافية بين أحدها والآخر من جهة المعنى فأولهما ه مصدر » وثانيهما « صفة مشبهة » . و تفرق اللغة بين الكلمة وصاحبتها بمثل هذه المقابلات كاعتبار التجرد في مقابل الزيادة والصيغة في مقابل الصيغة الأخرى والتكلم في مقابل الخطاب والغيبة والاسمية في مقابل الفعلية والتذكير في مقابل النائيث و كالمذكر في مقابل المؤنث والمتكلم في مقابل المخاطب والغائب ، والاسم في مقابل الفعل ، فالمقابلة كما تكون بين المعنى و المعنى كالتذكير والتأنيث مثلا تكون بين المبنى و المبنى كالمذكر والمؤنث. و هذه المقابلات هي عصب النظام الصر في فلا يتصور نظام بدونها .

وأما النظام النحوى للغة فيتكون مما يأتى :

۱ — طائفة من المعانى النحوية العامة كالخبر و الإنشاء و الإثبات و النبى و التأكيد و كالطلب و فيه الأمر و النهى و الاستفهام و الدعاء و التمنى و الترجى و العرض و التحضيض و كالشرط و القسم و التعجب و المدح و الذم الخ .

٢ - مجموعة من المعانى النحوية الخاصة أومعانى الأبواب المفردة
 كالفاعلية والمفعولية والحالية الخ.

٣ ــ مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعانى الحاصة و تكون قرائن
 معنوية عليها حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها و ذلك كعلاقة
 الإسناد والتخصيص والنسبة والتبعية .

4 — والعنصر الرابع من عناصر النظام النحوى هو ما يقدمه علما الصرف والصوتيات لعلم النحو من المبانى الصالحة للتعبير عن معانى الأبواب وتلك الصالحة للتعبير عن العلاقات ، فليس للنحو من المبانى إلا ما يقدمه له الصرف ومن هنا ندرك مدى الترابط بين العلمين حتى ليصبح التفريق بينهما صناعيا لا يبرره إلا الرغبة فى التحليل .

و اخيرا تأتى القيم الحلافية أو المقابلات بين أحد أفرادكل عنصر مما سبق ، وبين بقية أفراده كأن نرى الحبر فى مقابل الإنشاء أو الشرط الإمكانى فى مقابل الذم أو المتقدم رتبة فى مقابل المناخر أو المسرط الامتناعى ، أو المدح فى مقابل الذم أو المتقدم رتبة فى مقابل المناخر أو الاسم المرفوع فى مقابل الاسم المنصوب أو المتعدى فى مقابل اللائم وهلم جرا .

وهكذا يمكننا التفريق بين المفعول لأجله وبين المضاف إليه مثلا بما يعبران عنه من علاقة فأولهما للسببية وثانيهما للئسبة (الإضافة) ثم نفرق بينهما من حيث الصيغة الصرفية إذ يلزم فى أولهما أن يكون مصدرا ولا يلزم ذلك فى الثانى ثم من حيث الحركة الإعرابية فالأول منصوب والثانى مجرور ولا يغرنك أن كليهما على معنى اللام لأن لام الأول للسببية ولام الثانى للملكية أو عوم الملابسة . هذه المقابلات «القيم الخلافية » ضرورية لفهم المعنى «وأمن اللبس » ولا يمكن أن نتصور أداء اللغة لوظيفتها بلونها وهى أهم بكثير من العلاقات الرابطة لأن هذه العلاقات تعبر عن تشابه و «خوف اللبس » يأتى عند التشابه .

هذه هي الأنظمة الثلاثة التي تشتمل عليها اللغة باعتبارها منظمة كبرى مكونة من أنظمة . ومما تقدم نستطيع أن ندرك إلى أي حد يعتمد النحو على

الصرف من جهة وعلى الأصوات من جهة أخرى وإلى أى حديعتمد الصرف على الأصوات من جهة أخرى وإلى أى حديعتمد الصرف على الأصوات ثم إلى أى حد تترابط هذه الأنظمة فى مسرح الاستعال اللغوى فلا يمكن الفصل بينها إلا صناعة و لأغراض التحليل فقط .

لقد أشرنا فى ثنايا الكلام إلى المبنى الصرفى ومدى أهميته فى فهم المعانى الصرفية و المعانى النحوية على السواء بل للمعانى المعجمية أيضا و نو د أن نوضح هنا مكان المبنى فى مجال خطة الكشف عن المعنى . ونبدأ ذلك بتأكيد وضعية ثلاثية فى الاصطلاح لابد من الإحاطة بها وهى تبدو على النحو التالى :

العلامة	المبي	المعي	
قال محمد :	السكون أو غيره مما	تمام المعنى (الوقف)	
	يدل على الوقف		
اضرب الولد .	الكسر	التخلص من التقاء	
		الساكن ين دان .	
قام زید	الاسم المرفوع	الفاعل المطوعة	
انطلق	ا الفعل		

والملاحظ هذا أن المبانى تجريدات لا منطوقات ولا مكتوبات أى أنها أقسام شكلية ينطوى تحت كل منها ما لا حصر له من العلامات المنطوقة فى استعال المتكلمين والمخطوطة فى استعال الكاتبين وهذه الأقسام جزء من اللغة شأنها شأن المعانى ذاتها على حين نجد العلامات جزءا من الكلام بشقيه المنطوق والمكتوب. وفائدة اعتبار المبنى فى أنظمة اللغة وفى تحليلها فى ضوء هذه الأنظمة أن اللغة لا يمكن أن تكون نظاما من المعانى التى لا مبانى لها لأن المبانى رموز المعانى ولا غنى عن الرمز فى نظام كاللغة هو فى أساسه نظام الرمزى ». ولولا المبانى وهى تجريدات وتقسيمات شكلية تندرج نظام المعرزى ». ولولا المبانى وهى تجريدات وتقسيمات شكلية تندرج تحتها العلامات المنطوقة أو المكتوبة ما كان من الممكن للباحث أن يعبر عن حتائق البحث اللغوى مستقلة عن الاستعال الفعلى للكلام ، ولأصبح الباحث فى عجزه عن التبويب والتقسيم فى تيه لا ينتهى مداه من مفردات الاستعال .

والمعانى التى فى هذه الأنظمة الثلاثة (الصوتى والصرفى والنحوى) هى حقيقتها وظائف تؤديها المبانى التى تشتمل عليها وتغبنى منها هذه الأنظمة . وقد رأينا من قبل كيف كان الوقف وظيفة السكون ونحوه وكيف كان التخلص وظيفة الكسر وكيف كانت الفاعلية وظيفة الاسم المرفوع وكيف كانت المطاوعة وظيفة الانفعال . من هنا يكون «المعنى » وظيفة «المبنى » وظيفة «المبنى » عنوانا تندرج تحته «العلامة » . ومن ثم أطلق الباحثون ويكون «المعنى الذي تكشف عنه المبانى التحليلية للغة اسم «المعنى الوظيفي » على هذا المعنى الذي تكشف عنه المبانى التحليلية للغة اسم «المعنى الوظيفي » المدنى تدل عليه الكلمة المفردة كما في المعاجم ثم المعنى الدلالي التحليل الذي تتحليل الذي تتحليل المعنى المالمة المفردة كما في المعنى الذي لايكتنى بتحليل أو المعنى المقامى المقامى المقام ولا بمعنى كلماته المفردة وإنما يراه فوق ذلك في ضوء المقام تركيب المقال ولا بمعنى كلماته المفردة وإنما يراه فوق ذلك في ضوء المقام تركيب المقال ولا بمعنى كلماته المفردة وإنما يراه فوق ذلك في ضوء المقام Context of situation

وليس المعجم نظاما من أنظمة اللغة فهو لايشتمل على شبكة من العلاقات العضوية والقيم الحلافية ولا يمكن لمحتوياته أن تقع في جدول يمثل احتبائه هذه الملاقات على نحو ماسترى في أنظمة الأصوات والصرف والنحو. فالمعجم بحكم طابعه والغاية منه ليس إلا قائمة من الكلمات التي تسمّى تبارب المجتمع أو تصفها أو تشير إليها. ومن شأن هذه الكلمات أن تحمل كل واحدة إلى جانب دلالها بالأصالة والوضع (الحقيقة) على تجربة من تجارب المجتمع أن تدل بواسطة التحويل (الحجاز) على عدد آخر من التجارب. فإذا وضعنا كلمة « المعانى » بدل « التجارب ، وصح لنا أن نقول إن الكلمة المفردة ولكنها وهي موضوع المعجم) يمكن أن تدل على أكثر من معنى وهي مفردة ولكنها معناها ولم يعد لها في السياق إلا معنى واحد لأن الكلام وهو مجلى السياق لابد أن يحمل من القرائن المقالية (اللفظية) والمقامية (الحالية) ما يعين معنى واحدالكل كلمة. فالمعنى بدون المقام (سواء أكان وظيفيا أم معجميا) متمدد و محتمل لأن المقام هو كبرى القرائن فح ولا يتعين المعنى إلا بالقرينة . متمدد و عتمل لأن المقام هو كبرى القرائن فولا يتعين المعنى إلا بالقرينة . متمدد و عتمل لأن المقام هو كبرى القرائن فولا يتعين المعنى إلا بالقرينة . ولقد سبق أن أشرت إلى أن علم البيان (وهو علم دلالات المفردات)

يمكن أن يمثل الجانب النظرى من « علم المعجم » فيبين كيف تخرج الكلمة عن معناها الحقيقي الوضعي إلى معان أخرى مجازية ويستمد مادته من تاريخ الاستعال في اللغة العربية. بل يحسن في هذا الجانب النظري للمعجم أيضا دراسة أصل الدلالة الحقيقية نفسها بواسطة النظر في طرق العرف والوضع بالارتجال والاقتراض والتعريبونحوها مع العنايةبوجهة النظر التاريخية التى تبحث فى أصول الكلمات المستعملة فعلا منناحية البنية وفى تطور دلالتها على مر العصور. ذلك هو الجانب النظرىللمعجم وهو موزع بين علم البيان وعلمالصرف وعلم المتن وبحوث فقهاللغة وتاريخ الأدب ولكنه قد آن له الأوان أن يتوحد في علم واحد يسمى «علم المعجم» ويتخذ موضوعا أساسياً له طرق المعاجم ومادتها والمعنى المعجمي ــ ذلك المتعدد المحتمل . المعجم إذاً جزء من اللغة ولكنه ليس نظاما من أنظمة اللغة. هو من اللغة لأنه سجل لكلماتها ولمعانى هذه الكلمات وهذه الكلمات ساكنة صامتة بالفعل ولكنها صالحة بالقوة لأن تصير ألفاظا مسموعة أو خطوطامكتوبة مقروءة فى سياق كلام فالمعجم إذن معين صامت ساكن هادى مستعمل بالقوة لا بالفعل؛ شأنه في ذلك شأن اللغة كلها حيث عبر عنها أحد العلماء بقوله: إنها Silent reservoire (١) وهذا المعين الاستاتيكي إذا وضع فى حالة استعمال وحركة و ديناميكية أصبحت النتيجة كلاما لا لغة. فكلمة لا رجل امثلا موجودة مختزنة في تجربة الجاعة صامتة صالحة لأن يستعملها الفرد عند الإرادة فإذا لم يستعملها ظلت صامتة ساكنة هادئة وهيفي هذه الحالة جزء من اللغة لا من الكلام فإذا نطقها الفرد أو كتبها أخرجها من مجال القوة إلى مجال الفعل وجعلها جزءا من الكلام الذي هو نشاط وسلوك.

واللغة العربية بهذا مكونة من ثلاثة أنظمة وقائمة من الكلمات التي لانفتظم في جهاز واحد وهذه الأنظمة والقائمة تكون معينا صامتا فإذا أردنا أن نتكلم أو أن نكتب نظرنا في هذا المعين الصامت فوضعنا محتوياته في حالة عمل وحركة فأخذنا منه الكلمات ورصفناها على شروط الأنظمة أي بحسب قواعد

⁽۱) انظر کتاب دیسوسور ۰

اللغة وخرجنا من دائرة الصمت اللغوى إلى دائرة النطق الكلامى أى من حيز السكون إلى حيز الحركة ومن حيز الإمكان إلى حيز النطبيق . وحاصل جمع المعنى الوظيني » التحليلي و « المعنى المعجمي » الذي للكلمات لا يساوى أكثر من « معنى المقال » أو « المعنى اللفظي » للسياق أو معنى ظاهر النص كما يقول الأصوليون ولا يزال السياق حتى بعد الوصول إلى هذا المعنى اللفظي بحاجة إلى « معنى المقام » أى المعنى الاجماعي الذي يضم القرائن الحالية إلى ما في السياق من قرائن مقالية وبهذا يتم الوصول إلى العنى الدلالي » .

وسنرى فيما بعد أن «المقام» هو حصيلة الظروف الواردة relevant طبيعية كانت أو اجتماعية أو غير ذلك في الوقت الذي تم فيه أداء المقال speech event أما الظروف غير الواردة irrelevant فلا ضرورة لإرباك خطة تحليل المعنى بذكرها وشرحها وما دام المعنى على إطلاقه مركبا على هذا النحو الذي يبدو من تشقيقه فإن أى شق من المعنى لا يكفى بمفرده للإفادة والفهم فلا يكفى مجرد فهم النظام الصوتى للغة ما لأن نفهم مقالا بهذه اللغة بل لا يكني المالك حتى فهمنا للنظام الصرفي أو النحوي للغة المذكورة، بل لا يكنى أيضا أن نفهم المعنى المعجمي لحشد كبير من كلمات هذه اللغة أيضًا لأن نفهم المعنى فهما كاملا ما دام « المقام » غير مفهوم · ويقع في تجاربنا أحيانا أن ترى اثنين يعيدان إلى التخصص في لغة أجنبية فيتخصص أحدهما فى اللغة ذاتها ويتخصص الثانى فى أدبها فأما الذى تخصص فى اللغة فقد طلب موضوعا يخضع للتقعيد ومن ثم للفهم السريع وللتحصيل السريع أيضا فبنجح في مهمته بيسر نسبي وأما الذي تخصص في الأدب فسيجد نفسه وجها لوجه مع التحدى الهائل الذى يفرضه فهم المقامات المختلفة التي تقع في إطار ثقافة أجنبية عنه بما تشتمل عليه هذه المقامات من علاقات اجهاعية وعقلية وذوقية وعاطفية دقيقة متشعبة لا يفهمها وينفعل بها إلا أبناء البيئة ُ ذاتها ولا يمكن الحصول على بعضها من مجرد قراءة تاريخ هذا المجتمع ولا أدبه ؛ ذلك بأن إطار الثقافة الاجتماعية لكلأمة يفرض

من تلك العلاقات والأرتباطات بالمواقف وبالموضوعات مالا يفهمه تماما إلا الناشئون في المجتمع ذاته والثقافة ذاتها ولو أن المتخصص الأجنبي تمكن من تمصيل فهم الارتباطات العقلية أو حتى الاجتماعية بالموضوعات والمواقف فكيف يتسيى له مهما حاول أن يفهم الارتباطات الذوقية والعاطفية في المجتمع. وهل يجد غير المسلم وغير العربي في نفسه ما يجده العربي المسلم من فهم وانفعال وارتباط بالقرآن أو الحديث عند قراءتهما مثلا فلا شك أن المعنى دون ملاحظة هذه الارتباطات التي يتضع بها المقام ناقص كل النقص.

وهذه المقامات الاجماعية هي نسيج الثقافة بمعناها الأنتربولوجي الأعمالا بمعناها التربوى الأخص أي أنها هي نسيج العادات والتقاليد والأعيال اليومية والفلكلور الشعبي والذاكرة الشعبية ثم الإحساسات والعواطف الشعبية ومن ثم لا تخضع هذه المقامات للتقعيد والضبط كما يخضع تقعيد الأنظمة اللغوية ولكن الباحث مع ذلك يستطيع أن يصل إلى أنواع منها وأن يرصدما يستعمل من ومقال » في كل و مقام » بحسب العادة دون أن يدعي لارتباط هذا المقال بما نسب إليه من مقام أي نوع من أنواع الحتمية . لأن المقامات والمقالات جميعا من عمل الإنسان والإنسان أكثر شيء استعصاء على الضبط والتقعيد ويكني للدلالة على ذلك ما ورد في الأثر من قوله : واتن شر من أحسنت إليه » فلو خضع الإنسان لقاعدة لتوقع المحسن بمن أحسن إليه الحير ولم يتق منه الشر .

بقى أن نشير إلى أن النظر فى المعنى الدلالى نظر فى معنى الكلام (لفظا أو كتابة) يواسطة علمى اللغة والاجتماع ذلك بأن المعنى الذى ننظر فيه هنا معنى مقال جرى استعاله فعلا فى مقام ما بالنطق أو بالكتابة والاستعال هو الأداء وهو الكلام بنوعيه السمعى النطقى والبصرى الكتابى . هذا هو تشقيق المعنى و قدر أينا أنه يذبى على تشقيق اللغة نفسها وعلى النظر إلى كل شق منها باعتباره فرعا من فروع البحث فى المعنى مما يؤ دى فى النهاية إلى أن تكون باعتباره فرعا من فروع البحث فى المعنى مما يؤ دى فى النهاية إلى أن تكون اللغة فى عمومها نظاما عرفيا يشرح العلاقة الاعتباطية بين الرمز وبين المعنى من حيث عرفيها واطرادها . أما تحليل المعنى على المستويات المختلفة فإنه من حيث عرفيها واطرادها . أما تحليل المعنى على المستويات المختلفة فإنه

يشغل كل ما يتلو ذلك من صفحات هذا الكتاب فسننظر أولا فى الطبيعة العملية للدراسة الصوتية وفى الصلة بين علم الأصوات وبين الدراسات اللغوية مقدمين بذلك لدراسة الفروع التى تتناول المعنى على مستوياته المختلفة كالمصوتيات والصرف والنحو وهى الفروع التى تدرس المعنى الوظيفى موضحين بعد ذلك طبيعة المعنى المعجمى ثم معنى المقام واصلين من كل ذلك المعنى الدلالى .



الغصلالثاني

الأصواب

مبق أن فرقنا فى الفهم بين الكلام واللغة وبينا أن الكلام أداء فردى فى إطار اجتماعى ما ، وهذا الإطار الاجتماعى هو اللغة . وحين يتكلم الفرد يتم كلامه فى إحدى صورتين شهيرتين : إما النطق وإما الكتابة . وليس يدخل فى غايننا هنا أن نشرح كيف تتم الكتابة ولا أن نقوم بدراسة تحليلية لمنحنيات الرموز الكتابية وزواياها ولا أن نلتى ضوءاً أيا كان على الرموز الكتابية التى يستعملها و المتكلم ، فذلك أمر تهتم به دراسات من نوع آخر . ولكنامع كل التأكيد لا نستطيع أن نتخلى بنفس القدر من اللامبالاة عن العمل النطنى الذي يقوم به الإنسان الفردو ذلك للأسباب الآتية :

ان تقالید السماع فی الکلام بحکم قدمها و حداثة تقالید الکتابة جعلت الکلام المسموع یبدو أکبر أهمیة من الکلام المنظور. ذلات الآنه أدخل فی الحیاة من الکتابة و أو غل فی سلوك الفرد و الحجتمع حتی لقد زعم بعض العلماء أن التفكیر لا يتم بدون الکلمات و لعله قصد بالکلمات هنا ما قصده المتنبی بقوله:

إن الكلام لنى الفؤاد وإنمسسا جعل اللسان على الفؤاد دلسيلا

٧ — إن اعماد الكلام المنطوق على أساسين أحدها حركى يسمى المخارج والثانى سمعى يسمى الصفات قد عدد أسس الاختلاف بين الأصوات المنطوقة فأمكن لهذه الأسس وما بينها وما فى خلالها من مقابلات أو قيم خلافية أن تكون منطلقاً مناسباً للسعى إلى إنشاء نظام صوتى لغوى تستخدم فيه هذه القيم الحلافية بين المخرج و المخرج و بين الشدة و الرخاوة مثلا و بين الجهر والحمس و بين التفخيم والترقيق. أما الحركات الكتابية فلا تتعدد فيها الأسس على هذا النحو و من ثم لا يمكن أن يكون للنظام الكتابى من التركيب و التنوع ما للنظام الصوتى منهما.

٣ – إن الكلام المسموع يتسم أحياناً بطابع النضارب بينه وبين الأنظمة اللغوية (أى القواعد) صوتية كانت أو صرفية أو نحوية وعند ظهور مشاكل

تطبيق الأنظمة على الكلام المنطوق تعمد اللغة إلى تقديم طائفة من الحلول تسمى الظواهر الموقعية (١) أو المعالم السياقية وإن اختصاص النطق دون الكتابة بهذه الظواهر يجعل الكلام المسموع أغنى وأكثر تنوعاً من الكلام المكتوب.

ع – إن وجود النبر والتنغيم بالذات (من بين الظواهر المذكورة) في الكلام المسموع دون المكتوب يجعل الأول أقدر في الكشف عن ظلال المعنى و دقائقه من الثاني. ولقد حاولت الكتابة أن تستعيض عن التنغيم بالترقيم ولكنها لن تعوض النبر بوسيلة أخرى ولم يحاول الكاتبون ذلك.

لهذا كانت دراسة الكلام النطوق المسموع مقدمة لابدمها للراسة الأنظمة (القواعد) اللغوية أو بعبارة أخرى للراسة اللغة نفسها . وأصبح علم الأصوات تمهيداً بالملاحظة الحسية لانشاء علم الصوتيات الذي هو تخطيط عقلي لقواعد الأصوات بناء على هذه الملاحظة الحسية .

إذا رأى أحدنا سائق سيارة يصدم أحد المارة وتطوع بالشهادة أمام شرطة المرور فإنه قد يقتصر على وصف الحركة التى أدت إلى المصادمة فيقول: • إن السيارة كانت مسرعة على الجانب الفلاني من الطريق وعبر هذا الشخص الطريق في الوقت الذي كان النور الأخضر فيه مضاء أمام السيارة وحاول السائق أن يتوقف قبل بلوغ هذا الشخص ولكنه لم يتمكن ٤ . في هذه الحالة يكون وصفه للأحداث غير مختلط بتفسيرها في ضوء قواعد المرور ولكنه إذا جاء في كلامه بما كان ينبغي لهذا أو ذاك أن يفعله حسب ما تقضي به قوانين المرور فقد بدأ يتخطى مجرد الوصف الحسى إلى ذكر قواعد معينة تراعي في العادة . وحين كان هذا الشاهد يقصر كلامه على وصف الحركات التي لاحظها فحسب كان موقفه شبيها بموقف الباحث في أصوات الحركات التي لاحظها فحسب كان موقفه شبيها بموقف الباحث في أصوات المذكر يفسر موقف السائق وموقف الماشي في ضوء نظام المرور كان الشاهد المذكور يفسر موقف السائق وموقف الماشي في ضوء نظام المرور كان عمله

⁽١) انظر اللميل اللي يتناول ملد الظراعر في علما الكتاب •

شبها يعمل صاحب الصوتيات الذي يهتم من الحركات والآثار النطقية بما لكل منهما من و ظائف و بما بين كل و احدة منها و بين الأخرى من علاقات ويضعها جميعاً في إطار فهم معين . فعالم الأصوات مسجل وعالم الصوتيات مفسر ومنظم . وأولهما يلاحظ والثاني يقعد .

فعلم الأصوات دراسة عملية لموضوع مدرك بالحواس لأن حاسة النظر ترى من حركات الجهاز النطقى حركة الشفتين والفك الأسفل وبعض حركات اللسان ثم ترى كذلك بعض الحركات المصاحبة التى تقوم بها عضلات الوجه وحاسة السمع تدرك الآثار السمعية المصاحبة لهذه الحركات العضوية فتميز انحباس الهواء وتسريحه بعد انحباسه واحتكاكه بأعضاء الجهاز النطقى بسبب تضييق المحرى عند نقطة معينة من هذا الجهاز وحرية مرور الهواء عند عدم الحبس والتضييق واختلاف قيمة الصوت عند اختلاف شكل حجرة الرئين الحبس والتضييق واختلاف قيمة الصوت عند اختلاف شكل حجرة الرئين وكون النطق بجهوراً حيناً ومهموساً حيناً آخر وهلم جرا مما تستطيع الحواس أن تدركه سواء أكان الشخص الذي يدرك هذه المحسوسات على معرفة باللغة التي يستعملها المتكلم أم لا . ولا شك أن كل واحد منا قد جرب ذات مرة أن يستمع إلى متكلم بلغة غير مألوفة له أنه لاحظ حركات المتكلم وصمع صو ته وما يعرو كلا منهما من تغير تدركه الحواس حتى إنه قد يسلى نفسه أحياناً بتقليد أصوات هذه اللغة غير المفهومة التي تعتبر بالنسبة إليه «رطانة » .

هذا بالنسبة لمن لا خبرة له بعلم الأصوات فإذاكان له تدريب في الاستماع والملاحظة والتسجيل والوصف فان موقفه — ولو كان يجهل اللغة المسموعة أيضاً — لابد أن يلحقه بعض التغيير . وإنه لا يقنع في هذه الحالة يتسلية نفسه بمحاولة تقليد الرطانة وإنما يصغى إلى ما يسمعه من كلام فيسجل أصواته بالكتابة الصوتية ثم يعيد سماعه من شريط تسجيل أو اسطوانة فيكرر الاستماع الم الجملة مرات متعددة ليتحقق بذلك من حسن ملاحظته و دقة تسجيله ثم يصف الأصوات التي سمعها وصفاً علمياً من الناحيتين الحركية والسمعية وقد يستخدم في معمل الأصوات في مجموعات تقوم كل مجموعة ولكنه لا يجاول أن ينظم هذه الأصوات في مجموعات تقوم كل مجموعة

(حرف) منها بوظيفة معينة فى نظام صوتى لأنه إذا بدا يفعل ذلك نقد تخطى علم الأصوات إلى علم الصوتيات . ولكنه يستطيع أن يضع جلولا للأصوات بحسب مخارجها وصفاتها دون أن يقسمها إلى حروف أو أن يضع المحلول أى واحد منها موضعاً تنظيمياً خاصاً خارج إطار الملاحظة الخالصة . حى الجلول الذى وضعه للأصوات لا يعتبر محاولة للتنظيم اللغوى (لأنه كما ذكرنا لا يعرف اللغة) وإنما يعتبر تلخيصاً لعلاقات بين مدركات حسية صوتية تظل تنتظر من يبوبها ويقسمها ويجعل كل قدم منها حرفاً من حروف النظام الصوتى للغة أوبعبارة أخرى تنتظر من يرتبها في جدول تنظيمي يحكى ما يربطها من علاقات عضوية أو يفرق بينها من قيم خلافية . إذ لا يمكن للأصوات أن تعتبرا جزءا من اللغة إلا من خلال هذه العلاقات والمقابلات . ومن هنا يتحتم على من يتصدى لتنظيم الأصوات وتقسيمها إلى حروف أن يكون أن يكون على قلر من المعرفة باللغة في عمومها أو بمفر داتها على الأقل . وسوف يبدو لنا السبب في اشتراط هذا القدر من المعرفة عند الكلام عن طريقة استنباط هذا النظام الصوتي من المادة الحاضرة وهي الأصوات المدركة الموصوفة حيث يتم الاستنباط بواسطة الاستبدال والحذف والإضافة على نحو ما سترى .

فإذا كان الأمركذلك فكيف كان موقف النحاة العرب من دراسة الأصوات العربية ؟

لست أشك لحظة واحدة فى أن هؤلاء العلماء الأجلاء قد استطاعوا بالملاحظة فقط (ومعها كل الصعوبات التى تواجه الطليعة فى العادة) أن يصلوا إلى وصف دقيق للأصوات العربية دون أن يكون لهم من الوسائل الآلية التى يستخدمها المحدثون ما يستطيعون بواسطة الوثيق نتائج مدركاتهم الحسية ولقد بينوا مخارج الأصوات وصفاتها واشتمل ذلك عند الكثيرين منهم على أصوات غير عربية شاعت فى البيئة العربية فى القرن الثانى الهجرى . وقد سمى سيبويه بعض هذه الأصوات الأجنبية وشبهها أصواتا عربية مشهورة ووصف ذلك بأنه « غير مستحسن ولا كثير فى لغة من ترتضى عربيته ولا بستحسن فى قراءة القرآن ولا فى الشعر (١) » .

⁽١) كتاب سيبويه دباب الادامامه .

ويظهر أن سيبويه كان على وعى تام بأن دراسة الأصوات مقدمة لابد منها للراسة اللغة، وأن النظام الصوتى ضرورى لمنأر اد در اسة النظام الصرفى بل لعله كان يرى فى النظام الصوتى جزءا لاحقا أو من دراسة الصرف نفسها حيى إنه حين وضع الدراسات الصوتية تحت عنوان « باب الإدغام » قد كشف عن وجهة نظره هذه من جهة و قيد در اسة الأصوات و ضيق مجالها من جهة أخرى . وتأتى دعوى تضييق سيبويه لمجال در اسة الأصوات من أن الإدغام ايس جزءا من النظام الصوتى وإنما هو ظاهرة موقعة سياقية ترتبط بمواقع محددة يلتني فى كلمنها صوتان السابق منهما ساكن والتالى متحرك فإذا تحققت صفات خاصة في الصوكين جميعا تحققت بذلك ظاهرة الإدغام كما فهمها سيبويه . ولكن سيبويه مهد لدراسة الإدغام بدراسة الأصوات العربية تحت العنوان نفسه: لا باب الإدغام » . فتناول هذه الأصوات بالوصف من حيث المخرج وطريقة النطق والجهر والهمس والتفخيم والترقيق ناظر آ إلى الصوت في حالة عزلة عن السياق تاركا سلوك الصوت في السياق إلى دراسة الإدغام نفسه ناهجا في ذلك كله نهج النحاة ــ وهو من كبار أتمنهم - عندماً درسوا الزمن النحوى حيث نسبوا للصيغة في عزلتها زمنا صرفيا ولكنهم حين رأوا لها في السياق زمنا آخر قد لا يطابق الزمن الصرفي جعلوا ينسبون الزمن إلى عناصر غير الأفعال وما جرى نجراها فقد نسبؤه إلى الأدوات وإلى بعض الجهات كالقلب والتنفيس وإلى بعض الظروف كذلك .

ولقد اتجه سيبويه وأصحابه عندالنظر في استنباط الحروف من الأصوات اتجاها عكس ما يراه المحدثون، فسوف نرى في دراسة الصوتيات أن انجاه البحث الحديث إنما يكون من الأصوات إلى الحروف إذ ينظم الباحث مالديه من أصوات جرت ملاحظها ووصفها فيبوبها إلى مجموعات تسمى كل مجموعة منها حرفا و ذلك كأن يجمع الأصوات المختلفة الدالة على النون مع

اختلاف الخارج بين هذه الأصوات فيجعلها تحت عنوان واحدهو وحرف النون ه. ولكن سيبويه وأصحابه حين تصدوا لتحليل الأصوات العربية كان بين أيديهم نظام صوتى كامل معروف ومشهور للغة العربية وكانت الحروف التي يشتمل عليها هذا النظام قد جرى تطويعها للكتابة منذ زمن طويل فكان لكل حرف منها رمز كتابي يدل على الحرف في عمومه دون النظر إلى ما يندرج تحته من أصوات . فارتضى سيبويه وأصحابه هذا النظام الصوتى المشهور واتحذوه نقطة ابتداء في در استهم للأصوات العربية ومن هنا رأينا الأصوات العربية التي تحت كل حرف من هذا النظام لا تعدو أن تكون صفة لهذا الحرف كأن تكونإدغاماله أو إقلابا أو إخفاء أو إمالة وهلم جرا وهكذا جاء منهج النحاة في دراسة الأصوات من حيث اتجاه الحركة عكس وهكذا جاء منهج النحاة في دراسة الأصوات من حيث اتجاه الحركة عكس المنهج الحديث .

ولقد رأى سيبويه (وهو رأى شيوخه وأصحابه كذلك) أن أصول حروف العربية (يقصد الأصوات الرئيسية لحروفها) تبلغ في عددها تسعة وعشرين حرفا هي :

•	ور مز ها	١ ــ الهمزة
1	1	٧ _ الألف
٨		۳ _ الحـاء
٠	•	ع العين
ح)	ه _ الحاء
غ	ď	٦ الغين
خ	3	٧ _ الخاء
4	.	۸ _ الكاف
ق	*	٩ _ القاف

ۻ	ور مز ها	١٠ ــ الضاد
ح	D	١١ – الحيم
ش	Ď	۱۲ — الشين
، ئ	· n	۱۳ - الياء
ل	Ð	1٤ ــ اللام
٠,٠	Ð	١٥ - الراء
ن	Ð	١٦ — النون
ط	•	۱۷ ــ الطاء
د	1	۱۸ ــ الدال
ت	•	١٩ ــ التاء
ص	ÿ	۲۰ ـ الصاد
<i>ی</i> ز		۲۱ ــ الزا <i>ی</i>
س	è	۲۲ ــ السين
ظ	ñ	۲۳ ـ الظاء
ذ)	۲٤ ـ الدان
۔ ٹ	" D	۲۰ ــ الياء
ن	,)	۲۲ ــ الْقاء
	D	۲۷ ــ الياء
ب م)	۲۸ _ الميم
		۳۰۰ سیم ۲۹ ــ الواو
•	9	J.J. ' '

ثم يضيف سيبويه إلى ذلك ستة فروع أصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة (يقصد كثرة ورودها في الكلام frequency) يؤخذبها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي:

والمعروف أن النون الحفية عبر النون الحفيفة ، فالحفية هي نون الحفيفة والمعروف أن النون الحفيفة ، فالحفيفة هي نون الإخفاء قبل حروف الفم وهي التاء والثاء والحيم والدال والذال والزائ والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والفاء والقاف والكاف وأما الحفيفة فهي إحدى نوني التوكيد، ولها أحكام في الوقف تفردها بطابع خاص حيث تصير في الوقف ألفا نحو قفا = قفن .

٣١ – الهمزة التي بين بين : وهي همزة متحركة تكون بعد ألف أو يعد حركة فتصير في النطق مجرد خفقة صدرية لا يصاحبها إقفال للأو تار الصوتية نحو و أأنت قلت للناس » فإذا كانت الهمزة مفتوحة مكسورا ما قبلها قلبت واواً.

۳۷ _ الألف المالة إمالة شديدة : والمقصود بها الألف الحانحة نحو الياء وهي التي يقرأ بها القراء مثلا قوله تعالى : «والضحى والليل إذا سجى » فيجعلون صوت الألف الأخيرة في «الضحى» و «سجى » كصوت الياء في نطق العامة في مصر لكلمة «بيت ».

الشفتان قليلا مع اتساع الفم نتيجة لحركة الفك الأسفل ويرتفع مؤخر الشفتان قليلا مع اتساع الفم نتيجة لحركة الفك الأسفل ويرتفع مؤخر اللسان قليلا فيصير الفم في مجموعه حجرة رئين صالحة لإنتاج القيمة الصوتية التي نسميها التفخيم على لغة أهل الحجاز وهو أوغل في بابه من تفخيم القبائل الأخرى حتى إن بعض الألفات المفخمة على لغة الحجازيين في مثل كلمتى الصلاة والزكاة لما جاورت أصواتا غير مطبقة فخشى مدونو القرآن على تفخيم الألف، فلهذا السبب كتبو هافي صورة الواو ليعلم القارىء أن هذه الألف مفخمة .

٣٤ – الشين التي كالجيم : وهي الشين المجهورة التي تشبه صوت الجيم في اللهجة السورية واللبنانية فكان الناطقومن بهذه الشين من العرب

يجعلون كلمة أشدق كأنها أجدق ومثل هذا ما نسمعه فى لهجة القادريين فى كلمات مثل الأشغال والأشجار .

٣٥ – الصاد التي كالزاى : وهي صاد مجهورة مفخمة تشبه نطق العامة في مصر للظاء في كلمة « ظالم » مثلا والقاهريون ينطقونهذه الصاد المجهورة في كلمة « مصدر » كما كان العرب ينطقونها قديما . ولكن العرب كانوا ينطقونها من أجل الصاد في مثل الصقر والصراط كذلك .

ثم يضيف سيبويه إلى ذلك الاحروفة الاثمانية أخرى غير مستحسنة ولا كثيرة frequent في الحقة من ترتضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر. ولم يحدد سيبويه بالنسبة لهذه التمانية ما إذا كانت قاصرة على الكلمات المعربة من اللغات الأجنبية دون الكلمات الأصيلة في العربية أو أنها كانت توجد في الكلمات الأصيلة كذلك ، ولم يذكر سيبويه أيضا ما إذا كانت هذه الأصوات لحنا مما أصاب ألسنة العرب بسبب مخالطتهم الموال أو أنها وردت على ألسنة الموالى فقط . ثم إنه لم يشر إلى تقدير ما زعمه من كثرة الكثير و قلة القليل في كل ما أورده . و هذه الأصوات التمانية هي :

۳۶ – الكاف التى بين الجيم والكاف : ولم يمثل سيبويه لهذا الصوت ولكن ابن عصفور فى كتابه المقرب(۱) ، قال: إن الفعل الماضى «كمل هيصير عند النطق على طريقة هذه الكاف جمل ولكن التمثيل الخطى بصورة الجيم غير دقيق لأن الجيم مجهورة وهذا الصوت من أصوات الكاف لم يفقد همسه وإن أصبح معطشا كتعطيش الجيم وهذا الصوت هو الذى يصفه النحاة باصطلاح الكشكشة وهو شبيه لما فى نطق العراقيين لكلمة «كيف » . ويسمع المرء مثل هذه الكاف فى كلام بعض سكان المنطقة التى تقع على ويسمع المرء مثل هذه الكاف فى كلام بعض سكان المنطقة التى تقع على الحدود بين محافظتى الشرقية والدقهلية فى شرق الدلتا .

⁽١) ذكر ادغام المتقاربين .

٣٧ – الحيم التي كالكاف : ولم نجد في كلام سيبويه تمثيلا لهذه الجيم ولكن ابن عصفور جاء بمثال لها في المقرب أيضا إن كلمة و رجل التصير بهذه الجيم إلى وركل التحصير بهذا يجمل هذه الجيم أختا للجيم القاهرية ومطابقة لها تماما .

المشبهة للشين كانت صوتا من أصوات الحيم لاير د إلا في موقع خاص هو موقعه قبل تاء الافتعال وقد مثل ابن عصفور له بكلمة اجتمعوا التي تصير إلى و اشتمعوا التي تصير الله و اشتمعوا التي والله و اشتمعوا التي تصير بفضل هذا الصوت من أصوات الحيم على صورة « اشتر » وهكذا شاعت على ألسنة الفلاحين في ريف مصر شمالا وجنوبا .

٣٩ - الضاد الضعيفة: ولسنا بجد تمثيلا لها في كتاب سيبويه ولم نرفيه شرحا الطابع ضعفها ولكننا نعرف أن الضاد الفصيحة كانت تنطق بواسطة احتكاك هواء الزفير المجهور بجانب اللسان والأضراس المقابلة لحذا الجانب ومن ثم يكون صوت الضاد الفصيحة من بين أصوات الرخاوة مثله في ذلك مثل الثاء. ومن هنا وجدنا بعض العرب حين ينطقون كلمة تشتمل على صوت الثاء متلوا بحرف مفخم بجهور يحدث في نطق الثاء شيء من علوى التفخيم والجهر الضعيفة فتصير الثاء بذلك ضادا ضعيفة وقد مثل ابن عصفور لها بكلمة « أثر » التي تعتبر « أضر » مع ملاحظة ما سبق من وصف نطق الضاد .

وي الصادالي كالسين: ومع أن سيبويه لم يمثل له ذه الصاد لا نجد صعوبة في تصور المراد من هذا الشبه إذ أن الصاد والسين تشتركان في المخرج وفي الصفات كلها إلا التفخيم والترقيق فالصاد مفخمة والسين مرققة و هذا هو الفارق الوحيد بينهما ومن ثم فإن إحداها إذا أشبهت الأخرى فلابد أن يكون معنى ذلك مشاركتها في الصفة الوحيدة التي فاوقتها من جهتها فإذا أشبهت الصاد السين فإن معنى ذلك أن تترك الصاد تفخيمها إلى ترقيق السين

وقد مثل ابن عصفور لهذا الصوت من أصوات الصاد بكلمة « صابر » التي تصير «سابر » و مثل هذه الصاد ما نسمعه اليوم على ألسنة النساء ولا سيا المتشبهات منهن بالأجنبيات .

21 - الطاء التي كالمتاء : ولم يمثل سيبويه لهذه الطاء أيضا ولكن كلاما شبيها بما قبل في وجه الشبه بين الصاد والسين يمكن أن يقال هنا أيضا في وجه الشبه بين الطاء والتاء فالمعروف أن التفخيم والترقيق هو أوضح مايفرق بين الطاء والتاء الآن فإذا أشبهت الطاء التاء فقدت تفخيمها وقد مثل مايفرق بين الطاء والتاء الآن فإذا أشبهت الطاء التاء فقدت تفخيمها وقد مثل ابن عصفور (١) لهذا الصوت بكلمة «طال» التي تصير إلى صورة «تال» ونحن نسمع من النساء السابق ذكر هن مثل هذه الطاء في وقتنا الحاضر.

27 - الظاء التي كالثاء: ولم نر مثالا لها في كتاب سيبويه ولكن النظر الما الفارق بين الظاء والثاء يوضح أنهما يختلفان من وجهتين أولاها الجهر والهمس والثانية التفخيم والترقيق فإذا أشبهت الظاء الثاء فسيكون معنى ذلك أنها فقدت إما الجهر وإما التفخيم وإما ها معا. ولقد جاء ابن عصفور ممثال لهذا الصوت فقال إن كلمة « ظالم » تصير إلى « ثالم » ونحن قادرون على أن نفهم من مثاله هذا أن الظاء فقدت جهرها وهمست كهمس الثاء على أن نفهم من مثاله هذا أن الظاء فقدت جهرها وهمست كهمس الثاء أما التفخيم فمن الصعب في هذا المثال أن نقرر أن الظاء فقدته أو احتفظت به أما الكتابة العربية لاتصطنع رموزا للدلالة على التفخيم والترقيق . ومن ثم لانستطيع الحزم بأن « ثالم » السابق ذكرها مفخمة « الظاء » أو مرققها .

على الباء التي يعنيها هي ما يسمونه الباء الفارسة وهي باء مهموسة مثل صوت أن الباء التي يعنيها هي ما يسمونه الباء الفارسة وهي باء مهموسة مثل صوت (P) في اللغات الأجنبية والمعروف أن العرب كانوا يعربون هذه الباء بقلبها فاء ومن ثم أصبحت كلمة «برزده» عند تعريبها فرزدق وكلمة بالوزه» فالوذج. ولكن ابن عصفور • يزعم أن هذه الباء «على ضربين و بالوزه» فالوذج. ولكن ابن عصفور • يزعم أن هذه الباء «على ضربين

⁽١) المقرب ـ ذكر ادغام المتقاربين .

أحدها لفظ الباء أغلب عليه من لفظ الفاء والآخر بالعكس تحو بلح ، فهل يقصد بالأول ما يشبه صوت (V) وبالثاني صوت (P) ؟ لعله كذلك .

ومن الواضح أن سيبويه مع تفريقه بين أصول الحروف و فروعها لم يكن يفرق بين اصطلاحي « الحرف » و « الصوت » على نحو ما يفرق علم اللغة الحديث بين اصطلاحي phoneme و sound و sound اللغة الحديث بين اصطلاحي ومن الواضح أيضاً أن سيبويه جعل الكثير فالحرف لديه يشمل كل ذلك. ومن الواضح أيضاً أن سيبويه جعل الكثير من الأعضاء الثانوية أو الفروع المختلفة للحروف على حد تعبيره أو صافا تعرو العضو الرئيسي – أو كما يسميه: الأصل – وسمي الأوصاف ولم يعدد الأصيات وكان من بين ما سهاها به الإدغام والإقلاب والإخفاء ونحوها الفرعية . ومن الواضح كذلك أن هذه الأعضاء الفرعية يختلف بعضها عن بعض الفرعية . ومن الواضح كذلك أن هذه الأعضاء الفرعية يختلف بعضها عن بعض طريقة النطق أو من حيث واحدة أو أكثر من الصفات وقد أشر نا إلى ذلك عند كلامنا عن النون الحقيفة قبل قليل .

وأحصى سيبويه المخارج التي تخرج منها الأصوات العربية فعدها خمسة عشر مخرجاً هي :

- ١ _ ما بين الشفتين .
- ٢ باطن الشفة السفلى وأطراف الأسنان .
 - ٣ _ طرف اللسان وأطراف الثنايا .
 - عرف اللسان وفويق الثنايا .
 - طرف اللسان وأصول الثنايا .
 - ما بين طوف اللسان و فويق الثنايا .
- ٧ ــ ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا أدخل فى ظهر اللسان .
 - ٨ ـ حافة اللسان إلى الطرف وما فوقهما .

- ٩ أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس.
- ١٠ وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى.
- 11 مؤخر اللسان وما يليه من الحنك الأعلى .
- 1.7 أقصى اللسان وما يليه من الحنك الأعلى .
 - ۱۳ ـ أدنى الحلق .
 - ١٤ وسط الحلق .
 - ١٥ ــ أقصى الحلق .

والملاحظ أن طرف اللسان يرد ذكره فى المخارج الحمسة ذوات الأرقام ٢، ٤٠٥ . ٦٠٥ وكذلك ترد معه الثنايا مع تباين الجزء الذي يتصل به طرف اللسان منها ولقد ورد ذكر حافة اللسان فى المخرجين ٨، ٩ وورد ذكر وسط اللسان فى رقم ١٠ ومؤخره فى ١١ وأقصاه فى ١٢ وورد ذكر الحلق فى ١٣ . ١٠ أى أدناه ووسطه وأقصاه .

- أما الصفات فقد قسمها على النحو الآتى :
- ١ الشدة والرخاوة وما بينهما واللين والهوى .
 - . ٢ -- ألجهر والهمس .
 - ٣ ـــ النفخيم والنرقيق .
 - وجعل الشداد أربعة أقسام :
 - (۱) ما يمتنع معه النفسي .
 - (ب) المنحرف .
 - ر ج) الأنني .
 - (د) المكرر .
 - و ذلك على نحو ما يبدو في الجدول التالي :

.J
J4
_

بدول الأمدوات العربية كما كان عراه ميبونه

ولقدكان قراء سيبويه ولا يزالون بيجدون صعوبة في فهم مصطلحات سيبويه التي استعملها في تحليله للأصوات العربية إما لأنهم لا يرون لهذه الاصطلاحات عنصر الاطراد في الدلالة وإما لأنهم يخلطون بين معناها المعجمي ومعناها الاصطلاحي وإما لأسباب أخرى ولكن الأمر الذي لاشك فيه أن كل من تحدثت إليهم من قراء سيبويه سواء منهم أصحاب الثقافة العربية التقليدية الخالصة ومن خلطوا بين هذه الثقافة وبين الثقافة الحديثة يجدون في أنفسهم أشياء من مصطلحات سيبويه في باب الإدغام حتى ذهب بعضهم إلى أن سيبويه فهم النحو والصرف فهما تاماً عن شيوخه ولكنه لم يفهم عنهم الأصوات ومن ثم لم يستطع أن ينقلها واضحة للناس. ولقد حاولت أن أنظر على مهل في مصطلحات سيبويه التي يستعملها في دراسة الأصوات فوجدتني أهندي فيها إلى فهم لعله يكون صائبا و سأعرض هذا الفهم فيما يلى:

بستعمل سيبو به طائفة من المصطلحات مهامالا لبس فيه كالتفخيم والترقيق والآنني والمكرر والمنحرف وهلم جرا ، ومنها ما يعتوره اللبس إما لأنه لا يسمى ظاهرة يمكن ضبطها كالإشباع والاعتماد والاستعلاء والاستفال وإما لأنه يسمى ظاهرة يمكن ضبطها ولكنه لا يحددها تحديداً شافيا كالجهر والهمس والصوت والنفس والإطباق والانفتاح . وفيا يلى محاولة لاستشفاف مايقصده سيبويه بهذه المصطلحات . يقول سيبويه : « فالحبهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت فهذه حال المجهورة في الحلق والفم إلا النون والميم قديعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة » . ثم يقول : « وأما المهموس فهو الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة » . ثم يقول : « وأما المهموس فهو حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه وأنت تعرف خرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه وأنت تعرف نسجل الملاحظات الآتية :

الظهر أن الإشباع و الإضعاف كما يبدو من المقابلة بينهما ووضوح معنى الثانى منهما (إذ أن معنى الإضعاف سلب القوة) يمكن فهمهما على النحو التالى:

Weekening

الإضعاف = إزالة القوة

۲ سطهر من إسناد الإشباع والإضعاف إلى الاعتماد ا واتفاق منع جرى الصوت مع إشباع الاعتماد وجرى النفس مع إضعاف الاعتماد أن :

Pressure

الاعماد * الضغط

بظهر من استعمال سيبويه لكلمة وموضعه ، دون كلمة و مخرجه ،
 في النص السابق أن المقصو دبهذه الكلمة غير المقصو دبالأخرى ويتبع ذلائه:

- (۱) أن الاعتماد لهموضع و لا يوصف بأنه له مخرج لأن المخارج عند سيبويه للحروف فقط .
- (ب) أن الاعتماد يكون من موضعه (والضمير للاعتماد) واقعاً على غرج الحرف ضاغطاً عليه فعيشاً الاعتماد وموضعه هو الحجاب الحاحز الضاغط على الرئتين لإفراغ ما فيهما من هواء وهو (أى الاعتماد أو الضغط) واقع على غرج الحرف أى المكان الذى يتم نطقه فيه ولا يطعن في هذا الفهم قوله عن الميم والنون وقد يعتمد لهما في الفم والحياشيم فتصير فيهما غنة » لأن حروف الجر يحل بعضها على بعض والحرف وفي هنا حل محل وعلى » أو يكون الاعتماد واقعاً ومن » الحجاب الحاجز وعلى » الخرج الذى يوجد وفي الفم والحياشيم . فإعادة الضمير في كلمة وموضعه » على الاعتماد الفم والحياشيم . فإعادة الضمير في كلمة وموضعه » على الاعتماد أولى بأن تجعل المعنى مستقيما .

عارة سيبويه القائلة: الاومنع النفس أن يجرى معه ...
 الصوت المناك نوعاً من التقابل بين النفس وبين الصوت عكن إيضاحه كما يأتى:

النفس يرتبط بالهمس voice الصوت يرتبط بالجهر voice

عاولة فهمها عبارات سيبويه ومحاولة فهمها .

- (1) أن سيبويه لم يكن يعرف وظيفة الأوتار الصوتية فى الجهر والهمس بل لم يكن يعرف حتى تركيب الحنجرة بدليل تسميته إياها أقصى الحلق واعتباره إياها جزءاً قصياً من الحلق .
- (ب) أنه رأى الجهر نتيجة لتقوية الضغط كما رأى الهمس نتيجة لإضعافه
- (ج) أنسيبويه مع إحساسه بهذ الضغط (الاعتماد) لم يكن يعرف مصدره ولا طريقته و من ثم يكون الربط بين هذا و بين الحجاب الحاجز تفسير نا نحن المظاهرة ولميس تفسير سيبويه .
 - (د) أن الجهر مظهره والصوت ه و أن الهمس مظهره و النفس .

فإذا أعدنا تعبير سيبويه مشروحا على طريقة شراح المتون أو معبرا عنه بعبارتنا نحن التى تستعمل مصطلحات حديثة بدت عبارة سيبويه السابقة على النحو التالى :

و فانجهور صوت شدد الضغط في الحجاب الحاجز معه ولم بسمح المهواء المهموس أن يجرى معه حتى يذهبي الضغط عليه ولكن يجري الصوت أثناء نطقه فهذه حال الأصوات المجهورة في الحلقوالفم إلا النون والميم فقد يتم الاعتماد فيهما على مخرجهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة أي أثر صوتي أنني مجهور . وأما المهموس فهو صوت أضعف الضغط في موضع الضغط أثناء نطقه حتى جرى الحواء المهموس معه وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الصوت بنطقه مع جرى النفس فانك لا تسمع له جهرا ١١ .

و هكذا يختلف فهم سدويه للجهر والهمس عن فهم المحدثين .

ثم يقول سيبويه في معرض الكلام عن الإطباق والانفتاح: وومنها المطبقة والمنفتحة كل المطبقة والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف لأنك لاتطبق لشيء منهن لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك . فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحرف .

ثم يقول: ﴿ فَهَذَهُ الْأُرْبَعَةُ لِهَا مُو ضَعَانَ مَنَ اللَّسَانَ ﴾ .

- ويؤخذ من كلام سيبويه هنا الإشارات الآتية ·
 - ١ -- الإطباق ضد الانفتاح.
 - ٢ ــ الحروف المطبقة هي ص ض ط ظ .
- ٣ ــ الحروف المنفتحة كل ما عدا ذلك ومها خ غ ق .
 - ٤ أن الاطباق يتم برفع اللسان إلى الحنك الأعلى (١).
- ان الإطباق بحصر الصوت (ومعناه الأثر السمعى) بين اللسان والحنك . و كأن سيبويه يوشك أن يقول : و وبذلك تتكون حجرة رنين لها شكل معين ينتج عنها أثر سمعى معين هو الذي نسميه التفخيم .
- آن اللسان حين يرتفع إلى الحنك الأعلى يكون فحذه الحروف
 و موضعان من اللسان ، أحدها موضع المخرج و هو طرف اللسان و ثانيهما
 موضع التفخيم و هو مؤخر اللسان المرتفع إلى الحنك الأعلى .
- ۷ -- التفخيم يلازم الإطباق كما فى ص ض ط ظ ولكنه لايتوقف
 عليه كما فى خ غ ق(۲).

وهذه الملاحظات السبع تتفق اتفاقا تاما مع وجهة النظر الحديثة في العملية النطقية الحركية للتفخيم ومن شاء أن يطلع على دراسة الأصوات العربية من وجهة النظر هذه فليرجع إليها في كتابنا د مناهج البحث في اللغة ، وسيجدها مفصلة في ذلك الكتاب .

*

⁽۱) يقول ابن عصفور في المقرب : ووالاطباق أن ترفع لسائك الى الحنك الأعلى مطيقاً السبب ، و الاطباق أن ترفع لسائك الى الحنك الأعلى مطيقاً و و و تصعد اللسان الى الحنك الأعلى العلم أن أو لم ينطبق، ابن عصفور ،

الفصلالثالث

النظام الصبوتيات علم الصبوتيات

ينبغي قبل البدء في دراسة النظام الصوتي للغة أن ننبه مرة أخرى إلى الفرق بين الصوت وبين الحرف على نحو ما فرقنا بينهما من قبل أثناء الكلام في التفريق بين الكلام واللغة . فالصوت عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصحبها آثار سمعية معينة تأتى من تحريك الهواء فيها ببن مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي ومركز استقباله وهو الأذن ، ولابد لدراسة هذه العمليات النطقية و الآثار المصاحبة من أن تكون ملاحظة حسبة وأحيانا معملية للباحث فيها فضل الملاحظة والتسجيل . وقد رأينا منذ قليل كيف كان سيرويه أمينا في نقل صورة الأصوات المستعملة في أيامه مع أن بعضها لا يعتبر من بين أصوات اللغة العربية التي كانت مرمى دراسته وحافزها الأكبر . وتتم هذه الدراسة الحسية بالملاحظة والتسجيل قبل محاولة أي تفكير تجريدى يرمى إلى استنباط العلاقات التي تجمع أو تفرق الأصوات التي جرت ملاحظتها في إطار نظام لغوى ما . ومن ثم تعتبر دراسة الأصوات مقدمة لابد منها لدراسة النظام الصوتى والنظم اللغوية الأخرى ولكنها لاتعتبر بحال جزءًا من دراسة اللغة ويمكن بعبارة أخرى أن نقول إن دراسة الأصوات تعتبر ملاحظة للكلام ولا تعتبر دراسة للغة ، أى أنها تقع خارج دائرة المراسات(١)القاعديةبالمعنى الضيق. ومن هناكان الكشف عن النظام الصوتى للغة من عمل الباحث في علم الصوتيات لامن عمل الباحث في الأصوات . و لكن الذي يحدث عادة أن الباحث الذي يبدأ دراسة الأصوات يكون مؤهلا لأن يقوم هو نفسه بدراسة الصوتيات ومن هنا كانت الرسائل العلمية التي تحمل عنوان « « ... The Phonetics of... » مشتملة على دراسة تشمل و The Phonetics and Phonology of وآحيانا ينص العنوان عليهما معاً كما في الحالة الثانية . ويحرص الأساتذة المشرفون على الرسائل العلمية دائمًا على مراقبة عمل الطلاب حتى لا يخلطوا في رسائلهم

⁽١) كلمة قاعداية هنا تساوى الكلمة الانجليزية Grammatical بان ال Grammat « هو القراعد » على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية .

بين هذين المستويين من مستويات التفكير أثناء عرضهم لحقائق البحث فيقوم الطالب على المستوى الصوتي بالملاحظة ويقوم على مستوى الصوتيات بالتجريد والتنظيم والنبويب والنقسيم .

لقد سبق لنا أن ذكرنا فى الفصل الأول من هذا الكتاب أن علم الصوتيات ينبى على دعامتين رئيسيتين هما :

۱ ـ معطیات علم الأصوات أی مجموعة الملاحظات المسجلة التی تقرر أن اللغة المدروسة تشتمل علی عدد معین من الأصوات لكل منهما وصفه العضوی و السمعی .

۲ طائفة من المقابلات بين الأصوات من حيث المخارج والصفات والوظائف وهذه المقابلات هي جهات الاختلاف بين كل صوت وكل صوت آخر إما من حيث المخرج فقط أو الصفة فقط أو هما معا وتسمى « القيم الحلافية » .

و نو د الآن أن نشرح كيف يقوم الباحث بتكون يالنظام الصوتى للبغة ثم نشى بعد ذلك بشرح طبيعة تكوين النظام الصبي تى للغة العربية الفصحى .

بعد أن يكتمل وصف الأصوات التي تمت ملاحظها وحصرها يقوم الباحث بمحاولة استقراء القيم الحلافية التي تفرق بين كل صوت منها وبين الصوت الآخر وسيرى أن هذا العدد الكبير من الأصوات يتوزعه عدد من الخارج ومن ثم يمكن تقسيم هذا العدد بواسطة هذه المخارج إلى أقسام بعددها وقد رأينا أن سيبويه قسم الأصوات خمسة عشر قسما يشترك كل قسم منها في مخرج خاص . فتقع الباء والميم والواو مثلا في مخرج واحد وتقع الظاء والذال والثاء في مخرج واحد أيضا وتقع الهمزة والهاء في مخرج واحد وتقع كذلك . ومعنى ذلك بالمضرورة أن كل مجموعة من الأصوات مشتركة في مخرج واحد منها وبين للخرج واحد منها وبين الآخر في نطاق الخرج الواحد وهنا يأتى دور الصفات التي تتصف بها الأصوات والتي تعتبر الأساس السمعي للتفريق بينها وهذه الصفات نفسها تختلف من حبث الأساس الذي تغنى عليه . فقد يكون التبويب مبنيا على أساس طريقة

التدخل في مجرى الهواء الرثوى الذي يعتبر المادة الأولى للكلام فأما أن يقفل مجراه ثم يسرح الهواء بسرعة وإما أن يقفل ويسرح الهواء ببطء وإما أن يضيق وإما أن يترك مجرى الهواء كما هو دون إقفال أو تضييق فالأساس هنا إذاً هو طريقة النطق ويمكن أن يشتمل كل مخرج من هذه المخارج التي ذكر ناها بحسب طريقة النطق هذه على أصوات شديدة أو رخوة أو مركبة أو متوسطة أو غير ذلك مما تختص به لغة ما . وقد يكون الأساس هو وجود إلهتزاز في أو تار الحنجرة أو كما نسميها الأو تار الصوتية أثناء نطق الصوت أو عدم وجود هذا الاهتزاز والتبويب على هذا الأساس يكون إلى صوت مجهور و آخر مهموس . وقد يكون الأساس هو شكل حجرات رئين الصوت أثناء النطق مما يتسبب عن وضع مؤخر اللسان ارتفاعا أو انخفاضا ، وهذا الأساس يعطينا التفريق بين المفخم والمرقق من الأصوات .

المسألة إذا مسألة تبويب والتبويب تفريق والتفريق رصد فروق قد تكون على أسس متعددة كما رأينا والفروق مقابلات وهذه الفروق أو المقابلات هي القيم الحلافية التي تعتبر عنصرا أساسيا من عناصر النظام الصوتى أو أي نظام آخر في اللغة . ومن أهم القيم الحلافية في أي نظام لغوى إختلاف الوظيفة التي تؤديها كل واحدة من وحدات النظام وهي التي نطلق عليها « المعنى الوظيفي » . وفي حالة النظام الصوتى العربي بالذات تقوم الوظيفة أو المعنى الوظيفي أو لا وقبل كل شيء بالتفريق بين طائفتين متباينتين من الأصوات إحداها الصحاح والأخرى العلل . ومعنى ذلك أن للصحاح وظيفة تختلف عن وظيفة العلل في نظام اللغة العربية فها وظيفة كل منهما ؟ من وظائف الصحاح في اللغة العربية ما يأتى :

ا – أنها تكون أصولا للكلمات العربية من حيث الاشتقاق فتكون فاء الكلمة أو عينها أو لامها أى تكون حروف مادتها من وجهة نظر المعجم ولا تكون العلل (المدوالحركة) كذلك. أما الواو والياء من بين الصحاح فانهما قد تكونان حرفى لين لهما هذه الوظيفة التى للصحاح وقد تكونان حرفى مد فتعتبر ان من العلل ولا تقومان بهذه الوظيفة وسنرى التفريق بين اللين والمد فيها بعد . غير أننا نستطيع هنا أن نقول إن الواو في اقول لينة وفي غيور حرف مد و كذلك الياء في بيع وقتيل .

٣٠ _ أن الحروف الصحيحة تكون بداية للمقطع في اللغة العربية ولا تكون العلل كذلك فاذا اعتبرنا «ص » دالة على كلمة «صحيح» و «ح » دالة على «حركة » و «م » دالة على «مد » استطعنا أن نقرر آن تراكيب المقاطع العربية كما يأتى:

وهو المقطع الأقصر الذي يمثل حرفا صحيحا مشكلا بالسكون مثل لام التعريف وسين الاستفعال ولابد في هذا الحرف الذي يكون مقطعاً كاملا أن يكون مشكلا بالسكون متلوا بحرف متحرك وأن يكون في بداية الكلمة حتى يصدق عليه أنه حين يمتنع الابتدا به تسبقه همزة الوصل

٠.ب -- ص ح

ا _ ض

و هو المقطع القصير الذي يمثاه الحرف المتحرك المتلو بحرف آخر متحرك أوكان آخرا في قافية شعرية ونحوها و ذلك كما في حروف كتب التي تمثل ثلاثة مقاطع

ج – ص م

وهو المقطع المتوسط المفتوح الذي يمثله الحرف الذي يعقبه مد مثل « ما » النافية و « في » الجارة .

د ــ ص ح ص وهو المقطع المتوسط المقفل الذي يمثله الحرف المتحرك المتلو بحرف آخر ساكن نحو « لم » النافية و « قم »

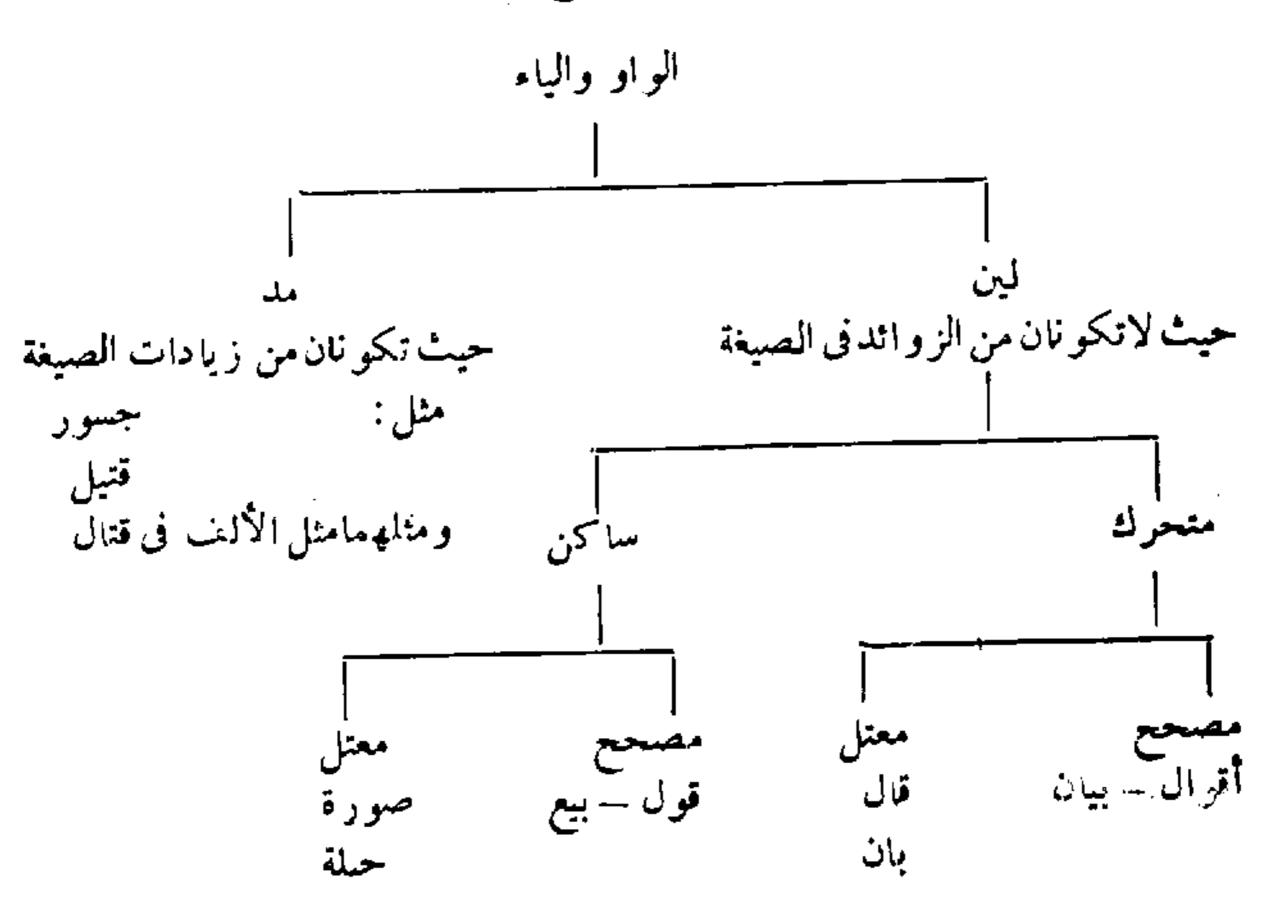
وهو المقطع الطويل بالمد والإسكان مثل قال – باع ساكنة الآخر وتتكون كلمة ضالين ساكنة الآخر من مقطعين من هذا النوع .

و ــ ص ح ص ص وهو المقطع الطويل بالتقاء الساكنين ويكثر في الوقف كما في قبل وبعد ساكنتي الآخر بالوقفوراًتي في غبر الوقف كما في تصغير دابة مثلا حيث يصير دويبة فهو ممثل في جزء من الكلمة هو « ويب »، وكذلك الأمر في «حويقة »و طويمة تصغير حاقة وطامة .

وفى كل هذه المقاطع نرى فى بداية المقطع حرفا صحيحا ولا نرى فى البداية علة أبدا . وهذا معنى أن من وظائف الحرف الصحيح يكون بداية للمقطع . أما نهاية المقطع فقد تكون حرفا صحيحا أو حرف علة (مداً وحركة) .

٣ - أن الحروف الصحيحة تقبل التحريك والإسكان أما حروف
 العلة فلا تقبل تحريكا و لا إسكانا و تتفرع عن ذلك أمور :

- (أ) أن الياء والوار تحتسبان حرفى لين فى نظام الأصوات العربية وهذه الكلمة قريبة الدلالة جدا من الاصطلاح الغربى Semi-vowels
- (ب) أن هذه التسمية لاتنفى أن اعتبارها فى التحليل قد يختلف بين اللين أحيانا وبين المد أحيانا أخرى فحين تكونان موضع إعلال فتبلوان فى صورة الألف أو الواو أو الياء تعتبر ان لينا ولكنهما حين تكونان من زيادات الصيغة كما فى واو مفعول وياء فعيل فانهما تعتبر ان حرفى مد مثلهما فى ذلك مثل الألف من كتاب. وهما فى هذه الحالة من قبيل الحركات الطويلة. ولعل الشكل الآتى يوضح ذلك.



(ج) أن الصرفيين حين نسبوا السكون إلى حرف المد عند الكلام عن التقاء الساكنين كما في الضالين ومدهامتان لم يقصدوا أن حرف المد مشكل هنا بالسكون (لأن المد والحركة لا يقبلان السكون ولا الحركة وإنما قصدوابه شيئا شبيها باعتبار العروضيين أن حرف المد يساوى من حيث الكهية الإيقاعية حركة متلوة بسكون.

ع — الجهة الرابعة من جهات الفرق من حيث الوظيفة بين الصحاح والعلل أن الجهر والهمس باعتبارها قيمتين خلافية بن يفرقان بين الصحيح والصحيح ولا يفرقان بين العلة والعلة لأن العلل جميعا مجهورة في اللغة العربية الفصحي . وإن حدث أحيانا أن يهمس بعضها في الكلام كما سنرى فيما يسمونه اختلاس الحركة والروم والإشهام وهلم جرا مما يعتبر من إجراءات الأداء لامن نظام اللغة .

و _ أن الحروف الصحيحة إذا طالت كميتها (أى شددت) دلت إما على تعدد المقاطع أو على الوقف فاذا قلنا مثلا «علم » فان التشديد ينال هنا على تعدد المقطع لأن الكلمة مكونة من مقطعين ها على (ص ح م م) لم (ص ح ص) وإذا قلنا «يارب » فان إسكان المشدد في الآخر يدل على الوقف . أما حروف العلة فان طول الكمية (المد) فيها لا يدل على تعدد المقطع ولا يدل بالضرورة على الوقف .

هذه هى الوظائف التى يؤديها الحرف الصحيح فى اللغة العربية الفصحى والتى لايؤديها حرف العلة . وهناك وظائف تؤديها حروف العلة فى اللغة ولا تؤديها الحروف الصحيحة بمكن أن نجملها على النحو الآتى :

(۱) أن حروف العلة تؤدى مهمة جليلة في اللغة العربية حيث تعتبر أساسا لقوة الإسماع Sonority في قاريخ المشافهة، وهذه الخاصية بعينها هي التي لاحظ الدكتور طه حسين بحق أنها طابع الأدب العربي وسماها الطابع الإنشادي في الأدب. و نزيد على ذلك أنها كانت طابع العلم العربي أيضاحيث تواتر بواسطة الرواية حتى عصر التدوين أو بعد هذا العصر بقليل. ولقد لاحظ العروضيون أهمية حروف

العلة للعروض فعنوا برصدها في موازينااشعر واعتبروها على عكس ما فعله الصرفيون أهم من الحروف الصحيحة .

۲ - وإذا كانت الحروف الصحيحة تنفرد بأنها أصول في الكلمات العربية وهي من ثم أساس للتفريق بين مادة ومادة أخرى من المعجم فان حروف العلة تعتبر مناطا لتقليب صيغ الاشتقاق المختلفة في حدود المادة الواحدة فالفرق بين قتل وقتل وقتل وقتيل وقتون وهلم جرا من مشتقات (قت ل) فرق يأتي عن تنوع حروف العلة لا الحروف الصحيحة.
 ومن هنا تتحمل حروف العلة بالتعاون مع حروف الزيادة وموقعية الكمية (النشديد والمد) أخطر الوظائف في تركيب الصيغ الاشتقاقية العربية .

٣ - أن حروف العلة إن كان لايبدأ بها المقطع فهى بلا شك مركز المقطع العربى حتى لتبدو من خلالها صلات معينة بين الكمية وبين النبر والتنغيم ومن ثم تعتبر حروف العلة من العناصر الضرورية فى بناء نظامى النبر فى الصرف والتنغيم فى النحو .

أن حرف العلة (حركة كان أو مداً) يصلح الم بمفرده الأن يكون علامة إعرابية فيكون مفيدا إيجابيابالذكر وسلبا بالحنف و لا يكون الحرف الصحيح كذلك إلا ما رآه النحاة من أن النون تكون علامة رفع المضارع .

من هنا تفرق الوظيفة بين قيمتين خلافيتين هامتين في النظام الصوتي للغة العربية الفصحي وها الصحة والعلة وتنقسم الحروف العربية بحسبهما إلى قسمين ها الصحاح والعلل في كان من الأصوات العربية واقعا موقع الصحاح مؤديا وظيفتها في السياق نسب إلى حرف صحيح وما كان من هذه الأصوات واقعا موقع العلل مؤديا وظيفتها نسب إلى حرف علة والحروف الصحيحة هي : عب ت ث ج ح خ د ذر ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن ه و ى وحروف العلة هى : الفتحة والكسرة والضمة ثم الألف والياء والواو التي للمد .

الوظائف والقيم الخلافية ومعطيات علم الأصوات إذآهي الوسيلة للكشف عن النظام الصوتى للغة . ويتم الكشف عن هذا النظام بواسطة العمل على تبويب العدد الكبير من الأصوات المسموعةالملاحظة المسجلة إنى أقسام بحسب مخارجها وصفاتها ولكن التشابه أو التخالف فى المخرج أو الصفة أو فيهما معالا يصلح وحده أساسا لتحديد الحروف فقد يتفق الصوتان في كل شيء حتى يحنى على غير ذى الخبرة حين يسمعهما أن يفرق بيهما وذلك كاتفاق صوتى الميم والنون مخرجا وصفته فى كلمتى ﴿ ينفع ﴾ و دهم فیها » و کذلك نی د أكرم به » و دینبح » و من هنا يصبح من الضرورى أن تدخل القيمة الخلافية الوظيفية فى الطريقة التى تحدد بها حروف النظام الصوتي بحسب الوظيفة وتستخدم هذه القيمة الخلافية في التقسيم بواسطة النظر في الوظيفة التي تتجلى في إمكان التداخل في الموقع والتخارج فيه بالنسبة لكل الأصوات التي بين أيدينا والتي نريد أن نبوبها في صورة حرو^ف. والحروف وحدات من نظام وهذه الوحدات أقسام ذهنية لا أعمال نطقية على نحو ما تكون الأصوات . والفرق واضح بين العمل الحركى الذى للصوت وبين الإدراك الذهني الذي للحرف أي بين ما هو مادي محسوس و بين ماهو معنوى مفهوم . يقول الأشعرى(١) ٠ : ﴿ وَقَالَ آخْرُونَ : الْكُلَّامُ حروف والقراءة صوت والصوت عندهم غير الحرف ، وواضح أنه يقصد بالكلام الكلمات غير المنطوقة أى الكلام النفسى الذي ينتظم بنظم عبدالقاهر ويكون فى الفؤاد على حد عبارة المتنبى وهو أيضا المعين الصامت بين دفتي المعجم و نعني بالقراءة نطق هذه الكلمات وجعلها ألفاظاً . فالضوت

⁽١) مقالات الاسلاميني جـ٢ ص ٢٤٥ •

ينطق فيكون نتيجة تحريك أعضاء الجهاز النطقى وما يساحب هذا التحريات من آثار سمعية ولكن الحرف لا ينطق وإنما يفهم فى إطار نظام من الحروف يسمى النظام الصوتى للغة .

ومثل الأصوات والحروف في علاقة كل منهمابالآخر مثل الطلاب والصفوف فالطالب حقيقة مادية والصفوحدة تقسيمية . وكما أنني أستطيع أن أنطق الصوت وأحرك به لسائى أستطيع أن أصافح الطالب وأحرك بمصافحته يدى وكما أنني لا يمكن أن أمد يدى فأصافح صفا من الصفوف الى يتكون منها معهد من المعاهد لا أستطيع أن أنطق حرفا عن الحروف الى يتكون منها نظام صوتى ما ولكنى أصافح الطالب الواحد من طلاب الصف وأنطق الصوبت المعين من أصوات الحرف لأن الحرف عنوان على عدد من الأصوات والصف مثله عنوان على عدد من الطلبة . أى أن الصوت والطالب حقيقتان ما ديمتان والحرف والصف قسمان من نظام يضم غير هما من الاقسام . والقسم فى الحالتين وحدة ذهنية لاحقيقة مادية وهذه الفكرة الذهنية تضم تحتها مجموعة من الحقائق فالصف يضم خالداً وعمراً وبُكراً وزيداً والحرف يضم عدداً من العمليات النطقية تربط آحاده علاقة ما . وكما أن الصف يسمى باسم معين كالصف الأول أو الثانى أو الثالث يسمى الحرف باسم معين كالألف أو الباء أو الجيم . وآيجر الفروق بين الصوت والحرف أن الصوت جزء من تحليل الكلام وأن الحرف جزء من تحليل اللغة . و قد سبق لنا أن فرقنا بين الكلام و اللغة .

و بعد أن عرفنا الفرق بين الصوت و الحرف ينبغى لنا أن ننظر فى الطريقة التي يمكن بها أن نكشف عن النظام الصوتى للغة ما بو اسطة استخدام القيم الحلافية التي تمايز بها وظائف الأصوات فى الكلمات . وينبغى هنا أن نذكر أن هذه أول خطوة نرفع بها الأصوات المنطوقة إلى مستوى التجريد اللغوى

وقد قررسيبويه أن مخارج اللغة العربية خمسة عشر مخرجا ومعنى ذلك أن كل مخرج من هذه ويفهم افي مقابل أربعة عشر مخرجاً أخر وكونه ويفهم المعناه أنه في مقابلته لغيره من ألحارج يحسل جرثومة سلبية من المعنى باعتباره قيمة خلافية يتميز بها الحرف من غيره أى يختلف بها عن غيره من حيث المعنى الوظيفي أى من حيث يا ملح أن يكو ن مقابلا استدااياً له . وإذا تصور نا النظام الصوتى للغة في صورة جدول كالذي نظمنا به عمل سيبويه من قبل فسنجد أن مجموع القيم الحلافية المتصلة . بالمخارج يممثل البعد الرأسي من أبعاد هذا الجدول . وفي الوقت نفسه نجد الشدة والرخاوة ونحوها من طرق النطق هذا الجدول . وفي الوقت نفسه نجد الشدة والرخاوة ونحوها من طرق النطق ممثل مجموعة من القيم الحلافية تفهم كل واحدة منها في مقابل مجموع الاخريات وبهذا تعطى قسطاً سلبياً من المعنى على نحو ما سبق شرحه . ومثل ذلك يقال عن الجهر في مقابل الهمس و عن التفخيم في مقابل الترقيق .

وهذه الصفات جميعاً تمثل البعد الأفتى للنظام الصوتى حين يوضع فى جدول كالذى سبق لنا أن رأيناه ، ونظمنا به عمل سيبويه . فجدول الحروف إذاً يعتبر إيضاحاً مناسباً للعلاقات التى تفرق بين كل حرف وكل حرف آخر فى نظام اللغة وهذا التفريق بواسطة القيم الحلافية من حيث المخارج أو من حيث الصفات هو أهم ما تحرص عليه اللغة لتصل به إلى أمن اللبس .

وملخص ما سبق أن النظام الصوتى للغة يقسم الأصوات اللغوية إلى حروف phonemes بوساطة اعتبار القيم الخلافية للوظائف أى المعانى التى ترصد للأصوات في استعالها في الألفاظ التى تتحقق بها الكايات و بوساطة التقسيمات العضوية والصوتية التى تعتبر حقلا آخر من حقول هذه القيم الحلافية ويعتبر الحرف مقابلا استبدالياً لكل حرف يمكن أن بحل محله فيحمل بذلك جرثومة الحرف مقابلا استبدالياً لكل حرف يمكن أن بحل محله فيحمل بذلك جرثومة سلبية من المعنى الوظيفي وهكذا نجد القيم الحلافية من أهم مقومات التنظيم المصوتى في اللغة و تحرص اللغة على مراعاتها محافظة على وضوح المعنى .

وفيها يلى جدول يشرح النظام الصوتى للغة العربية الفصيحى يوضح ما بين كل حرف وكل حرف آخر من قيم خلافية يمتاز بهاكل منهما فى إطار النظام الصوتى كما يقوم فى وقتنا الحاضر لدى قراء القرآن فى مصر:

			17			شفوى	شفوي أسنان	السناق	أسناني لثوى	ائوی	غار ي	طبی (۱. ۵, ۱	•	منجري -
	la.A.		3460	44.4		٦.			:8		· ·			
			\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	4		. .	<u> </u>		<u>-</u> 9	<u>/</u>	·			
		4,	3	30					·)	<u>-</u> .	ন		•	
		3	W.X	بغر	_			9				٠٠٠	<u> </u>	
			3					1	• •				a)	
			3	<u> </u>					c°			·N		
		4	2	<u>, is</u>			· ()	5	43	5		N° «	
		7	446.	9		·				k:	.).			
		3	رنجر ن	(4,5)										
			<u> </u>											-
·)			رد : 		•	-			·ɔ				· • · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	-
			.·5'		٦			•		9				

الفصلابع

النظام الصرف

ارلا: كيف يتألف هذا الظام؟ (١)

ذكرنا فى الفصل الأول أن النظام الصر فى للغة العربية الفصحى ينبنى على ثلاث دعائم هامة هي :

١ - مجموعة من المعانى الصرفية التي يرجع بعضها إلى تقسيم الكلم
 و يعود بعضها الآخر إلى تصريف الصيغ .

۲ — طائفة من المبانى بعضها صيغ بجردة وبعضها لواصق وبعضها زوائد وبعضها مبانى أدوات وقلنا إنه قد يدل على المبنى دلالة عدمية بالحذف أو الاستتار حيث تغنى القرينة فى الحالتين عن الذكر .

٣ – طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية وهي وجوه الارتباط بين المبانى وطائفة أخرى من القيم الحلافية أو المقابلات وهي وجوه الاختلاف بين هذه المبانى .

ولقد ذكرنا ما قبل أيضاً أن المبانى الصرفية morphemes تعبر عن المعانى الصرفية الوظيفية التي أشرنا إليها وأن هذه المبانى نفسها أبواب تندرج تحتها علامات تتحقق المبانى بوساطتها لتدل بدورها على المعانى فالمعانى الصرفية والمبانى من نظام اللغة ولكن العلامات المنطوقة أو المكتوبة تنتمى إلى الكلام . وسنضر ب لذلك أمثلة تتضح بها الصلة بين المعانى والعلامات النطقية كما يأتى ؛

الملامة	المبي	المقى
	صيغة الاسم	الإسمية الفعلية
ب یضر ب اضر ب (مثلا) - هی بخصوصهما (مثلا)		l Ti
) کتاب (مثلا)	ال (المعرفة) على إطلاقها (ال	1

⁽١) انظر الجدول في آخر الكتاب،

4	الملاء			المبنى	المعنى
	فاطم(ة) الزيد(ان) (أنا)أخذرت)كتا ضرب(ه) (هو)في)) }}	لملاقه	التاء (المؤنث) الألف والنون (المثم ضمير المتكلم على إط ضمير الغائب على إط	التأنيث التثنبة التكلم الغيبة

وإذا نظرنا في هذه المبانى الصرفية وجدنا آن من بينها ما يعبر عن معانى التقسيم كصيغة الاسم إذ تعبر عن الاسمية وصيغة الفعل إذ تعبر عن الفعلية وكصورة الضمير التي تعبر عن معنى الإضهار وهذه الطائفة من المبانى التي تعبر عن معان تقسيمية هي حجر الزاوية في النظام الصرفى لاغة العربية الفصحى وهذه المبانى أبواب الكلم وقد سهاها النحاة أقسام الكلام أو ما يتألف منه الكلام فاذا تصور تا النظام الصرفى في صورة جلول تتشابك فيه العلاقات و المقابلات فان هذا النوع من المبانى سيمثل البعد الرأسي لهذا الجدول. أما المبانى التصريفية أى المبانى التي يتم التصريف على أساسها كالمتكلم وفرعيه والمفرد و فرعيه وكالمذكر والمؤنث والمعرفة والنكرة فهي التي تمثل البعد الأفي لجدول النظام الصرفى وهذه المبانى التصريفية هي المسئولة عن التفريع الذي يتم داخل المبانى التقسيمية كأن ننظر إلى الأنواع المختلفة لتصريفات الاسم و لإسنادات الفعل ولفصل الضهائر ووصلها و ذكرها وحذفها واستتارها و هام جرا عما لا يمكن ضبطه إلا بواسطة مبانى التصريف. ولهذا كانت مبانى التصريف هي المسرح ضبطه إلا بواسطة مبانى الصورة على النحو التالى:

١ – مبانى التقسيم وتندرج تحتها الصيغ الصرفية الختلفة التى ينصب فى قالبها كل قسم من أقسام الكلم فكل الصيغ الصرفية التى للأسهاء بأنواعها والصفات والأفعال تندرج تحت مبانى التقسيم وتكون فروعاً على هذه الأقسام وتشبهها فى ذلك صور الضهائر والإشارات والموصولات والظروف والحوالف والأدوات حبن ننظر إلى هذه الصور على إطلاقها . ومعنى ذلك أن معانى الصبغ كالمطاوعة والطلب والصيرورة والتفضيل والمبائغة التى نراها فى انفعل الصبغ كالمطاوعة والطلب والصيرورة والتفضيل والمبائغة التى نراها فى انفعل

واستفعل والأفعل و فعيّال على البّر تيب هي فروع على معانى التقسيم و أن مبانيها فروع على مبانى التقسيم .

Y - مبانى التصريف وتندرج تحتهاأوجه الاتفاق بين المبانى وأوجه الاختلاف بينها و أقصد بأوجه الاتفاق العلاقات وبأوجه الاختلاف المقابلات فنى داخل المطاوعة نجد صيغة الفعل كانفعل وينفعل وانفعل ونجد صيغة الاسم كانفعال فتكون المطاوعة علاقة تربط بين كل هذه الصيغ ولكن اللغة تعمد عند اتفاق المبانى إلى إيجاد أنواع المقابلات بينها فيكون إبحاد المقابلات بواسطة مبانى التصريف فتسند الأفعال إسنادات مختلفة بحسب المتكلم و الحطاب والغيبة وبحسب الإفراد والتثنية والجمع وبحسب التذكير والتأنيث وتتصر ف الأسهاء تصريفات مختلفة باختلاف الإفراد والتثنية والجمع والمنافية والمحم والمنافية التحريف على أساسها والمقافية التي تفترق الصيغ على أساسها ومقتضى هذا أننا إذا نظر نا في الأمثلة السابقة التي سقناها لإيضاح الصلة بين المعنى والمبنى والعلامة وجدنا ما يأتى :

ت ا	التصريه	ج	5.N-11	
المبي	المعنى	المبى	المعنى	العلامة
الاستنار الاستنار الاستنار	الاسناد للغائب الإسناد للغائب الإسنادللمخاطب	صيغة فعل « يفعل « افعل	الفعلية والمضى الفعلية والمضارعة الفعلية والأمرية	ضرب يضرب اضرب
صورة ضمير السرفع المنفصل	التذكير والإفراد والغيبة	صورة الضمير	الإضمار	هو
صورة ضمير الرفسع	التأنيثوالإفراد والغيبة	ا الضمير	الإضمار	هی
المنفصل أل على إطلاقها	التعريف	الاسم (فيعال)	الاسمية	الكتاب

	التصر يف	6	التقسي	العلادة
المبنى	المعنى	المني	المعنى	
التاء على	التأنيث	صيغة فاعل	الاسمية (العلمية)	فاطمة
إطلاقها				
الوالألف " .	التعريف والتثنية	الاسم	الإسمية	الزيدان
والنون		(صيغة فعـُل)	• - • •	ę
صورة ضمير المتكلم المفرد	التكلم والإفراد	صورة الضمير	الإضمار	្រៀ
تاء المتكلم	الإسداد للمتكلم	صيغة فـَعـَل	الفعلية والمضي	أخذت
ياء المتكلم	التكلم	الاسم (فيعمّال)	الاسمية	كتابى
ضميرالغائب	الغيبة والإفراد	صيغة فعل	الفعلية والمضي	ضر به
المتصل	والتذكير		*	
	لا تتصرف	صورة الحرف	الظرفية	ف
ضمير الغائب	الغيبة والإفراد	(في) الأسم	الأسمية	بيته
المتصل	و التذكير	(صيغة فعدل)		

تلك هي العلاقة بين معاني التقسيم ومبانيه وبين معاني التصريف ومبانيه أيضا في النظر إلى الكلمات في التركيب وفيها يلي جدول يبين النظام الصرفي والعلاقة بين معاني التقسيم ومباني التصريف في حدو دالحدول وسنرى في هذا الحدول أن التكلم والخطاب والغيبة تولد القيم الحلافية بين الضهائر والأفعال فتكون أساس اختلاف صور هذه وإسناد تلك ولا تفعل ذلك بين الأسهاء لأن الظاهر دائما في قوة ضمير الغائب كما يقولون ولابين الصفات ولا الخوالف ولا الظروف ولا الأدوات ثم إن الإفراد والتثنية والحمع تولد القيم الخلافية بين صيغ الأسهاء والصفات وصور الضهائر وليسر بين الأفعال والخوالف والظروف والأدوات ثم إن التذكير والتأنيث يولدان القيم الخلافية بين صيغ والطروف والأدوات ثم إن التذكير والتأنيث يولدان القيم الخلافية بين صيغ الأسهاء والصفات وصور الضهائر ولا تتصل بالأفعال إلا لمعنى المطابقة الأسهاء والضمير وأما التعريف والتنكير فيولدان القيم الخلافية بين الأسها وربما الصفات دون البواقي .

نانبا: أقسنسام الكلم

لقدر أينا أن النظام الصرفى للغة العربية الفصحى يمكن أن يوضع في صورة جلول بعده الرأسى مبانى التقسيم وهى الاسم ومعناه الاسمية والصفة ومعناها الوصفية والفعل و معناه الفعلية والضمير ومعناه الإضمار والحالفة ومعناها الإفصاح والظرف ومعناه الظرفية والأداة ومعناها معنى التعليق بها . ورأينا كذلك أن البعد الأفتى لهذا الجدول هو مبانى التصريف وهى المتكلم ومعناه التكلم والمخاطب ومعناه الحطاب والإضمار للإشارة ومعناها الإشارة والغائب ومعناه الغيبة والموصول ومعناه الوصل والمفرد ومعناه الإفراد والمذى ومعناه التثنية والمجموع ومعناه المحمع والمذكر ومعناه التذكير والمؤنث ومعناه التأنيث والمعرف ومعناه التعريف والمنكر ومعناه التذكير والمؤنث ومعناه التأنيث والمعرف ومعناه التعريف والمنكر ومعناه التندير . وعرفنا كذلك أن مبانى التقسيم تتفرع إلى صيغ وصور مطلقة وأن مبانى التصريف تتفرع إلى التأنيث مبانى التقسيم تتفرع إلى صيغ وصور مطلقة وأن مبانى التصريف تفرع والتأذيث مبانى التقسيم والتأذيث والتعريف وكالسين والتاء فى الاستفعال وكالنون فى الانفعال والتاء فى الاستفعال وكالنون فى الانفعال والتاء فى الافتعال وهلم جرا .

وإذا كان النحاة العرب قد قدموا لدراسة النحو بباب صرفى هو الكلام وما يتألف منه » وهو مبحثنا هذا الذى نعاجه فى الصفحات التالية فان صنيعهم هذا يشير إلى أن النحو لايفتاً يستخدم معطيات الصوتيات والصرف المختلفة فى عرض الأغلب الأعم من تعليلاته وفى الرمز لملاقاته وأبوابه ، حتى إننا لنجدالقرائن اللفظية الدالة على أبواب النحو المختلفة هى فى جملها عناصر تعليلية مستخرجة من الصوتيات والصرف، من ذلك مثلا اشتراط صيغة صرفية ما لتكون مبنى لباب بحوى ما أى قرينة لفظية على ذلك الباب كاشتراط المصدر للمفعول المطلق والمفعول لأجله و كالقول على ذلك الباب كاشتراط المصدر للمفعول المطلق والمفعول لأجله و كالقول على خلاف الباب الفاعل وهلم جرا . ومن هذا القبيل أيضا التعبير للمفعول فى الإسناد إلى نائب الفاعل وهلم جرا . ومن هذا القبيل أيضا التعبير

عن الإسنادات المختلفة بإلصاق الضمائر المتصلة بالأفعال ثم مايتصل بذلك من إجراءات صوتية كالتحريك أو الإسكان أو صرفية كالحذف أو النقل أو غير ذلك .

> ولقلا قسم النحاة الكلم إلى ثلاثة أقسام : يقول ابن مالك : واسم وفعل ثم حرف الكلم

كما يتضح أيضا في قول النحاة الآخرين : « الاسم ما دل على مسمى والفعل ما دل على مسمى والفعل ما دل على حدث و زمن و الحرف ما ليس كذلك » .

ومن الواضح أن أبيات ابن مالك فرقت بين أقسام الكلم تفريقا من حيث المبنى وأن الموقف الذى لحصناه عن النحاة الآخرين قد فرق بين هذه الأقسام تفريقا من حيث المعنى ، وأن التفريق على أساس من المبنى فقط أو المعنى فقط ليس هو الطريقة المثلى التي يمكن الاستعانة بها في أمر التمييز بين أقسام الكلم فأمثل الطرق أن يتم التفريق على أساس من الاعتبارين مجتمعين فيبنى على طائفة من المبانى و معها (جنبا إلى جنب فلا تنفك عنها) طائفة أخرى من المعانى على نحو ما نرى فيها يلى :

(1) المبانى (ب) المعائى الصورة الإعرابية النسمية الرتبة المحدث الحدث

(ب) المعانى	(أ) المباتى
المن	الصيغة
التعليق	ابلحدول
المعنى الحملي	الإلصاق
	التضام
	الرسم الإملائي

وسنحاول فيها بلى أن ناتى ضوءًا على استخدام ما ذكرنا من المبانى و المعانى فى التفريق بين أقسام الكلم .

وأول ما نبدأ به أننا نجد التقسيم الذي جاء به النحاة بحاجة إلى إعادة النظر ومحاولة التعديل بانشاء تقسيم آخر جديد مبنى على استخدام أكثر دقة لاعتبارى المبى والمعنى اللذين ذكرناها وفصلنا القول فى كل منهما . وسنجد في التقسيم الجديد مكانا مستقلا لقسم جديد هو الصفة يمكن له أن يقف جنبا إلى جنب مع الاسم والفعل دون أن يكون جزءا من أولهما ولا متحدًا مع ثانيهما وسنرى أن الصفة تختلف مبنى ومعنى عن الأسماء على رغم ما رآه النحاة من أنها منها كما تختلف على الأساس نفسه عن الأفعال. وسنجد كذلك مكانا مستقلا لقسم جديد هو الضمير وقد عدالنخاة الضمائر بين الأسماء أيضا عند تقسيمهم للكلم ولكننا سنرى بعد قليل أن إفراد الضمائر بقسم مستقل له ما يبرره سواء من حيث المبنى أو من حيث المعى . وهذه الضمائر النمى أفردناها بقسم خاص هىأعم من أن تكون ضمائر شخصية فقط كأنا وأنت وهو وفروعها . وسنجد في تقسيمنا الجديد مكانا مستقلا ثالثا للخوالف وهى عناصر معينة وزعها النحاة بين أقسام الكلم لاختلاف مبنى كل منها عن مبانى الأخريات واختلاف معنى كل منها عن معناهن ولكنهم غفلوا عما يجمع بينها جميعا من عناصر يرجع بعضها إلى المبنى نفسه ويرجع بعضها الآخر إلى المعنى .فهي جميعا تستعصي على الدخول في جدول إسنادي آو تصرینی ما وهی جمیعا تستعمل فی الأسلوب الإفصاحیالإنشائی التأثری الانفعالي الذي يسمونه affective language وتلك هي الاخالة والصوت

والتعجب والمدح والذم.وربما ألحقنا به على المستوى النحوى لا الصرفى أساليب أخرى كالندبة والاستغاثةمن النداء . ولقد استعرت اسم الخالفة لأدل به على هذه العبار ات مما رواه الأشموني(١) عن الفراء من أنه كان يسمى اسم الفعل «خالفة » وإن كان بعض المحدثين قد تعودوا نسبة ذلك إلى ابن جابر الأندلسي . والظرف كذلك بحاجة إلى مكان خاص بين أقسام الكلم لأسباب تعودمن ناحية إلى مبانى الظروف أى صورها المطلقة وتضامتها مع الكلمات والتراكيب ومن ناحية أخرى إلى معانيها التي تختلف عن التسمية والحدث والزمن الذي هو جزء معنى الفعل لأننا سنرىأن دلالة الظروف إنما هي دلالة على علاقات زمانية بالوظيفة وليست دلالة زمنية بالتضمن كالزمن في الأفعال وسنرى كذلك أن أسهاء الزمان والمكان كاليوم والساعة وأمام ووراء قدنطرح معانيها المعجمية وتتخذ لنفسهامعني وظيفيا هو معني الظرف متعد« بالنقل » بين الظروف معنى وإن اختلفت عما في المبنى لأمها أسهاء في الأصل وليست ظروفا . وسنتوسع في فهمنا للأدوات فنرى الحروف منها أدوات أصلية ونرى غيرها أدوات محولة كالظروف التي تتصدر جملة الشرط أو الاستفهام وكالأسماء النكرات أآى تستعمل لابهامها استعال الحرف وكالنواسخ الآتية على صور الأفعال ولكنها تستخدم لنقصها استخدام الحروف وهلم جرا .

والمعانى التقسيمية والتصريفية على السواء تعتبر من العموم والاتساع والشمول في إطار اللغة بحيث يصدق عليها هي وطائفة أخرى من المعانى العامة المشابهة كالإثبات والنبي والتأكيد والاستفهام والشرط النخ أنها « مقولات لغوية دالعامة في اتساعها لغوية العامة في اتساعها وشمولها بالمقولات المنطقية Logical categories وهي الأجناس العليا وشمولها بالمقولات المنطقية Logical categories وهي الأجناس العليا التي لا توجد أجناس أعلى منها أو أعم .

ولقد ذكرنا من قبل أن معانى التقسيم يعبر عنها بمبان هى صبغ ما تصرف من أنواع الكلم والصور المطلقة لما لم يتصرف منها وأن معانى التصريف يعبر

و١) في باب أسماء الأفعال •

عنها بمبانى اللواصق والزوائد كالضهائر المتصلة وعلامى التثنية والجمع وتاء التأنيث ولام التعريف . فاذا قلنا إن المبنى هو المتكلم أو المثنى أو المؤنث أو المعرفة فان الذى نقصده أن اللاحقة أو الزائدة التى خصصها قواعد نظام الصرف للتعبير عن هذا المعنى قد تحققت بعلامتها إيجاباً بالذكر أو سلباً بالحذف أو الاستتار بمعونة القرينة اللفظية أو المعنوية على نحو ما سنرى فى دراسة القرائن المذكورة فى مكانها من الكلام عن النظام النحوى إن شاء الله .

من هنا يتضح أن الأقسام السبعة التي ارتضيناها للكلم موضحين بها مواطن الضعف في التقسيم الذي ارتضاه النحاة من قبل هي كما يأتي :

الاسم - الصفة - الفعل - الضمير - الخالفة - الظرف - الأداة وسنحاول فيما يلى أن نفرق بين كل و احد من هذه الأقسام وبين الأقسام الآخرى من حيث المبنى (أى من حيث الصورة الإعرابية أو الرتبة أو الصيغة أو الجلول أو الإلصاق أو التضام أو الرسم الإملائى) ومن حيث المهنى (أى من حيث التسمية أو الحدث أو الزمن أو التعليق أو المعنى الجملى) على أنه ينبغى لنا أن ننبه قبل كل شيء إلى أنه ليس معنى إيراد هذه المانى والمعانى جميعاً أن كل قسم من الكلم لابد أن يتميز من قسيمه من هذه النواحى جميعاً إذ يكنى أن يختلف القسم عن القسم فى بعض هذه المبانى والمعانى . فالمهم ألا يكون التفريق من حيث المبانى فقط وإن تعددت أو المعانى فقط وإن تعددت أو المعانى فقط وإن تعددت أيضاً إذ لابد من أن يتضافر اعتبار المبنى واعتبار المعنى فى التفريق بين قسم بعينه وبين بقية الأقسام .

(1) الاسم

يشتمل الاسم على خمسة أقسام:

الأول : الاسم المعين وهو الذي يسمى طائفة من المسميات الواقعة في نطاق التعجر به كالأعلام وكالأجسام والأعراض المختلفة ومنهما أطلق النحاة عليه اسم الحثة وهو المعنى بما ورد في قول ابن مالك :

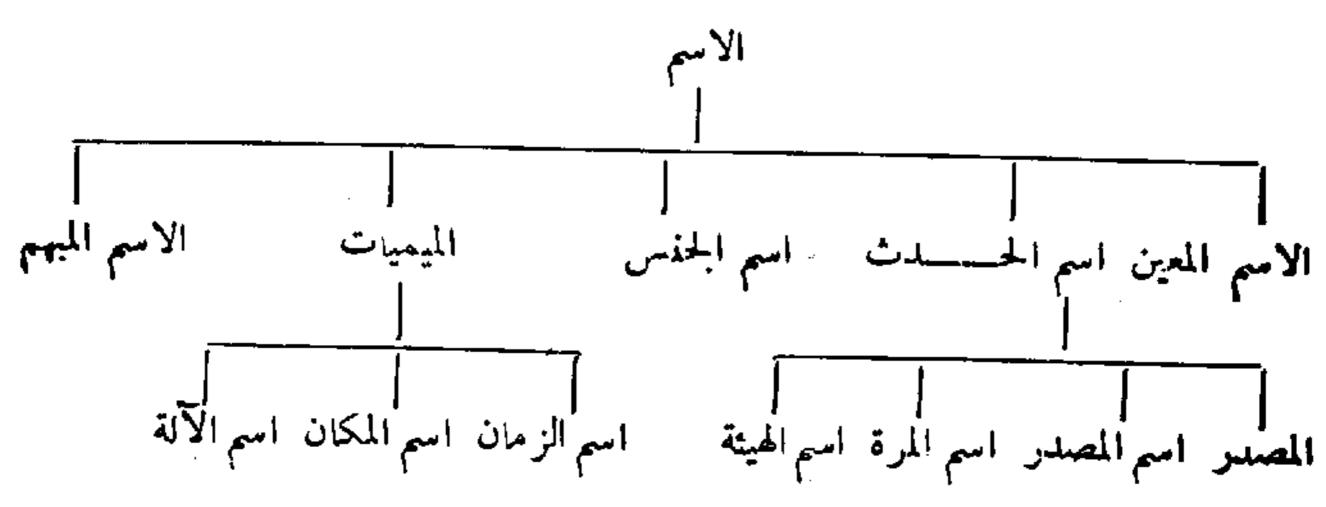
ولا يكون اسم زمــان خبرا عن جثة وإن يفد فأخبرا

الثانى : اسم الحدث و هو يصدق على المصدر واسم المصدر واسم المرة و اسم المرة و اسم الميئة و هى جميعاً ذات طابع واحد فى دلالها إما على الحدث أو عدده أو نوعه فهذه الأسهاء الأربعة تدل على المصدرية وتدخل تحت عنوان اسم المعنى .

الثالث: اسم الجنس ويلخل تحته أيضاً اسم الجنس الجمعى كعرب وترك ونبق و بجع واسم الجمع كإبل ونساء .

الرابع: مجموعة من الأسهاء ذات الصيغ المشتقة المبدوءة بالميم الزائدة وهي اسم الزمان واسم المكان واسم الآلة ويمكن أن نطلق على هذه المجموعة أمهاه يشملها هو قسم «الميميات». وليس منها المصدر الميمي على رغم ابتدائه بالميم الزائدة لأنه إن اقترب من هذه الثلاثة صيغة فانه يتفق مع المصدر من جهة دلالته على ما يدل عليه المصدر. فاذا نظرنا إليه في ضوء تعدد أبنية المصادر لم نجد صعوبة تحول دون عده واحداً من هذه الأبنية لا واحداً من الميميات.

الخامس: الاسم المبهم وأقصد به طائفة من الأسماء التي لاتدل على معين إذ تدل عادة على الجهات والأوقات والموازين والمكاييل والمقاييس والأعداد ونحوها وتحتاج عند إرادة تعيين مقصودها إلى وصف أو إضافة أو تمييز أو غير ذلك من طرق التضام . فمعناها معجمي لا وظيفي ولكن مسهاها غير معين وذلك مثل فوق وتحت وقبل وبعد وأمام ووراء وحين ووقت وأوان النج ويمكن للتخطيط التالي أن يوضح علاقة كل من الأقسام بالآخر:



هذه هى الأنواع الداخلة تحت مفهوم الاسم فلم نعد منها الصفات ولا الضمائر ولا أسماء الأفعال وأسماء الأصوات ولا الإشارات والموصولات والظروف لأسباب سنعرفها إن شاء الله بعد قليل . وللاسم بجميع أقسامه المذكورة سمات تدل عليه سواء من حيث المبنى أو من حيث المعنى فيمتاز بهذه السمات عما عداه من أقسام الكلم . ويمكن تلخيص ذلك على النحوالآتى :

١ - من حيث الصورة الإعرابية : الاسم يقبل الجر لفظاً ولا تشاركه في ذلك من أقسام الكلم إلا الصفات أما الأفعال و الحوالف و الأدوات فلا يدخل عليها حرف الحر وأما الضمائر والظروف فيجر محلها لا لفظها لأن جميع الضمائر وحميع الظروف من المنيات إلا ما شذمن مثنى الإشارة و الموصول.

٢ - من حيث الصيغة الخاصة : قال ابن مالك :

ومنهى اسم خمس إن تجردا وإن يزد فيه فها سبعا عدا وغير آخر الثلاثى افتح وضم واكسر وزد تسكين ثانيه تعم وفعل أهمل والعكس يقل القصدهم تخصيص فعل بفعل

وكذلك حدد النحاة أبنية المصادر وصبغى المرة والهيئة وصبغ الزمان والمكان والآلة فالاسم يمتاز بهذه الصبغ عما عداه من أقسام الكلام ويمتاز كذلك عن الصفة بأقسامها الحمسة (الفاعل والمفعول والمشبهة والمبالغة والتفضيل) بواسطة الرجوع إلى الجدول كما سنرى في الكلام عن الصفة.

٣ – من حيث قابلية الدخول في جدول : الجداول ثلاثة أنواع :

- جدول الصاق: كأن نحاول أن نعرف ما يلحق بالكلمة من الصدور والأحشاء والأعجاز ذات المعنى الصرفى فنكشف بالحدول ما تقبله الكلمة وما لا تقبله من اللواصق
- جدول تصریف : كأن نعید إلى الفعل الماضی من مادة ما فننظر فیما إذا كان له مضارع وأمر أو لم یكن و كأن نعمد إلى صفة الفاعل فنری ما إذا كان لها صفة مفعول أو مشبهة أو تفضیل أو مبالغة أو لم یكن .

جدول إسناد: وذلك أن نعمد إلى الفعل الماضى أو المضارع أو الأمر
 فنسنده بحسب الضمائر (وهى تعبر عن معانى التصريف التى سبق
 شرحها) فتكون له ثلاث عشرة صورة إسنادية بحسب هذه الضمائر:

و يسمى النوع الأول : morphological scatter

ويسمى النوع الثاني : Conjugation table

و يسمى النوع الثالث : Predication table

فالأسهاء تقبل الدخول فى النوع الأول من هذه الجداول فلا يدخل النوع الثابى منه إلا اسم الحدث و الميميات أما الصفات الحمس فتدخل فى النوعين الأول والثانى دون الثالث وأما الأفعال الثلاثة فتدخل فى الأول والثانى والثانث على حد سواء. فالأسهاء تستقل بالاقتصار على النوع الأول من الحداول لاتشاركها فى ذلك الاقتصار الصفات ولا الأفعال.

ع من حيث الرسم الإملائي : يمتاز الاسم والصفة من هذه الناحية بقبول التنوين إملائيا بالضمتين في حالة الرفع وبالألف والفتحتين في حالة النصب وبالكسرتين في حالة الجر فاذا وجدت هذه السمات في كلمة فاما أن تكون هذه الكلمة اسما أو صفة ولا تكون غير ذلك إلا إذا أدت معنى بتنوينها غير معانى التنوين في الأسماء (التمكين) وفي الصفات (سلب معنى الصلة والنسبة) . وذلك كالتنوين الذي في خالفة الإخالة «صه » فلهذا التنوين معنى وظيني هو التعميم وعدم التعيين فيشبه التنوين الذي يلحق الفكرة غير المقصودة في النداء نحو يا رجلا أقبل والذي يلحق المصدر النائب عن فعل الأمر نحو «ضرباً زيداً » إذ المعنى يا رجلا أيا كان وضرباً أي نوع من أنواع من الضرب وعلى ذلك يكون معنى (صه م) أمسك عن أي لوع من أنواع الكلام تحاوله فاذا أر دت كلاماً معيناً أسكنت الهاء في الوصل . وهذه المعانى الني يساق التنوين من أجلها هنا ليست شبيهة بتنوين التمكين الذي للأمماء المصروفة ،

من حيث اتصاله باللواصق وعدمه: قلنا إن الأسماء (فيما عدا المحدث والميميات) لاتقبل الدخول في جدول غير الجدول الإلصاق.

وفى هذا الجدول نجد الأسماء تقبل أنواعا خاصة من اللواصق كأداة التعريف وضمائر الجر المتصلة وتاء التأنيث وعلامي التثنية والجمع فالأسماء تتصل بهذه اللواصق سواء منها اسم المعنى والميميات وغيرها ولا يشارك الأسم في هذه السمات إلا الصفات ولكن منى بعض اللواصق مع الأسماء غير معناها مع الصفات فالأداة مثلا مع الأسماء معرفة ومع الصفات موصولة والإضافة إلى ضمائر الجر المتصلة مع الأسماء محضة ومع الصفات لفظية .

٣ - من حيث التضام وعدمه : المقصود بالتضام هنا غير اتصال اللواصق بالكلمة فاتصال الاواصق ضم جزء كلمة إلى بقية هذه الكلمة أما التضام فهو تطلب إحدى الكلمتين للأخرى في الاستعال على صورة تجعل إحداها تستدعي الأخرى . فياء النداء كلمة مستقلة وليست جزء كلمة والعلاقة ببنها وبين المنادى علاقة النضام لا علاقة الالصاق والمضاف إليه كلمة غير المضاف ولكن العلاقة بين الكلمتين أن إحداهما تستدعي الأخرى ولا تقف بدونها ويكفي أن نتذكر هنا أن بعض الأمهاء المبهمة مفتقرة إلى الإضافة وأن بعض الظروف تتطلب ضمائم معينة كحيث وإذ وإذا ومذومنذ ولما وأيان وأين ومتى وأنى وكذلك تتطاب واو القسم مقسما به وحرف الجر مجرورا وحرف العطف معطوفا وهلم جرا . وللأ سهاء خالات من التضام لا يشاركها فيها غير ها إلا على التوسع فمن ذلك مجينها بعد أداة النداء فاذا جاءت صفة بعدها فإن النحاة يجعلونها على حذف موصوف وإذا جاء ضمير المخاطب ضمنوه معنى يا محاطب وإذا جاء ضمير الإشارة كان عندهم مضمناً معنى يا مشارأً إليه وهذا هو معنى التوسع المذكور كذلك الأمر مع واو القسم والإضافة المحضة حيث يكون الإسم فى مكان المضاف و هو مكان لا يحل فيه الضمير أبدا ولا تحل فيه الصفة إلا على معنى الإضافة اللفظية ومن قبيل الكشف عن الاسم بواسطةالنضام افتقار الميميات إلى التمييز على نحو ما سنرى بعد قليل .

٧ - من حيث الدلالة على مسمى : لقد وجدنا الصفة في كل ما سبق
 من السمات تشارك الاسم على صورة ما فيما يتميز به عن باتى أقسام الكلم

أما هنا فيفتر ق الاسم والصفة . فيمتاز الاسم عنجميع الأقسام الأخرى بأنه يدل على مسمى فالاسم المعين مسهاه هو الحدث واسم الجنس مسهاه الجنس و الميميات مسهاهاز مان الحدث أو مكانه أو آلته والاسم الميهم يدل على مسمى غير معين . أما الصفة فلا تدل على « مسمى » وإنما تدل على « وصوف » بالحدث وأما الفعل فلا يدل على « وسمى » وإنما يدل على « وسمى » وإنما يدل على « وسمى » وإنما يدل على « وسمى » وأما الضمير فلا يدل على « وسمى » وأما الخاففة فانها تدل على « وسمى » وأما الخاففة فانها تدل على الإفصاح » وأما الظرفة » والخاففة فانها تدل على الإفصاح » وأما الظرفة المدل على « الظرفية » والإفصاح والظرفية من المعانى العامة لامن قبيل المسمى وأما الأدوات فانها والإفصاح والظرفية من المعانى العامة لامن قبيل المسمى وأما الأدوات فانها قدل على علاقات لا على مسميات . فهذا يمتاز الاسم عن بقية أقسام الكلم فلا يشابه واحدا فيها من حيث المعنى .

٨ - من حيث الدلالة على حدث : ذكرنا أن من أقسام الاسم
 ما يسمى ١ اسم الحدث ، وهو يضم أنواع المصادر المختلفة فهذه المصادر
 تدل على الحدث أو عدده أو نوعه وقد لخص ابن مالك تعريف المصدر
 بقوله :

المصدر اسم ما سوى الزمان من مدلولى الفعل كأمن من أمن والمعروف أن الفعل يدل على حدث وزمن والذى سوى الزمن من هذين المدلولين هو الحدث ومن ثم يكون ابن مانك كأنه قد عرف المصدر بأنه و المعدث و ولكن دلالة المصدر على الحدث لا تجعله من الصفات فهى تدل على «موصوف بالحدث و ولا من الأفعال فهى تدل على « اقتران الحدث والزمن » . فالصلة بين الاسم وبين معنى الحدث تختلف عن صلة المحدث والفعل كليهما بهذا المعنى فصلة الاسم به صلة الاسم بالمسمى أمامدلول الصفة فهو « الموصوف » وأما مدلول الفعل فهو « الاقتران » وها غير الحدث ۽ نفسه .

هي الإسناد والتخصيص النعليق : العلاقات النحوية هي الإسناد والتخصيص والنسية والتبعية وتحت كل فروع . فأما من جهة الإسناد فان الاسم بكل

أنواعه يقع موقع المسند إليه ولكن المصادر (اسم الحدث) منه تقع أحيانا فى موقع المسند بواسطة إضافة معنى الزمن إليها فاذا أضيف هذا المعنى إلى ما يدل عليه المصدر من الحدثجاء « اقتران الحدثوالزمن » الذي هو المدلول الأساسي للفعل ومن هنا يقع المصدر مسندا كما يقع الفعل تماما . وأما من جهة التخصيص فان الأمهاء تقع معبرة عن هذه العلاقة فتكون منصوبة على معنى التعدية أو السبية أو المعية أو الظرفية أو التوكيد أو بيان النوع أو العدد أو الحالية أو التمييز أو الإخراج أو الحلافوالأفعال لاتقع هذا الموقع ولكن الصفات والضمائر والظروف تقعه . وأما من حيث الدسبية فان الأسماء تجرعلي هذا المعنى إما باقترانها بالحروف الجارة أو بالإضافة وتشاركها أيضًا الصفات والضمائر والظروف . وأما التبعية فان الأسماء لاتقع نعوتا إلا على التوسع ولا تقع توكيدا معنويا منها إلا النفس والعين وكل ولكنها تقع توكيدا لفظيا وهى جميعها تقع معطوفةومعطوفا عليها كسائر الأقسام وتقع بيانا وبدلاً ، وهذا المعنى الأخير مما تمتاز به الأسماء ولا سيما البيان . والاسم الظاهر بصورة عامة يقع من حيث التعليق في موقع ضمير الغائب المتصل والمنفصل ، المرفوع والمنصوب والمجرور إلا في النداء فربما كان الأجود فيه أن يعتبر واقبا موقع ضمير المخاطب بقرينة نداء ضمير المخاطب دون غيره من الضمائر في « يا أبجر ابن أبجر يا أنتا » .

مما تقدم عرفنا أن الأسهاء ذات سهات تشترك فيها مع الصفات أحيانا ومع الضهائر أحيانا أخرى ومع الظروف فى بعض الحالات مما قد يثير التساؤل حول جدوى إفرادها بقسم خاص لبست الصفات منه ولا الضهائر ولا الخوالف ولا الظروف ولكننا رأينا تحت رقم ٢ أن الأسهاء تمتاز بصيغ خاصة وتحت رقم ٧ أنها تنفرد بالدلالة على ١ مسمى ١ وسنرى فى الكلام عن الأقسام الأخرى مبررات أخرى لعزل الأسهاء عن هذه الأقسام.

وقبل أن أنهى الكلام فى سهات الاسم التى تميزه عن بقية أنواع الكلم أحب أن أوضح ما أقصده من مقابلة الاسم المعين والاسم المبهم وأن أمثل لكل منهما مع تفصيل التمثيل لأنواع المبهمات . والمقصود بالاسم المعين

أسهاء الذوات كرجل وكتاب وجبل وبيت وأرض وسهاء وبالاسم المبهم ما دل على مسمى غير معين فيحتاج في تعيينه إلى ضميمة من الوصف أو الإضافة أو التمييز ومن ذلك:

- _ الأعداد كواحد و اثنين وثلاثة وينزاح إبهام هذا النوع من المبهماب بتمييز العدد .
- الموازین کأوقیة و رطلوقنطار وینزاح إبهامها بالتمییزأیضا أو بالوصف
 کرطل مصری أو انجلیزی .
- المكاييل كقدح ومد وصاع ويزول إبهامها بواسطة التمييز أو الوصف
 كذلك .
- ــ المقاييس كشبر وباع وذراع وفدان وميل وفرسخ ويزول أبهامها بالتمييز كما سبق .
- _ الجهات كفوق و تحت وأمام ووراء ويمين وشمال وخلف وإثر ويزول إبهامها بالاضافة .
- الأوقات كحين ووقت وساعة ويوم وشهر وسنة وعام وزمان وأوان ويزول إبهامها بالإضافة أيضا أو بالوصف كقولك وقت طيب وساعة مباركة ويوم أغر وشهر مبارك النخ.
- أسهاء صالحة لمعنى الجهات والأوقات على السواء فلا يزيل هذا الإبهام عنها إلا الإضافة إلى جهة فتصير بمعنى الجهة أو إلى وقت فتصير بمعنى الوقت كعند ولدن وقبل وبعد .

والملاحظ آن الجهات والأوقات قد يتوسع فيها فتنقل عن اسميتها وتستعمل استعال الظروف من قبيل تعدد المعنى الوظيني فتكون الجهات كظروف المكان وتكون الأوقات كظروف الزمان من حيث الوظيفة ولكن هذا لايخرجها عن اسميتها ولا يجعلها ظروفا من وقسم الظرف و لأن تحول معناها من الاسمية إلى الظرفية شبيه بما يأتى من أنواع تعدد المعنى الوظيني و:

- تناسى وصفیة الصفة و نقالها إلى العلمیة كطاهر وشریف و أشعب
 وحس
- تناسى الاسمية فى المصدر وإنابته عن الفعل بعد إشرابه معنى الزمن
 مثل ضرباً زيداً.
- تناسى الفعلية في الفعل و نقله إلى معنى اسم العلم مثل يشكر ويزيد ،
- تناسى معنى الظرفية فى الظروف واستعالها أدوات للشرط أو الاستفهام مثل منى وأين وحيث .
- تناسى الإشارة المكانية في كلمات مثل هنا و ثم و استخدامها بمعنى الظروف.
- تناسى معنى الحرفية فى حرفى الجر (مذومنذ) واستخدامهما استخدام المنخدام النظرف بايرادها مع الجُمُل مع أن معناها ابتداء الغاية و يكونان ظرفين من قبيل تعدد المعنى الوظيفي .
- تناسى معنى الموصول فى من وما واستعالهما فى الشرط والاستفهام
 وغير ذلك من المعانى .

كل ذلك من قبل النقل و «تعدد المعنى الوظينى للمبنى الصرفى الواحد ، وهو موضوع واسع الأطراف فى دراسة اللغة العربية الفصحى ولناعود إليه فى مناسبة مقبلة عند دراسة « المبنى » فى هذا الكتاب إن شاء الله وسيتضح بالأمثلة خطر هذه الظاهرة « ظاهرة التعدد والاحتمال فى المعنى الوظينى » فى طرق تركيب اللغة العربية وأساليبها المتنوعة .

(ب) الصفة

ذكر الأشمونى تحت عنوان «الصفة المشبهة باسم الفاعل »(۱) . أن الشارح عرف الصفة المشبهة بقوله: «ما صبغ لغير تفضيل من فعل لازم لقصد نسبة الحدث إلى الموصوف به دون إفادة معنى الحدوث ». وواضح أن المقصود بالحدث هنا معنى المصدر وأن المراد بالحدوث الوقوع . فإذا أضفنا إلى ذلك

⁽١) شرح الأشمرني على أنفية ابن مالك تحقيق محيى الدين عبد الحميد ص ٢٥٥٠.

أنه عرف اسم الفاعل بأنه الصفة الدالة على فاعل وعرف اسم المفعول بأنه مادل على الحدث ومفعوله وأن مدلول صيغ المبالغة هو المبالغة والتكثير وأن معنى اسم التفضيل هو التفضيل أدركنا أن الصفة (والمقصود هنا صفة ألفاعل أو المفعول أو المبالغة أو المشبهة أو التفضيل) لا تدل على مسمى بها وإنما تدل على موصوف بما تحمله من معنى الحدث (أى معنى المصدر) وهى بهذا خارجة عن التعريف الذى ارتضاه النحاة للاسم حين قالوا : الاسم مادل على مسمى . والصفات كما ذكرنا خمس هى :

_ صفة الفاعل _ صفة المفعول _ صفة المشبهة _ صفة المشبهة _ صفة المشبهة _ صفة التفضيل _ صفة التفسيل _

و تختلف كل صفة منها عن الآخريات مبنى و معنى . فأما من حيث المرى فلكل صفة منها صيغ خاصة بها وأما من حيث المعنى فقد رأيناكيف فرق الأشمونى بين معانيها في العبارات التي أوردناها منذ قليل ولكننا مع ذلك يجب أن نصِه ف الحتلافها في المعنى على طريقتنا نحن و ألا نقنع بما ساقه الأشموني. فصفة الفاعل تدل على وصف الفاعل بالحدث منقطعاً متجدداً وصفة المفعو ل تدل على وصف المفعول بالحدث كذلك على سبيل الانقطاع والتجددوصفة المبالغة تدل على و صف الفاعل بالحدث على طريق المبالغة والصفة المشبهة تدل على وصفه به على سبيل الدوام والثبوت وصفة التفضيل تدل على وصفه به أيضاعلى سبيل تفضيله على غيره ممن يتصف بالحدث على طريقة أى من الصفات السابقة . مماسبق يمكن أن نرى أن القيم الخلافية المتعلقة بالمعنى والني تفرق بِينصفة وأخرى من الصفات السابقة عي: الانقطاع في مقابل الاستمرار أو الدوام ثم التجدد في مقابل الثبوت ثم المبالغة في مَقَابِل مجرد الوصف ثم التفضيل في مقابل كل ماعداه من الصفات . و لاشك أن الانقطاع و الاستمر ار أو الدوام والتجدد والثبوتو المبالغةوالتفضيل مما يمكن عده من « معانى الجهة » و هي معان نرجيء القول فيها إلى مكانه منالكلام في نظام الزءن النحوي. على أن الصفة المشبهة من بين هذه تتعدد صيغها تعدداً يجعلها صالحة للبس من حيث المبنى مع كل واحدة من الصفات الأخرى لولا أن معناها يختلف(من حيث هو الدّوام والثبوت) عن معانى الصفات فيوضح أن هذه الصيغة المعرضة للإلباس تنجومنه بفضل ما يفهم منهامن معنى الثبوت والدوام

قالصفة المشبهة تشبه فى مبناها صيغة الفاعل كطاهر والمفعول كوجود (صفة من صفات الله) أو المبالغة كوقح أو التفضيل كأبرص وأشدق . فالمعنى يفرق بين كل واحدة من هذه الصفات وبين الأخريات إذا اتفقت الصيغة فى أى اثنتين منها . وإنما أفر دنا هذه الصفات بقسم خاص من أقسام الكلم لما تتميز به فى مجموعها عن بقية الأقسام من سمات بتصل بعضها بالمبنى و بعضها الآخر بالمعنى على النحو التالى :

الحر الفظأ أو فى ظهور حركة الكسرة على آخرها لإفادة حالة الحر (أى إفادة علاقة النسبة) (١) وتوكيداً لهذه المشاركة أيضاً تأبى الصفات ما يأباه الاسم من الحزم والإسكان فى غير الوقف وبهذا تتميز الصفات عن الأفعال والحوالف والأدوات على نحو ما تميزت الأسهاء عنها أيضا ولكن الصفات بهذا تفارق الضهائر و الظروف التى لا تقبل الحر الفظا و إنما تقبله محلا فقط.

٢ - من حيث الصيغة: تمتاز الصفات عن بقية أقسام الكلم بصيغ خاصة مشتقة من أصولها لتكون أو صافاً فإذا اتفقت صيغة الصفة و صيغة الاسم (٢).
 كما في:

	الصفة	الاسم	الصيغة
	سَهُ-ْل	فكأس	فتعثل
	بطل	فر س	فتعتل
	حنر	کبد	فتعيل
	يقنظ	عضد	فتعمل
	نکس	عـِد ْل	فيعل•
أَى قَيْم (دينا قيما)	ق-يم	عينب	فيعيل
أ <i>ی</i> و لوٰ د	أتان إبيد	إبل	فيعيل
	حلو	قفل	فأعمل
	حطم	صر د	فأعسل
	و ۱ و جسنب	عنق	فنعمل

⁽١) انظر معنى دعلاقة النسبة، في موضعه من هذا الكتاب ٠

⁽٢) مأخوذ من الأشموني : باب النصريف ٠

كان الجدول عوناً فى تحديد ماكان من الأمثلة إسها أو صفة فهاكان له فعل؛ من مادته أو كان صفة فهواً من مادته فهواً المدينة أو كان صالحاً لذلك فهو صفة وما لم يكن له فيعثل من مادته فهواً اسم على أن هذه النقطة هى موضوع المناقشة فى الفقرة التالية .

سمن حيث الحدول: ذكر نا تحت رقم ٢ أن الذي يعين على نسبة الصيغة إلى الاسم أو إلى الصفة عند اتفاقهما إنما هو الجدول التصريفي الذي يحكى قصة العلاقات الاستقاقية بين الصيغة والصيغة الأخرى من خلال المثال فإذا أخذنا كلمة فلس مثلا لم نجد تحت مادتها فعلا ثلاثياً ماضياً ولا مضارعاً ولا أمر أو لاصفة فاعل ولا مفعول ولا مبالغة ولا تفضيل ومن ثم نعزف عن أن نعتبرها صفة مشبهة كما نعتبر الكلمة التي تقف بإزائها (سهل). أما سهل فإن مادتها الاشتقاقية تمتدعلي صبغ فعلية ووصفية أخرى ثل سهل ويسهل ويسهل وأسمهل من غيره ومن ثم تكون الكلمة صفة لااسها. وهذا هو المعنى الذي قصدنا إليه عند الكلام عن الأسهاء حين ذكرنا أن الأسهاء تقبل الدخول في الجدول التصريفي على عكس الصفات فهي تقبل الدخول فيهما جميعاً ويمكن إيضاح هذا الكلام بالشكل التالى:

جدو ل إسناد	جدول تصریف	جدول إلصاق
		الإسم الصفالفع

وهكذا تمتاز الصفة عن الاسم والفعل من جهة الجدول .

4 - من حيث الإلصاق وعدمه : لا فرق بين الأسهاء والصفات منجهة ما يلصق بهما فكلاهما يقبل الجر والتنوين وأل والإضافة إلى ضهائر الجرالمتصلة وهما يمتازان معاً هناعن بقية أجزاء الكلم، ولكننا سنرى أنهما مع اتفاتهما مبنى سيفرق معنى الإلصاق بينهما و ذلك يحت العنوان (رقم ٥) التالى مباشرة

و من حيث التضام : ذكرنا أن الأسهاء والصفات تتشابه من حيث الإلصاق حيث نجد القسمين يقبلان الجر و التنوين وأل والإضافة ، ولكن التنوين فى الأسهاء للتمكين أى الحلو ثما يمنع من الصرف ، و أما التنوين فى الصفات فهو لتفريغ الصفة لإحدى علاقى الإسناد والتخصيص (۱) ، حيث يتبعها المرفوع مع العلاقة الأولى و المنصوب مع العلاقة الثانية أو أن التنوين فى الصفة حين يفهم عن طريق الدلالة العدمية وهو أفضل وأدق يكون معناه سلب الصلة و الإضافة . فالصلة حين تكون الصفة مع ألو الإضافة حين يتلوها المضاف إليه اللفظى . معنى هذا أن الصفة من حيث التضام تلتى مع الاسم من ناحية ومع الفعل من ناحية أخرى ، فتقبل كما يقبل الاسم النداء وأن تكون مسنداً إليه وأن تكون متعدية أو لازمة فتضام المفعول به مباشرة أو بواسطة مسنداً وكذلك تكون متعدية أو لازمة فتضام المفعول به مباشرة أو بواسطة الحرف فمشابهها للأمعاء تننى عنها أن تكون فعلا، و مشابهها للأفعال تنفي عنها أن تكون اسها . وإذا لم تكن الصفة اسها من الأسهاء ولا فعلا من الأفعال أن تكون قسها قائماً بذاته من أقسام الكلم .

آ – من حيث الدلالة على الحدث : تدل الصفة على الموصوف بالحدث فلا تدل على الحدث وحده كما يدل المصدر و لا على اقتر ان الحدث والزمن كما يدل الفعل و لا على مطلق مسمى كما تدل الأمياء فهي بهذا أيضاً تختلف عن بقية أقسام الكلم جميعها .

٧ - من حيث الدلالة على الزمن : إذا كان الفعل يدل على الزمن دلالة صرفية بحكم مبناه حتى وهو خارج السياق، فإن الصفات لاتدل دلالة صرفية على الزمن وإنما تشرب معنى الزمن النحوى فى السياق من باب تعدد المعنى الوظيفى للمبنى الواحد بعينه كما سنشرحه بعد قليل . ومعنى هذا أن زمن الفعلى يكون صرفيا فى الافراد و نحويا فى السياق ولكن ما ينسب إلى الصفة من معنى الزمن لا يمكن أن ينسب إليها مفردة خارج السياق وإنما يكون صرفيا النازمن وظيفة للصفة فى السياق فقط أى أن زمن الصفة نحوى و لا يكون صرفيا النازمن وظيفة للصفة فى السياق فقط أى أن زمن الصفة نحوى و لا يكون صرفيا النازمن وظيفة للصفة فى السياق فقط أى أن زمن الصفة نحوى و لا يكون صرفيا النازمن وظيفة للصفة فى السياق فقط أى أن زمن الصفة نحوى و لا يكون صرفيا النازمن وظيفة للصفة فى السياق فقط أى أن زمن الصفة نموى و الا يكون صرفيا النازمن وظيفة للصفة فى السياق فقط أى أن زمن الصفة نموى و الا يكون صرفيا النازمن وظيفة للصفة فى السياق فقط أى النازمن المنازم المنازم المنازم المنازم المنازم السياق فقط أى أن زمن الصفة نموى و الا يكون صرفيا المنازم المنازم

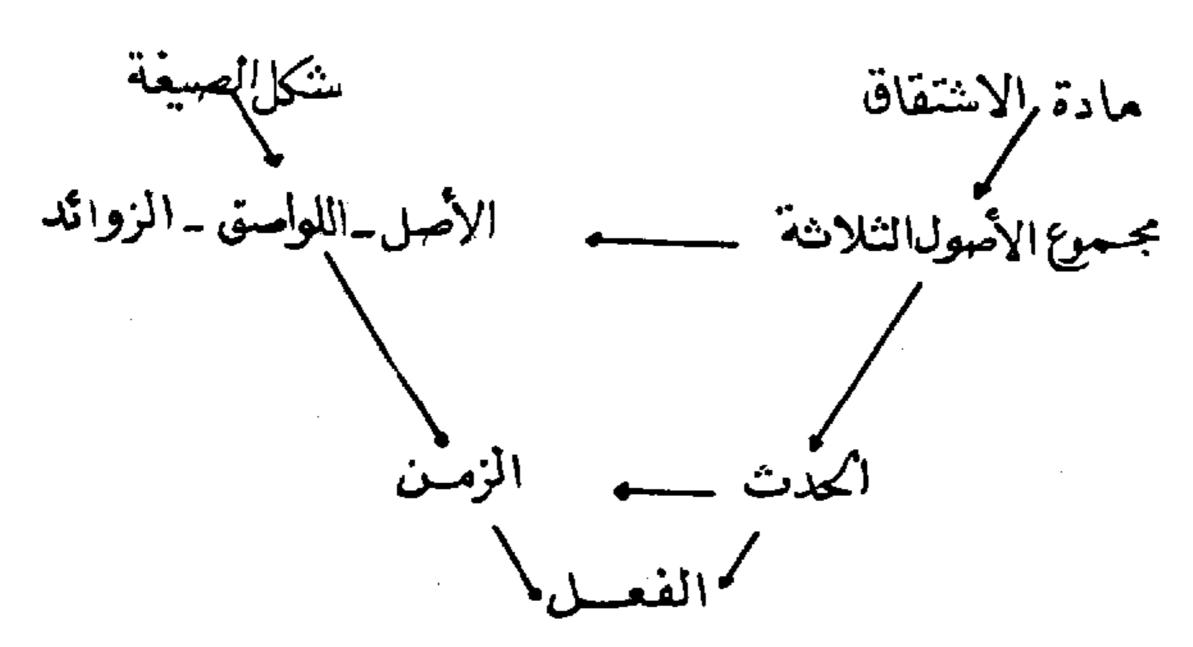
⁽١) انظر المقصود بهاتين العبارتين تحت عنوان : «النظام النحوى» .

أبداً. وبهذا تمناز الصفة بقبولها معنى الزمن عن الأسهاء فالزمن ليس جزءاً من معنى الأسهاء وتمناز برفضها أن تدل عليه بصيغتها الصرفية عن الأفعال التي تعتبر الزمن جزءاً من معناها على جميع المستويات.

٨ - من حيث التعليق : ذكرنا من قبل أن الاسم يكون مسنداً إليه فقط (إلامع النقل و تعدد المه في الوظيفي في حالة المصدر) وأن الفعل يكون مسنداً فقط، أماالصفات فتقبل أن تكون مسنداً فتؤدى وظيفة شبيهة بوظيفة الفعل في التعليق حيث تطاب مسنداً إليه أومنصوباً أو تكون خبراً لمبتدأ ثم هي كذلك تقبل أن تكون مسنداً إليه فتكون فاعلا أو نائب فاعل أومبتداً نحو خير منك فعل هذا، وجاء الحسن وجهه، وحُمد المصون شرفه فالحسن في الجملة الثانية والمصون في الجملة الثالثة كان من قبيل المسند إليه باعتبار ما قبله ومن قبيل المسند باعتبار ما بعده . وإذا كانت الأسماء من حيث التخصيص تخصص الإسناد بو اسطة التعدية أوالسبية أو المعية الخ . ولا يخصصها غير ها وكانت الأفعال باعتبارها أحداثاً مسندة إلى غير ها تقبل التخصيم، س ولا تخصص هي شيئاً ، فإن الصفات تخصص غير ها كالأساء و ين مصها غير ها كالأساء و ين مصها غير ها كالأساء و ين مصها غير ها كالأفعال فتكون الصفة مثلا مفعولا به و يكون لها مفعول به .

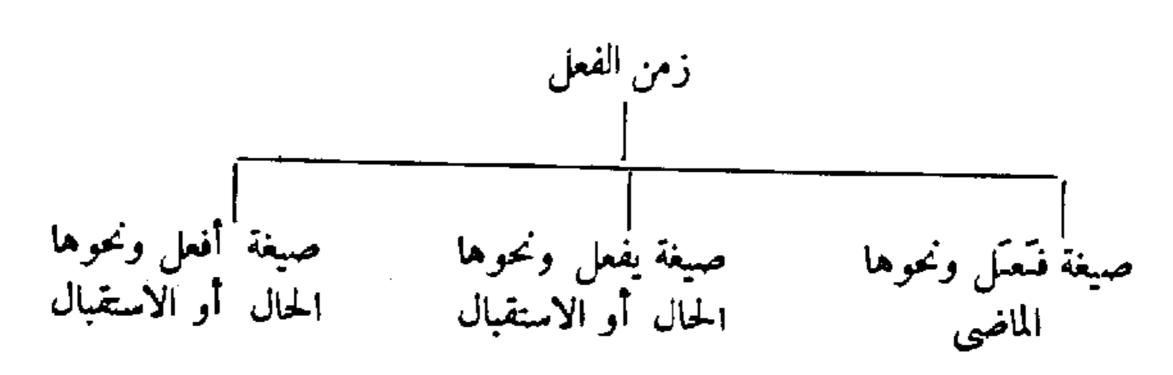
هذه الحاصة من خواص الصفات تجعل من المقبول أن نتكام عن «جملة وصفية » تقابل الجملة أصلية كما فى وصفية » تقابل الجملة ألسمية والفعلية وتكون هذه الجملة أصلية كما فى و أقائم المؤمنون للصلاة » و تكون فرعية نحوه رأيت إماماً قائماً تابعوه للصلاة » و نلاحظ هنا أن الصفات كالأفعال فى أنها لا تطابق الفاعل إفرادا و ثننية وجمعاً .

عرف النحاة الفعل بأنه ما دل على حدث وزمن . ودلالته على الحدث تأتى عن اشتراكه مع مصدره في مادة واحدة ، والمعروف أن المصدر اسم الحدث فها شاركه في مادة اشتقاقه كالفعل والصفة والميميات ، لابد أن يكون على صلة من نوع ما بمعنى الحدث كالدلالة على اقتران الحدث بالزمان أو على موصوف بالحدث أو على مكان الحدث أو زمانه أو آلنه . وأما معنى الزمن فإنه يأتى على المستوى الصرفي من شكل الصيغة وعلى المستوى النحوى من مجرى السياق ، ومعنى إتيان الزمن على المستوى الصرفي من شكل الصيغة أن الزمن هنا وظيفة الصيغة المفردة ومعنى أن الزمن يأتى على المستوى النحوى من بحرى السياق أن الزمن في النحو وظيفة السياق وليس وظيفة صيغة من جرى السياق أن الزمن في النحو وظيفة السياق على المستقبل، والذي على صيغة المضارع قد يدل فيه على الماضى . فقول النحاة : « والزمن جزء منه » قول مقبول على مستوى الصرف فقط . ويمكن من الناحية الصرفية أن نمثل العلاقة بين الحدث والزمن على النحو الآتى :

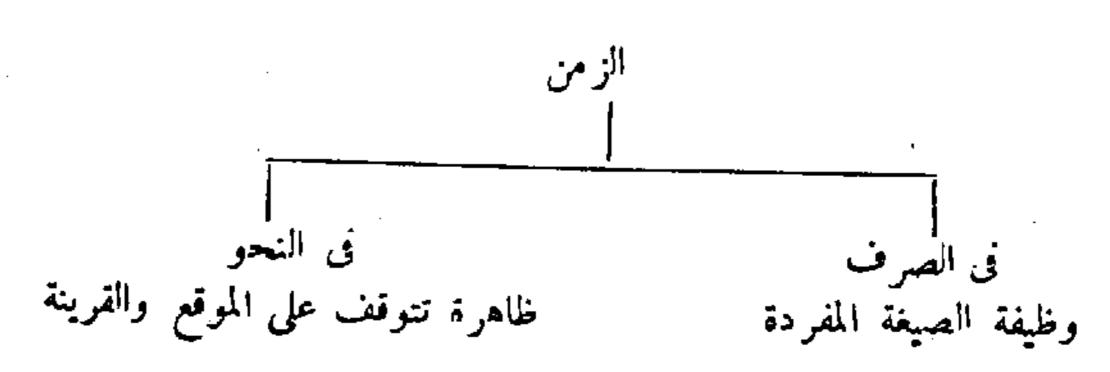


والفعل من حيث المبنى الصرفى ماض ومضارع وأمر . فهذه الأقسام الثلاثة تختلف من حيث المبنى وهي فوق ذلك تختلف من حيث المبنى المجنى الصرفى

الزمني أيضا ، فأما من حيث المبنى فلكل منها صيغته الحاصة ما بين مجردة أومزيدة من الثلاثي أوالرباعي كما أن كل واحد منها يمتاز عن صاحبيه بسمات خاصة . فالماضي يستبين بقبول تاء الفاعل وتاء التأنيث والمضارع يبدأ بأحد حروف المضارعة ويقبل لام الأمر ونوني النوكيد والإناث ويضام السين وسوف ولم ولن . والأمر يضام النونين دون غيرها من هذه القرائن . وأما من حيث المعنى فإن هذه الأفعال الثلاثة تختلف في دلالها بصيغها على الزمن على النحو التالى :



هذا هو النظام الزمني الصرف في اللغة الفصحي ومنه يبدو أن صيغة فعل ونحوها مقصورة على الماضي وأن صيغتي يفعل وأفعل ونحوها إما أن يكونا للحال أوللاستقبال فلا يتحدد لأى منهما أحد المعنيين إلا بقرينة السياف، لأن السياق يحمل من القرائن اللفظية والمعنوية والحالية ما يعين على فهم الزمن في مجال أوسع من مجرد الحجال الصرفي المحدود. وهكذا يكون نظام الزمن جزءا من النظام الصرفي، وأما الزمن السياقي النحوي فأنه جزء من الظواهر الموقعية السياقية لأن دلالة الفعل على زمن ما تتوقف على موقعه وعلى قرينته في السياق. وتنضح العلاقة بين هذين النوعين من أنواع الزمن من الشكل الآتي:



والأفعال فى جملتها سمات من المبنى والمعنى يمكن تمييزها بها عن غيرها ، ومن ثم تكون قسما مستقلا من أقسام الكلم فى العربية الفصحى ويمكن تنخيص ذلك فيما يلى :

المضارع من بين الأفعال) فلا بشاركه فيه قسم آخر من أقسام الكلم المضارع من بين الأفعال) فلا بشاركه فيه قسم آخر من أقسام الكلم والمعروف أن الجزم حالة إعرابية نختلف عن البناء على السكون وهذا البناء على السكون لبس سمة خاصة لأى قسم من أقسام الكلم . وإذا كان الماضي لا يجزم لفظا فإنه يجزم محلا حين يكون شرطا ولا جزم لفعل الأمر من أى نوع .

٧ - من حيث الصيخة الحاصة : هناك صيغ محفوظة قياسية مبوبة إلى ستة أبواب للفعل الثلاثي وهناك صيغ أخرى محفوظة قياسية للأفعال مما زاد على الثلاثة ثم هناك صيغ من كل ذلك لما بني للمعلوم وصيغ أخرى لما بني للمجهول ومن هنا يمكن لنا أن نميز الفعل بهذه الصيغ من غيره من أهسام الكلم بمجرد معرفة الصيغة . وبهذا تمتاز الأفعال عن بقية الأقدام .

٣ - من حيث الجدول: الأفعال نقبل الدخول في جميع أنواع الجداول فإذا وصفنا الفعل في جدول إلصاقي فإننا نستطيع أن نحبر بهذا الجدول مدى تقبل الفعل للتاءين أو لحروف المضارعة أو النونين أو ما يُلصق به أى نوع من الإلصاق كالضائر المتصلة وسين التنفيس وهلم جوا. وإذا وضعنا الفعل في الجدول التصريفي أمكننا أن نعرف ما إذا كان الفعل متصرفا أو غير متصرف وما إذا كان المتصرف منه تام التصرف أو ناقص التصرف. أما إذا وضعنا الفعل في جدول إسنادي فإننا سنتعلم من الجدول طريقة إسناد الفعل وضعنا الفعل في جدول إسنادي فإننا سنتعلم من الجدول طريقة إسناد الفعل إلى الضائر المختلفة وما يترتب على ذلك في بعض الإسنادات من إعلال أو إلى الضائر أو نقل أو حذف أو غير ذلك . ولا يقبل الدخول في جميع أنواع الجداول على هذا النحو إلا الفعل وبذا يمتاز الفعل عن بقية أقسام الكلم .

٤ - من حيث الالصاق وعدمه: تمتاز الأفعال من هذه الناحية بقبول طائفة من اللواصق التي لاتلصق بغيرها ومنها الضمائر المتصلة في حالة الرفع والسين ولام الأمر وحروف المضارعة وتاء التأنيث وقد أشرنا إلى ذلك أكثر من مرة قبل قليل .

ولم ولن ولا الناهية ، وحين يكون الفعل لازما يكون وصوله إلى المفعول به بواسطة ضميمة مختارة من حروف الحر

7 - من حيث الدلالة على الحدث : تدل الأفعال على الحدث دلالة تضمنية ، لأن الحدث جزء معناها فهى تدل إلى جانبه على الزمن فتختلف عن الأسهاء التى تدل على مسمى وعن المصدر من بين الأسهاء من حيث تكون دلالة المصدر على الحدث دلالة مطابقة لاتضمن، فالحدث هو كل معنى المصدر ولكنه جزء معنى الفعل وكذلك يختلف الفعل بهذا عن الصفة التى تلل على موصوف بالحدث لا على الحدث نفسه .

٧ - من حيث الدلالة على الزمن : سبق أن ذكرنا أن الأفعال تدل على الزمن بصيغها دلالة وظيفية صرفية مطردة وبهذا يختلف الفعل عن الصفة التي لا تتصل بمعنى الزمن إلا من خلال علاقات السياق فدلالة الصفة على الزمن وظيفة السياق لا وظيفة الصفة ، وكذلك تختلف الأفعال في دلااتها على الزمن عن الأدوات الفعلية الناسخة مثل كان وكاد وأخواتهما لأن الزمن وحده هو معنى هذه النواسخ فلا يقترن فيها بمعنى الحدث وإذا اقترن بشيء من المعانى الأخرى ، فإنه يقترن ببعض معانى الجهة كالمقاربة والشروع والاستمرار وهلم جرا .

٨ - من حيث التعليق : يبدو الفعل فى السياق فى صورة المسند ولايكون مسندا إليه أبدا فهو بذلكِ عكس الاسم تماما ومختلف عن الصفة كما يبدو من الشكل الآتى :

ملاحظات	مسئد	مسند إليه
الضمير في ذلك كالاسم والخوالف كالفعل	Ā	الاسم الصف
	الفعل	

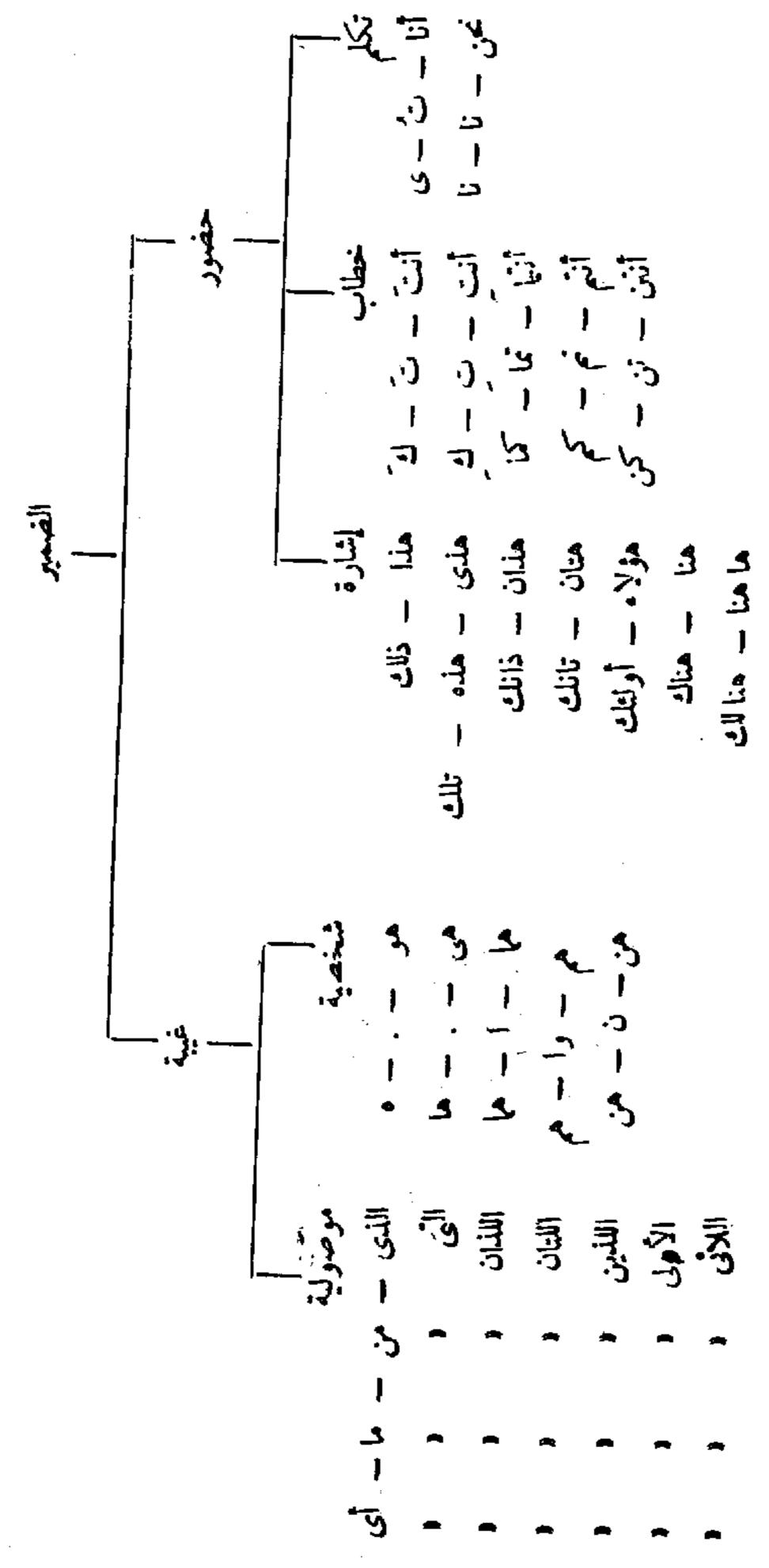
بهذا عرفنا أن الفعل يمتاز عن كل ماعداه من أقسام الكلم، من حيث استقلاله بصيغ معينة ، ومن حيث استقلاله بقبول الجزم لفظا أو محلا، ومن حيث استقلاله بقبول المنحول في جدول إسنادى ، ومن حيث تفرده يقبول الصاق ضمائر الرفع المتصلة به ، ومن حيث التضام مع كلات أو عناصر لاتضام غير الأفعال ، ثم من حيث اقتصاره على أداء وظيفة المسند في السياق وقصوره عن أداء وظيفة المسند إليه .

(د) الضمير

لابدل الضمير على مسمى كالاسم ولا على موصوف بالحدث كالصفة ولا على حدث وزمن كالفعل ، لأن دلالة الضمير تتجه إلى المعانى الصرفية العامة التى أطلقنا عليها معانى التصريف والتى قلنا إنها يعبر عنها باللواصق والزوائد ونحوها . والمعنى الصرفى العام الذى يعبر عنه الضمير هو عموم المخاضر أو الغائب دون دلالة على خصوص الغائب أو الحاضر وهذا هو المقصود بقول ابن مالك :

وما لذى غيبة أو حضــور كأنت وهو سم بالضمير

والحضُور قد يكون حضور تكلم كأنا ونحن وقد يكون حضور خطاب كأنت وفروعها أوحضور إشارة كهذا وفروعها، والغيبة قد تكون شخصية كما في هو وفروعه، وقد تكون موصولية كما في الذي وفروعه، وتد تكون موصولية كما في الذي وفروعه، وتد تكون موصولية كما في الذي وفروعه، وتتبين الملاقة بين هذه الأقسام من الشكل الآتي :



ومعنى ذلك أن الضَّائر في اللغةُ العربية الفصحي تنقسم إلى ثلاثة آقسام :

- فياثر الشخص
- ضمائر الإشارة
- -. ضمائر الموصول

وهذه إلضائر جميعا دات على معان صرفية عامة مما يقول النحاة عنه إنه وحقه أن يؤدّى بالحرف و والملك فإن الضائر لهذا السبب تشبه الحرف شبها معنويا بالإضافة إلى الشبه الفظى الذى يظهر فى بعضها . فلافارق فى الطابع بين معنى الحضور والغيبة . وبين معانى التأكيد والنبي والاستفهام والشرط وابتداء الغاية والمعية والمحاوزة والسببية والظرفية ، وغيرها من المعانى التى تؤديها الحروف والأدوات المداة بأسماء هذه المعانى العامة ومن عنا لا يمكن وصف الضمير بالتعريف أو التنكير فى النظام وإنما يكون معرفة حين تعين على ذلك قرائن السياق(۱) . وبهذا تختلف الضمائر من حيث المعنى عن الأمهاء والصفات والأفعال .

أما من حيث المبنى فالمعروف أن الضائر ليست ذات أصول اشتقاقية فلاتنسب إلى أصول ثلاثة ولاتتغير صورها التى هى عليها كما تنقلب الصيغ الصرفية بحسب المعانى ثم هى لاتبتى على صورة واحدة فى الأماكن المختلفة من السياق وإنما يلحقها بعضر الظواهر الموقعية من الإشباع والإضعاف واحتلاف الحركة بحسب مناسبة الحركة التى بجوارها وذلك كالفرق بين له وبه ، ولهم وبهم وعليهم النغ . ثم إن الضائر جديعا من المبنيات التى لا تظهر عليها حركات الإعراب ولا تقبل بعض علامات الأسهاء كالتنوين ولا تقع موقع المضاف إليه ووالضمائر ولا تقع موقع المضاف إليه ووالضمائر جميعاً مفتقرة إلى القرائن باعتبارها شرطا أساسيا لدلالتها على معين فضمير المنائب فقرينته المرجع المتقدم إما لفظاً أو رتبة أو هما معا فهذا المرجع هو القرينة التي تدل على المقصود المتقدم إما لفظاً أو رتبة أو هما معا فهذا المرجع هو القرينة التي تدل على المقصود

⁽١) قرينة الحضور بالنسبة للمتكلم والمخاطب والمشار اليه وقرينة المرجع بالنسبة للغائب والمرجع أز الصلة بالنسبة للموصول .

بضمير الغائب، وأما الموصول فقرينته جملة الصلة التي تشرح المقصود به وثر تبط به بواسطة ضمير فيها يعود عليه . فافتقار الضائر على هذه الصورة إلى الحضور مرة والمراجع مرة أخرى والوصل مرة ثالثة تبرر إفراد الضمير بقسم خاص من أقسام الكلم . وهذه السهات في دلالة الضائر وصورها هي التي دعت بر تراند رسل إلى أن يسميها خواص مركزية ذاتية particulars وتمتاز هذه الضائر عن بقية الأقسام من حيث المبني والمعنى بالسهات الآتية :

١ من حيث الصورة الإعرابية : كلها مبنيات لا تظهر عليها
 ١ الحركات وإنما تنسب إلى محلها الإعرابي .

۲ - من حيث الصيغة : كل الضائر لاتنتمى إلى أصول اشتقاقية ولاتتصل أسابها من ثم بصيغ أخرى . وهذه السمة فى الضائر تقرب بها من حيث المبنى من طابع الظروف(٢) والأدوات .

٣ - من حيث الرتبة : ذكرنا منذ قليل أن الفهائر تكون ذات مراجع متقدمة عليها في اللفظ أو في الرتبة أو فيهما مماً ، والأغلب في هذا المرجع أن يكون اسهاظاهراً عدد المدلول، ومن هنا يكون تحديد دلالة هذا الظاهر قرينة لفظية تعين الإبهام،الذي كان الضمير يشتمل عليه بالوضع، لأن معي الضمير وظيفي وهو الحاضر أو الغائب على إطلاقهما فلايدل دلالة معجمية الابضميمة المرجع وبواسطة هذا المرجع يمكن أن يدل الضمير على معين، وتقدم هذا المرجع لفظاً أو رتبة أو هما معا ضروري للوصول إلى هذه الدلالة . أما ضمير الموصول فقد يصف اسها ظاهراً متقدم الرتبة واللفظ فيكون الظاهر مرجعاً له، وقد لا يصف اسها ظاهراً متقدم الرتبة واللفظ فيكون الظاهر مرجعاً له، وقد لا يصف المها فتكون الصلة أيضاً للمقصود بالموصول فهي تعدده، كما تحدد الصفة الموصوف أي كما يتحدد المنعوت بالنعت على نحو ما رأينا في الكلام عن الاسم المبهم .

ع _ من حيث الإلصاق : كما تكون الضمائر المنفصلة مبانى تقسيم

B. Russel: Human Knowledge (1)

⁽۲) انظر من ۱۱۹ وما یعدما ۰

تكون الضمائر المتصلة مبانى تصريف فتقوم بدور اللواصق التى تلصق بغيرها من الكلمات سواء أكان الضمير مرفوعاً أم منصوباً أم مجروراً، أما الصاق غيرها بها فيتمثل في حرف الإشباع وهاء التنبيه ولام البعد وكاف الحطاب، كما نوى الإشارة والموصول في التثنية يتقبلان الأنف والنون رفعاً والباء والنون نصباً وجراً. وقد يقع ضمير الشخص حشواً في اسم الإشارة فتنفصل به هاء التنبيه عن ضمير الإشارة نفسه كما يرى في الجدول الآتي :

		مأنذا
ها هو ذا	هأنت ذا	_
ها هي ذي	هأنت ذي	ها نحن أولاء
ها ها ذان	هأنها ذان	
ها هم تان	ها أنها تان	
ها هم أولاء	ها أنتم أولاء	
ها هن أولاء	هأنتن أولاء	

وبهذا يختلف الضمير عن الأسماء والصفات فلا يمكن عده اسما من الأسماء وإنما ينبغى له أن يكون قسما قائماً بذاته من أقسام الكلم يتعدد معناه بين التقسيم والتصريف .

والنسخ وفي الاستفهام والتوكيد وهلم جرا، وهي كذلك تضام حروف الجر والنسخ وفي الاستفهام والتوكيد وهلم جرا، وهي كذلك تضام حروف الجر والعطف والاستثناء الخ. ولقد رأينا كيف يحتاج الضمير إلى ضميمة توضحه من مرجع أو صلة ويكون الضمير مضافاً إليه فيضام المضاف ولكنه لا يكون هو مضافاً أبداً فتفترق الضمائر بهذه السمة الأخيرة عن الأسهاء والصفات ومن ثم لا تكون منها وتصبح بذاتها قسها مستقلا.

7 - من حيث الرسم الإملائي : الضمائر المنصلة لواصق لا تستقل فى الكتابة عما لَصِقب به فهى من وجهة النظر الكتابية المحضة أجزاء كلمات لا كلمات، وهي بذلك تشارك الأدوات في سمة من سماتها حين تكون الأداة على حرف واحد فإنها تلتصق بالكلمة وتصير كالحزء منها وذلك نحو باء الحر ولامه وباء القسم وفاء العطف وفاء الحواب ولام القسم وهلم جرا ، ومهذا تمتاز الضمائر

عن بقية الأقسام إلاالأداة ،لأن فعل الأمر مثلاحين يصير على حرف واحد لا يلتصق بالكلمة التى تجاوره وإنما يظل كلمة قائمة بذاتها نحو: وق نفسك وبهذا تصبح الضمائر ذات طابع كتابى خاص يبعد بها عن بقية الأقسام .

٧ - من حيث المسمى : ذكرنا أن الضمائر تلل دلالة وظيفية على مطلق غائب أو حاضر فهى لا تلل على مسمى كما تلل الأسماء ، فإذا أريد لها أن تلل عليه فتنقلب دلالتها من وظيفية إلى معجمية كان ذلك بواسطة المرجع . فدلالتها على المسمى لا تتأتى إلا بمعونة الاسم .

٨ - من حيث التعليق : لا شك أن الضائر تلعب دوراً هاماً جداً في علاقة الربط فعودها إلى مرجع يغنى عن تكرار لفظ ما رجعت إليه ومن هنا يؤدى إلى تماسك أطراف الجملة ومن المعروف أن الضمير يعود مثلا من جملة الحبر على المبتدأ ومن جملة الحال على صاحب الحال ومن جملة النعت على المنعوت ومن جملة الصلة على الموصول فيجعل الحملة في كل حائة من هذه واضحة الوظيفة غير معرضة للبس .

من هذه السيات التي تمتاز بها الضيائر عن بقية أقسام الكلم يمكننا أن نوى لماذا استحقّت الضيائر بمختلف أنواعها أن تفرد بقسم خاص في إطار مبانى التقسيم في الصرف العربي بعد أن جعلها النحاة في عداد الأسماء.

(ه) الخوالف

الخوالفكلمات تستعمل في أساليب إفصاحية ؛ أى في الأساليب التي تستعمل للكشف عن موقف انفعالي ما والإفصاح عنه فهي من حيث استعالها قريبة الشبه بما يسمونه في اللغة الإنجليزية Exclamation وهذه الكلمات ذات أربعة أنواع:

۱ - خالفة الإخالة ويسميها النحاة (اسم الفعل) ويقسمونها اعتباطاً ودون سند من المبنى أو المعنى إلى اسم فعل ماض كهيهات واسم فعل مضارع كوى اسم فعل أمر كصه وسترى بعد قليل بعد ما بين هذه الأفعال وتلك الحوالف.

٢ - خالفة الصوت ويسميها النحاة (اسم الصوت) ولا يقوم دليل على اسميها لامن حيث المبنى ولا من حيث المبنى فهى لا تقبل علامات الأسهاء (إلا على الحكاية شأنها فى ذلك شأن الأفعال والجمل)، وذلك نحو هلا لزجر الحيل وكيخ للطفل وعاه الإبل وهيج للغنم وحر للحمار وبس للقطة وكذلك أصوات دعوة الحيوان وحكاية الأصوات مثل ها ها لحكاية الفصحك وطاق للضرب وطنق لوقع الحجر وهلم جرا.

٣ - خالفة التعجب ويسميها النحاة صيغة التعجب وليس هناك من دليل على فعليها، بل إن هناك ما يدعو إلى الظر أن خالفة التعجب ليست إلا أفعل تفضيل تنوسي فيه هذا المعني وأدخل في تركيب جديد لإفادة معني جديد يمت إلى المعني الأول بصلة وليس المنصوب بعده إلا المفضل الذي نراه هنا بعد صيغة التفضيل ولكنه في تركيب جديد وبمعني جديد وليست الملاقة بين الصيغة وبينه علاقة التعدية وقد سبق لنا أن ذكرنا أمر نقل الصفة إلى علم والفعل إلى علم (ومن العلم ما ينقل) ونقل الظروف إلى الطرفية أدوات والإشارة المكانية إلى الظرفية وبعض حروث أخر إلى الظرفية فلاجرم أننا نزع هنا أن صيغة التعجب هي صيغة التفضيل منقولة إلى معني جديد في تركيب جديد ولاسيا لأنها ورد تصغيرها كما يصغر التفضيل وأن شروط صياغهما واحدة .

صغ من مصوغ منه للتعجب أفعل للتفضيل وأب اللّذ أبى وما به إلى التفضيل صل لمانع به إلى التفضيل صل

ولكن هذه الصيغة في تركيبها الجديد أصيحت مسكوكة لاتقبل اللخول في جدول تصريفي كما تلخل في جدول تصريفي كما تلخل الأفعال ولا في جدول تصريفي كما تلخل الأفعال والصفات ولا في جدول الصاقى كما يلخل هذان ومعهما الأسهاء. ولعل فيا يأتى ما يوضح بعض الفهم الذي خطر لي بالنسبة الركيبي التعجب:

ما = أداة تعجب أفعل = خالفة منقولة عن التغضيل زيداً = المفضل وقدأصبح متعجبامنه { كالأمثال التي لانتغبر أفعل التفضيل والمعنى ماأشد عجبى له والتركيب المعنى ما أشدعجبى له والتركيب بـ = مضمنة معنى اللام الحالمين على الإفصاح (أى التعبير زيد = المفضل وقد أصبح متعجبا عن الانفعال والتأثر).

ع ــ خالفة المدح ، أو الذم ويسميها النحاة (فعلى المدح والذم) ولكنهم اختلفوا حول المعنى التقسيمي لهاتين الخالفتين فرآها بعضهم أفعالا ورآها آخرون أسهاء(١) • وذهبكل منالفرَيقين يلتمسالقرائن المؤيدة لرأيه . فأما القائلون بالفعلية فقائوا إنها ترفع الاسم الظاهر وضميره وتتمبل التاء الساكنة كالأفعال . وأما القائلون بالاسمية فقالوا ان حرفى الحر والنداء يدخلان عليها فالنضام الذى بينها وبينهما قرينة على اسميتها وغفل الأولون عن أن هذين اللفظين لايقبلان من علامات الأفعال إلا هذه التاء الساكنة أما تا فعلت وياء افعلى ونون أقبان والتصرف إلى مضارع وأمر بل التصرف في داخل الإسناد فيما عدا قبول تلك الناء فلا يقبل شيئا منه وكل ذلك يطعن فى فعليتهما . وغفل الآخرون عن أن حرف الجو يدخل على الجملة المحكية حين يقصد لفظها فليس في دخول الباء على نعم في ٥ والله ماهي بنعم الولد » ما يؤكد اسميتها ولاسيما إذا نظرنا إلى إبائها قبول بقية علامات الأسماء . زد على ذلك أن هذين اللفظين ليس معناها الفعل الماضي كما زعم القائلون بذلك ، وإنما معناها الإفصاح عن تأثر وانفعال دعا إلى المدح أو الدم بل إن ابن جني في اللمع · يقول إن معناهما « المبالغة » في المدح والذم وتعبيره بالمبالغة يتجه اتجاه تعبيرى بالإفصاح وفى كلا التعبيرين إشارة إلى ما هو أكثر من مجرد المدح أو الذم , والذي يقال في نعم وبئس يقال أيضا في حبذا ولا حبذا فلاصلة لهما بمعنى مشتقات مادة (ح ب ب) وإنما يقوم التعبير بهذه الخوالف الأربع جميعا مقام التعبيرات المسكوكة كما سبق فى التعجب فالتعبير هنا بكلمات لا تتغير صورتها ولا يتغير ما تقرر لها من الرتبة فهى على حد تعبير الأشموني جارية مجرى الأمثال (٢) أو كما قال ابن الك: فهو يضاهي

⁽۱) الأشبولي : باب لمم ويلس •

⁽٧) انظر الأشبولي والمقرب لابن عصفور •

المثلا ، انظر مثلا إلى الرتب التي تتضح من وضع بعض الكفات بالنسبة للبعض الآخر :

حبذا الرجل زيد	نعم الرَجل زيد
	زيد نعم الرجل
حبذا رجلا زيد	نعم رجلا زید
حبذا زيد رجلا	نعم زید رجلا

وخير إعراب لهذه الحوالف أن يعتبر المحصوص مبتدأ غير محفوظ الرتبة إذ قد يتقدم أو يتأخر وما سواه فى التعبير خبر . فإذا نظرنا إلى هذا الحبر وجدناه يشتمل على الحالفة وضميمتها التى تعتبر دائما أعم من المخصوص ويعتبر المخصوص من جنسها ولذلك تقف دائما منه موقف التفسير وهذه الضميمة قد تلحق فيها الألف واللام فترفع وقد تتجرد منها فتنصب وبين الحالفة وهذه الضميمة رتبة محفوظة فلا تنقلم الضميمة على الحالفة .

والقسط المشترك في معانى هذه الحوالف جميعا ما ذكرناه من أن لها طبيعة الإفصاح الذاتي عما تجيش به النفس فكلها يلخل في الأسلوب الإنشائي وتبدو شديدة الشبه بما يسميه الغربيون affective language وجميعها يحسن بعده في الكتابة أن نضع علامة تأثر (!) فالفرق بين و شتان زيد وعمرو » هو فرق ما بين الإنشاء والخبر فلا تصلح الثانية لشرح الأولى إذ لاتساويها في المعنى . ومثل ذلك الفرق بين وأوه ، وبين و أتوجع ، فلو أنك أحسست بألم مفاجىء فقلت و أوه ، لحق على الناس أن يسرعوا إلى نجدتك ولكنك لوقلت في هذا الموقف نفسه : و أتوجع ، لسألك السامع : مم تتوجع ؟ ولم يخف إلى نجلك لأن ما قلته وخبر ، مجمل يحتاج إلى تفسير ويحتمل بعده استفهاما ، وليس إنشاء وخبر ، مجمل يحتاج إلى تفسير ويحتمل بعده استفهاما ، وليس إنشاء يتطلب استجابة عملية سريعة ، ومثل ذلك يقال عن خوالف الأصوات يتطلب استجابة عملية سريعة ، ومثل ذلك يقال عن خوالف الأصوات كرجر الحيوان وإعرائه وعن خوالف المدح والذم والتعجب. ولك أن توازن.

بین مایاتی :

أمدح زيدا أذم عمراً أخبار بنس عمرو رجلا إفصاحات أذم عمراً أخبار ما أحسن زيداً أعجب لزيد

ولربما كان من المستحسن أن يضم إلى هذه الأساليب الإفصاحية النلجة والاستغاثة والتحذير والإغراء ولكن ضم هذه الأساليب إلى ما ذكرنا لا يتم على المستوى الصرق ، لأن هذه الأساليب الأخيرة لا يعبر عنها بالخوالف فلها مثل الإفصاح المذكور لكن على مستوى النحو لا مستوى الصرف .

وتمتاز هذه الحوالف مبى ومعنى عن بقية أقسام الكلم الفصيح ، وهاك جوانب امتيازها بالتفصيل :

١ - من حيث الرتبة : الملاحظ أن جميع هذه الخوالف تأتى مع ضمائم معينة وأن الرتبة بين الحالفة وبين ضميمتها محفوظة كما يتضح من الرتبة بين نعم وضميمتها المصغرة للمخصوص والرتبة بين خالفة التعجب وبين الأداة وكذلك بينها وبين المتعجب منه وكالرتبة بين «أفعل» وبين ما لحقت به الباء بعده وكالرتبة بين الإخالة وما يأتى معها الخ .

٧ - من حيث الصيغة : جميع هذه الخوالف صيغ مسكوكة Raioma ومن هنا كانت محفوظة الرتبة كما سبق مقطوعة الصلة بغيرها من الناحية التصريفية وذلك هو قول الأشموني في صيغة التعجب(١) -: « ليكون مجيئه على صورة واحدة أدل على ما يراد به » . على أن هناك صيغا قياسية تأتى على معنى خوالف الإخالة ولا تعد منها مثل نزال ودراك فهى بالنسبة للخوالف إذ تأتى بمعناها كالمصدر بالنسبة للفعل حين يأتى بمعناه شمو فندلازريق المال » فكما أننا لا نعتبر المصدر فعلا حين يؤدى وظيفة الفعل فكلك لا نعتبر هذه الصيغ القياسية خوالف لأدائها وظيفة الخوالف والأولى جذه الصيغ القياسية أن تلحق بقسم المصادر من أقسام الكلم .

⁽١) شرح الأشموني : باب التعجب ص ٣٩٥ تحقيق محيى الدين "

۳ - من حيث الإلصاق: تلحق نون الوقاية بصيغه واحدة من هذه الخوالف هي «ما أفعل» كما تلصق بهذه الصيغة ضمائر النصب المتصلة وتلصق تاء التأنيث بنعم وبئس كما تلصق ضمائر الحر المتصلة «بإيا» حين تستعمل استعال الخوالف نحو «إياك» ومن هذا نرى أن الخوالف تشارك من حيث الإلصاق الأفعال حينا والأسماء والصفات حينا والأدوات حينا ثالثا ولكنما لاتعد واحدة من أى قسم منها.

٤ - من حيث النضام : ذكرنا تحت رقم ١ هنا أن الحوالف تأتى مع ضمائم معينة من الأدوات والمرفوعات والمنصوبات والمجرورات وبتى أن نشير إلى أن بعض هذه الضمائم مما يفتقر إليه الحوالف افتقارا متأصلا كافتقار خالفة التعجب إلى « ما » أو « باء الحر » .

من حيث الزمن : على الرغم مما نسبه النحاة إلى الخوالف من معنى الزمن فجعلوا خوالف المدح والذم والتعجب على معنى المضى وقسموا خوالف الإخالة بين المضى والحالية والاستقبال فإن هذه الحوالف لاترتبط معنى زمنى خاص ولا تتصرف تصرف الأفعال .

7 - من حيث التعليق : تقوم الحوالف بدور المسند دون دور المسند الله ولعل هذا هو الذي جعل النحاة يعدون معظمها أفعالا ولكن الذي يفرق بينها وبين الأفعال أنها لاتوصف بتعد ولا لزوم بالنسبة لما يصاحبها من المنصوبات ولا تدخل في علاقة النسبة مع ما يصاحبها من الحجرورات.

٧ - من حيث المعنى الجمائي: ذكرنا أن جميع الجمل المركبة من الحوالف عن بقية الحوالف عن بقية أقسام الكلم.

(و) الظرف

أول ما أبدأ به هنا أن النحاة توسعوا فى فهم الظرف بصورة جعلت الظرفية تتناول الكثير من الكلمات المتباينة معنى ومبنى . والظروف كما أراها مبان تقع فى نطاق المبنيات غير المتصرفة فتتصل بأقرب الوشائج بالضمائر والأدوات ويمكن التمثيل لها على النحو الآتى :

ظرف مكان	ظرف زمان
أين	؞ٳۮ
أني	إذا
حيث .	إذآ
	T.
	أيان
	منی

ولكن النحاة رأوا بعض الكلمات تستعمل استعمال الظروف على طريقة ما أسلفنا القول فيه من تعدد المعنى الوظينى للمبنى الواحد فعدوا طائفة عظيمة من الكلمات المستعملة استعمال الظروف ظروفا . فكما أن الصفة والفعل قد ينقل معناهم إلى العلمية وكما أن المصدر ينوب عن الفعل وكما أن من وما وأى الموصولة يتعدد معناها الوظينى فتترك الموصولية إلى الاستفهام أو الشرط نجد مجموعات من الكلمات ذات المعانى المختلفة والمبانى المختلفة أيضاً قد نسبها النحاة إلى الظرفية وما هى بظروف من حيث التقسيم . ومن ذلك :

١ - المصادر نحو آتيك طلوع الشمس ومها قط عوض الملازمان
 للقطع عن الإضافة والمعروف أن المصادر أسهاء لا ظروف .

٢ - صيغتا اسمى الزمان والمكان نحو آنيك مطلع الشمس وأقعد
 مقعد التلميذ والصيغتان من الميميات التى سبق أن ذكرنا أنها أسهاء لاظروف.

۳ – بعض حروف الجر نحو مذ ومنذ لأن معناها ابتداء الغاية وهما مجران ما بعدها ولكنهما يستعملان استعال الظروف عندما يردان مع الجمل فتكون الظرفية فيهما من قبيل تعدد المعنى الوظينى .

- عض ضمائر الإشارة إلى المكان نحو هنا وثم أو إلى الزمان نحو
 الآن وأمس وهى ليست ظروفا فى الأصل .
 - ٥ بعض الأسهاء المبهمة ومنها :
 - (أ) ما دل على مبهم من المقادير نحو «كم ».
- (ب) ما دل على مبهم من العدد حين يميزه ما يفيد الزمان أو المكان نحو خمسة أيام وثلاث ليال .
- مادل على مبهم من الجهات وهو فوق وتحت وأمام وورا. ويمين
 وشمال وخلف وإثر .
- (د) مادل على مبهم من الأوقات وهو حين ووقت وساعة ويوم وشهر
 وسنة وعام وزمان وأوان .
- بعض المبهات المفتقرة إلى الإضافة والمفيدة لعلاقة بين أمرين صالحة لعنى الزمان أو معنى المكان بحسب ما تضاف إليه وذلك هو قبل وبعد ودون ولدن وبين وسلط وعند.
- ٦ بعض الأسماء التي تطلق على مسميات زمانية معينة كسحر وسحرة وبكرة وضحوة وليلة ومساء وعشية وغدوة حين يقصد بها وقت بعينه فقد قابت هذه الأسماء عن الظرف، ومنعت التصرف لتقرب من طابع مبى الظرف والمتصرف من مادتها باق على أصله فليس يعد فيها عومل معاملة الظروف .

فالمصادر وصيغنا اسمى الزمان والمكان والمهمات بأقسامها وما أطلق على مسميات زمانية معينة كلها أمهاء من الأمهاء ولكنها حين عوملت معاملة المظروف قادت وظائفها ، ولا ينبغى لهذا أن يضللنا عن أصالها فى باب الأمهاء ، وأما مذ ومنذ فهما من حروف الجر مثلهما فى الجر مثل و من لان معناها كمعناها – ابتداء الغاية — غير أن خروج من عن ابتداء الغاية إنما يكون إلى السببية أو التبعيض أو نحوها وتلتزم التضام مع الأمهاء المجرورة وأما مذ ومنذ ، فإن خروجهما عن ابتداء الغاية يكون إلى معاملتهما معاملة الظرف مع جواز التضام بيهما وبين الجمل وربما كان ذلك على حذف الظرف مع جواز التضام بيهما وبين الجمل وربما كان ذلك على حذف

وأما هنا ، وثم والآن وأمس فمكانها الذى يفرضه مبناها ومعناها هو بين ضمائر الإشارة فهى ضمائر إشارة ولكنها عوملت معاملة الظروف الظرفية كبقية ما عومل من الكلمات معاملتها .

ليس في اللغة العربية الفصحى مما ينبغي أن يوضع في قسم مستقل من أقسام الرلم يسمى « الظرف » إلا تلك الكلمات التي عددناها في بداية القول في الظرف وهي إذ وإذا وإذاً ولما وأيان ومتى وهي للزمان ثم أين وأني وحيث وهي للمكان .

وهذه الظروف تتميز عن بفية أقسام الكلم بالسمات الآئية :

1 - من حيث الصورة الإعرابية : هي جميعا من المبنيات والمعروف أن البناء مما يقرب الدلمة من الحروف ومن هنا كان البعد الكبير بين طابع الظرف وطابع الاسم حتى إن بعض الأسماء التي تفيد معينا حين تعامل معاملة الظرف تمنع التصرف كما رأينا تحت رقم ٦ منذ قليل .

٢ ـ من حيث الرتبة : الظروف رتبتها التقدم على ملخولها سواء
 أكان مفرداً أم جملة ولكنها تكون حرة الرتبة في الحملة عامة .

٣ ــ من حيث الصيغة : هذه الظروف كلها من غير المشتقات مثلها مثل الضمائر والأدوات ومن هنا لاتكون لها صيغ معينة ولا تنصرف إلى صيغ غير صيغها . ولعل هذا أيضا مما يباعد بيها وبين الأسماء ويقارب بيها وبين الحروف .

ع ــ من حيث الجدول : ما دامت هذه الظروف غير متصرفة فلمها لاتلخل في علاقات جدولية مع غيرها أيا كان نوع هذه العلاقات .

ه من حيث النضام: بعض هذه الظروف قد يسبقه الحرف نحو منسذ منى ومن أين وإلى أين ، ومن حيث وإلى حيث والظروف ذات افتقار إلى مدخول لها يعين معناها الزمانى المبهم والضهائم التى بعد هذه الظروف إما أن تكون كلا من المفرد والجملة كما في أيان ومنى وأين وأنى وإما أن تكون الجمل فقط كما في حيث وإذا ومنى وأين وحيث .

وهذه الصورة من صور التضام تفرد الظروف بطابع خاص لاتشاركها فيه الأسماء ، ولا الصفات ولا الأفعال ولا الضمائر .

آ - من حيث التسمية : هذه الظروف لا تسمى شيئا معينا وهي من ثم لا تدل على مسمى وليس معناها معجميا وإنما هو معنى وظيفى قريب الشبه من معنى الأدوات فهذه الظروف تؤدى وظيفة الكناية عن زمان أو مكان مع اختلاف بين كل واحد منها وبين الآحر من حيث التضام كما رأينا تحت رقم ٤ ثم من حيث ظلال المعنى كالفرق بين أيان ومتى والفرق بين أين وأنى والفرق بين إذ وإذاً .

٧ - من حيث الزمن : الفرق بين ما يدل عليه ظرف الزمان وبين الزمن الذي للفعل هو :

الزمن يستفاد من الظرف بالمطابقة ومن الفعل بالتضمن .

- الزمن فى الفعل مضى أو حالية أواستقبال ولكنه فى الظرف كناية عن زمان اقتران حدثين والفرق ببن الزمن فى الصفة وزمان الظرف أن زمان الظرف معنى للظرف وهو مفرد وأن زمن الصفة وظيفة لها فى السياق دون الإفراد لأن معناها وهى مفردة هو - كما سبق - الدلالة على موصوف الحدث

أما الأسماء فليس الزمن جزءا من دلالتها وإذا دل بعضها على زمان فإنه يدل عليه من طريق التسمية فالزمن هو مسمى الاسم كالليل والنهار لتسمية الوقتين المدكورين أو عن طريق معاملته معاملة الظرف مثل ليلا ونهاراً حين يكون الوقتان وعاء لحدث ما

٨ - من حيث التعليق: الظروف في اللغة العربية تعبيرات عن معنى الجهة شأنها في ذلك شأن كل ما أفاد علاقة التخصيص كالمفعولات والحال والتمييز والمستثنى ومن هنا كان وضع الظروف في السياق وضع المفعول فيه ومن هنا أيضا يقال للظرف إنه متعلق بالفعل لأنه يفيد تقييد إسناد الفعل بجهة معينة من جهات فهمه.

(ز) الأداة

الأداة مبى تقسيمي يؤدى معنى التعليق والعلاقة التي تعبر عنها الأداة إلى تعبر عنها الأداة إلى تكون بالضرورة بين الأجزاء المختلفة من الحملة وتنقسم الأداة إلى قسمين :

ــ الأداة الأصلية ، وهي الحروف ذات المعانى كحروف الجر والذسخ والعطف الخ .

ــ الأداة المحولة ، وقد تكون هذه :

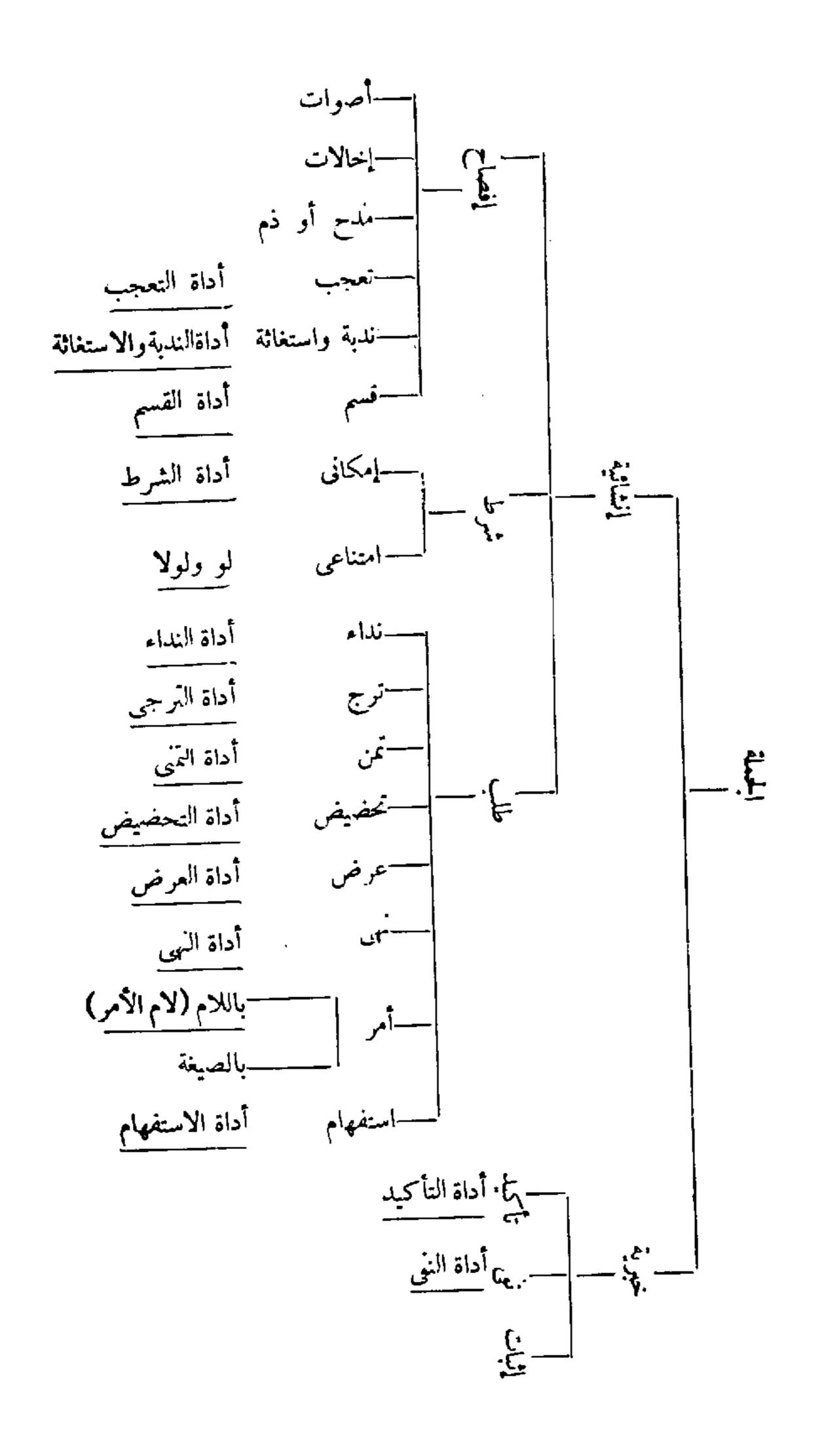
ظرفية إذ تستعمل الظروف في تعليق جمل الاستفهام والشراط

أو اسمية كاستعمال بعض الأسعاء المبهمة فى تعليق الجمل مثل كل المعض الاستفهام والتكثير والشرط أيضاً .

أو فعلية لتحويل بعض الأفعال التامة إلى صورة الأداة بعد القول بنقصانها مثلكان وأخواتها وكاد وأخراتها

أو ضميرية كنقل من وما وأى إلى معانى الشرط والاستفهام والمستفهام والمصدرية والمطرفية والتعجب الخ ·

والتعليق بالأداة أشهر أنواع التعليق في اللغة العربية الفصحى فإذا استثنينا جملتي الإثبات والأمر بالصيغة (قام زيد، وزيد قام، وقم) وكذلك بعض جمل الإفصاح فإننا سنجد كل جملة في اللغة الفصحى على الإطلاق تتكل في تلخيص العلاقة بين أجزائها على الأداة ويمكن أن يتضح ذلك من الشكل الآني :



فالأدوات هنا تلخص معانى النبى والتأكيد والاستفهام والأمر باللام والعرض والتحضيض والتنبى والترجى والنداء والشرط الامتناعى والشرط الإمكانى والقسم والندبة والاستغاثة والتعجب . كل ذلك بالإضافة إلى ما للأداة من وظيفة الربط بين الأبواب المفردة فى داخل الجملة كالذى نجده فى حروف الجمر والعطف والاستثناء والمعية وواو الحال أو من وظيفة أداء معنى صرفى عام كالذى نراه فى أداة التعريف .

وتشرك الأدوات جميعاً في أنها لا تدل على معان معجمية ولكنها تدل على معنى وظبنى عام هو التعليق ثم تختص كل طائفة منها تحت هذا العنوان العام بوظيفة خاصة كالنبى والتأكيد وهلم جرا، حيث تكون الأداة هى العنصر الرابط بين أجزاء الجملة كلها حتى يمكن للأداة عند حذف الجملة أن تؤدى لمنى كاملا كالذى نراه فى عبارات مثل: ليم ، عمّ ، متى ، أين ، ربما ، وإن ، لعل ، ليت ، لو ... النح فيكون المعنى الذى تدل عليه هذه الأدوات هو معنى الجملة كاملة وتحدده القرينة بالطبع. وحين أراد النحاة أن يعبر واعما فهموه بوضوح من أن معانى الأدوات هى وظائفها أى أن معناها وظينى لا معجمى الموافق قالوا فى تعبيرهم عن هذا الفهم إن هذه ه معان حقها أن تؤدى بالحرف الحق أن المعانى الوظيفية يكتف عنها فى مظانها الأصلية وهى كتب القواعد وهذه المعانى من الناحية النظرية نقع خارج اهمام المعجم ولكن المعاجم الفائدة العملية ترى من الأصلح إيراد هذه الأدوات بين كلمانها المشروحة . وإذا كان هذا المعنى الوظيفي قد أمكن الوصول إليه ياسم أو فعل أو ظرف أو ضمير الحالة بأنها أشبهت الحرف شبهاً معنوياً وربما أصبحت هى ذانها أداة محولة الحذا السب نفسه .

وللأدوات سمات من حيث المبنى ومن حيث المعنى تميزها عن بقية أقدام الكلم، ويمكن أن نورد هذه المميزات فيما يأتى :

ا _ من حيث الرتبة : الأدوات أشد تأصلا فى حقل الرتبة من الضمائر ومن ثم تعتبر مجالا خصباً لدراسة ظاهرة الرتبة فى اللغة العربية الفصحى

ولقد رأينا منذ قليل أن معظم الحمل في اللغة العربية تتخذ أدوات خاصة تلخص العلاقة بين أجزائها ونضيف هنا أن رتبة أدوات الجمل جميعاً هي الصدارة كما أن رتبة حرف الجر هي التقدم على المجرور ورتبة حرف العطف هي التقدم على المعطوف ويتقدم حرف الاستثناء على المستثني وواو المعية على المفعول معه وواو الحال على جملة الحال فكل أداة في اللغة القصحي تحتفظ برتبة خاصة وتعتبر الرتبة هنا قرينة المظية تعين على تحديد المعنى المقصود بالأداة . فالصدارة هنا هي الفارق الوحيد في الرتبة بين الأداة وبين الظرف لأن الظرف يتقدم على مدخوله نحو « أزورك مني أهل رمضان » ولكن هذا الظرف إذا تعدد معناه الوظيفي فأصبح أداة شرط لزم الصدر في الجملة الشرطية : « مني أهل رمضان أزرك » ولاتكون مني في الشرط إلا في هذا الموضع . فهذه إحدى السات التي تميز الأداة من الظرف ومن غيره من أقسام الكلم .

٧ - من حيث التضام : الأدوات جميعاً ذات افتقار متأصل الى الضائم إذ لا يكتمل معناها إلا بها فلا يفيد حرف الحر إلا مع المجرور ولا العطف إلا مع المعطوف حتى أدوات الجمل مفتقرة إلى ذكر الجملة كاملة بعدها ولا تحذف الجملة حين تحذف وتبقى الأداة بعدها إلا مع القرينة التى يمكن بها فهم المراد فتحل القرينة فى إيضاح معنى الأداة محل الجملة . ٣ - من حيث الرسم الإملائى : الأدوات كالضائر منها المنفصل ومنها المتصل فإذا كانت الأداة على حرف واحد كانت أداة متصلة بما يأتى بعدها من ضميمة مثل باء الجر فى « بمحمد » ولامه فى « لمحمد » وكذلك فى « به » و « له » أما إذا جاءت الأداة على أكثر من حرف واحد فإن النظام الإملائى يفصلها فى الكتابة عن ضميمتها مثل « عن محمد » و « على محمد » . و « على محمد » و « على حرف واحد لحق بما قبله وأما فى « به » و « له » فإن كل حين أصبح على حرف واحد لحق بما الأفعال لأن فعل الأمر مثلا قد يصبح على حرف واحد ومع ذلك يكتب مستقلا نحو « ق نفسك » و « ع درسك » .

ولا ينبغى لنا عند وصل الأداة أن نعتبرها إحدى اللواصق ، لأن الفرق بين الأداة المتصلة وبين اللاصقة أن الأداة إذا حذفت بنى بعدها ما اتصلت به دالاً على معناه الذي كان له وأما اللاصقة فإذا فصلناها عما لصقت به فإن زوال الإلصاق يزيل معنى صرفيا أو نحويا كان عند وجود الإلصاق كالتثنية أو الجمع أو التكلم أو الحطاب أو الغيبة أو التأنيث . ولو أزلنا حرف المضارعة عن المضارع ما ظل مضارعا ولو أزلنا الناء المبنية على الضم من صيغة الماضي لزال معنى التكلم منه ولو أزلنا الألف والنون من المثنى من صيغة الماضي لزال معنى التكلم منه ولو أزلنا الألف والنون من المثنى لزال منه معنى التثنية . أما الفعل الماضي في « ما قام زيد » فإنه يبقى على فعليته ومضيه عند زوال « ما » ولكن الذي يتأثر بزوال « ما » هو معنى النبي وهو معنى النبي وهو معنى النبي فقط .

ع ــ من حيث التعليق : سبق أن ذكرنا أن المعانى الى تؤدمها الأدوات جميعاً هي من نوع التعبير عن علاقات في السياق وواضح أن التعبير عن العلاقة معنى وظيفي لا معجمي . فلا بيئة للأدوات خارج السياق لأن الأدوات كما ذكرنا ذات افتقار متأصل إلى الضمائم أو بعبارة أخرىذات افتقار متأصل إلى السياق . وسنرى عند دراسة النظام النحوى أن الأدوات من أهم وسائل التعليق في اللغة وقد أشرنِا إلى ذلك منذ قليل أيضاً . ولم يكن النحاة على خطأ حين أصروا على تعيين متعلق خاص للجار والمجرور فى الإعراب بل إنهم لما رأوا الظروف تسلك مسالك الأدوأت أحيانا قالوا بتعليق الظرف أيضًا . أمامن وجهــة نظرنا فإن التعليــق لا يقتصر على الظرف والجار والمجرور وإنما هو وظيفة الأدوات جميعاً . فالعاطف والمعطوف متعلق بالمعطوف عليه وواو المعية ومتبوعها متعلقان بالمصحوب وهلم خرا . وحين يكون الربط بين أجزاء الحملة كلها يكون معنى الأداة هو ما يسمونه * الأسلوب # كحين يتكلمون عن أسلوب النفي أو الشرط أوالاستفهام فالربط هنا بما تحمله الأداة من وظيفة الأسلوب ومن هنا تكون الأداة إحدى القرائن اللفظية شأنها شأن الرتبة والصيغة والمطابقة وغير ذلك مما سنراه عند الكلام عن نظام النحو . فإذا عرفنا أنَّ التعبير عن العلاقة لا يأتى بواسطة الاسم ولا الصفة ولا الفعل ولا الحالفة عرفنا أيضاً أن الأداة تنتمي إلى طائفة الكلمات التي يعبر بها عن المعانى العامة إما مباشرة أو بصورة

غير مباشرة كالضمائر المتصلة التي تفيد المطابقة وكالظروف التي تفيد الاقتران الزماني والمكاني .

و من حيث المعنى الجملى: سبقت الإشارة إلى ذلك فيها ذكرنا في الفقرة السابقة تحت رقم ٤ ونود أن نضيف هنا أن الأداة حين تحمل تلخيص أسلوب الجملة قد تحمله إيجابيا بوجودها أو سلبيا بعدمها حين تقوم القرينة على المعنى المراد مع حذف الأداة وذلك كالاستغناء عن أداة الاستفهام أو العرض عند الاتكال على قرينة النغمة كما سيأتى ذكره تحت عنوان التنغيم في نهاية الفصل الحاص بالظواهر الموقعية . وذلك كأن تقول لرجل رآك تأكل تمراً مثلا: « تأكل ؟ » بنغمة العرض والمعنى ألا تأكل ه؟ فهنا حيث تغنى النغمة عن الأداة فيصبح معنى الأداة قد تحقق على دغم حذفها بواسطة ما يسمى عن الأداة العدمية » أى دلالة عدم وجود الأداة (وهو الحذف) على المعنى الذي يكون عند وجودها . وسنرى أن الحذف والاستتار هما طريقا الإفادة العدمية في اللغة العربية وذلك ما تعبر عنه الدراسات اللغوية الحديثة بعبارة العدمية في اللغة العربية وذلك ما تعبر عنه الدراسات اللغوية الحديثة بعبارة

ولقد ورد فی کلامنا عن الأدوات أن النواسخ جمیعاً أدوات ، وأن بعضها محول عن الفعلیة وأن هذا البعض لایزال یحتفظ بصورته بین الأفعال التامة نحوکان و دام وزال وبرح إلی آخر ماهنالك وأنه حین أصبح بین النواسخ زال عنه معنی الحدث وهو سمة التمام فاتخذ بدلاعنه فی بعض الحالات معنی آخر من معانی الحهة واکنی فی بعضه بمعنی الزمن دون غیره . یقول ابن جنی فی اللمع (۱) : « وهی کان و صار وأمسی وأصبح وظل وبات وأضحی وما دام وما زال وما انفك وما فتیء وما برح ولیس وما تصرف منهن وما کان فی معناهن مما یدل علی الزمان المجرد من الحدث وقد أضاف ابن عصفور فی المقرب (۲) . غدا وراح وآض فإذا علمنا أن کاد وأخواتها وهی کرب وأخذ وجعل وطفق وأوشك و عنی واخلولق تنسخ وأخواتها أه کان وأخواتها أه کان وأخواتها أه کن النحوالآنی :

⁽١) حققه الدكتور أبو الفضل والدكتور معمود حجازى وهو تحتّ الطبع ،

 ⁽۲) حققه يعقوب الغنيم في رسالة ماجستير بكلية دار العلوم -

رين ـ تي ـ تي	<u>₹</u> .	
	· <u>_</u>	مهناها
	بر دب	
كال كورن على المع المع المع المع المع المع المع المع		12°C16
		اها
G.	4°.	
يَظُ وَ مِنْ الْطَالِي الْطِلْيِ الْطَلِي الْطَلِي الْطَلِي الْطَلِي الْطَلِي الْطَلِي الْطِلْيِلِي الْطَلِي الْطَلِي الْطَلِي الْطَلِي الْطَلِي الْطَلِي الْطِلْيِ الْطِلْلِي الْطِيلِي الْطِلْلِي الْطِلْلِيلِي الْطِلْلِي الْ		
و من المنطقة ا	نن	
8 8 8 8 5 - A		
م الله الله الله الله الله الله الله الل		ئ اک
اليماء الإسام الاستمران الإسام الاستمران الاستمران الماء ال	1 de 1	5
	الزمن	الحا
ام الله الله الله الله الله الله الله ال		

(٨) ملا ما قاله النماة أما في رآيي فهي لنفي المافير

من هذا نرى أن جميعها يفيد الزمن ولا يفيد واحد مها معى الحلث وأن جميعها إلا كان يضيف إلى معنى الزمن أحد معانى الجهة وأن بعضها لا يتصرف أبداً شأنه شأن بقية الأدوات وأما ما تصرف مها فإنه ناقص التصرف فقد يستعمل منه المضارع فقط أو المضارع والأمر أو هما واسم الفاعل أوهن والمصدر ولكننا لا نجد واحداً مها يتصرف كما يتصرف الفعل التام والوظيفة الأساسية التى تؤديها هذه الأدوات هى النسخ . والمعروف أن للجملة والوظيفة الأساسية التى تؤديها هذه الأدوات هى النسخ . والمعروف أن للجملة الاسمية إسناداً لا على معنى الزمن فهى نسبة الحبر إلى المبتدأ على طريق الوصف فإذا أردنا أن نشرب الجملة الاسمية معنى الزمن خالصا من دون الحدث فإن السبيل إلى ذلك أن نلخل الناسخ عليها فنزيل عنها طابعها الأصلى وهو الحلو من الزمن وهذا هو معنى النسخ . ومع خلو الجملة الاسمية حينئذ من معنى الحدث فإن الناسخ قد يعطيها معنى جهة ما من جهات الفهم كما أوضحنا يقول ابن عصفور (۱) : • • وكان إذا كانت زائدة للدلالة على اقتران الجملة بالزمان ، وإن كانت ناقصة فكذلك أو بمعنى صار » .

ولقد ذكرنا أن هذه الأدوات محولة عن الفعلية ونحن نعلم أن السهات التى تنميز بها الأفعال منها ما يتصل بالمبنى ومنها ما يتصل بالمبنى فيما يتصل بالمبنى أن يكون الفعل صيغة صرفية معينة وبعض هذه النواسخ ليس على صيغة ما مثل الليس الفيل المخرج من الأفعال بعدم بجيئها على صورة الفعل كما تخرج بعدم تصرفها إلى صيغ أخرى وإبانها اللخول فى جدول تصريفى ما وام يشاركها فى إباء اللخول فى جدول تصريفى ما دام وراح وآض وكرب وأخذ وجعل وطفق وعسى والخلولق . وأما كان وبات وصار وأمسى وأصبح وظل فإنها يأتى منها المضارع والأمر واسم الفاعل ولكن

⁽١) القرب •

خلوها من معنى الحدث بحول بينها وبين أن تكون لها مصادر الاكان. وأما مازال وما فتىء وما برح وما انفك وكاد وأوشك وغدا فيأتى منها المضارع فقط وربما جاء اسم الفاعل من بعضها. ومن هذا يتضح نقص التصرف فى جميعها.

وجما يعضد اعتبار هذه الكلمات بين الأدوات أنها تدخل على الأفعال كا تدخل الأدوات فتقول كان يفعل وأمسى يفعل وليس يفعل وما فتى عيفعل وكاد يفعل وعسى يفعل (والأكثر أن يفعل) وذلك شبيه بدخول الأدوات الأصلية على الأفعال في نحو سوف يفعل وقد يفعل وإن يفعل ولم يفعل مع فارق واحد هو أن الفصل جائز في الحالة الأولى وغير جائز في الثانية وهذا أمر يعود إلى طبيعة التضام بين الكلمتين .

وربما كان من المستحسن هنا أن أشير إلى أن بعض النحاة كالمبرد وابن الأنباري والزجاجي وابن مضاء كانوا يميلون إلى اعتبار هذه النواسخ أدوات كما يبدو من أقوالهم في المقتضب وأسرار العربية وما يرويه عنهم همع الهوامع.

وليس بين هذه الأدوات ما يسلك سلوك الأفعال من حيث الإسناد والتعدى أو اللزوم فإ دامت هذه أدوات فلا يصح وصفها بذلك ويقول الأشموني(١) في تعدى الفعل ولزومه:

د تنبیه : هذه الهاء (ای هاء کانه) تنصل بکان وأخواتها والمعروف أنها واسطة أی لا متعدیة ولالازمة ،

لقد عد النحاة ظن وأخواتها بين النواسخ لسبب واحد هو أن مفعوليها يصلحان بدونها أن يكونا جملة من مبتدأ وخبر ولكن ذلك وحده لا يصلح

را) الاشبرلي ص ١٩٥٠ •

مبرراً لاعتبار هذه الأفعال من بين النواسخ . ولماذا نهتم إلى هذا الحد بما يمكن أن يصير إليه المفعولان بعد الحذف ثم لا نهتم بالشبه القوى بين ظن وأخواتها وأعطى وأخواتها ولو صح أن صلاحيةما بعد الفعل لأن يصير جملة تبرر اعتبار الفعل ناسخاً لصارت وجاء ، من قولنا وجاء زيد يركب فرسه ، ناسخة لأن صاحب الحال والحال هنا صالحان معاً لأن تتكون منهما جملة من مبتدأ وخبر . أضف إلى ذلك أن هناك اعتبارات أخرى هامة تدعو إلى اعتبار ظن وأخواتها من الأفعال النامة غير الناسخة ومن ذلك ما يأتى :

۱ – أن العلاقة بين ظن وأخوانها وبين المفعولين علاقة يتضع فيها معنى التعدية وهو معنى لا يمكن فهمه منها عند اعتبار علاقة النسخ وقد سبق أن اقتبسنا من شرح الأشمونى ما يفيد أن النواسخ لا توصف بتعد ولا بنزوم .

٢ - أن ظن وأخواتها أفعال متصرفة وقد سبق أن أشرنا إلى أن النواسخ
 تشترك فى طابع عام هو نقص التصرف أو عدم التصرف أصلا .

ومن ثم تكون ظن وأخواتها أفعالا تتعدى إلى مفعولين وليست أدوات ناسخة ويصدق القول نفسه على أعلم وأرى . قدمنا عند بداية الكلام عن النظام الصرفى للغة العربية الفصحى أن هناك نوعين من المبانى هما :

١ ــ مبانى التقسيم : وهي الاسم والصفة والفعل والضمير والخالفة والظرف والأداة وذكرنا أن ما برجع من هذه المبانى إلى أصول اشتقاقية فإنه يتفرع إلى مبان فرعية يضمها المبنى الأكبر وكل مبنى من هذه المبانى الفرعية هو قالب تصاغ الكلمات على قياسه يسمى الصيغة الصرفية ومن هنا رآينا طائفة من الصيغ تقع مبانى متفرعة عن المبنى الأكبروهو الاسم وطائفة تقع فروعاعلي المبنى الأكبر وهو الصفة وطائفة ثالثة تقع فروعا على المبنى الآكبر الثالث وهو الفعل . وكل صيغة من هذه الصيغ الفروع تعبر عن معنى فرعى منبئق عما يفيده المبنى الأكبر من معنى نقسيمي عام كالاسمية والوصفية والفعلية . أما ما لا يرجع إلى أصول اشتقاقية من مبانى التقسيم وهو الضمير وأكثر الخوالف والظرف والأداة فمبانيها هي صورها الحجردة إذ لاصيغ لها فإذا قلنا: ﴿ ضمير المفرد المذكر الغائب ، فقد وصفنا مبنى مجردا يصدق من ذلك على الضمير في حالة الرفع والانفصال والاتصال والإستنار وفي حالة النصب والانفصال والاتصال وفي حالة الجر والاتصال وكل حالة من هذه الحالات الست تعتبز فرعا على العنوان الأول وتتحقق بعلامة مختلفة عما تتحقق به الأخريات . فالعنوان الأول مبنى أكبر وما تفرع منه مبان فروع ولا نجد العلامة إلا في النص المنطوق ، أو المكتوب.

٢ ــ مبانى التصريف: وهي تتمثل في صور التعبير عن المعانى الآتية:

(١) الشخص : والمقصود به التكلم والحطاب والغيبة .

(ب) العدد : والمقصود به الإفراد والتثنية والجمع .

(حُمَ) النوع : والمقصود به التذكير والتأثيث .

(د) التعيين : والمقصود به التعريف والتنكير .

وهذه المعانى لا يُعبِّر عنها بالصيغ الصرفية ولا بالصور الشكلية المختلفة ولكنها يُعبر عنها بواسطة اللواصق والزوائد فالتكلم والحطاب والغيبة يعبر عنها فى عنها فى الفعل الماضى بالضهائر المتصلة وفى المضارع بحروف المضارعة وليس فى صيغة الأمر إلا معنى المخاطب. والإفراد والتثنية والجمع يعبر عنها فى الأسهاء بأنف التثنية وواو الجمع وعدمهما وكذلك بالألف واأتاء وفى الأفعال بألف الأثنين وواو الجهاعة وعدمهما والتذكير والتأنيث يعبر عنها فى الأسهاء بألف الأثنيث وألف القصر وهمزة المد وفى الأفعال بتاء التأنيث وتاء المؤنثة ونون النسوة، واللام اللذين يفيدان وألف التنين وألف الاثنين وألف الاثنين وألف الاثنين وألف الاثنين وألف التنية وواو الجهاعة والألف والتاء وتاء التأنيث وألف الاثنين وألف التثنية وواو الجمع وواو الجهاعة والألف والتاء وتاء التأنيث وألف القصر وهمزة المد وتاء المؤنثة ونون النسوة والألف واللام كل أولئك وسائل شكلية للتعبير عن المعانى التصريفية التي ذكرناها تحت الأرقام احرى من ه مبانى التصريف ».

٣ - مبانى القرائن اللفظية . السياق كالطريق لابد له من معالم توضعه ولاشك أن مبانى التقسيم وما تبدو فيه من صيغ صرفية وصور شكلة وكذلك مبانى التصريف مع ما تبدو به من لواصق مختلفة تقدم قرائن مفيدة جدا في توضيح منحنيات هذا الطريق ولكن السياق حيى مع وضوح الصيغ واللواصق يظل بحاجة إلى الكثير من القرائن الاخرى التى تتضح بها العلاقات العضوية في السياق بين الكلمات . فمن هذه المبانى ما تتضح به الابواب من حركات إعرابية أو رتبة أو مطابقة في الحركة أو مطابقة في مبنى تصريقي ما ، أو ربط بصورة من الصور التى تترابط بها الكلمات كما سنرى بعد قليل أو همز أو تضعيف يفيد معنى التعدية أو غير ذلك من المبانى المعبرة عن العلاقات وهي التي سندرسها بالتفصيل تحت عنوان القرائن اللفظية عند العلاقات وهي التي سندرسها بالتفصيل تحت عنوان القرائن اللفظية عند

مناقشة النظام النحوى إن شاء الله . ومع أن هذا النوع الثالث من المبانى لا يساق لبيان معنى صرفى وإنما يساق لبيان علامة نحوية يعتبر فى جملته خارجا عن نظام الصرف ولكنه هدية الصرف إلى نظام النحو إذ أن النحو نظام من المعانى والعلاقات التى لا تجد تعبيرا شكايا عبا إلا فيما يقدمه الصرف لها من المبانى والقرائن اللفظية .

عند هذا الحد أكون قد وضحت الأقسام الثلاثة التى تنقسم إليها المبانى فوصلت إلى نقطة يحسن فيها أن أعود بذاكرة القارىء إلى ماسبق من إيضاح الصلة بين المعنى والمبنى والعلامة . وحين قال ابن مالك :

فعل قياس مصدر المعدى من ذى ثلاثة كرد ردًا عرض علينا المقابلة الآتية بين المفاهيم الثلاثة :

المعلى المبنى المبنى المعلامة مصدر الثلاثى المتعدى فَعَلْ ود

وحين قال :

نونا تلى الإعراب أو تنوينا عما تضيف احدَف كطه. سينا غرض المقابلة على النحو التالى :

المعنى المبنى المبنى المبنى طور سينا الإضافة طور سينا

والمبنى في المثال السابق من النوع الأول وفي المثال الأخير من النوع الثالث على أن هذا المبنى في المثال الأخير واحد من قرائن لفظية متعددة ينضح بها معنى الإضافة مها الرتبة المحفوظة بين المضاف والمضاف إليه ومها العلامة الإعرابية التي في آخر المضاف إليه ومها أن طرفي الإضافة اسمان وهلم جرا ، وكل هذه القرائن مبان مما سبق شرحه . وحيث وضعنا المبانى بازاء ما تعبر عنه من المعانى وما تتحقق به من العلامات كان علمنا أن ندرك أن المبنى ما دام لا يرد في النطق ولا يجرى به القلم في الكتابة لأن النطق والكتابة عبال العلامة فلابد أن يكون المبنى جزءا من النظام وأن القواعد كلها ليست

اكثر من تفصيل قصة الصلة بين المعانى والمبانى وأن القواعد لاتستخدم العلامات الا فى الأمثلة والشواهد حيث تكون مسبوقة بكاف التشبيه . فوضوح المقصود بالجي يتوقف إذاً على إدراك الفرق بين المبنى وبين العلامة ، فنون التوكيد على إطلاقها مبنى ولكن هذه التى فى قولنا « لنقومن » علامة أى أنها على عمومها مبنى وعلى خصوصها علامة وهذا هو الفرق بين كل مبنى وكل علامة كالذى سبق فى فهم صيغة « فعمل » فى عمومها وكلمة ه و د » فى خصوصها ، وكذلك حدث التنوين فى عمومه وحذفه فى طور سينا على الحصوص خصوصها ، وكذلك حدث التنوين فى عمومه وحذفه فى طور سينا على الحصوص وهلم جرا . ولهذا السبب كان المبنى بإفادته العموم جزءا من النظام أى من اللغة وكانت العلامة بخصوصها جزءا من الكلام ولهذا السبب أيضا كانت الصلة فى داخل النظام بين المعنى والمبنى صلة لاتنفك من حيث إن المعانى الصلة فى داخل النظام بين المعنى والمبنى على المعنى وجودية بالذكر أم عدمية بالحذف أو الاستتار . وسنحاول فيا يلى أن نلنى ضوءا على طبيعة الأنواع بالحذف أو الاستتار . وسنحاول فيا يلى أن نلنى ضوءا على طبيعة الأنواع بالحذف أو الاستتار . وسنحاول فيا يلى أن نلنى ضوءا على طبيعة الأنواع بالحذف أو الاستتار . وسنحاول فيا يلى أن نلنى ضوءا على طبيعة الأنواع الثلاثة من المبانى ،كلا على حدة فنتكلم من النوع الأول عن الصيغة و دورها الثلاثة من المبانى ،كلا على حدة فنتكلم من النوع الثالث عن الصيغة و دورها فى الصرف و من النوع الثانى عن اللواصق و من النوع الثالث عن الزوائد .

الصيغة

ذكرنا منذ قليل أن الصيغ الصرفية مبان فرعية وأن أصولها هي المباني التقسيمية الثلاثة : الاسم والصفة والفعل دون غيرها من أقسام الكلام فلا صيغة للضمير ولا للخوالف في عمومها ولا للظروف ولا الأدوات الأصلية . وكذلك أوضحنا من قبل أن للأسهاء صيغا وللصفات غيرها وللأفعال صيغ تختلف عن هذين النوعين . ولقد أوردنا في صيغ الأسهاء الثلاثية قول ابن مالك(١) :

واكسر وزد تسكين ثانيه تعم لقصدهم تخصيص فيعثل بفُعيل وغير آخر الثلاثى افتح وضم وفيعُـلُ أهمل والعكس يقل

الالفية ٠

فإذا اتفق الاسم مع الصفة في واحدة من هذه الصيغ أرجعنا المثال إلى المحدول التصريفي فإذا اشتمل تصريف المادة على صيغ خاصة بالأفعال فالمثال صفة وإذا لم يشتمل فالمثال اسم . والحمامي والسدامي من الأمهاء ذوا صيغ مشهورة لا تشاركهما فيها الصفات ، أما المصادر من الأمهاء وأمهاء الزمان والمكان والآلة فصيغها محددة أنضاء وارجع في ذلك إلى باب أبنية المصادر في أنفية ابن مالك وهويبدأ بقوله :

نحو الجهات والمقدادير وما صيغ من الفعل كمرمى من رمى وشرط كون ذا مقيدا أن يقع ظرفا لما في أصله معه اجتمع أما ما زاد على الثلاثة من الأسماء فقد حصره ابن مالك بقوله:

لا م عبدرد رباخ فرَمُلْمَلُ وفِيعَلِلُ وفِيعَلَلَ وفَيعَلَلَ وفَعَلَلَ وفَعَلَلَ وفَعَلَلَ وفَعَلَلَ وفَعَلَلَ ومع فيعَلَلَ حوى فتعلَلَلِلاً ومع فيعَلَلَ حوى فتعلَلَلِلاً كذا فيُعَلَلُ وفيعِنْسَلُ وما غاير الزيد أو النقص انتمى كذا فيُعَلَّلُ وفيعِنْسَلُ وما غاير الزيد أو النقص انتمى

وللصفة أيضًا صبغ محفوظة محددة المعالم تدل كل صبغة مها على معنى وظيني خاص كالفاعل والمفعول والمبالغة الخ. وفي ألفية ابن مالك أيضًا باب خاص بأبنية أسهاء الفاعلين والمفعولين والصفات المشبهة بها يبدأ بقوله:

كفاعل صغ اسم فاعل إذا من ذى ثلاثة يكون كغذا وباب خاص بعلاقات واحدة بذاتها من هذه الصفات المشبهة وهى المشبهة باسم الفاعل بحصوصها يقول فيه :

وصوغها من لازم لحاضر كطاهر القلب جميل الظاهر

ويقول في صيغ المبالغة :

فعال او مفعال أو فعول فى كثرة عن فاعل بديل فتستحق ماله من عملٍ وفى فعيل قل ذا وفسعيل ويسوفا بابا خاصا بمبنى التفضيل يبدأ بقوله:

صغ من مصوغ منه للتعجب أفعل للتفضيل وأب اللذأبي و وللأفعال أيصا صبغ خاصة ما كان منها ثلاثيا أو فوف الثلاثة فللثلاثي منة أبواب للصيغ هي :

يسحب	مبحب	مثل	يفعك	۱ – فَعَلَ
يضرب	خرب	. 1	يفعيل	r - Y
ينصر	نصر	•	يفعكل	• - 4
يسمع	صبمع	Þ	يفعـكَل	٤ – فَعَيِل
يحسب	حسب	•	يفعيل	, 0
یکُرم	کر م	1	يفعيل	٦ – فَعَلُ

وللرباعي(١) سبع صيغ أحصاها الصرفيون على النحو الآتى :

شريتف	مثل	ه ـ فَعَيْلُ	مثل جَلُسِبَ	١ – فَعَمْلُلَ
سكسي	•.	٦ - فَعَلَى	أ جَـوْرَبَ	۲ – فرعتل
قلنس	¥	٧ ؎ فَتَعَسْنَلَ	و رَهُوكَ	٣ ــ فَتَعُولَ َ
			و بسطر	٤ - فيعلَ

وقد يزاد الثلاثى بواسطة لواصق وزوائد ندل على معان صرفية معينة منها:

المعرة تسبق فاء الكلمة كأكرم ومعناها الغالب التعدية والصيرورة.
 الألف بن الفاء والعين كقاتل و المشاركة والموالاه.
 تضعيف عين الثلاثي مثل كرم ومعناها الغالب التعدية والإزالة.
 النون الساكنة قبل الفاء مثل انكسر ومعناها و المطاوعة.

⁽۱) للمؤلف في كتاب مناهج البحث في اللغة رأى في الصيغ الرباعية يرد به على الصرفيني فلينظر في ذلك الكتاب •

ومعنادا الغالب الاتخاذ والاضطراب. التاء بين الفاءوالعين مثل اجتمع و الألوان والعيوب. ٦ _ تضعيف اللام ٧ – التاء قبل الفاء مع { مثل تعلم المطاوعة والاتخاذ . تضعيف العين الناء قبل الفاء مع الناء
 الأنف بعدها المطاوعة والمشاركة . ۹ للمينوالتاء قبل فاء { مثل استخرج الكلمة الطلب والصيروره. ۱۰ تکرارالعین مع توسط المثل المحدودن الواو بین شطریها صار دا كذا ۱۲ ـــ زيادةواومشد دةبين} مثل اجلوذ العين واللام وقد يزاد الرباعي أيضِا بواسطة لواصق وزيادات أيؤدى معانى صرفية مختلفة عما يؤديه منها الرباعي المحرد و ذلك كما يأتى : ١ - زيادة التاء في أول فَعَلْلَلَ تَـَفُّـعُمَّاكُلُّ نحو تدحرج ٧ - زيادة النون بن العين واللام معراسكان الفاء المكزرة الأصلية افعنلل وتحريك العين ٣ ـــ تضعيف اللام الأخيرة من افعلل آ ٤ - زيادة التاء في أول فَعَمْلُكَ

تَفَعَلْكُ وَ

فتصير

• - زيادة التاء في أول فيَعمُولَ فتصير تَفَعُولَ نحو ترهوك ۲ - د د د د نسمل فتصبر تَفَيَعْلَ و تشيطن ٧ -- ١٠ ه ١٥ ه فوعل تَفَوَّعَلَ ، تجورب ۸ سه د د د فَعَلَى َ فتصير تَفَعُلُيَ ۹ - د د د مقامل فتصير تمـَفْعـَلَ وتمسكن

ويلحق بهذه الصيغ وزنان آخران هما :

افعنلل -1. نحو. اقعنسىر واللام هنا زائدلاأصلية

افعنلي

على أننا يمكن أن ننظر إلى الأمر من زاوية أخرى نتناول بها المعانى الصرفية الشهيرة وما يرصده الصرف لكل منها من المبانى التي تشتمل داخل كل مادة على جميع ما تصرف من هذه المادة كالمصدر بأنواعه والميميات . والصفات من الأفعال فكل هذه التصريفات يفترض فيها أن تفيد هذا المعنى كلُّ من زاويته الخاصة فالمصدر يفيد المعنى من زاوية الحدث والميميات تفيد المعنى نفسه من زاوية مكانه أو زمانه أو آلته والصفات تفيده هو أيضا من زاوية دلالها على موصوف بالحدث والأفعال تفيده من زاوية الاقتران بين زمنه وحدثه ونكن القسط المشترك بين هذه التصريفات جميعا أنها تشتمل على حروف بعينها مرنبة في جميعها ترتيبا موحدا فتتفق في هذه الحروف وفى ترتيبها وفى الأصلى والزائد مها وسنورد هنا أشهر المعانى الصم فية وما بمكن أن يوضع بإزاء كل منها من الصيغ مكتفين في كل صيغة بإيراد صورة الفعل الماضي المسند إلى المفرد الغائب وستتكفل خيال القارىء بتصور بقية تصريفات المادة :

Hao	। प्रति वर	مصادفة الشق م	Itakir	التدارك	الصيرورة	18.315	اختصــار	حكاية الشيء	131-(5)	وة العيب	- Land (15/2) 14
	نغم		, -	ناعل	<u>. ج</u> . ه	<u>.</u>	-	. <u>.</u>	ئم نفع	<u>.</u>	بنع
ilak'i	نکر	, - 1	اخلس	<u>خ</u>	٠,3	-76	,	<u>ئ</u>	بار بار	- \$	ر عن
يل.	افتط	استفعل		<u>.</u>	استفعل	نع	·	استغط	نفاعل	امنغط	<u>، ع</u>
الىلامة السلامة	اعتل	73.33	بم	اجتعع	استحجر	ا اور		المراخي	_		
<u>-</u> Ti-5	<u>.</u> ج			نفاعل 					- "	·	
laks:	٠٠			.A					••. •		· ·
IT'S	نفاعل	i				-					
14X3	باعد با			<u>.</u>			•				
<u>-</u> Ti	نغ								, 		
- X-3	الم						<u> </u>	-			
ان ملاحظان											

.

مدر ورة الذي و النورة النورة في مي ورة الذي مي ورة النورة في مي ورة النورة الاستحقاق المورية في النورية والنورية والنور		- G:									
المعى	النبي	العلانة	الذي	lak ve	الزي	Takes	ik.	العلامة	المذي	الملامة	ملاحظات

المدنى الماردة المنبي المنادة المنبي الماردة المنبي الماردة المنبي المنادة الم	على صفة	-	-										
المادية المني الملادة المني المنتفر ا		·			·						·	·	
البني الملامة المني المني الملامة الم	الطاب	<u></u>	1										
البني الملامة المني المني الملامة المني المني الملامة المني الملامة المني الملامة المني الملامة المني الملامة الملامة المني الملامة الملامة الملامة المني الملامة ا	التظا هو	Ç.	3							<u> </u>	·		
المن الملامة المني المناز المستر الم	<u>ا</u> ن نون ا		يني									 .	
المن الملامة المني المناب الم	التكلف	نهمن	in the					<u>.</u>					· ·
المن الملامة المني اعتلى المناي المن	قوة اللون	ξ.	1							,, <u>, , , , , , , , , , , , , , , , , , </u>			
المن الملامة المني المناد المنتاد المناد المنتاد المناد ا	G .		<u>. تا</u>	,				, 				<u>.</u>	
المن المن المن المن المن المن المن المن			عنلو										<u> </u>
	الاجهاد في الطلب	ننعل	<u>.</u>	-					`	•		· ·	-
المن العلامة المني العلامة المني العلامة المني العلامة المني													
	Gill	الزي	العلامة	<u>ě:</u>	- Kr	<u>ė.</u>	الملاءة	<u>6.</u>	[] X ??	المبق	العلامة	الإحظان	·

فهل يمكن بعد هذا أن ننظر إلى المبنى هنا (فى كلما أور دناه من المبانى ذات المعانى) على أنه الصيغة بأكملها (الأصول والزوائد) فيكون المبنى فرعاً على مبانى التقسيم كما ذكر ناأو أن نعتبر الأصول الثلاثة (فاء الكلمة وعينها ولامها) لا دخل لها فى اختلاف المعنى (لانفق وجودها فى جميع المبانى) وبذا يكون المعنى للزوائد من دونها ومن ثم يكون هذا المبنى فرعاً على مبانى التصريف أو العلاقات؟ إن كلا الاعتبارين ممكن وإن الصرفيين قد آثروا أن ينسبوا المعانى مرة إلى الصيغ ومرة أخرى إلى ما سموه ، حروف الزيادة ، وصارمن الممكن لم فى الحالتين أن يعبر واعن حقائق المبانى الصرفية دون قصور . أما نحن فلاعتبارات علية نفضل أن ننسب الطلب أو الصير ورة إلى الاستفعال كله لا إلى السين والناء والمطاوعة إلى الانفعال كله لا إلى السين والناء والمطاوعة إلى الانفعال كله لا إلى النون الساكنة وبذلك نكون قد وصلنا لم قرار بشأن المبنى الدال على كل واحد من هذه المعانى الصرفية فاعتبر نا مبنى الصيغة فرعاً على مبانى التقسيم : وهى الاسم (وتحته صيغ) والصفة (وتحته صيغ) والفعل (وتحته صيغ أيضاً) .

عند هذا الحد نود أن نفرق بين أمرين أرى أن التفريق بينهما هام المغاية لقد عرفنا الآن أن الصيغة جزء من التحليل الصرق وأنها باعتبارها مبى صرفياً لابد من النظر إليها على أنها تلخيص شكلى لجمهرة من العلامات لا حصر لها ترد على ألسنة المتكلمين باللغة القصحي كل يوم بل في كل ثانية من دقيقة من ساعة من يوم والناس ينطقون العلامات ولا ينطقون هذه التلخيصات الشكلية والعلامات التي ترد في النطق قد تخضعها ظروف القواعد التي تحكم تأليف الأصوات وتجاورها في اللفظ لمغايرة بنية الصيغة مغايرة ترجع الى ظواهر الإعلال أو الإبدال أو النقل أو الحذف وهي من و الظواهر الموقعية ، التي سنتكلم عها تحت عنوانها المذكور وعندما تخضع العلامة لمغايرة بنية الصيغة لا يكون بينهما التوازي المتوقع من حيث عدد الحروف ونسق الحركات فلو أردنا والحالة هذه أن نقابل أصوانها الصحيحة بحروف صحيحة الحركات فلو أردنا والحالة هذه أن نقابل أصوانها الصحيحة بحروف صحيحة وأصوات حركانها وعللها بحركات وعلل لوصلنا إلى تصويرهيكل الكلمة تصويراً قد يختلف عن مبني الصيغة . مثال ذلك أن صيغة الأمر من باب تصويراً قد يختلف عن مبني الصيغة . مثال ذلك أن صيغة الأمر من باب تصويراً قد يختلف عن مبني الصيغة . مثال ذلك أن صيغة الأمر من باب تصويراً قد يختلف عن مبني الصيغة . مثال ذلك أن صيغة الأمر من باب ضرب (فعكل يتفعيل يصيعة على ولكننا إذا أخذنا الفعل (وق) وهومن ضرب (فعكل يتفعيل يقاهيل ولكننا إذا أخذنا الفعل (وق) وهومن

آفعال هذا الباب وأردنا أن نصوغ فعل الأمر منه على مثال (افعل) لوجدنا هذا الفعل يثول إلى (ق) فإذا أردنا أن نقابل الحرف الوحيد الموجود من هذا الفعل بنظيره في الصيغة لوجدنا أن ما يقف بإزائه من حروف الصيغة هو العين المكسورة (ع) فإذا سألنا أنفسنا من أى الصيغ هذا الفعل (ق) لقلنا دون تردد إن صيغته هي صيغة (أفنعيل) فإذا سألنا: فما بال هذه العين المكسورة تقف هنا بإزاء الفعل في صورته النهائية فإن الجواب هو أن هذه العين المكسورة تمثل « الميزان » ولا تمثل و الصيغة ».

فالتفريق بين الصيغة وهى و مبنى صرفى و وبين الميزان وهو و مبنى صوق ، تفريق بين علمى الصرف والأصوات. وقد يتفق هيكل الصيغة في صورته مع هيكل الميزان فالفعل (ضرب) صيغته (فعل) وميزانه (فعل) أيضاً ولكنهما قديختلفان كما رأينا في فعل الأمر (ق) على أن الصرفيين علقوا أمر اختلاف الصيغة والميزان في فعل الأمر (ق) على أن الصرفيين علقوا أمر اختلاف الصيغة والميزان على النقل والحذف فأبانوا ما يرد من ذلك في الميزان مع التذكير دائماً بأن بالفروق بين شكل الصيغة وشكل المثال بحيث إنهم زعوا في (قال) وهو بالفروق بين شكل الصيغة وشكل المثال بحيث إنهم زعوا في (قال) وهو ينتمى إلى صيغة فعل أنه على وزن (فكل) أيضاً وليس على وزن (فكال) للأغراض العملية للتحليل الصرف هنا على وحدة الصيغة والميزان بمُجد فتيلا بالنسبة بيان المبنى الصرف الذي ينتمى إليه المثال وأن ننوط بالميزان أمر بيان الصورة الصوقة الهائية التي آل إليها المثال ولو اتحد هذا وذاك لغاب من تحليلنا أحد هذين الأمرين الهامين ومن هنا اقترح أن التحليل الصرفي كما واعى النقل والحذف في الميزان ينبغي له أن يراعى الإعلال والإبدال أيضاً على النحو الآتى:

 الميزان	العلامة	المبنى	المعنى
استفعل	أستخرج	استفعل	الطلب
استفال	استخار	1)	'n
افعسکل	أكرم	أفعسَل	التعدية
- أفال	أقام	D	

إن المبانى الصرفية الماضية لم تتناول مبانى الضائر والخوالف والظروف والأدوات لأن ما سبق من المبانى صيغ ولا صيغ لهذه الأقسام المذكورة لأنها غير متصرفة. ومن هنا أجد من الضرورى أن أشرح طبيعة مبانى هذه الأقسام وصلها بالعلامات التى تتحقق هى بواسطها . ومفتاح الكلام فى هذا الموضوع هو فكرة العموم والحصوص أو بعبارة أخرى فكرة الإطلاق والتقبيد فضمير الرفع للمفرد المتكلم (أنا) على إطلاقه هو المبنى وأما العلاقة التى يتحقق بها هذا المبنى فى (أنا) من قولى «أنا أكتب» فلفظ (أنا) بخصوصه فى هذه الجملة علامة تتبحقق بها (أنا) على إطلاقها أى (أنا) الموصوفة فى هذه الجملة علامة تتبحقق بها (أنا) على إطلاقها أى (أنا) الموصوفة بأنها ضمير الرفع للمفرد المتكلم والمقهومة من هذا العنوان والتى لا تنطق لأنها مطلقة وتندرج تحتها ملايين العلامات . ومثل ذلك يقال فى (هيهات) على إطلاقها و (هيهات) من قول الشاعر :

د فهیهات هیهات العقیق ومن به یا

فالأولى مبنى، والثانية علامة لأنها واردة فى نص بخصوصه . ومثله أيضاً يقال فى (حيث) على اطلاقها فهى تعتبر مبنى لهذا الظرف و (حيث) التى فى قول الشاعر :

د إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم ،

وهي هنا علامة لورودها في نص بعينه . وكذلك الأمر في (من) المطلقة التي تعتبر مبنى لحرف الجر المذكور و (من) التي في قوله تعالى : ١ و من الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد هفهي بخصوصها في هذه الآية علامة تحقق بها في النطق ذلك المبنى الصرفي المذكور .

وما دامت المبانى الصرفية تعبر عن معان صرفية أو تتخذ قرائن لفظية على معان نحوية فلابد أن يكون أمن اللبس بين المبنى والمبنى غاية كبرى تحرص عليها اللغة فى صياغتها للمبانى الصرفية . ولابد لضمان أمن اللبس على المستوى الصرفى أن تقوم القيم الحلافية بدور التفريق بين المبانى من ناحية الشكل ليكون هناك فارق بين المعنى الصرفى وأخيه أوبين الباب النحوى وأخيه (وأقصد بالباب هناك فارق بين المعنى الصرفى وأخيه أوبين الباب النحوى وأخيه (وأقصد بالباب هنا المعنى النحوى كالفاعل و البه النح وقد تكون القيمة الحلافية مقابلة الحركة

بالمد أو مقابلة الإفراد بالتشديد أو مقابلة التجرد بالزيادة وهلم جرافالفرق بين (فَعَلَ) و (فَاعَلَ) بأتى عن قيمة خلافية تعود إلى الكمية هي مقابلة فتحة الفاء في فعل بالألف بعد الفاء في (فَاعَلَ) ومثل ذلك يقال عن الفرق بين (فَعَلَ) وبين (فَعَلَ) حيث تكون المقابلة بين الإفراد والتشديد . وبين (فَعَلَ) و (فعيل) المقابلة في الكمية أما بين (فعَلَ) و (استفعل) فالمقابلة بين التجرد والزيادة . وهذه المقابلات (أو القيم الحلافية بحسب فالمقابلة بين التجرد والزيادة . وهذه المقابلات (أو القيم الحلافية بحسب المتشابهات أمراً غاية في الصعوبة كالذي يحدث في النصوص التي تساق للإلغاز . وبدون هذه القيم الحلافية لا يمكن أن يقوم تحليل لغوى ولا تقسيم ولاتبويب ولاتبويب أساس إدراك جهات الشركة بين المفردات ووضع كل طائفة منها تشترك في خصائص معينة وتختلف في خصائص أخرى عن غيرها من الطوائف في قسم بعينه أو باب بعينه . فإذا كانت القيم الخلافية مناط التقسيم والتبويب وكان بعينه والتبويب مظهرالنشاط العلمي فإن استخدام القيم الخلافية يكون مناط التقسيم والتبويب مظهرالنشاط العلمي والنا استخدام القيم الخلافية يكون مناط التقسيم والتبويب مظهرالنشاط العلمي فإن استخدام القيم الخلافية يكون مناط التقسيم والتبويب مظهرالنشاط العلمي فإن استخدام القيم الخلافية يكون مناط التقسيم والتبويب وطهره .

ولكن قد يحدث أحياناً أن تنشابه صيغتان في النظام مع اختلاف معناهما فحين لا نجد اختلافاً بينهما نلجاً إلى القرائن نستبين جما معنى كل منهما . انظر مثلا إلى الأمثلة الآتية :

١ _ صيغة فاعيل: عند النظر إلى هذه الصيغة باعتبار هما مبنى غير منطوق وغير موضوع في سياق متصل بالطبع لأن السياق لا يتكون من صيغ سنري أنها صالحة لمعنيين:

(۱) اسم الفاعل من فدّ علَ و (ب) الأمر من فدّ علَ الله الله الله الكلمة المفردة و قاتل و ساكنة الآخر بالوقف فسنجدها لا تزال (وهي كلمة لاصيغة) صالحة للمعنيين جميعاً. وإذا كان الأمر كذلك فلابد أن نبحث عن القرائن التي تحدد استعال الكلمة بأحد المعنيين دون الآخر وهذه القرائن يمكن العثور عليها في مظان محتلفة منها

الجدول الإلصاقي والجدول التصريقي والجدول الإسنادي ومنها السياق فأما على مستوى الجدول الإلصاقي فإن الكلمة إذا قبلت الألف واللام فهي اسم فاعل وإذا قبلت نون النسوة فهي فعل أمر. وآما على مستوى الجدول التصريق فإذا انحازت الكلمة إلى قاتيل فهي فعل أمر وإذا انحازت إلى مقتول وقتيال وقتيل فهي اسم فاعل ، وأما على مستوى الجدول الإستادي فإذا قبلت الكلمة وقتيل فهي اسم فاعل ، وأما على مستوى الجدول الإستادي فإذا قبلت الكلمة الإسناد إلى ضهائر الحطاب فهي فعل أمر وإلا فلا . وأما النفريق بالسياق التوضحه المقابلة بين :

القاتل يقتل من قاتلك و قاتل من قاتلك

٢ – صيغة فَـمَـل : وهي صيغة صالحة للاسم المعين كبيت وللمصدر كضرب وللصفة كشهم فالمبنى على هذه الصورة لا ينصر ف إلى واحد من هذه المعانى [لا بالقرينة . وكما سقنا من قبل كلمة وقاتل و بالنسبة نصيغة (فاعيل) نسوق هنا كلمة : عدل ، فنراها صالحة للمصدر والصفة المشبهة على السواء. ومعنى ذلك أننا إذا أردنا تحديد معناها فلا بد من اللجوء إلى القرائن، وإذا بحثنا عما يقدمه الجدول الإلصاق من القرائن ما وجدنا من القرائن ما يعيننا فيه فكلا المعنيين يمكن أن يفهم من الكلمة مع إلصاق و أل ، ولاصقة التثنية وضمائر الجحر المنصلة فلابمكن للجدول الإلصاقى والحالة هذه أن يعيننا فىالكشف عن معنى الصيغة – لا بل عن معنى الكلمة . أما من ناحية الجدول التصريبي فسنرى أن أحد المعينين يسمح بلخول الكلمة في هذا الجِدول إذ تنحاز فيه لمل فريق الصفات فتكون صفة مشبهة وأما المعنى الآخر فيحول بينها وبن هذا الجدول لأن الأمناء لا تلخل الجداول التصريفية على نحو ما رأينا من قبل . وأما من حيث الجدول الإستادى فإن هذا الجدول يتأبى على هذه الكلمة في كلتا حالتيها سواء إذا كانت مصدراً أو صفة مشبهة ــ يبقى بعد ذلك أن نلجآ إلى قرينة السياق وهي كبرى القرائن اللفظية وسنرى هذا السياق يسعفنا فى التفريق ابين المعنيين على نحو ما نرى فيما يلى :

العدل أساس الملك (الكلمة تفيد المصدر) هو الحكم العدل اللطيف الخبير (الكلمة تفيد الصفة المشبهة)

٣ - صبغة المضارع المسندة إلى المخاطب وإلى الغائبة: وهذه تأتى على (تفعل) في الحالتين فأنت تسمع و هي تسمع و أنت تضرب و هي تضرب و أنت تكتب وهي تكتب ولا يعين على تحديد المعنى هنا إلا السياق و أخص ما يعيننا على تحديد المعنى هنا قرينة الربط فإذا عاد الضمير المسترعلي مخاطب فالإسناد المخاطب وإذا عاد على غائبة فالإسناد إلى غائبه .

على المثنين و المضارع المحتلف المستدالي ألف الاثنين و المضارع الحجزوم المستد إليها و الأمر المستد إليها أيضا و يتضح ذلك عند النظر فيما يأتى :

إن تقابلا تنازعا : الفعلان في الجملة صالحان للإضى والمضارع

إن تقابلافتنازعا: الأول صالح لها والثانى أمر بقرينة الفاء الجوابية ولن ولوجعلنا الفاء عاطفة لصلح الفعل بعدها للماضي

و المضارع و صار تجملة الشرط بحاجة إلى جو اب.

والذى قيل فى (تفاعلا) هنا يقال مثله فى (تفاعلوا(۱)) و (تفاعلن) و (تفعلل) و (تفعلل) و (تفعلل) و (تفعلل) و كذلك (تفاعل) و (تفعلل) كا يتضع من الجدول الآتى(٢) :

							_	
				أتقاتل	ن	1	تقاتلت	បាំ
				ننقاتل	*		تقاتلنا	نيحن
(۱) تقاتل	اأزيادة	تاء	منف	تقاتل (م	1	(v)	تقاتلت	أنت
(۲) تفاتلي	b	•	,	تقاتلى	•	(٢)	تقاتلت	أنت
(٣) تقاتلا	•	•	1	تقاتلا	1	(٣)	تقاتلها	أنها
(٤) تقاتلوا	•	•	•	تقاتلوا	,	(\(\xi\)	تقاتلتم	أنتم
(ه) تقاتلن	*	•	•	تقاتلن	ı	(°)	تقاتلن	أنس
				يتفاتل	1.		تقاتل	هو
•	1	ı	•	ثقاتل)	(v)	تقاتلت	هی

 ⁽۱) قال الزمخشری فی تفسیر قوله تمال : و قالوا تقاسموا بالله و ان تقاسموا یعتمل
 الامر والخبر على معنی الحال باضمار قد آی قالوا متقاسمین .

⁽۲) کل الأمثلة التی تحمل رقما بسینه تحمل وجه شبه فیما بینها ، والمضارع فی کل ذلك على حذف احدی التاءین کما فی د ولا تنازعوا ۲ ۰۰

ها (مذكر) (٣) تقاتلا إن يتقاتلا	
ها (مؤنث) تقاتلتا (٣) و تدَقاتلا بحد ف تاء الزيادة	
هم (٤) تقاتلوا ويتقاتلوا	
 من (٥) تقاتلن (۵) تقاتلن 	
فني هذا الجلول خمس حالات من التشابه ويرىمثلها في الجدول الآتي :	
_	
، حریت این موین -	
و المرين المرين المع الحديث الريادة (١) مزين	
ر ای ترین در	
•	
هو تزین اینزین هی تزینت (۱) د تنزین د د د	
هما (مذکر) (۳) تزینگا و پنزینا ا	
هما(مؤنث) تزينتا (۳) تتزينا و و	
هم ' (٤) تزينوا ، يتزينوا	
 (۵) تزیتن الم یتزین 	
• رح كذلك نستطيع تأمل العبارات التالية: ممر ندارة تروي المروية العبارات التالية :	
نحن نخطب قعود اأووقوفا مصدر قعدووقف أوجمع قاعد وواقف	
نحن نخطب قياما أوجلوسا مصدر قام وجلس أو جمع قائم وجالس نحد نزيد الله المساد ال	
نحن نُريد حلولا مصدر حَلَّ يَحيلُ أو جمع حَلَّ نحن نذا حذ ا	
محن ننشد حضور آ مصدر حضر أو جمع حاضر	
وفى هذه الحالة بالذات لانستطيع حتى بمعونة هذا السياق أن نصل إلى معنى	ì
الكلمة بل الصيغة ومنهنا يصبح الرجوع إلى المقام و دو منبع القرائن الحالية	!
امراً لا عنى عنه فبالمقام نعلم ما إذا كانت هذه الكلمات مصادر أو جموعا .	}
	▶

هنا أو د أن أشير إلى أن الصيغة الصرفية هي وسيلة التوليد والارتجال في اللغة ، فإذا أر دنا أن نضيف إلى اللغة كلمة جديدة عن أحد هذين الطريقين فإننا ننظر فيها لدينا من صيغ صرفية وفيها تدل عليه كل صيغة من المعانى ، ثم نقيس المعنى الذي نريد التعبير عنه على المعانى التى تدل عليها الصيغ فإذا صادفنا الصيغة المرادة صغنا الكلمة الجديدة على غرارها توليداً أو ارتجالا ، ولما كانت الأسهاء والصفات والأذهال هي وحدها صاحبة الصيغ الصرفية كانت هي أيضا مجال التوليد . أما الضهائر والحوالف والظروف والأدوات فلا توليد فيها لأن بناءها لا يكون على مثال الصيغ الصرفية ولأن معانيها وظيفية ومحدودة ومقصورة على السماع في الوقت نفسه ، ولا تتطلب المعديد من المعانى المعجمية ، اللغة الجديد من المعانى الموخية والخروف فلا يكون إثراء اللغة بإضافة الجديد من الضائر والخوالف والظروف فلا يوجد فيها فعلاوا نما يكون بإضافة الأسهاء والصفات والأفعال والأدوات إلى ما يوجد فيها فعلاوا نما يكون بإضافة الأسهاء والصفات والأفعال فات الصيغ لأن الصيغ هي مجال التوليد والارتجال كما ذكرنا .

ومعنى ما تقدم أن العناصر القابلة للتحول والتطور في اللغة هي المفردات الصيغ (أي العناصر ذات الصيغ الاشتقاقية) وأن العناصر الآخرى التي لاتخضع للصياعة الاشتقاقية إنما هي مبان تنتمي إلى نظام اللغة فمعانيها وظيفية وصورها محفوظة مسموعة . فتطور اللغة دائما يأتي عن طريق المفردات تعريبا أو توليدا أو ارتجالا أو ترجمة ولا يأتي عن طريقة إضافة حروف أو ظروف أو ضهائر جديدة إلى اللغة . ولا يأتي كذلك عن طريق إضافة الضافة صيغ صرفية جديدة إلى النظام الصرفي للغة الفصحي لأن هذه الصيغ أيضا محددة وقد أحصينا معظمها منذ قليل ، فهل معنى هذا إذا أننا إذا أر دنا إثراء اللغة عن طريق إضافة صيغ جديدة كنا كن يكلف الأشياء ضد طباعها ؟ إذا كان السؤال متجها إلى العرف اللغوى العام فالحواب نعم ، أما إذا كان متجها إلى العرف اللغوى العام فالحواب نعم ، أما إذا كان متجها إلى العرف اللغوى العام فالحواب نعم ، أما إذا

لقد استطاع الناس دائما أن يخلقوا اللغات لأنفسهم وأشهر ما نعرفه من للك اللغات السرية بين اللصوص والماسونيين والجواسيس وغير السرية مثل لغة الرياضة و الحبر منها بصفة خاصة و لغة الاسبر انتو التى يرادبها أن تكون عالمية و أن تقضى على الحواجز اللغوية بين الإنسان و الإنسان على مستوى العالم كله . ولكن الاسبر انتولا تزال لغة خاصة ، وكذلك اللغات المهنية والسرية أيضاء و أشهر لغات العرف الحاص فى عالمنا المعاصر هى لغة المصطلحات العلمية وهى تتراوح بين الرمز الحبرى مجهول المعنى فلا يوصل إلى معناه الا بنتيجة المعادلة و بين المصطلح العلمي المحول عن معناه العرفى العام (لغة ") إلى المعنى العرفى الحاص (اصطلاحاً) . ولغة العلم من صنع العلماء و فى كل لغة حية من لغات العالم يصطلح العلماء كل يوم على الحديد من الكلمات والمصطلحات و يتفننون فى عملية الإلصاق لعناصر من لغة إلى عناصر من نغة أخرى قديمة أو حديثة حية أو ميتة .

واللغة العربية في حاجة ماسة إلى أن تبرى في حقل المصطلحات الغلمية والفنية والحضارية ولكن اللغة العربية بطبعها وذوقها وطرق صياغتها تآبى عملية الإلصاق على الطريقة الغربية وتلجأ إلى طريقة أخرى هي طريقة الاستعانة بالصيغ الصرفية ذات المعانى كما سبق أن شرحنا . ولكن الصيغ الصرقية كمار أينا منذ قليل محدودة العدد، والمعانى الصرفية العربية من مطاوعة إلى تعدية إلى طلب محدودة العدد أيضا ،والنشاط العلمي يشمل من مقولات التحول والتفاعل أكثر مما يمكن أن تعبر عنه المعانى الصرفية التي أوردنا معظمها من قبل. لابدإذاً من أن نبحث عن وسيلة جديدة لإثراء اللغة غير طريقة خلق المفردات على مثال الصيغ المناحة لأن هذه المفردات الاصطلاحية ستصل إلى حد من الكثرة (وقد وصلت الآن إلى هذا الحد تقريبا) يجعل الإضافة إليها أمرا عسيرا فيلجأ الغلماء عند إحساسهم بعسر هذا الأمر إلى التعريب الذي يتنانى في ظروف كثيرة مع ذوق اللغة العربية لأسباب كثيرة منها ما ذكرناه من أن المصطلحات الأجنبية يتم معظمها بواسطة إلصاق العناصر المختلفة بعضها ببعض والإلصاق في التسمية لايتناسب مع ذوقاللغة العربية . فما الحل إذا ؟ أعتقد أنني سأحتاج إلى الكثير من شجاعة الرأى لتحديد معالم هذا الحل .

والحل يكمن فى عبارة قصيرة : ما دام البحث عن الكلمات الجديدة على قياس الصيغ المتاحة يبدو عسيرا أحيانا فلنخلق نحن صيغنا الجديدة . لقد رأينا عند حصر صيغ الرباعى المزيد كيف ألحقنا صيغة اقعنسس بصيغة احرنجم على رغم زبادة اللام فى إحداها وأصالتها فى الأخرى ، ومعنى ذلك ببساطة أن باب الإلحاق مفتوح وسيظل مفتوحا فى اللغة العربية إذا أريد لهذه اللغة أن تحيا و تتطور ، والعرف العلمى عرف خاص لمو لغة عرفية خاصة كاللغات التى أشرنا إليها منذ قليل ، وهى لغة يصنعها العلماء العرب أنفسهم دون غيرهم وليس لهم أن ينتظروا أن يعلمهم الله الأسهاء كلها كما علم آدم فهذا الوحى (إن كان هذا التعليم قد تم جدلا عن طريق الوحى) قد انقطع ، ومن ثم أصبح على علماء العربية أن يطور وا أداة تفكيرهم وهى اللغة العربية الفصيعية العربية العرب أن يضيفوا إلى الصيغ المعربية العرفية العربة العربة عرفية خاصة . فها وسيلة ذلك ؟

ينبغى قبل التفكير فى الوسيلة أن نزعم أن حروف الزيادة فى اللغة الفصحى ليست قاصرة عند حروف (سألتمونيها) فكل حرف فى اللغة العربية صالح من الناحية العملية لأن يكون زائدا لمعنى . ولنا أن نسوق الأمثلة الآثية للتدليل على هذا الزعم :

الحاء	والمزيد	درج	ثلاثي	صلة بال	ذات	دجرج
الزای	والمزكيد	غرد	,	'n	b	زغرد
الشين	والمزيد	قلب	*	Ŋ	Ŋ	شقلب
الباء	والمزيد	ءر د	D	D	ņ	عربد

وليس واحد من هذه الحروف الأربعة المزيدة يعد فى حروف سألتمونيها. فاذا أبحنا لأنفسنا زيادة الحروف دون قيدللتعبير عن مقولات التحولات العلمية المختلفة استطعنا فى النهاية أن نخلق صيغا جديدة للثلاثى المزيد تصلح كل صيغة منها باعتبارها معنى صرفيا لأن تضم تحتها العددالكبير من العلامات أى المفردات الاصطلاحية العلمية أسهاء وصيغا وأفعالا على السواء.

والأماكن التي تزاد فيها الحروف هي ما قبل الفاء كأن يكون لدينا صيغة مثل (دَفْعَلَ) تخصص لمعني كل من المعاني العلمية تندرج تحت فرعية كأن نقول مثلا (دَسَمْخَنَ) إذا تم التسخين على طريقة تندرج تحت هذا المعني العلمي الكلي . و يمكن أن يكون الحرف الزائد بين الفاء والعين فتكون الصيغة (فدعل) أو بين العين واللام فتكون (فه لدل) أو في آخر الصيغة فتكون (فع لمدل) ولكل صورة مشتقاتها من المضارع والأمر والصفات الحيية فتكون (فع المدل و المحمس والميميات كما يكون لها مصدر و المم جرا بما تحمل فيه زيادة الدال في كل موضع جديد معني كليا جديداً . فإذا كانت الدال و حدها قادرة في كل موضع جديد معني كليا جديداً . فإذا كانت الدال و حدها قادرة حين تزاد في أماكن مختلفة أن توجدالآلاف المؤلفة من المصطلحات الحديدة من إمكانات . لأن كل صيغة من الصيغ الجديدة تحمل في طيها طاقة خلق من إمكانات . لأن كل صيغة من الصيغ الجديدة تحمل في طيها طاقة خلق مفردات لا حصر لها .

إن الصيغة باعتبارها مبنى صرفيامن الارتباط بحقائق التحليل اللغوى ما يمكنها هي بذاتها قبل أمثلتها أن تدخل جميع أنواع الجلول سواء ما كان الصاقيا وما كان تصريفيا وما كان إسناديا . فإذا أخذنا صيغة و مفعول مثلا فإننا نستطيع مع فهمنا إياها كما يفهم المبنى لا كما يفهم المثال أن نلصق يها كل ما يمكن إلصاقه بكلمة و مضروب و أو « مقتول » و أن نفهم العلاقة بينها وبين بقية صيغ الصفات مثل و فاعل » و « فعول » و «فعيل » و وفعيل » كما نفهم العلاقة بين «مقتول » و بين «قاتل » و «قتول » و «قتبل » و وقتيال » كما نفهم العلاقة بين «مقتول » و بين «قاتل » و وقتول » و «قتبل العلاقة بين «مقتول » و بين «قاتل » و وقتول » و «قتبل العلاقة بين «مقتول » و بين «قاتل » و مقتول » و مقتول المناه فلاحصر لها . المتخدام الأمثلة و هذه هي القيمة الخقيقية لاعتبار المبني في التحليل اللغوى لأن المباني محدودة العدد مهلة التناول أما العلامات أي الأمثلة فلاحصر لها .

ويتضح ذلك بصورة أفضل إذا عرفناأن الصيغة وهي مطلقة بمكن أن تلخل في الجدول الإسنادي كما يلخل الفعل بخصوصه ويمكن أن نمثل لذلك بما يأتى :

الضمير	الماضئ	المضارع	الأمو
UI	فاعلت	أفاعيل	
ن≥ن	فاعلنا	نفاعل	
أنت	فاعلت	تفاعل	فاعل
أنت	فاعلت	تفاعلين	فاعلى
أنها	فاعليا	تفاعلان	فاعلا
أنم	فاعلتم	تفاعلون	فاعلوا
٦ - أ نتن	فإعلىن	تفاعلن	فاعلن
	فاعل	يفاعل	
هئ	فاعلت	تفاعل	
ها (مذکر)	فاعلا	يفاعلان	
هما (مؤنث)	فاعلتا	تفاعلان	
	فاعلوا	يفاعلون	
۲ هن	فاعلن	يفاعلن	

و هكذا نصل إلى حقائق التحليل الإسنادى من صيغة وفاعل و دن أن نصطر إلى التماسما في أى فعل بذاته مثل و قاتل و هذه حكما قلت - هي القيمة الحقيقية لاستخدام المبانى دون الأمثلة في التحليل الصرفي فذلك أفضل بسبب قلة المبانى و كثرة الأمثلة . فنحن نستطيع أن نتعلم من وضع الصيغة مكذا في توزيع الجلول عدة معان صرفية منها :

۱ _ الفعلية . ۲ _ الزمن ·

٣ _ التجرد أو الزيادة . ٤ _ كون الكلمة رباعية أو ثلاثية .

التكلم أو الخطاب أو الغيبة . ٦ – الإفراد أو التثنية أو الجمع .

٧ _ التذكير أو التأنيث . ٨ _ الإعراب أو البناء .

كما يمكن أن نتملم طريقة الإلصاق ونوع اللواصق المختلفة. كل ذلك من الصيغة على إطلاقها دون الاضطرار إن خصوص أمثلها . ولكن استخدام الصيغة دون المثال سيقف بنا عند فهم المعانى الوظيفية التى سجلناها منذ لحظة فلا يمكننا من فهم أى معنى معجمي لأن المعانى المعجمية يمكن استخراجها من الأمثلة فقط ولا يمكن استخراجها من المبانى على إطلاقها مهما فصلنا القول في إلصاقها و تصريفها وإسنادها.

الالصاق

هناك عدة معان صرفية عامة تؤدى بواسطة اللواصق و هذه المعانى منها:

الشخص (التكلم والخطاب والغيبة)
 العدد (الإفراد والتثنية والجمع)
 النوع (التذكير والتأنيث)
 النوع (التعريف والتنكير)
 التعيين (التعريف والتنكير)
 المضارعة ، ت ـ التوكيد ، ب ـ النسب .

فآما الشخص فتعبر عنه ضهائر الرفع المتصلة في الفعل الماضي وحروف المضارعة في المضارع وأما فعل الأمر فجميعه الشخص واحد هو المخاطب مع اختلاف في العدد والنوع فلا حاجة بالأمر إلى لواصق لبيان الشخص ومع الاعتراف الكامل لضهائر الرفع المتصلة بصلاحيتها للدلالة على معانى الضهائر أرى أنها لم تسق هنا لتكون ضهائر مستقلة الدلالة كالضهائر المنفصلة وإنما سيقت هنا لتكون لواصق ووسائل من وسائل بيان الشخص لينتفع بهذا البيان في تحديد القرائن اللفظية كالمطابقة والربط بعود الضمير وأظن النحاة كانوا يفهمون هذا من طبيعة هذه اللواصق، ولذلك معود الخنف على تقدير السعوة حذفا لأن الاستتار على تقدير الوجو دو الحذف على تقدير امن ضمان توفير القرائن التي تدل على المعنى ، ولو قالوا بحذفها لكانت هي نفسها عدمه فهم قالوا بوجو دها محتفية لتكون المطابقة والربط بها مكفولين إذ لابد من ضمان توفير القرائن التي تدل على المعنى ، ولو قالوا بحذفها لكانت هي نفسها في حال الحذف بحاجة إلى قرينة تدل عليها إذ لا حذف بدون قرينة . في حال الحذف بحاجة إلى قرينة تدل عليها إذ لا حذف بدون قرينة . وأما حرو ف المضارعة فإن دلالتها معينة بالنسبة للهمزة والنون قالهمزة تعين المتكلم والنون تعين المتكلمين أما التاء فإن لم يشار كها غيرها عند الحطاب المتكلم والنون تعين المتكلمين أما التاء فإن لم يشار كها غيرها عند الحطاب

فإنها هي نفسها تشارك الباء. في الغيبة و بذا تصبح الباء أقوى على تعيين الغائب من الناء على تعيين لمخاطب .

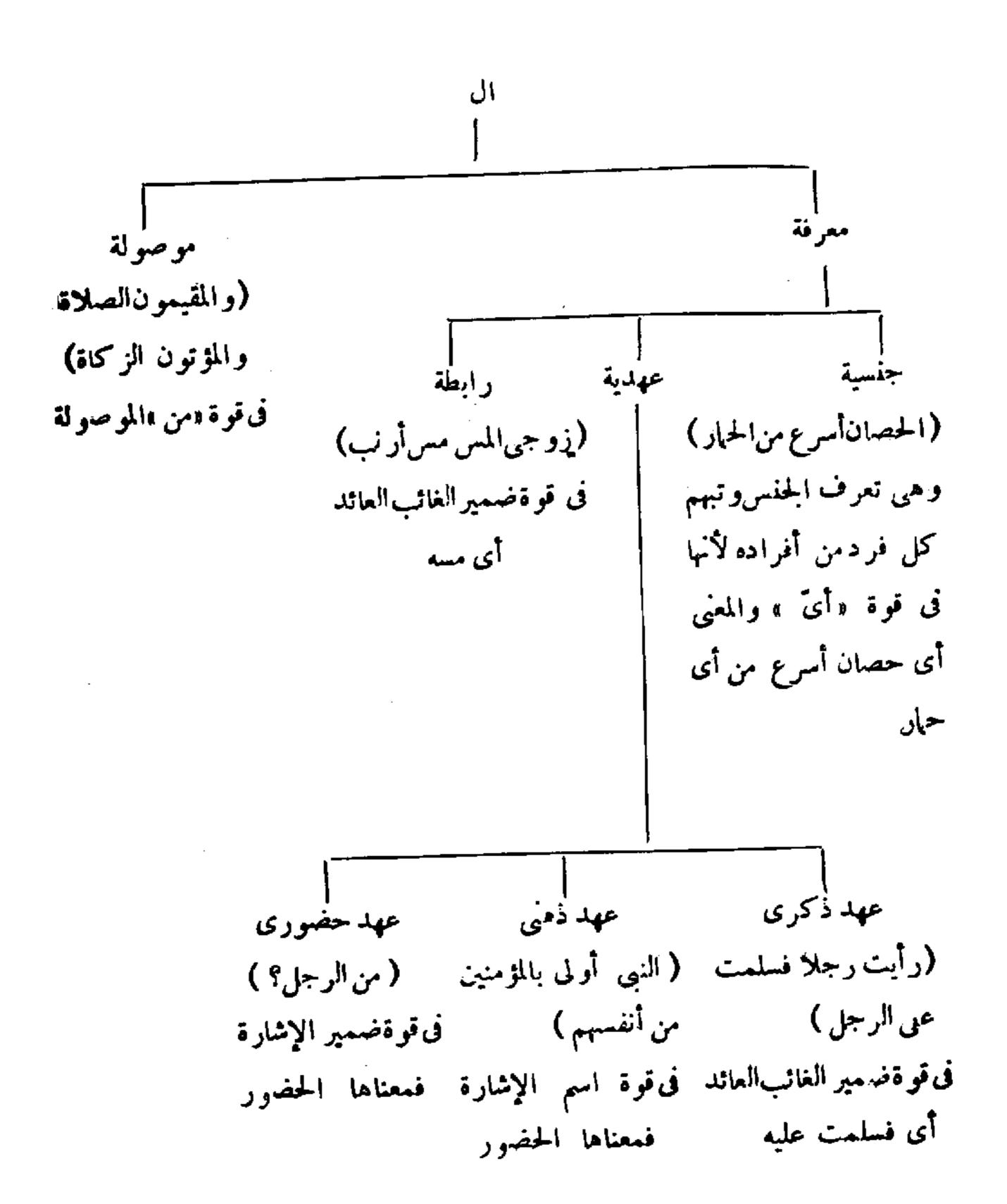
وأما العدد فيدل عليه بالضهائر في الأفعال وباللواصق الحرفية في الصفات والأسهاء فأما مع الماضي فإن الدلالة على العدد تتضح داخل المتكلم من الفرق بين التاء المضمومة للمتكلم الواحدوضمير المتكلمين (نا) وفي داخل الخطاب تتضح من الفرق بين ت ، وتُما ، وتُم وفي الغية من الفرق بين الاستتار وبين ألف الاثنين وواو الجاعة ، وأما في المضارع والأمر فإن فروق العدد تتضح في مقابلة الاستتار في الحطاب بألف الاثنين وواو الجاعة ، وكذلك تقع المقابلة بين ذلك في الغيبة في المضارع ،أما في التكلم في المضارع فالفهائر مسترة واذلك يتوقف تحديد العدد في التكلم على حرف المضارعة . وفي الصفات والأسهاء يعبر عن العدد بالواو والنون أو الباء والنون للجمع وبالألف والناء لجمع والنون أو الباء والنون المجمع وبالألف والناء لمعمع المؤنث حيث يمكن لهذه العلامات بالمقابلة بينها أن تدل على النوع أيضا .

و أما النوع فإنه يعبر عنه فى أفراد الأسماء بإلصاق انتاء بالمؤنث وكذلك الألف المقصورة والهمزة بعد الممدودة وبعدم ذلك للمذكر و فى الجمع بالألف و التاء للمؤنث فى مقابل علامات أخرى يعرف بها الجمع فى حالة التذكير. أما فى الأفعال فبتاء التأنيث و نون النسوة .

وأما التعيين فلا يكون إلا للأسهاء فإذا وردت أل مع الصفات فهى ضمير موصول وليست أداة تعريف ويرجع ذلك إلى طبيعة دلالة الصفة لا إلى «أل » نفسها فالصفات تدل على موصوف بالحدث فتكون ذات صلة بالحدث من نوع ما وهذه الصلة بين الصفات ومعنى الحدث توجد جهة شركة بين الصفات والأفعال من حيث تدل الأفعال على حدث وزمن ومن هنا توصف الصفات بالتعدى واللزوم ويتعلق بها الظرف والحار والحجرور كما يتعلقان بالأفعال . وهذا نفسه هو الذي يسوغ للمصلر أن يدخل في مثل هذه العلاقات السياقية .

فالفرق بين النكرة من الأسماء في حالة التنكير وبينها في حالة التعريف هو إلصاق « آل » بها في حالة التعريف .

على أن معانى « أل » تتعدد بين التعريف و الموصولية على النحو التالى:



أما التعريف كظاهرة عامة فهو أوسع من أن يقنصر على دلالة وأل » بمفردها . ويتضح ذلك مما نظمه بعض النحاة فى قوله :

إن المعارف سبعة تشنى العلل أنا صالح ذا ما الفتى ابنى يا رجل

من هذا يتضع أن أوسع اللواصق مجالاهي الضمائر المتصلة لأنها يمكن أن يستفاد منها ثلاثة معان هي الشخص والعدد والنوع ثم حروف المضارعة لأنها يستفاد منها الشخص والعدد ولواصق التثنية والجمع حيث يستفاد منها العدد والنوع أيضا ثم لواصق التأنيث وهي تفيد النوع عند مقابلتها بصيغ المذكر وتفيد العدد عند مقابلة التاء بالنون وأضيق اللواصق مجال تطبيق هي أداة النعريف.

لقد رأينا منذ قليل أن حروف المضارعة تشارك الضمائر في الدلالة على الشخص والعددو نحب أن نضيف هنا أن هذه المشاركة ذات صلة قوية جدا بتطبيق فكرة استتار الضمير . لقدرأى النحاة أن يعبروا عن الضمير المطرد الاستتار فلا يظهر أبدآ بعبارة دمستر وجوبا ﴾ وعن الضمير غير المطرد الاستتار فيظهر أحيانا بعبارة «مستترجوازاً ». فإذا أر دنا أن نفهم الفرق بين هذين النوعين من الاستتار في المضارع فإن مما يعيننا على الوصول إلى فهم صحبح لهذا الفرق هو النظر إلى العلاقة التي بين حروف المضارعة وضمائر الرفع المتصلة . فحيث تكون دلالة حرف المضارعة على الشخص مطردة بمعنى أنه لايشاركه فىالدلالة عليه حرفمضارعة آخر، فإن وجو د المضارعة يكون حاسما في الدلالة على الشخص، ومن ثم يكون استتار الضمير واجبا، فالهمزة مثلا تدل على المتكلم المفرد ومن ثم يستتر الضميروجوبا فى (أقوم) والنون تدل على المتكلمين ولا يشاركها في ذلك غيرها ومن ثم يكون استتار الضمير و اجبا في (نقوم) و ليس يبدأ المضارع في حالة الخطاب إلا بالتاء ومن ثم تدل التاء على الخطاب دلالة محددة ويستتر الضمير وجوبا في (تقوم) مسندا للمخاطب . أما في حالة الغيبة فليست الياء ولا التاء نصا

فى معناها ومن هنا كان استتار الضمير جوازا فى (يقوم – وتقوم مسندا إلى الغائبة) ومن حيث يطرد معنى الحطاب فى الأمر يستمر الضمير معه وجويا فى نحو (قم). ولست بهذا محاولا أن ألج فيها ولج فيه النحاة من التعليل الغائى ولكننى ألحأ إلى كبرى الوظائف اللغوية وهى: «أمن اللبس» لأفسر الظواهر اللغوية (صرفية كانت أو غيرها) فى ضوئها . فإذا كإنت الحاجة داعية أحيانا إلى إبراز الضمير كان استتاره جوازا وإذا لم تكن داعية فإن استتار الضمير فى هذه الحالة يكون واجبا .

أما التوكيد والنسب فلأو لهما النو نانو لثانيهما الياء « و أحكامها » مفصلة في المتون .

الزيادة

عندما تكلمت فى تفصيل الصبغ الصرفية قلنا إن الفرق بين كل صيغة مها وبين الأخرى إنما يكمن فى أمرين :

الحرف من الحركات والعلل بمعنى أن كل حرف من الحروف الأصلية يصلح من الناحية النظرية الفرضية لأن يكون مرفوعا أومنصوبا أو مجروراً أو ساكنا . وهذا المبدأ هو الذى أشار إليه ابن مالك عند كلامه في صبغ الأمهاء بقوله :

وغير آخر الثلاثى افتح وضم واكسر وزد تسكين ثانيه تعم ولكن الجزم لا يكون للأسهاء والجر لا يكون للأفعال وهذا النوع من توزيع الحركات والسكنات مسئول عن توليداأصيغ الثلاثية المختلفة .

۲ – زیادة حرف و احد أو حرفین أوثلائة فی أول الكلمة أو وسطها كالأهف التی فی (فلوعیل) و النون التی فی (انفعل) و الناء التی فی (استفعل) و هام جرا .
 و التاء التی فی (افتحل) و السین و التاء الله ین فی (استفعل) و هام جرا .
 و هذه الزیادة هی الموضوع الذی نرید مناقشته الآن .

بتكلم النحاة أحيانا عن أن معنى التاء في (افتعل) هو الافتعال ويسمونها « تاء الافتعال ، وعن أن معنى السين والتاء في (استفعل) هو الطلب مما يشير إلى أن هؤلاء يعلقون معنى ما بحروف الزيادة فيجعلون حروف الزيادة لواصق لا زوائد ولكننا نرى النحاة فى الوقت نفسه يفردون بابا خاصا يسمونه « معانى صيغ الزوائد » مع إضافة كلمة « صيغ » إلى الزوائد وبذا يجعلون المعانى الوظيفية التي هى فروع على معانى التقسيم مما تفيده الصيغ لا الزوائد. وهذا فى رأيى هو المنهج الأمثل لعلاج الموضوع لسبين :

1 — أننا لوأسندنا هذه المعانى الوظيفية إلى الزوائد نخرجنا بها عن طابع الزيادة إلى طابع الإلصاق لأن العنصر الوحيد من عناصر مادون الصيغة الذي ينفر د بالدلالة على معنى وظبني عام هو اللاصقة (١) أما الزوائد فلا يمكن أن ننسب إليها بمفر دها معانى صرفية عامة وغاية ما يمكن أن ننسبه إليها هو الدلالة على معنى الجهة في الحدث .

٧ - أن استخلاص الزائد وعزله عن الكلمة إن كان مقبو لا فى السين والتاء وفى تاء الافتعال فليس مقبو لا فى عناصر أخرى كالتضعيف والتكرار الذى يصعب معه نسبة الزيادة إلى أحد المكررين وهلم جرا ومن هنا لاتستقل هذه العناصر بمعانى مستقلة وإنما تكون جهات لفهم معنى الحدث كما ذكرنا منذ قليل . لذلك كان المهج السليم أن ننسب المعنى الوظيفى الصرفى للصيغة إلى الصيغة المزيدة كلها لا إلى زوائدها .

ولقد حدد النحاة حروف الزيادة فى اللغة العربية الفصحى بحروف السألتمونيها الوزعموا أن أى حرف من غير هذه الحروف الاينبغى أن يعد زائدا فى أى ظرف من الظروف، و دعاهم هذا إلى القول بأصالة الحروف الأربعة فى الكلمات الرباعية والحماسية التى يكون ما صلح مها للزيادة غير منم إلى تلك الحروف المعينة للزيادة . ولم يفسر النحاة لنا الصلة القائمة بين عدد من الثلاثيات وبين عدد آخر مما زاد على الثلاثة واعتبرت حروفه جميعا أصلية على حين يشترك الثلاثى و ما يقابله مما زاد على الثلاثة فى المعنى على صورة ما . انظر مثلا إلى المقابلات الآتية :

⁽١) انظر هذه الدلالة تحت عنوان والزمن والجهة، في هذا الكتاب •

دحرج	در ج	شقلب	قلب
عربد	عر د	ز غر د	غرد
بغبر	بر	فر قع	فقع
			وكذلك :

زل رق رق رق نم عسم عس عسم

أفلاتوحى هذه المقابلات بأن حروف الزيادة ليست قاصرة عند حد السالتمونيها ، وإنما بصبح كل حرف من حروف العربية صالحا للزيادة ؟ وقد عنى الصرفيون (١) في تحديد مواضع حروف الزيادة وقرائن زيادتها فعدوا من بين هذه القرائن أموراً منها :

١ - سقوط بعض الكلمة من أصلها كألف ضارب تسقط من الضرب
 و هو عندهم أصل الاشتقاق .

۲ - سقوط بعض الكلمة من فرع كسقوط نون سنبل من أسبل
 و نون حنظل من حظل . و الماضى عندهم فرع على المصدر .

٣ - لزوم خروج الكلمة على أوزان نوعها لو اعنبر الزائد فيها أصليا كنون نرجس وهندلع لعدم وجودهذه الأوزان في الرباعي المجرد.

استعمال الرباعى فى صورة الثلاثى أحيانا مع إسقاط الزائد نحو أيطل وإطل بمعنى و احد.

ازوم عدم النظير في الكلمة لو اعتبرنا الزائد أصليا مثل تتفل إذ لانظير لتتفل بفتح التاء في أوزان الكلمات المجردة في العربية .

٣ – كون الحرف الزائد دالا على معنى كهمزة التعدية .

٧ -- كونه يلزم الحكم بزيادته فى المشتقات كورنتل فالنون تعتبر
 زائدة هنا لأنها لوحلت فى كلمة مشتقة لحكم بزيادتها كجحفل من الجحفلة .

۸ – وقوعه من الكلمة فى موضع لو حل به فى المشتق لكان زائداً
 كنون حنطأو و كنتأو وسندأو فالنون زيدت فى فعل .

٩ - كون الحرف فى موضع تغلب زيادته فيه مع المشتق كهمزة أرب وأفكل لأنهما يشبهان أحمر . بهذا نعلم الفرق بين اللواصق والزوائد .

انظر شدًا المرف للحملاوي •

تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد

عند هذا الحد أو د أن أشير إلى فكرة هامة يتوقف عليها فهم طبيعة عناصر التركيب العربي وهي المبانى التي يتكون مها ويتوقف عليها فهم الإطار العام للصرف والنحو العربيين ، لقد مر بنا طوال هذا الفصل أن الصرف يتكون من نظام من المعانى التي تعبر عنها المبانى وأن هذه المبانى تتحقق بدورها بواسطة العلامات فمن المعانى والمبانى تكون اللغة ومن العلامات يكون الكلام و نضيف هنا ما سبق أن أشرنا إليه إشارة عابرة من أن النحو لا يستعمل من المبانى المعبرة عن معانيه إلاما يقدمه له الصرف من مبانى التقسيم وتحتها الصيغ ومن مبانى التصريف وتحتها اللواصق ومن مبانى القرائن وتحتها العلامات الإعرابية والرتبة و زوائد العلاقة كالهمز والتضعيف للتعدية و كأدوات العلاقات وكالنضام وأدوات الربط و هلم جرا مما يعبر عن معان نحوية صرف .

والفكرة الهامة التي أردت أن أسجلها تحت هذا العنوان أن المعانى الوظيفية التي تعبر عنها المبانى الصرفية هي بطبيعتها تتسم بالتعدد والاحمال فالمبنى الصرفي الواحد صالح لأن يعبر عن أكثر من معنى واحد مادام غير متحقق بعلامة ما في سياق ما فإذا تحقق المعنى بعلامة أصبح نصا في معنى واحد بعينه تحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحالية على السواء. ويصدق هذا الكلام على كل أنواع المبانى التي سبق ذكرها سواء في ذلك مبانى التقسيم ومنها اللواصق ومبانى القرائن، والمقصود بها ما ذكرناه منذ قليل مما يسمى القرائن اللفظية وكذلك مبانى بعض التراكيب واللك الميان :

لقد مر بنا فی شرح أقسام الكلم أن مبانی الأقسام قد تتعدد معانیها كالمصدر من الأسهاء بنوب عن الفعل نحو ضربا زیداً و یؤكد الفعل كضربته ضربا و یبین سببه كضربته تأدیبا له و ینوب عن اسم المفعول نحو « بدم كذب » و اسم الفاعل مثل أصبح ماؤكم غورا و یكون بمعنی الظرف نحو آتیك طلوع الشمس و هلم جرا و كاسمی الزمان و المكان بتعدد معناهما الوظیفی

بأن يكونا ظرفين أو داخلين في علاقة أسناد و كالأسهاء المبهمة من المقادير والأعداد والجهات والمكايبل و الموازين حين تخرج عن معنى الاسمية إلى معنى الظرفية وكالصفات تستخدم لحجر دالو صف وينوب بعضها عن بعض كما ينوب فعيل عن فاعل ومفعول وتستخدم أعلاما وتدخل في علاقات سياقية مع المنصوبات وتكون أحوالا ونعوتا وتدخل في علاقة إسنادية وهلم جرا وكالأفعال يتحول معناها إلى العلمية كيزيد ويشكر وكالضهائر تستعمل استعمال الأدوات كما في الإغراء والتحذير وتنفصل فتؤدى معنى تقسيميا كما أنها تتصل فتؤدى معنى تصريفيا بدلالتها على معانى التصريف وتكون وسيلة ربط لعودها على متقدم الفظا ورتبة وكالظروف تكون اللظرفية المحضة كانتحول إلى أدوات الشرط أو الاستفهام أو التعليل (١) وكالأدوات تكون الواحدة منها لعدد من المعاني مثل ه ما » تكون موصولة ونافية وكافة ومصدرية ظرفية واستفهامية وتعجبية وشرطية ومثل ه إن » تكون شرطية ومافية وزائدة و مخففة من الثقيلة المؤكدة وإن شئت أن تنظر في تعدد المعاني وسترى ذلك مفصلا فيه أروع تفصيل .

والصيغ أيضا صالحة لهذا التعدد والاحتمال . ويكفى أن تنظر فى معنى صيغة مثل « أفعل » لتجد أن معناها يكون المتعدية ومصادفة الشيء على صفة والسلب والإزالة وصير ورة الشيء ذاشيء والدخول فى شيء والاستحقاق والتعريض والتمكين كما أنك ستجد « فعل » للتكثير و نسبة الشيء إلى أصل الفعل والتوجه إلى الشيء و قبول الشيء و نجد كل ذلك مفصلا فى دراسة الصبغة .

وأما مبانى التصريف فاذا أخذنا التاء مثلا و جدناها مرة للتأنيث ومرة للوحدة ومرة للمبالغة وإذا نظرنا إلى الألف والنون و جدناها مرة للمثنى الحقيق ومرة للمطابقة كما تكون الألف للاثنين والنون بعدها للرفع كما تمتد

⁽١) مغلى اللبيب لابن هشام ٠

⁽٢) انظر قوله تعالى : وولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون..

تاء المضارعة على بداية عدد من الإسنادات تتجاوز المخاطب إلى بعض إسناد الغائب وهلم حرا .

وأما مبانى القرائن فيكنى أن نعلم أن الاسم المرفوع مبنى صالح لأن يكون فاعلا أو نائب فاعل أو اسها لكان أو خبرا لإن أو مبتدأ أو خبرا أو تابعا مرفوعا وأن الاسم المنصوب صالح لأن يكون أى واحد من المفعولين أو حالا أو تمييزا أو مستنى أو منادى مضافا أو منصوبا على الاختصاص أو مشتغلا عنه أو تابعا منصوبا أو منزوع الخافض كما أن رتبة الصدارة تكون لأداة الاستفهام أو الترجى أو التنى أو العرض أو التخصيص أو القسم أو التعجب وأن صيغة المصدر تكون للمفعول المطلق والمفعول لأجله والمصدر النائب عن فعله وللمبتدأ والخبر والفاعل ولكل معنى نحوى يؤدى بلاسهاء وأن المطابقة تكون لمعنى الحال والنعت الحقيقي والخبر المفرد والفعل بعد المبتدأ وأن الربط باللام يكون في جواب القسم وفي جواب الشرط بعد المبتدأ وأن الربط باللام يكون الربط بالفاء في جواب الشرط وفي خبر المناعي وفي خبر إن كما يكون الربط بالفاء في جواب الشرط وفي خبر المناعي ولى خبر إن كما يكون الربط بالفاء في جواب الشرط وفي خبر المناعي ولى خبر إن كما يكون الربط بالفاء في جواب الشرط وفي خبر المناعي ولى خبر إن كما يكون الربط بالفاء في جواب المعرط وفي خبر المتناعي ولى خبر والتضام الافتقارى يكون المبتدأ المال وصولا نحو المعطوف . يأتيني فله درهم والنواسخ والمنسوخات وإلا والمستثني وحرف العطف والمعطوف .

وهذا التعدد والاحتمال نلحظه فى مبانى الجمل . فمبنى الجملة المثبتة يكون للإثبات نحو قام محمد ويكون للدعاء نحو رحمه الله ويكون لصلة الموصول وصفة الموصوف وخبر المبتدأ وضميمة للظرف وحالا ومقولا للقول كما يكون مبنى الجملة الاستفهامية للاستفهام ولصدر جملة الشرط وللإنكار والتقرير ومقول القول وصفة على معنى التشبيه فقوله : هل رأيت الذئب قط معناه كالذئب .

فالمبنى الواحد متعدد المعنى ومحتمل كل معنى مما نسب إليه وهو خارج السياق. أما إذا تحقق المبنى بعلامة فى سياق فإن العلامة لا تفيد إلا معنى واحداً تحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحالية وهذا التعدد والاحتمال فى المعنى الوظيفى يقف بإزائه تعدد واحتمال فى المعنى المعجمي أيضا وسوف نتناول ذلك فى حينه إن شاء الله.

نقطة أخيرة نحب أن نضيفها إلى ما أسلفنا من قول فى المبنى هى أن مصطلح النحاة قد د ج عند تسمية المبنى أن يجعل معناه مضافا إليه كأن تقول تاء التأنيث أو نون التوكيد إذ المضاف إليه فيهما هو المعنى والمضاف هو المبنى وقد يجعلون المعنى هو النعت والمبنى دو المنعوت نحو ما النافية وإن المؤكدة وقد يجعلون المعنى صيغة نسبة والمبنى و صوفا بها نحوما الاستفهامية وإن الشرطية وما التعجبية .

الاشتقاق

قد تقوم بين الكلمات التي جاءت على صيغ مختلفة صلة رحم معينة قوامها اشتراك هذه الكلمات المختلفة الصيغة في أصول ثلاثة معينة فتكون فاء الكلمة وعينها ولامها فيهن واحدة . وهذه الصلة تدرس في الصرف تحت اسم «الاشتراك في المادة» . ولم يكن الاختلاف بين الصرفيين والمعجميين منصبا على تسمية الظاهرة فحسب وإنما تعدى ذلك إلى المهج وطريقة النظر . فأما الصرفيون فقد نظروا إلى المسألة من وجهة نظر المعنى الوظيفي من ناحية ثم وجهة نظر التجرد والزيادة من ناحية أخرى . فأما المعنى الوظيفي الذي تشترك فيه المشتقات جميعا فهو صلها بمعنى الحدث فهذا المعنى يوجد في أصنى صوره في المصدر ويكنى لمعرفة ذلك أن نقر أقول ابن مالك فيه :

المصدر اسم ما سوى الزمان من مدلولي الفعل كأمن من أمن فإذا كان الفعل دالا على مدلولين ها الحدث والزمن كان تعريف المصدر في نظر ابن مالك هو أنه « اسم الحدث »الذي وصف بأنه «ماسوى الزمان » . ومعنى الحدث مشترك بين جميع المشتقات ولكن كل مشتق منها يضم إلى الحدث معنى آخر كالزمن في الفعل وفاعل الحدث في صفة الفاعل ومفعول الحدث في صفة المفعول و هلم جزا . وأما المصدر فهو اسم الحدث فقط إذ لايدل على معنى آخر إلى جانب الحدث ولذلك راه البصريون أصلا فقط إذ لايدل على معنى آخر إلى جانب الحدث وأوردوا في تدعيم ذلك مناقشات للاشتقاق حين نظروا من هذه الزواية وأوردوا في تدعيم ذلك مناقشات

طويلة ليس هنا محل إيرادها . وأما وجهة النظر الكوفية فقد نظرت إلى المشكلة من ناحية التجرد والزيادة فالحجرد من بين الصيغ هو فى فهم أصحاب هذه النظرة أقرب إلى الأصالة من المزيد وقد نظروا فى صيغ الكلام فلم يجدوا أكثر تجردا من الفعل الماضى الثلاثى الحجرد المسند إلى المفرد الغائب نحو فرب ، فقالوا إن أضل المشتقات هو الفعل الماضى وأورد هؤلاء أيضا فى تدعيم نظرتهم مناقشات ضافية لا محل هنا لروابها كذلك .

تلك كانت وجهة النظر الصرفية إلى المسألة وهي وجهة نظر تجعل بعض الصيغ أصلا وتجعل الصيغ الأخرى فروعا عليه وتفترض أن كل مادة من مواد اللغة بدأت في صورة المصدر أو في صورة الفعل الماضي ثم عكف الناس عليها يشتقون منها ويفرعون عليها حتى تصل اللغة إلى مرحلة تستنفد فيها حاجتها إلى المزيد من مشتقات هذه المادة أو تتوقف عن الاشتقاق لأنها فرغت من الصياغة على مثال كل المبانى الصرفية الممكنة . وليس شيء أبعد من طبيعة نشأة اللغة وتطورها من هذا الافتراض ، والمعروف أن بعض المواد يتسع لعدد من الصيغ الاشتقاقية أكثر مما يتسع البعض الآخر،أو بعبارة أخرى قد توجد صيغة مستعملة في مادة ومهجورة في مادة أخرى فصيغة أخرى فعيغة وقعل » توجد من مادة « و ق ع » ولا توجد من مادة « و د ع » وقد تتحقق المطاوعة من « كسر » بصيغة « انفعل » ولا تتحقق بهذه وقد تتحقق المطاوعة من « كسر » بصيغة « انفعل » ولا تتحقق بهذه وقد ت على المرتين « و دع »

والواقع أن الصعوبات تقوم فعلا دون الاقتناع برأى البصريين أو برأى الكوفيين على حد سواء . فأما للرد على البصريين فأنا أسألهم عن «كان » الناقصة (وهي عندهم فعل) ألها مصدرا أم لا مصدر لها . إن مذهبهم يقول إن كان الناقصة لامصدر لها ومع ذلك يعتبرونها مشتقة فها أصل اشتقاقها ؟ وأما للرد على الكوفيين فان «يدع » و «يذر » فى رأيهم لا ماضى لها وهامشتقان على رغم ذلك فها أصل اشتقاقهما إذا ؟ .

أما المعجميون فليسك لعبتهم الصيغ لأن هذه الصيغ قد تتحقق بكلمات وقد تظل احتمالا نظريا صالحا للتحقق بصياغة الكلمة المناسبة على مثالها عند الحاجة إليها . لا ! إن لعبة المعجميين هي الكلمات نفسها لاصيغها مع أنهم في منهج تناولهم للكلمات لا يغفلون الهوية الصرفية للكلمة كما سنرى ذلك بعد قليل عند الكلام عن المعجم . حقا إن بعض الكلمات التي أصبحت عربية بالتعريب قد لا تكون مناسبة لإحدى صيغ الصرف العربي كما في كلمة وأرثماطيقا » مثلا أو كلمة واسطرلاب » ومع ذلك يور دها المعجم أو ينبغي له أن يور دها) بين كلماته دون نظر إلى مناسبتها للصيغ الصرفية العربية .

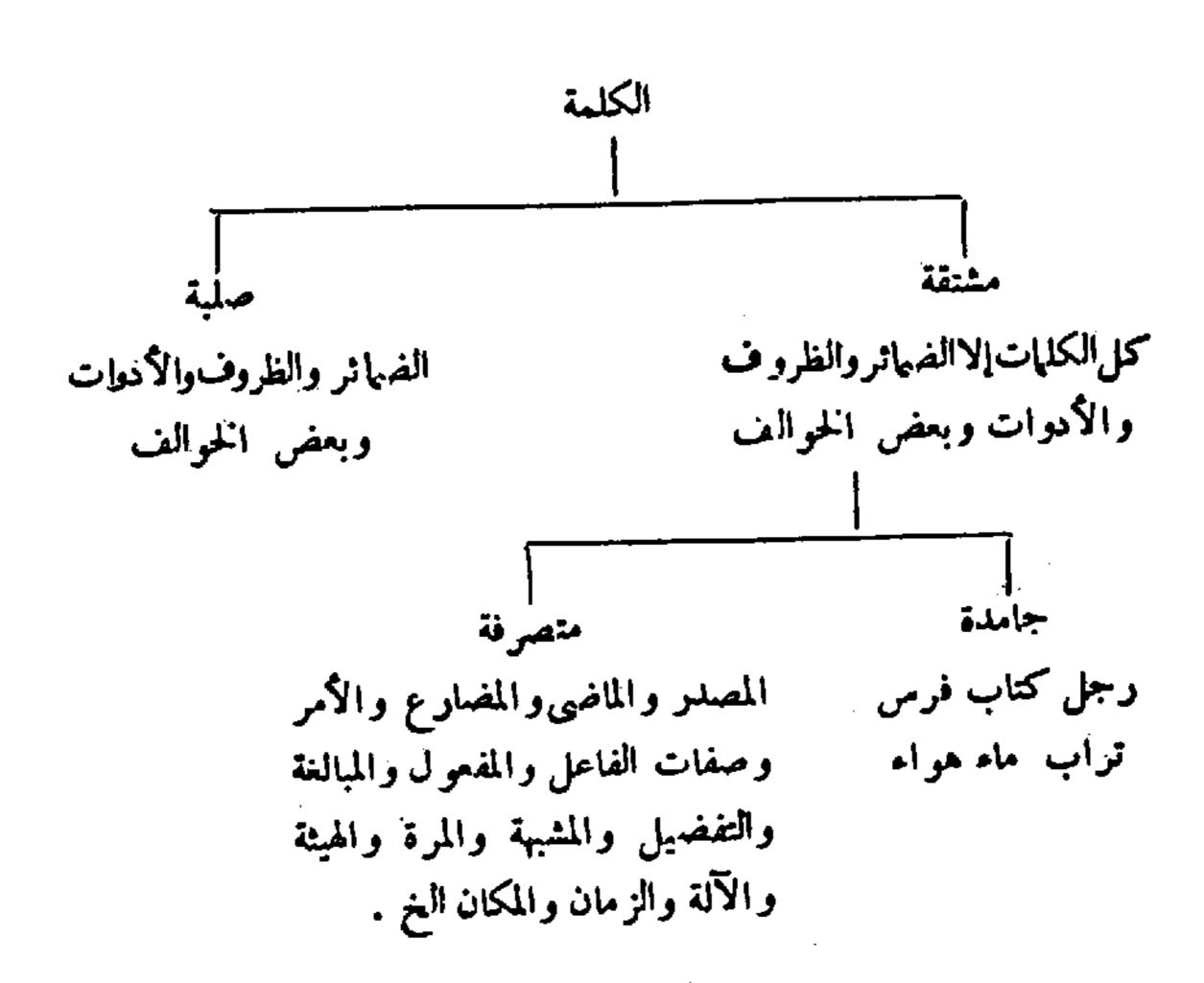
وعندما يعبر المعجميون عن صلة الرحم بين الكلمات لايقنعون بالمبانى الصرفية التى ظهر وجه قصورها عن الوفاء بمطالب المعجم وإن يلجئون إلى وسيلة أخرى تتصل بروابط الكلمات لا بتنوع الصيغ أوبعبارة أخرى تتصل بالمتن لا بالمبنية وهذه الوسيلة هى أصول المادة يجملونها رحما تربط بالقرابة أفراد أسرة واحدة و يجملون حروف المادة مدخلا إلى شرح معانى هذه الكلمات المفردات. ولكنهم لا ينسبون إلى حروف المادة معنى معينا بل إنهم يعترفون بإمكان تعدد المعانى بين الكلمات التى تشترك في هذه الأصول كالحل والحلول تتفق مادة وتختلف معنى. والذي نحب أن نشير إليه هنا و نؤكد ضرورة اعتباره عند التفكير في هذه المسألة أن المعجميين لم يروا في الأصول الثلاثة أكثر من ملخص علاقة أو رحم قربي المعجميين لم يروا في الأصول الثلاثة أكثر من ملخص علاقة أو رحم قربي عندهم في معاجمهم أن يفصلوا في الكتابة بين أصول المادة حتى لاتفهم عندهم في معاجمهم أن يفصلوا في الكتابة بين أصول المادة حتى لاتفهم منها كلمة ما.

على أن أحد الصرفيين (ابن حنى) كان عند كلامه عن الاشتقاق الصغير والكبير والأكبر أكثر طموحا من بقيتهم حين نسب معنى إلى هذه الأصول عند اجتماعها مرتبة ترتيبا معينا كما نسب المعنى إلى ما ينتج عن تشويش حروفها والعبث بترتيبها ومن شاء أن يرى ما قاله ابن حتى فلينظر في « الخصائص ».

والذي أراه أجدى على دراسة هذه المشكلة (مشكلة الاشتقاق) أن يعدل الصرفيون بها عن طريقتهم إلى طريقة المعجميين بل أن يجعلوا دراستها

فى إطار علم الصرف حسبة لوجه علم المعجم . مبتعدين بها عن شكلية الصيغ والزوائد والملحقات ذات المعانى الوظيفية جانحين بها فى انجاه المعجم بحيث يكون و الاشتقاق ، حدودا مشتركة بين المنهجين . وإذا صح لمنا أن نوجد رابطة بينالكلمات فينبغى لنا ألانجعل واحدة منها أصلا للأخرى وإنما نعود إلى صنيع المعجميين بالربط بين الكلمات بأصول المادة فنجعل هذا الربط بالأصول الثلاثة أساس منهجنا فى دراسة الاشتقاق . وبذلك نعتبر الأصول الثلاثة أصل الاشتقاق فالمصدر مشتق منها والفعل الماضى مشتق منها كذلك . وبهذا لانستطيع أن ننسب إلى هذه الأصول الثلاثة أى معنى معجمى على نحو ما صنع ابن جنى وإنما نجعل لهذه الأصول معنى وظيفيا هو ما تؤديه من دور تلخيص العلاقة بين المفردات .

وحين نرى الأصول الثلاثة وهي فاءالكلمة وعيما ولامها أصلا لاشتفاق الكلمة و ذوات رحمها نحب أن ننبه إلى أن هذا الاعتبار يقتضي أن تكون كلات اللغة العربية حميعها فياعدا الضهائر والظروف والأدوات و بعض الخوالف مشتقة وأن الكلات المنزكية الوحيدة في اللغة هي هذه الضهائر والظروف والأدوات و الخوالف و الخوالف و يصبح الاشتقاق مع ذلك الفهم دراسة صرفية مسوقة لخدمة المعجم كما كانت المبائي والزيادات و الملحقات دراسة صرفية مسوقة لخدمة النحو و يتبع هذا الفهم الجديد للاشتقاق أمر آخر هو تقسيم الكلات المشتقة حسب هذا الفهم إلى متصرفة و جامدة فأما الأولى فهي التي تتضح الصلات بين بعضها و بعض بواسطة تقليب حروف ما دتها على صيغ مختلفة كالأفعال والصفات وأما الثانية فهي التي لا يمكن فيها ذلك كرجل و فرس وكتاب ويكون المصدر بهذا الفهم مشتقا متصرفا لأن صيغته تعتبر إحدى الصيغ وتصبح الصورة العامة للاشتقاقيات ولتركيات على النحو التالى :



النبر

سبق لنا أن شرحنا بنية المقاطع العربية وبينا أن هذه المقاطع سنة تحتلف من حيث الكمية والصورة ونود الآن أن نبذأ في شرح نظام النبر الذي لا يمكن شرحه إلا بمعونة البنية المقطعية في نظام الصرف والنبر في الكلام هو فرق من جهة أخرى . فالفرق ما بين النبر في الصرف والنبر في الكلام هو فرق ما بين مقررات القاعدة ومطالب السياق . وبهذا يصبح النبر في الكلام هو الظاهرة الموقعية لأنه نبر الجمل المستعملة فعلا وهي ميدان الظواهر الموقعية ، أما النبر في نظام الصرف فهو نبر الكلمة المفردة أو الصيغة المفردة على الأصح وهو نبر صامت صمت القاعدة نفسها وصمت اللغة من بعدها ، والنبر بحكم التعريف از دياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها . وما دام النبر بحسب هذا التحريف وضوحا سمعيا فإن نسبته إلى الكلمات والصيغ خارج السياق نسبة إلى نظام وضوحا سمعيا فإن نسبته إلى الكلمات والصيغ خارج السياق نسبة إلى نظام الصرف اقتضاها التحليل حيث لا يمكن ادعاء وضوح سمعى في كلمات

وصيغ صامتة . ومرجع هذا الوضوح السمعى إلى عنصرين يرتبط أحدها بظاهرة علو الصوت وانخفاضه وهى ترتبط بدورها بحركة الحجاب الحاجز فى ضغطه على الرئتين ليفرغ ما فيهما من هواء فتؤدى زيادة كمية الهواء الى اتساع مدى ذبذبة الأوتار الصوتية فيكون من دلك علو الصوت . ويرتبط العنصر الآخر بتوتر التماس بين أعضاء النطق فى مخرج الصوت. أو بعبارة أخرى يأتى النبر من التوتر والعلو فى الصوت اللذين يتصف بهما موقع معين من مواقع الكلام .

وقد رأينا من قبل أثناء الكلام في النظام الصرفي للغة أن طبيعة الصياغة العربية للكلهات قد مكنت الصرفيين العرب من أن يعبروا تعبيرا ذكيا عن قواعد هذه الصياغة فأو جدوا المكلهات العربية صيغاصرفية وموازين صرفية فتتفق صيغة الكلمة وميزانها أحيانا كما في «ضرب » وتختلف الصيغة عن الميزان أحيانا أخرى كما في «استقامة » ولكنهما يقفان من اللفظ دائما موقف الشبح من الحسم أو القالب من العجينة التي تصب فيه . ولهذا السبب بالذات أصبح من الممكن في دراسة اللغة العربية - دون غيرها من اللغات على ما يهدو - أن نتكلم عن نبر الصيغ الصرفية ونكتني به عن دراسة نبر الكلهات أي الأمثلة . ومن هنا يكون النبر على مستوى الصيغة والكلمة ذا وظيفة صرفية هي تقديم القيم الخلافية التي تفرق مع الكمية بين معنى صرفي ومعني صرفي آخر و يمكن بواسطتهما مثلا أن نقرق بين طواتف من الصيغ مثل فتعيل - فتعيل - فعيل حيث يفرق بين الكلهات من الصيغ مثل فتعيل - فتعيل - فعيل حيث يفرق بين الكلهات الأدبع بالكمية وبين الثلاث الأولى وبين الرابعة بالنبر فيقع النبر في الكلهات الثلاث الأولى على المقطع الأول وفي الرابعة على الثاني .

ومع ذلك يحسن في دراسة النبر ألانبنيه على نظام الصيغ وأن نعدل عن ذلك إلى بنائه على ترتيب المقاطع في الصيغ لأن عدد المقاطع (وهي ستة كما رأينا) أقل بكثير جدا من عدد الصيغ الصرفية فيؤدى استعمال المقاطع في تحديد قواعد النبر إلى أن يكون عدد القواعد قليلا وأن يكون الكلام فيها مختصرا . وقلة القواعد ومهولة ضبطها مرغوب فيهما على أي حال .

عرفنا إذاً أن ثمة نوعبن من النبر:

انبر القاعدة أو نبر النظام الصرفى الذى نسبناه إلى الصيغة الصرفية المفردة و الكلمة التي تأتى على مثال هذه الصيغة . و هذا النبر صامت .

۲ - نبر الاستعال أو نبر الكلام والجمل المنطوقة . وهذا النبر أثر سمعى يرجع إلى أسباب عضوية محددة وقد شرحناها فى بداية الكلام عن النبر .

وسنحاول أن نشرح نبر النظام الصرفى أو بعبارة أخرى قاعدة النبر فى البداية ثم نحاول عند الكلام عن الظواهر الموقعية بعد ذلك أن نذكر الفروق بين قاعدة النبر في السياق المتحرك مع فهم أن قاعدة النبر فيما عدا هذه الفروق متفقة مع نبر الاستعمال .

وينقسم النبر بحسب والقاعدة ، من حيث الةوة والضعف إلى قسمين : ١ - النبر الأولى ويكون فى الكلمات والصيغ جميعا لا تخاو منه واحدة منها .

۲ — النبر الثانوى و هو يكون فى الكلمة أو الصيغة الطويلة نسبيا بحيث يمكن لهذه الكلمة أن تبدو الأذن كما لوكانت كلمتين، أو بعبارة أكثر دقة عندما تشتمل الكلمة على عدد من المقاطع يمكن أن يتكون منه وزن كلمتين عربيتين. فكلمة «مستحيل » مثلا يمكن فى مقاطعها أن نكون وزن كلمتين عربيتين هما « بعد — ميل » ومن ثم تشتمل على نبر أو فى على المقطع الأخير ونبر ثانوى على المقطع الأول منها و يبتى المقطع الأوسط و هو ما يقابل ونبر ثانوى على المقطع الأول منها و يبتى المقطع الأوسط و هو ما يقابل المفتوحة دون نبر.

ولكل من النبر الأولى والنبر الثانوى قواعده الخاصة به التي تنسجم مع وظيفته الإيقاعية في حدود الصيغة أو الكلمة . وفيما يلي قواعد النبر الأولى :

القاعدة الأولى: يقع النبر على المقطع الأخير فى الكلمة أو الصيغة إذا كان هذا المقطع طويلا (أى على صورة ص م ص أو ص ح ص ص)

نحود استقال ، و د استقل، فأذا كانت الكلمة ذات مقطع وحيد وقع عليه النبر أيا كانت كميته مثل: وق،و دقم، و دما ،، و د قال ، و د قبّل ،

القاعدة الثانية : يقع النبر على المقطع الذي قبل الآخر في الحالات الآتية : القاعدة الثانية : الآخر من الحالات الآتية : الحاكان ما قبل الآخر متوسطا و المقطع الأخير .

- (١) قصير أنحو أخرجت حدار استاق
- (ب) متوسطاً نحو علم قاتل معلم مقاتل –استوثق (بسكون الآخر) . ٢ ـــ إذا كان ما قبل الآخر قصيرا في إحدى الحالةين الآتيتين :
 - (١) بدئت به الكامة نحو كتب حسب صور قفا .
- (ب) سبقه المقطع الأقصر ذو الحرف الوحيد الساكن الذي يتوصل إلى النطق به بهمزة الوصل نحو: انحبس انطلق ارعو اخرجي ابتغ امضيا.

اذا كان ما قبل الآخر طويلا اغتفر فيه التقاء الساكنين ولم يكن
 الاخير طويلا آخر نحو اتحاجونى – دوبية .

القاعدة الثالثة: يقع النبر على المقطع الثالث من الآخر إذا كان:

- ۲ حصرا متلوا بقصیر و منوسط
 نحو : علم ملك به یتصیل آکثر ملك
 - ۳ ــ متوســطا متلوا بقصیرین نحو : بَدَّتُمُكُ ــ لم یَدَّتَهَ ــ أَخْرَ جَ
 - ع _ متوســـطا متلوا بقصير ومتوسط
- نحو: بَدِنْكُمُ مصطفى مَ أَخَرَجُهُوا مُفَكُمُ مِ نَظَمْرَةً مِ الْمُقَارِّةِ مِ الْمُدِيَّمُ مَامَةً الْ

القاعدة الرابعة : يقع النبر على المقطع الرابع من الآخر إذا كان الآخير متوسطا والرابع من الآخر قصير آ وبينهما قصير ان نحو : بقرة " – عجلة " – ورثة " – كلمة " – يرثني – يتعيد هم – وسيعته أ – ضربها – نتكير هم م. ويغلب في المقطع الآخير في هذه الحالة أن يكون تنوينا أو إضهار آ أو إشهاراً .

و لا يقع النبر على مقطع يسبق هذا الرابع من الآخر .

وكما احتسبنا النبر الأولى من نهاية الكلمة متجهين بقواعده صوب بدايتها سيكون حسابنا للنبر الثانوى من النقطة التي وقع عليها النبر الأولى متجهين الانجاه نفسه إلى بداية الكلمة في انجاه معاكس لمجرى ترتيب الكلمة في الجالتين. وفيها يلى قواعد النبر الثانوى:

القاعدة الأولى: يقع النبر الثانوى على المقطع السابق للنبر الأولى مباشرة إذا كان هذا المقطع السابق طويلا (صمم ص أوص حص ص) نحو الصافات ـ الضالين ـ أنحاجونى .

القاعدة الثانية : يقع النبر الثانوى على المقطع الثانى قبل النبر الأولى إذًا كان هذا المقطع والذى يليه فيقع بينه وبين النبر الأولى يكونان أحد الناذج الآتية :

١ - متوسط + متوسط
 نحو: مُستَبَقِين - يَستَخفُون - عَاشَرْنَاهِم
 ٢ - متوسط + قصير
 نحو: مُستَقيم - مُستَعيدة - قاتيلُوهُم
 ٣ - طسويل + قصير
 ٣ - طسويل + قصير

القاعدة الثالثة : يقع النبر على المقطع الثالث قبل النبر الأولى إذا كان هذا المقطع المذكور يكون مع اللذين يليانه فيقعان بينه وبين النبر الأولى أحد النماذج الآتية :

ا _ متوسط + قصیر + متوسط

نعو : یستقیمهٔ ون _ مستنجیبهٔ ون _ مستطیلان

۷ _ متوسط + قصیر + قصیر

نعو : منطلقهٔ ون _ یستیقهٔ ون _ محرمهٔ ون

۳ _ قصیر + قصیر

نعو : بقرتنان _ کلیمتنان _ ضربشناه

ولایقع النبر علی سابق علی ما ذکرنا .

*

الفصل لخامس

النظام السنحوى

قلنا من قبل إن النظام النحوى للغة العربية الفصحى ينبني على الأسس الآتية:

١ -- طائفة من المعانى النحوية العامة التي يسمونها معانى الجمل أو الأساليب؛
٢ - مجموعة من المعانى النحوية الخاصة أو معانى الأبواب المفردة
كالفاعلية والمفعولية والإضافة النع.

٣- مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعانى الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها . وذاك كعلاقة الإسناد والتخصيص (وتحتها فروع) والنسبة (وتحتها فروع أيضاً) وهذه العلاقات في الحقيقة قرائن معنوية على معانى الأبواب الخاصة كالفاعلية والفعولية .

٤ - ما يقدمه علما الصوتيات والصرف ، لعلم النحو من قرائن صوتية أوصرفية كالحركات و الحروف ومبانى التقسيم و مبانى لتصريف وما اصطلحنا من قبل على تسميته مبانى القرائن اللفظية .

 القيم الخلافية أو المقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق وبين بقية أفراده .

ولقد أشرنا من قبل إلى أن النحو لا يشخذ لمعانيه مبانى من أى نوع الا ما يقدمه له الصرف (١) من المبانى و هذا هو السبب الذى جعل النحاة يجدون فى أغلب الأحيان أنه من الصعب أن يفصلوا بين الصرف والنحو فيعالجون كلا منهما علاجاً منفصلا ومن هنا جاءت متون القواعد مشتملة على مزيج من هذا و ذاك يصعب معه إعطاء ما للنحو للنكو و ما المصرف المصرف.

يقول أبن مااك مثلا:

وتاء تأنيث تلي الماضي إذا كان لأنبي كأبت هند الأذي

⁽١) الصرف يستميّ بالأصوات أيضًا ثم يقدم العناصر الصوتية الى النحو باعتبارها عناصر صرفية .

وهذا الكلام يفهم على وجهين أحدها صرفى والآخر نجوى ويمكن لنا أن نضع خطة الفهم الصرفى على النحو الآتى :

المعنى المباعق المباعة المعنى التاء في أبت التاء في أبت

فالتأنيث معنى صرفى من معانى التصريف على نحو ماأسلفنا ففهم بيت الألفية على هذا النحو فهم صرفى . ولكننا نستطيع أن نفهم هذا البيت أيضاً من زاوية النحو وهى زاوية العلاقات السياقية ويكون ذلك كما يأتى :

المبنى المعلى المبنى المعلامة المطابقة في التأنيث بين الفعل والفاعل التاء على إطلاقها التاء في أبت

ويبلو أن ابن مالك أحس ضرورة وزن الشعر فجعل كلمة و أنى » في مكان كلمة و التأنيث » أو حتى و المؤنث ، فالتأنيث هو المعنى والمؤنث مبنى له ولكن تعته فروعا هي مبان فرعية أيضاً فقد يعبر عن المؤنث بالتاء أو بالألف المقصورة أو المملودة أما الأنثى فلا علاقة لها بكل ذلك لأن معناها الأكبر هو و الأنوثة » وليس التأنيث. والأنوثة ضد الذكورة وهما في الطبيعة والتأنيث ضد التذكير وهما في اللغة . أما قول بن مالك في مكان آخر : والتأنيث ضد التذكير وهما في اللغة . أما قول بن مالك في مكان آخر : والتأنيث ضد التذكير وهما في اللغة . أما قول بن مالك في مكان الاحمال هنا وإنما مرده إلى ضرورة وزن الشعر كما كان الاحمال التأنيث والأنوثة من أن و الأرض » مؤنة وليست أنثى .

والذى يبدو من هذا التصوير للصلة بين المعنى النحوى والمبنى الصرفى والعلامة المنطوقة أو المكتوبة ما يأتى :

۱ _ أن جميع ما نسميه المعانى النحوية هو وظائف للمبانى التى يتكون
 منها المبنى الأكبر للسياق .

٧ ـــ أن المبانى المتعددة في السياق هي مفاهيم صرفية لا نحوية .

س _ أن العلامة المنطوقة أو المكتوبة ليست جزءاً من نظام الصرف أو نظام النحو ولكنها جزء من الكلام . ويمكن توضيح ذلك كما يأتى :

شكلمطلق

وظيفة للمبي

والغاية التي يسعى إليها الناظر في النص هي فهم النص ووسيلته إلى ذلك أن ينظر في العلامات المنظوقة أو المكتوبة فيرى دون جهد كبير أن هذه العلامة من نوع مبنى كذا فسيعلم مثلا أن الناء في « أبت هند الأذى » من نوع الناء المطلقة التي تذكر القواعد أنها تلحق بالفعل وسيعلم دون كبير عناء أن الألف في « قليلا » من قوله تعالى : « قم الليل في « قفن » غير الألف في « قليلا » من قوله تعالى : « قم الليل إلا قليلا » وإن أتت كلتا الألفين قبل الوقف مباشرة وجاءت كلتاهما عن نون ساكنة فالألف الأولى جاءت عن نون التوكيد الخفيفة والثانية عن التنوين وسيعلم الناظر في « قام زيد » أن خصوص لفظ « زيد » هنا ينتمي إلى عموم الاسم المرفوع مبني . وسيعلم الناظر أيضاً أن خصوص لفظ « ما » في قولنا « ما أحسن زيداً » ينتمي المن مفهوم عام هو « ما » على إطلاقها .

فإدراك المبنى بواسطة النظر إلى العلامة لا يعد من العمليات العقلية الكبرى في التحليل وإنما تأتى الصعوبة عند إرادة تعيين المعنى بواسطة المبنى فلقدأ شرنا من قبل إلى أن المعنى الوظينى متعدد بالنسبة للمبنى الواحد . فبالنسبة لكلمة وقفا » التى أور دناها منذ قليل يمكن للألف أن تكون ألف الاثنين أما بالنسبة للاسم المرفوع فمن المعانى الصالحة له الفاعل و نائبه والمبتدأ والحبر الخوأما بالنسبة لمبنى «ما » فقد رأينا من قبل أنها تصلح على إطلاقها للشرط والاستفهام والموصول والمصلرية وأن تكون كافة أو زائدة المخ بل إنها في هذا الموضع بالذات رأينا أن النحاة اختلفوا فيها بين أن تكون :

- (۱) نکرة تامة بمعنی «شیء » (ب) استفهامیة
- (ج) معرفة ناقصة بمعنى و الذى و (د) نكرة ناقصة وبعدها صفة .

وإن كانوا اتفقوا على أنها اسم وأنهامبندأ . والمغزى من وراءكل ذلك أن ما يتسم به المعنى الوظيق للمبنى الواحد من التعدد والاحتمال بجعلالناظر

في النص يسعى دائماً وراءالقرائناللفظية والمعنويةوالحالية ليرى أى المعانى المتعددة لهذا المبنى هو المقصود. ومن هنا نرى التفاضلبين المعربين للجملة الواحدة .

والكشف عن العلاقات السياقية (أو التعليق كما يسميه عبد القاهر) هو الغاية من الإعراب. فإذا طلب إلينا مثلا أن نعرب جملة مثل: ٥ ضرب زيد عمراً » نظرنا في الكلمة الأولى (ضرب) فوجدناها قد جاءت على صيغة (فَعَلَ) ونحن نعلم أن هذه الصيغة تدل على الفعل الماضي سواء من حيث صورتها أو من حيث وقوفها بإزاء (يَـهُـهُ-لُمُ وافـعـَل) فهي تندرج تحت قسم أكبر من بين أقسام الكلم بسمى «الفعل ». و من هنا نباهو إلى القول بأن : « ضرب فعل ماض » . ثم ننظر بعد ذلك فى زيد فنلاحظ

(قرينة الصيغة) ١ ــ أنه ينتمي إلى مبنى الاسم (قرينة العلامة الإعرابية) ۲ ــ أنه مرفوع ٣ _ أنالعلاقة بينه وبين الفعل الماضي هي علاقة الإسناد (قرينة التعليق) (قرينة الرتبة) ٤ ــ أنه ينتمى إلى رتبة التأخر أن تأخره عن الفعل رتبة محفوظة

(قرينة الصيغة)

 آن الفعل معه مبنى للمعلوم ٧ _ أن الفعل معه مسند إلى المفرد الغائب (وهذا إسنادُه مع الإسم الظاهر دائمًا) (قرينة المطابقة) و بسبب كل هذه القرائن نصل إلى أن « زيد »

هو الفاعل. ثم ننظر بعد ذلك في ﴿ عمر آ ﴾ و نلاحظ :

(قرينة الصيغة) ۱ ــ أنه ينتمي إلى مبنى الأسم (قرينة العلامة الإعرابية) ۲ ــ أنه منصوب ٣ _ أن العلاقة بينه و بين الفعل هي علاقة التعدية (قرينة التعليق) ع _ أن رتبته من كل من الفعل والفاعل هي رتبة التأخر (قربنة الرتبة) أن هذه الرتبة غير محفوظة

وبسبب هذه القرائن نسارع إلى القول بأن وعمراً ، مفعول به إ ولا شك أن أصعب هذه القرائن من حيث إمكان الكشف عنها هي قرينة التعليق لأنها .

أحيان .
 أمل فى بعض الأحيان .

٢ – أن التأمل فيها يقود فى الأغلب الأعم من الحالات إلى متاهات الأفكار الظنية التى لاتتصل اتصالا مباشراً بالتفكير النحوى و نحرج لهذا السبب عن طبيعة الالتزام محدود المنهج.

٣ - أن الكشف عن هذه القرينة هو الغاية الكبرى من التحليل الإعراب وما دام الناس يحسون و يعترفون بالإحساس بصعوبة الإعراب أحياناً فإن معنى ذلك أن من الصعب عليهم أحياناً أن يكشفوا عن هذه القرينة المعنوية (قرينة التعليق) وهي أم القرائن النحوية جميعاً .

ولقد سبق أن قلنا إن المعنى على مستوى النظام الصوتى والنظام الصرق والنظام المستوى هو معنى وظيفى أى أن ما يسمى المعنى على هذا المستوى هوفى الواقع وظيفة المبنى التحليلي ثم يأتى معنى الكلمة المفردة (المعنى المعجملي) ومايكون بمجموع هذين المعنيين مضافاً إليهما القرينة الاجتماعية الكبرى التى نرتضى لها اصطلاح البلاغيين «المقام » (context of situation) وكل ذلك يصنع (المعنى الدلالي).

وإذا اتضع المعنى الوظينى المذكور أمكن إعراب الجملة دون حاجة إلى المعجم أو المقام. ذلك بأن وضوح المعنى الوظينى هو الثمرة الطبيعية لنجاح عملية والتعليق ، والذى يؤدى إليه هذا الفهم بالضرورة هو التسايم بأننا لو أبحنا لأنفسنا أن نتساهل قليلا فى أمر التمسك بالمعنى المعجمي فكونا نسقا نطقيا من صور بنائية عربية لا معنى لها من الناحية المعجمية لأمكن لنا أن نعرب هذا النسق النطقى. فمئلا يمكننا:

أن نحافظ على أن يشتمل النسق النطقى الهرائى على حروف عربية
 إن نحافظ على ظاهرة إدغام ما تماثل أو تقارب النح من هذه
 الحروف على الطريقة العربية .

س _ وأن تحافظ على أن نقلد المبانى الصرفية العربية سواء مبانى التقسيم والتصريف والقرائن .

ع _ وأن تعافظ بعد ذلك كله على مظهر العلاقات النحوية .

ولكننا مع المجافظة على كل هذا:

نتجاهل الاعتبارات المعجمية فنجعل المبانى الى اخترناها محققة
 بألفاظ هرائية لا معنى لها فى المعجم.

بأية صورة من صور الحملة .

انظر مثلا إلى ما يأتى :

قَـاصَ النَّـجـينُ شيحـَالنّه بـِتَـريسيه ال فـَاخـي فـَلـمُ يَـسنّـيف بيطـاسية البّر نُ

إن من حسن الحظ أن ابن اسحق (رضى الله عنه) لم يتأخر به زمانه حتى يقرأ ما يبدو هنا أنه أريد به أن يكون من قبيل الشعر ولو قد حدث هذا لعده من شعر الجن أو لزعم أن آدم قاله قبل أن يعلمه الله الأسماء كلها ، ربما دون أن يردف ذلك بقوله: والله أعلم.

و نلاحظ هنا أن كل الأشراط التي حددناها منذ قليل لهذا النسق ووضعنا لها أرقاماً من ١ إلى ٦ قد تحققت تماماً في هذا النسق النطقي فحين تحقق له ما وصفنا أصبح من الممكن أن نعرب النص بنجاح تام فنقول :

قاص فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب التجين فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة

شحال مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة

الهاء مضاف إليه مبنى على الضم في عمل جر.

الباء حرف جر مبنى على الكسر لاهل له من الإعراب

تريس مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة

الهاء مضاف إليه مبنى على الكسر في محل جر.

الفاخى نعت (لتريس) مجرور وعلامة جره الكسرة المقدرة علىالياء منع من ظهورها الثقل .

الفاء حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب

لم حر^ف ننى و جزم و قلب مبنى على السكون لا محل له من الإعراب

يستف فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون، والفاعل مستتر جوازا تقديره (هو) .

الباء حرف جر منى على الكسر لا محل له من الإعراب .

طاسية مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة

البرن مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على آخره منع ظهورها اشتغال المحل يسكون الروى . والبيت من الكامل و «و مستوف المطالب الشكلية حتى من الناحية العروضية .

هذا الإعراب الكامل التفاصيل ببين إلى أى حد نستطيع الاتكال في التحليل اللغوى على ما أطلقنا عليه اصطلاح والمعنى الوظيني ١. فهذا المعنى الوظيني يحدد الفهم صوتيا من حيث إن الحرف مقابل استبدالي وصرفياً من حيث إن العلاقة السياقية إن المبنى إطار شكلي يتحقق بالعلامة ونحوياً من حيث إن العلاقة السياقية تكشف لناعن ترابط المباني التي تحققت بالعلامات في سياق النص. أما ما فوق ذلك من معنى الكلمة المفردة أو معنى المقام أى المعنى الدلالي الكامل فدلك مالا يوصل إليه بواسطة المنى فقط.

ولوكان الإعراب فرع المعنى الدلالى ما استطعناكذلك أن نعر ب قول المجنون بن جندب:

محكوكة العينسين معطداء القفسا تمشى على متن شراك أعجفــــا كأنما تنشر فيه مصحفـــا

فإن أبا العلاء العانى لم يستطع تفسير ذلك ولم يستطع ذلك أبو عبيدة ولا الأصمعى ولا أبو زيد وقال أبو زيد إنه كلام مجنون ولا يعرف كلام المجانين إلامجنون(١).

⁽۱) المزهر للسيوطي جـ ۱ ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

وما دام الإعراب بحاجة إلى نتائج الصوتيات والصرف فإننا لن نستطيع الا لأغراض البحث أن نفصل فى الفهم بين الصوتيات والصرف والنحو وهذا هو الذى أكدته تماماً فى الفصـل الأول حين عقـدت تشبيهاً لأنظمة اللغة بأجهزة الجسم الإنسانى . فكما أن وظيفة النمو تتوقف فى الجسم الإنسانى على جهاز الغدد الصاء والجهاز الهضمى وجهاز الدورة الدوية والجهاز التنفسى وغير ذلك من الأجهزة التى يتعذر الفصل بين عملها من الناحية العملية فلا يفصل بين وظيفة وأخرى من وظائفها إلا للأغراض العلمية كذلك يتوقف إعراب نص ما على وظائف الأصوات ووظائف المبانى وظائف المبانى وظائف المبانى وظائف المبانى النحليل اللغوى . أما فى التركيب فلا فصل .

ولقد أكثر النحاة الكلام عن العامل باعتباره تفسير آ للعلاقات النحوية أو بعبارة أخرى باعتباره مناط « التعليق »وجعلوه تفسير آلاختلاف العلامات الإعرابية وبنوا على القول به فكرتى التقدير والمحل الإعرابي وألفوا الكثير من الكتب في العوامل سواء ماكان منها لفظياً أو «عنوياً ووصل به بعضهم من حيث العدد إلى مائة عامل (١) و تناول بعض النحاة كابن مضاء (٢) هذا الفهم لطبيعة العلاقات السياقية بالنقد والتفنيد والتجريع ولكنه بعد أن أبان فسادها بالحجج المنطقية لم يأت بتفسير مقبول لاختلاف العلامات الإعرابية باختلاف المعانى النحوية ولم يقم مقام العامل فهما آخر لهذه العلاقات غير قوله إن العامل هو المتكلم فجعل اللغة بذلك أمراً فردياً يتوقف على اختيار المتكلم ونفى عنها الطابع العرفى الاجتماعي الذي هو أخص خصائصها .

ولإبراهيم مصطفى (٣) محاولة مشابهة لتفسير اختلاف العلامات الإعرابية قال فيها إن الحركات ذات معان محددة فالضمة علم الإسناد والكسرة علم الإضافة والفتحة علم الحفة ولكنه اكتفى بهذا الفهم المبهم القاصر لطبيعة هذه الحركات وهو فهم يبدو قصوره وإبهامه إذا وضعناه في ضوء ما ذكرنا منذ

⁽١) انظر العوامل المائة لعبد القاهر •

⁽٣) انظر الرد على النحاة لابن مضاد ٠

⁽٣) احياء النحو ٠

قليلُ عندما ذكر نا القرائن المختلفة التي أعانتنا على إعراب وضرب زيد عمراً م حيث رأينا أن العلامة الإعرابية ليست أكثر من واحدة من قرائن كثيرة يتوقف عليها فهم الإعراب الصحيح . بل لقد عرفنا أيضاً أن الإسناد نفسه قرينة من القرائن المعنوية فيعتبر هو نفسه كالضمة صاحب دلالة معنية على الإعراب الصحيح .

ولعل أذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية فى تاريخ التراث العربى إلى الآن هى ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجانى صاحب مصطلح والتعليق » وقد كتب دراسته الجادة فى كتابه و دلائل الإعجاز » تحت عنوان والنظم » تولكن عبد القاهر أورد فى هذه الدراسة أربعة مصطلحات هى :

فأما ه النظم ، فقد جعله عبد القاهر للمعانى ، أى أن النظم فى معناه عند عبد القاهر هو تصور العلاقات النحوية بين الأبواب كتصور علاقة الإسناد بين المسند إليه والمسند وتصور علاقة التعدية بين الفعل والمفعول به وتصور علاقة التعدية بين الفعل والمفعول لأجله وهلم جرا . يقول عبد القاهر (١) : و و إذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معانى النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه فاعلم أن الوجوه والفروق كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ونهاية لانجد لها از دياداً بعدها .

ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها فى نفسها ومن حيث هى على الإطلاق ولكن تعرض بسبب المعانى والأغراض التى يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعال بعضها مع بعض " ثم يقول (٢): « واعلم أنه وإن كانت الصورة فى الذى أعدنا وأبدأنا فيه من أنه لا معنى للنظم

⁽١) دلائل الاعجاز ص ٦٩ -

غير أن تو فى معانى النحو فيما بين الكلم قد بلغت فى الوضوح والظهور و الانكشاف إلى أقصى غاية و إلى أنتكون الزيادة عليه كالتكلف لما لا يحتاج إليه فإن النفس تنازع إن تتبع كل ضرب من الشبهة النح ،

ولنا على ذلك تعليقات :

١ _ أن النظم كما فهمه عبد القاهر هو نظم المعانى النحوية فى نفس المتكلم لابناء الكلمات في صورة جملة ويمكن فهم ذلك من عبارتين هما رأيه في الاقتباس الأول: ﴿ أَنْ مَدَارَ أَمْرُ النَّظَمُ عَلَى مَعَانَى النَّحُو ﴾ وفي الاقتباس الثاني ﴿ أَنه لا معنى للنظم غير أن توفى معانى النحو فيما بين الكلم ٢٠٠

٧ _ أشار عبد القاهر إلى ما سماه : « الفروق ، و هى إشارة ذكية إلى ما شرحناه من أمر القيم الخلافية أو المقابلات بين المعنى والمعنى أو بين المبي والمبي.

« موقع بعضها من يعض » إشارة إنى ما اشتهر فى عرف النحاة باسم « الرتبة » ·

ع _ في قوله: « واستعال بعضها مع بعض » إشارة إلى ما سنشرحه من أمر التضام وهو تطلب إحدى الكلمتين للأخرى واستدعاؤها إياها وسنعده من القرائن اللفظية فيما سيألى إن شاء الله .

وأما ﴿ البناء ﴾ فأنا أفهم من عرض عبد القادر للموضوع أنه جعله للمبانى بحسب المعانى النحوية (الوظيفية) كأن ٥ تبنى المعنى الفاعاية ه مبنى » هو الاسم المرفوع فى بعض المواطن أوضميرا متصلا فى موضع آخر وضميرا مستبرا في موضع ثالث . فالبناء كما أفهمه عنه هو اختيار المبانى التي يقدمها الصرف للتعبير عن المعانى النحوية وبوضع فكرة والنظم ، بإزاء فكرة «البناء» يكون عبد القاهر قد عبر عن الارتباط بين المعنى والمبي كما عرضنا فهمه في هذا الكتاب .

وأما الترتيب فإنه وضع العلامات المنطوقة أو المكتوبة في سياقها الاستعالى حسب رتب خاصة تظهر بها فوائد التقديم والتأخير اللذين كانا موضع عناية فائقة من لدن عبد القاهر وكذلك يظهر بهذا الترتيب ما كان من الرتب محفوظا أو غير محفوظ .

وأما أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر على الإطلاق فلم يكن النظم ولا البناء ولا الترتيب وإنما كان «التعليق » وقد قصد به فىزعمى إنشاء المعلاقات بين المعانى النحوية بواسطة مايسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية . ولعل من المؤسف حقا أن نضطر اضطراراً إلى أن نفهم من مصطلح عبد القاهر مالم ينصهو على معناه نصا صريحا ، ذلك بأن عبدالةاهر لم يقصد قصدا مباشرا إلى شرح ما يعنيه بكلمة « التعليق » ولكن إشارات عامة جاءت في سياق نص كتابه تشير عن بعد أو قرب إلى ما فهمناه عنه بهذا الاصطلاح . فمن ذلك عبارته المشهورة التي يرى بها أن الكلمات فى النص « يأخذ بعضها بحجز بعض » و كذلك قوله (١) : « هذا هو السبيل . فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا أو خطؤه إن كان خطأ إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو من معانى النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة واستعمل في غير ما ينبغى له . فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف بمزية أو فضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معانى النو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل بناب من أبوابه » . وإن عبد القاهر حين ينص على أن معانى النخو (التي نسمي جمهورها أبوابا) وأحكامه التي هي ضوابط

⁽۱) دلائل الاعجاز ص ۲۵.

العلاقات السياقية ، أو بعبارة أخرى : «التعليق» هي مرجع الصحة والفساد والمزية والفضل يشير إلى أهمية التعليق ويلقى ضوءا ما على ما يقصده بهذا الاصطلاح (1) .

و في رأيي _ كما كان في رأى عبدالقاهر على أقوى احتمال _ أن التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي و أن فهم التعليق على وجهه كاف وحده للقضاء على خرافة العمل النحوى والعوامل ألنحوية ، لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن معانى الأبواب في السياق ويفسرالعلاقات بينها على صورة أو في وأفضل وأكثر نفعا في التحليل اللغوى لهذه المعانى الوظيفية النحوية . وايس يكني في شرح فكرة التعليق أن نقول كما قال عبد القاهر إن الكلمات « يأخذ بعضها بحجز بعض » ولا أن نرجع الفضل والمزية إلى معانى النحو وأحكامه في عموم يشبه عموم عبارته ، وإنماينبغي لنا أن نتصدى للتعليق النحوى بالتفصيل تحت عنوانين أحدها «العلاقاتالسياقية » أو ما يسميه الغربيون syntagmatic relations والثاني هو « القرائن اللفظية » . فإذا علمنا أن العلاقاتالسياقية التي تربط بين الأبواب وتتضح بها الأبواب هي في الحقيقة ﴿ قرائن معنوية ﴾ فقد علمنا أن العنوانين المذكورين جميعا يتناولان القرائن من الناحيتين المعنويةواللفظيةوهما مناط التعليق مع ترك القرائن الحالية لموضعها من هذا الكتاب إن شاء الله . فالمتعليق إذاً هو الإطار الضروري للتحليل النحوي أو كما يسميه النحاة : « الإعراب » .

وفيها يلى جدول عمل النظام النحوى ويبين التشابك العضوى بين المعانى العامة (معانى أساليب الحمل) وبين المعانى الخاصة (معانى الأبو اب المفردة) وهو تشابك يتم بو اسطة العلاقات السياقية (انقر ائن المعنوية) .

 ⁽۱) پستمبل ابن مضاء اصطلاح «التعلیق» بمعنی قریب مما نقصه به (الرد علی
 النحاة ص ۱۱۷) •

١ _ قرائن التعليق

القرائن المعنوية (١)

ذكرنا من قبل أن الغاية التي يسعى إليها الناظر في النص هي فهم النصَ وأن وسيلته إلى ذلك أن ينظر في العلامات المنطوقة أو المكتوبة في النص ليصل بواسطتها إلى تحديد المبنى وأن الوصول إلى المبنى بواسطة العلامةليس من العمليات العقلية الكبرى في التحليل لأنهام ألة تعرّف يعتمد على الإدر ال الحسى بواسطة السمع أو البصركا تتعرف على فلان بواسطة حضوره أمامك فلا يحتاج منك ذلك إلا إلى الاعتماد فى الفهم على قرينة العهد الحضورى آوِحضور المعهود . أما ما هو أكثر صعوبة من ذلك دون شك فهو القفز العقلي من المبي إلى المعنى لآن ذلك بحتاج إلى قرائن معنوية وأخرى لفظية ويصدق على كليهما اصطلاح : « القرائن المقالية » لأن هذين النوعين من القرائن يؤخذان « من المقال » لامن « المقام » ، وتأتى الصعوبة في هذا المجال مما أشرنا إليه سابقاً . من أن المبنى الصرفى الواحد يصلح لأكثر من معنى وكانت هذه الإشارة تحت عنوان و تعدد المعنى الوظيني للمبنى الواحد ٥ . فإذا تعدد المعنى الوظيمي للمبنى الواحد على إطلاقه فليسمعنى ذلك أنه يتعدد بالنسبة لعلامته بخصو صها في النص . فعلينا إذاً عند النظر في نص بعينه أن نقرر أي المعانى المتعددة هو الذي يتعين هنا إذ لابد في نص بعينه أن يكون المعنى محدداً . ووسيلة الوصول إلى هذا المعنى المعين هي استخدم القرائن المتاحة في المقال سواء ما كان معنويا وما كان لفظيا . فإذا كان الوصول إلى تحديد المبنى من العلامة يتم بحضور المعهود وكاناستحضار المعنى من المبنى لايتم إلا باستخدام القرائن فلا شك أن العملية الثانية أصعب من الأولى . والمعروف أن التحليل اللغوى (الإعراب) يحتاج إلى الأمرين جميعا .

والعلاقات السياقية قرائن معنوية تفيد في تخديد المعنى النحوى (الباب الخاص كالفاعلية مثلا) فعلاقة الإسناد مثلا وهي العلاقة الرابطة بين المبتدأ

⁽١) انظر الرسم البياني على الصفحة السابقة الذي يتضح فيه مكان قرائن التعليق من بقية القرائن ثم تفصيل علاقة كل منها بالأخريات .

والخبرثم بين الفعل والفاعل أو فائبه تصبح عند فهمها وتصورها قرينة معنوية على أن الأول مبتدأ والثانى خبر أو على أن الأول فعل والثانى فاعل أو نائب فاعل ويصل المعرب إلى قراره أن ذلك كذلك عندما يفهم العلاقة الرابطة بين الجزءين ، ولكن علاقةالإسنادلاتكني بذاتها للوصول إلى هذا القرار لأنها يمكن أن تكون إسناداً في جملة اسمية أو إسناداً في جملة فعلية ويمكن أن تكون إسناداً خبريا أو إسناداً إنشائياً وهلم جرا ومن هنا تحتاج إلى قرائن أخرى لفظية تعينها على تحديد نوعها فنلجأ إلى مبانى التقسيم لنرى إن كان طرفا الإسناداسمين أواسما وصفة أو اسما وفعلا أو فعلا واسما الخ و نلجأ أيضا إلى مبانى التصريف لنلمح الشخص والنوع والغدد والتعيين وإلى العلامة الإعرابية لنرى ما إذا كانت الأسماءمرفوعة أو منصوبة أو مجرورة وإلى الرتبة لنرى من أى نوع هي وإلى المطابقة بين الجزءين ما نوعها ودلم جرامما يعتبر قرائن لفظية وذلك إيضاح لظاهرة هامة جدا فى التعليق هى ظاهرة تضافر القرائن لإيضاح المعنى الواحد . ومثال هذا التضافر ما رأيناه عند إعراب « ضرب زيد عمراً » من قبل إذ أعربنا « زيد » فاعلا بشهادة سبع قرائن و احدة منها فقط معنوية و هي الإسناد أما البقية فلفظية . كما أعربنا «عمراً » مفعولاً به بخمس قرائن إحداها معنوية وهي التعدية . و هكذا يكون الإسناد في اللغة العربية إحدى القرائن أما في اللغات الغربية فهو دائمًا لا يفهم إلا بواسطة نوع من القرائن اللفظيةالتي يسمونهاالأفعال المساعدة copula فلا يمكن بدون هذه القرينة أن نفهم علاقة الإسناد بهذه اللغات و لما كانت اللغة الإنجليزية مثلا غير مشتملة في تركيبها على ما نسميه مبنى الجملة الفعلية بل تقع الجملة الانجليزية في صورة ما نعرفه تحت اميم الجملة الاسمية جاءت هذه الأفعال المساعدة لنخمل في دلالتها فكرة الإسناد والزمن وفى رتبتها الفرق بين الإثبات والاستفهام . انظر مثلا إلى الأمثلة الآتية وترجمتها باللغة العربية :

> earth is round الأرض كروية . ? is earth round هل الأرض كروية ؟

والواضع أن الجملة الاسمية في اللغة العربية لا تشتمل على معنى الزمن فهي جملة تصف المسند إليه بالمسند ولا تشير إلى حدث ولا إلى زمن فإذا أردنا أن نضيف عنصرا زمنيا طارئا إلى معنى هذه الجملة جئنا بالأدوات المنقولة عن الأفعال وهي الأفعال الناسخة فأدخلناها على الجملة الاسمية فيصبح وصف المسند إليه بالمسند منظورا إليه من وجهة نظر زمنية معينة. فهذه النواسخ في دلالتها على الزمن تشبه ما أشرنا إليه من الأفعال المساعدة في اللغة الإنجليزية ولكنها لاتشبهها فيا وراء ذلك ومن هنا كانت ترجمة في اللغة الإنجليزية ولكنها لاتشبهها فيا وراء ذلك ومن هنا كانت ترجمة على طرق التركيب العرفية باللغة العربية الفصحى وهي لغة تفهم علاقة الإسناد دون حاجة إلى مساعد بل تتخذها هي نفسها قرينة على معنى الباب المفرد.

ولقد حاول بعض الباحثين بالنظر إلى استغناء اللغة العربية عن هذه الضهائم الزمنية بالنسبة للجملة الاسمية وعدم الحاجة إلى النواسخ إلا حين إرادة إدخال معنى الزمن على الجملة الاسمية أن يصور ذلك بصورة الميزة التى تمتاز بها اللغة العربية على لغات أخرى أجنبية من حيث يمكن للمتكلم بهذه اللغة أن يلمح العلاقة لحا عقليا وتحتاج اللغات الأخرى إلى كلمات خاصة للدلالة على الإسناد . ولست أحب أن أدخل في مجال حصر نواحى عبقرية اللغة العربية وامتيازها على غيرها من اللغات لأن هذه القضية في عبقرية اللغة العربية وامتيازها على غيرها من اللغات لأن هذه القضية في نظرى تعتبر مما وراء منهج اللغة meta linguistic ولأمر ما كانت هذه القضية مما الشتمل عليه كتاب لفيلسو ف معاصر (١) . أما مااهم له اههاما كبرا فهو التأكيد على علاقة الإسناد باعتبارها قرينة معنوية لتمييز المسند إليه من المسند في الجملة في ظل ظاهرة كبرى تحكم استخدام القرائن جميعا هي ظاهرة و تضافر القرائن ، وهي ظاهرة ترجع في أساسها إلى أنه لإ يمكن لظاهرة و احدة أن تدل بمفردها على معنى بعينه ولو حدث ذلك لكان عدد المعاني النحوية وهو أمر يتنافي مع مبدأ عام آخر هو تعدد المعاني القرائن بعدد المعاني النحوية وهو أمر يتنافي مع مبدأ عام آخر هو تعدد المعاني النحوية وهو أمر يتنافي مع مبدأ عام آخر هو تعدد المعاني

⁽١) فلسفة اللغة العربية للدكتور عثمان أمين ٠

الوظيفية للمبنى الواحد . وعلاقة الإسناد هي علاقة المبتدأ بالخبر والفعل بفاعله والفعل بفاعله والفعل بفاعله والوصف المعتمد بفاعله أو نائب فاعله وبعض الخوالف بضمائمها .

والملاحظ أن النحاة كانوا يلمحون قرينة الإسناد بين طرفى الجملة الاسمية والفعلية والوصفية كما كانوا يلمحونه أيضا بين المعانى النحوية فى داخل الجملة الواحدة وهذا هو المعنى الذى نلاحظه فى إعراب جملة مثل هيؤتى الحكمة من يشاء » حين نعرب «من» مفعولا أولا على غم تأخرها والحكمة مفعولا ثانيا على رغم تقدمها ويكون ذلك بإدراك ما بينهما من علاقة شبيهة يفكرة الإسناد إذ نقول إن « من » هى الآخذ و « الحكمة » هى المأخوذ. والحلاصة أن مراعاة الآخذية والمأخوذية هنا هى الاعتبار الذى تم إعراب المفعولين طبقا له وهو اعتبار من قبيل قرينة الإسناد. ويتم كل فهم للقرينة معنوية كانت أو لفظية فى حدود ما تسمع به نمطية اللغة .

والتخصيص علاقة سياقية كبرى وإن شئت فقل : قرينة معنوية كبرى تتفرع عنها قرائن معنوية أخص منها على النحو الآتى :

المعنى الذي تدل عليه	القرينة المعنوية
المفعول به	١ ــ التعدية
المفعول لأجله والمضارع بعد اللام	۲ ــ الغائية (وهي تشمل
وكى والفاء ولن وإذن الخ	غاثية العلة وغائية المدى)
المفعول معه والمضارع بعد الواو	٣ المعية
المفعول فيه	٤ — الظرفية
المقعول المطلق	 التحدیدوالتو کید
الحال	٦ ـــ الملابسة
التمييز	· ٧ ــ التفسير
الاستثناء	٨ ـــ الإخراج
الاختصاص وبعض المعانى الأخرى	المحالفة المحالفة

وهذه القرائن الحاصة كلها تجتمع كما سبق فى قرينة معنوية كبرى أعم منها تشملها جميعا وتسمى قرينة التخصيص . وإنما سميت هذه القرينة الكبرى قرينة التخصيص لما لاحظته منأن كل ما تفرع عنها منالقرائن قيو د على علاقة الإسناد بمعنى أن هذه القرائن المعنوية المتفرعة عن التخصيص يعبر كل منها عن جهة خاصة فى فهم معنى الحدث الذى يشير إليه الفعل أو الصفة.

فإذا قلنا ضرب زيد عمرآأو يضرب زيد عمرا أو زيد ضرب عمرآأو زید یضرب عمرا أو زید ضارب عمرا أو أضارب زید عمرا أو فلیضرب زيد عمراً أو اضرب عمراً أو ضرباً عمرا فإن إسناد الضرب إى المسند إليه كان في كل مثال مما سبق مخصصا بو قو عه على عمرو أي أن الو قوع على عمرو كان قيداً في إسناد الضرب إلى من أسند إليه وكان أيضا جهة في الضرب حالت بينه وبين أن يفهم على إطلاقه فطوعته لأن يفهم من جهة وقموعه على عمرو وهذا هو المعنى الذى قصدت إليه بقو لى إن المفعول به هنا يعتبر تعبيرا عن الجهة وأن التعدية تخصيص لعلاقة الإسناد التي بين الضرب وبين من أسند إليه . يقول عبد القاهر (١) : ﴿ كَذَلْكُ إِذَا عَدَيْتَ الْفَعَلَ إِنَّى المفعول فقلت ضرب زيد عمرآكان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثاني وو قوعه عليه ۽ . ومعني هذا في تفسير نا لقول عبد القاهر أن التباس الضرب بالثاني جهة في إسناد الضرب إلى الأول. وينبغي هنا أن نشير إلى أن التعدية إذا كانت معنى أحد مشتقات مادة ما فهي معنى لبقية المشتقات من هذه المادة كما يتضح في مشتقات الضرب التي أوردناها منذ قليل إذ وجدنا التعدية في الفعل والصفة والمصدر على السواء . وأو د أيضًا أن أضيف أن الجهة هنا قيد في الحدث لا في الزمن . وسنرى تفصيل الكلام فى النوعين عند الكلام عن الجهة و هو آت إن شاء الله .

وإذا قلت: أتيت رغبة فى لقائك أو كى ألقاك أو لألقاك الخ. فإنك قد أسندت الإتيان إلى نفسك مقيداً بسبب خاص وهذا القيد وهو الغائية يعتبر جهة فى فهم الإتيان لأنهذا الإتيان بدون سبب أعممنه وهو مسبب فالإتيان

⁽۱) دلائل الاعجاز ص ۱۱۸ •

هنا مفهوم من جهة كونه مسببا عن الرغبة فى اللقاء و تكون الغائية و هى قرينة معنوية دالة على المفعول لأجله أو على معنى المضارع بعد الأدوات المذكورة ومقيدة للإسناد الذى لولاها لكان أعم و تكون أيضا بسبب تقييدها هذا للإسناد دالة على جهة فى فهم الحدث الذى يشير إليه الفعل. ويقال الشيء نفسه فى : أنا آت رغبة فى لقائك، وأنا آتى رغبة فى لقائك وسآتى رغبة فى لقائك و أنا آتى رغبة فى لقائك و المنادع و أنا أنا رغبة فى لقائك و هم جرا. و هى أيضا قرينة نصب المضارع بعد الفاء و اللام و كى و حتى .

وأما المعية فهى قرينة معنوية تستفاد منها المصاحبة على غير طريق العطف أو الملابسة الحالية والعطف و الملابسة معنيان آخران يعبر عنهما بالواو كما يعبر بها عن المعية ولسنا هنا بصدد الكلام عن الواو لأن الواو قرينة لفظية و كلامنا هنا فى القرائن المعنوية وفى قرينة معنى المعية بصفة خاصة . واصطلاح المعية مقصود على قرينة المفعول معه والمضارع بعد الواو أى أنه خاص بهذين البابين ومن أمثلة المضارع المذكور نحو و لا تأكل السمك وتشرب اللبن و ومع أن معنى الواو هنا هو نفسه معنى الواو التى فى المفعول معه كما يتشابه المعنى هنا والمعنى هناك أحب النحاة أن يفرقوا بين معنيين ممنيين بسبب الاختلاف فى التضام بين الواو وما يتبعها فالذى يضام الواو فى المعية اسم منصوب والذى يضام الواو قى المصاحبة مضارع منصوب ومن هذا يتضع أن نصب المضارع بعد الواو على المعية من نوع نصب المفعول معه بعد الواو ذاتها ،

والظرفية قرينة معنوية على إرادة معنى المفعول فيه. فلقد سبق أن ذكرنا أن الظروف في اللغة العربية قسم من أقسام الكلم قائم بذاته وأن بعض ما ينتمى إلى الأقسام الأخرى من الكلم ينقل إلى معنى الظرف فيستعمل كما يستعمل الظرف مفعولا فيه ويسمى معظمه متصرفا و ذلك كالمصدر وصيغى الزمان والمكان وبعض حروف الجر كمذ ومنذ وبعض الضهائر الإشارية كهنا وثم وبعض المبهمات مثل كم والأعداد والجهات وأسهاء الأوقات المبهمة وأسهاء العلاقات المفتقرة إلى الإضافة كقبل وبعد وتحت

وفوق وأسهاء الأوقات المحددة المعينة كالآن وأمس وسحر وبكرة الخ كل هذه الكلمات ليست ظروفا ولكنها تشترك مع الظروف في أمر هام هي أنها تنقل إلى الظرفية فتفيد معنى المفعول فيه فتخصص زمان الحدث ومكانه على معنى الاقتران . والظرفية هذا غير الظرفية التى يفيدها حرف الجر («فى » أو ما يأتى بمعناها) لأن الظرفية هنا قرينة معنوية على باب نحوى ولكنها في حروف الجر علاقة احتواء بين معنى الحدث المستفاد من الفعل وبين الاسم التالى لحرف الجر أو بعبارة أخرى يكمن الفرق فى أن الظرفية هنا للتخصيص أى لتقييد زمن الإسناد أو مكانه والظرفية هناك لنسبة الحدث هنا للتخصيص أى لتقييد زمن الإسناد أو مكانه والظرفية هناك لنسبة الحدث الى ظرف يحتويه فالمعنيان من القرائن المعنوية وها على ما بينهما من تشابه شديد جدا لا ينبغى اعتبارها معنى و احدا لما بينهما من اختلاف المبنى كا يتضح فى المقابلات الآتية :

١ - صحوت إذ تطلع الشمس طرف تخصيص
 ٧ - صحوت في طلوع الشمس حرف نسبة
 ٣ - أصحو متى تطلع الشمس ظرف تخصيص
 ٤ - صحوت وقت طلوع الشمس مبهم منقول إلى نسبة
 الظرف

اصحوفی وقت طلوع الشمس حرف نسبة فظرفیة الظرف و ما نقل إلیه أشبه شیء بمعنی الاقتران الزمانی أو المكانی أما ظرفیة الحرف فهی علی معنی الاحتواء الزمانی أو المكانی

فالذي أراه أن هناك طائفتين مما يستعمل مفعولامعه إحداها الظروف الحامدة التي يقول النحاة إنها تضاف إلى الجمل وهي التي جعلناها جديرة باسم الظرف عند تقسيم الكلام وهذه ظرفيها ظرفية اقتران حدثين فإذا قلت حضر زيد إذ حضر عمرو فإن «إذ » تقرن بين الحضورين . والطائفة الأخرى هي ما ينقل إلى معنى الظرف مما ليس ظرفا وهذا قد يدل على ظرفية احتواء حدث واحد فإذا قلت جاء زيد يوم الجمعة فذلك معناه أن اليوم هو ظرف الحيىء ولا دلالة هنا على الاقتران . وأحب أن أضيف هنا أن

الظروف الدالة على الاقتران يبتى لها معناها عند استعالها أدوات شرط وتتحول عن هذا المعنى إلى معنى الاحتواء عند استعالها أدوات استفهام وأماحرف الحر و في «فهو أصل معنى الاحتواء و تكون ظروف الاحتواء بمعناه و من هنا شاع في تحديد معنى الظرف أنه بمعنى «في» . ا

وأما التحديد والتوكيد فهى القرينة المعنوية الدالة على المفعول المطاق والمقصود بالتحديد والتوكيد تعزيز المعنى الذى يفيده الحدث فى الفعل و ذلك بإبراد المصدر المشترك مع الفعل فى مادته لأن المصدر هو اسم الحدث فى إبراده بعد الفعل تعزيز العنصر الحدث ومعنى الفعل وتكون التقوية بواسطة ذكره مفردا منونا على سبيل التأكيد أو مضافا لمعين لإفادة النوع أو موصوفا لإفادة النوع أيضاً أو مميزاً لعدد فيكون العدد نفسه مفعولا مطلقا والمصدر تمييزاً وقد يكون المصدر اسم مرة أو منى اسم المرة فيفيد العدد أيضاً. والذي يهمنا من كل ذلك هو أن التقوية بالتأكيد أو التحديد قرينة معنوية على معنى المفعول المطلق أماكونه يلزم فيه أن يكون بواسطة صيغة المصدر على معنى المفعول المطلق أماكونه يلزم فيه أن يكون بواسطة صيغة المصدر فذلك قرينة لفظية سنشير إليها فيما بعد إن شاء الله .

وأما الملابسة للهيئات فهى قرينة معنوية على إفادة معنى « الحال » بو اسطة الاسم المنصوب أو الجملة مع الواو وبدونها . فإذا قلت « جاء زيد راكباً » فالمعنى جاء زيد ملابساً لحال الركوب وكذلك إذا قلت جاء زيد وهو يركب فالحال هنا عبر عنها بالحملة والواو « وتسمى هذه الواو واو الحال وواو الابتداء وقدرها سيبويه والأقدمون بإذ ولا يريدون أنها وعناها إذ لا يرادف الحرف الاسم بل إنها ومابعدها قيد للعامل السابق (١) » وفي على هذا الاقتباس من شرح الأشموني ملاحظات :

ان تقدير سيبويه والأقدمين لهذه الواو المعبرة عن الملابسة « بإذ » يبرر ما رأبته منذ قليل أن معنى ظرفية الظرف أقرب إلى الاقتران ، ومعنى ظرفية الحرف أقرب إلى الاقتران ، ومعنى ظرفية الحرف أقرب إلى الاحتواء .

⁽١) شرح الأشموني ص ٢٥٨ تعقيق معيى الدين .

۲ — قوله: وإذلا برادف الحرف الاسم عمبنى على التقسيم التقليدى للكلم وفيه أن الظرف من الأسماء أما بحسب فهمى أنا للمشكلة فأو لى للعبارة أن تكون: وإذلا يرادف الحرف الظرف ع. وفى هذا تبرير آخر لما زعمته منذ قليل من المغايرة بين ظرفية الظرف وظرفية الحرف.

٣ ــ قوله: قابل إنها وما بعدها قيد للعامل السابق ، ينسجم تماماً
 مع رأيى أن كل المنصوبات تندرج تحت عنوان التخصيص .

والتفسير للذوات قرينة معنوية على باب التمييز. وواضح أن التفسير يكون عند الحاجة إلى الإيضاح ولا تكون هذه الحاجة إلا عند المبهم والمبهم الذى يفسره التمييز إما أن يكون:

١ ــ معنى الإسناد : نحو طاب محمد نفسا

٢ ــ معنى التعدية : زرعت الأرض شجرا

۳ اسم مفرد دال على مقدار مبهم: اشتریت مترین -تریراً (فهذا مبهم من حیث المقیاس و العدد).

ولا شك أن الإبهام عموم وأن التقييد تخصيص هذا الع وم وما دام التفسير يزيل الإبهام فهو تخصيص يزيل العموم. وكون التمييز تخصيصاً هو ما نسعى إلى إثباته هنا مع دعوى أن كل المنصوبات مخصصات لعموم الدلالة في الإسناد أو في نطاق الإسناد وهي من ثم دالة على وجهة ، معينة في فهم علاقة الإسناد . ومن هنا يصدق على الأسهاء المنصوبة أنها تعبيرات عن ها الجهة ، وسنرى ذلك في حينه إن شاء الله .

وعلاقة الإخراج قرينة معنوية على إرادة ﴿ باب المستثنى ﴾ فالمستثنى يخرج من علاقة الإسناد حين نفهم هذه القرينة المعنوية من السياق . فإذا قلنا جاء القوم إلا زيداً فإننا قد آسندنا المجيء إلى القوم و أخرجنا زيدا من هذا الإسناد. وكما أن المعية و المصاحبة و الملابسة و العطف و غيرها من القرائن المعنوية تتضافر معها الواو لبيان إعراب ما بعد هذه الواو فيكون ذلك من قبيل ما أشرنا إليه من قبل تحت اسم ﴿ تضافر القرائن ﴾ فتسمى الواو واو المعية

أو المصاحبة أو الحال أو العطف فكذلك تتضافر « الا » وهي قرينة لفظية مع معنى الإخراج و و قرينة معنوية ليفهم من كليهما ومعهما «النصب» و غير من القرائن معنى الاستثناء وكذلك تتضافر « أو » مع الإخراج لنصب المضارع فيكون نصبه على معنى نصب المستثنى – وفي الاخراج ، تقييد للإسناد وتخصيص له ومن هذا ساغ لى أن أضع « المستثنى » بين الأبواب المعبرة عن معنى الجهة . وأن أطلق على ما تفيده هذه القرائن المعنوية مجتمعة عنواناً شاملا هو « التخصيص » .

و أما المخالفة فهى مظهر من مظاهر تطبيق استخدام القيم الحلافية بجعلها قرائن معنوية على الإعرابات المختلفة . ومن قبيل اعتبار المخالفة قرينة معنوية أننا لا نحس ارتياحاً إلى تفسير النحاة لمعنى باب الاختصاص إذ يجعلون الاسم المنصوب على الاختصاص مفعولا لفعل محذوف تقديره « أخص » أو « أعنى » ومع أن تقدير « أخص » منسجم مع اعتبار الاسم المختص من قبيل مايد خل تحت عنوان « التخصيص » إلاأنني أحس عزوفا تاما عن هذا التقدير الذي ينقل مبدأ وجوب الاستتار من الضمائر إلى الأفعال . والذي يبدو للى هنا أن القيمة الحلافية المراعاة في نصب هذا الاسم هي المقابلة بينه وبين الحبر الواقع بعد مبتدأ مشابه لما قبل الاسم المنصوب هنا . وانظر إلى الحملة الآتية :

نحن العربُ نكرمالضيف ونغيث الملهوف.

نحن العربّ نكرم الضيف ونغيث الملهوف .

فالعربُ في الجملة الأولى خبر وما بعده مستأنف والعرب في الجملة الثانية مختص وما بعده خبر . ولو اتحد المعنى لا تحد المبنى فأصبحت الحركة واحدة فيهما ولكن إرادة « المخالفة » بينهما كانت قرينة معنوية تتضافر مع اختلاف الحركة لبيان أن هذا خبر وهذا مختص . وقرينة المخالفة يمكن استخدامها في عدد آخر من أبواب النحو فتكون مثلا هي التفسير لما يرد من تعدد حركة المضارع في نحو «لا تأكل السمك وتشرب اللبن» وكذلك حركة

المستثنى المنقطع فى ما قام القوم إلا حماراه و(١) ونصب الاسم بعد ما افعل فى التعجب وبعد الصفة المشبهة . ولكننا لسنا هنا بصدد تفصيل التول فيها فلنكتف بالإشارة إلى اتخاذها قرينة معنوية على إطلاقها .

وكذلك المنصوبات التي يتغير المعنى برفعها في نحو وعد الله حقا وسقيا لك ورعيا ورأسك والسيف والبدار البدار و ندلا زريق المال النح وكذلك نصب تمييزكم الاستفهامية وعدم الاستثناء أو العطف بلا بعدها في مقابل ما يرد من ذلك مع كم الحبرية .

ويقول الفراء في معانى القرآن عند إعراب هذا زيد أسدا : إن أسدا منصوب لعدم وجو درافع .

قلنا: إن المخالفة من قبيل القيم الحلافية ونضيف هنا أن المخالفة قرينة معنوية فقط ولكن القيم الحلافية أعم من أن تكون معنوية فقط . فكا نلاحظ القيم الحلافية بين المعنى والمعنى نلاحظها كذلك بين المبنى والمبنى وحين تكون بين المعنى والمعنى تصبح معنوية كما رأينا من أمر المخالفة وأما حين تكون بين المبنى والمبنى فإنها تصبح قرينة لفظية لأن المبنى يتحقق بالعلامة والعلامة لفظ . وسنرى فيما بعد تحت عنوان خاص ما القرائن اللفظية وكيف تدل كل منها على مدلولها وكيف تتضافر فيما بينها وتتضافر مع القرائن المعنوية للدلالة على المعانى الوظيفية .

وأما النسبة فهى قرينة كبرى كالتخصيص وتدخل تحتها قرائن معنوية فرعية كما دخلت القرائن المعنوية المتعددة تحت عنوان التخصيص . والنسبة قيد عام على علاقة الإسناد أو ما وقع فى نطاقها أيضاً وهذا القيد يجعل علاقة الإسناد نسبية . وواضح أن معنى النسبة غير معنى التخصيص لأن معنى التخصيص تضييق ومعنى النسبة إلحاق . والمعانى التي تدخل تحت عنوان النسبة وتتخذ قرائن فى التحليل والإعراب وفى فهم النص بصورة عامة هى النسبة معانى حروف الحرومعها معنى الإضافة . لقد كان الكوفيون يطلقون لفظ الإضافة على المعانى المذكورة جميعاً ولكن ما يوقر مصطلح «الإضافة»

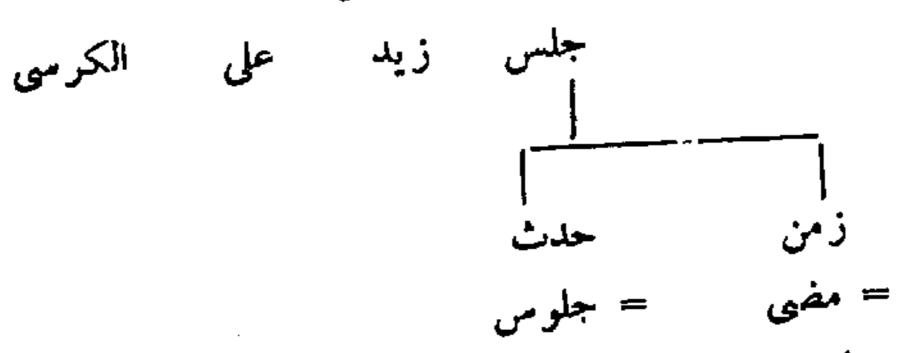
⁽١) والمثال للمتقطع من القام المنفى ويحمل نصب المُنبت عليه •

من تقاليد العرف الحاص في استعاله يجعلني أفضل للدلالة على ما يشمل معاني الحروف والإضافة مصطلح والنسبة ». يقول الأشموني في باب الاستثناء (١): و وإنما لم تعمل (أى وإلا ») الجر لأن عمل الجر بحروف تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء وتنسبها إليها ، و و إلا » ليست كذلك ، فإنها لا تنسب إلى الاسم الذي بعدها شيئاً ، بل تخرجه من هذه النسبة ». وأود أن أشير هنا بصفة خاصة إلى الكلمات الآتية :

تضيف – تنسب – تخرج – النسية.

فهى تذكرنا بقرائن «الإضافة» (وهى داخلة فى النسبة)، و «الإخراج» (وقد سبق الكلام عنها تحت عنوان التخصيص)، و «النسبة» وهي القرائن التي نتكلم فى تفصيلها هنا.

وحروف الجرحى فى اصطلاح النحاة القدماء ه أدوات تعليق ه ومن عباراتهم المشهورة قولهم : ه والجار والمجرور متعلق » ، فكلمة ه متعلق » هنا تفيده معانى الجر ه متعلق » هنا تفيد أن النحاة كانوا حريصين على شرح ما تفيده معانى الجر أى القرائن المعنوية المفهومة من حروف النسبة) من تعليق على أن التعلق بين الجار والمجرور وبين ما تعلق به إنما يكون يمعنى الحدث لا يمعنى الزمن . فإذا قلنا : جلس زيد على الكرسي فان الكرسي تعلق بالجلوس بواسطة حرف المجلو ولم يتعلق بالمحلي كما يتضح من الشكل الآتى .



والجملة بهذا تعنى مضى جلوس زيد على الكرسى فلا صلة للكرسى بالمضى وإنما تقوم الصلة بينه وبين الجلوس وأما العلاقة المباشرة للمضى فهى بالجلوس لأن معنى الفعل يشتمل عليهما جميعاً.

⁽١) شرح الاشبولي ص ٢٢٨ (معيني الدين) .

وأما معنى الإضافة فيكنى لبيان قوة التعليق فيه أن النحاة لم يغفلوا النص على أن المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة . غير أن هناك فرقاً بين النسبة التى يفيدها حرف النسبة والنسبة التى تفيدها الإضافة فالنسبة مع حرف النسبة أنها على حد تعبير الأشمونى و تضيف معانى الأفعال إلى الأسهاء وتنسبها إليها » وعلى حد تعبير نا نحن أنها تجعل علاقة الإسناد نسبية سواء كانت هذه العلاقة بين مبتدأ وخبره أو فعل وفاعله أو غير ذلك على حين تكون النسبة في الإضافة بين المتضايفين الواقعين في نطاق الإسناد . ولكل حرف من حروف النسبة عدد من المعانى المتباينة على أساس ما ذكرنا من ظاهرة تعدد المعانى الوظيفية للمبنى الواحد . والذي يلتمس معانى هذه الحروف كما حددها النحاة فسيجدها في عمومها كما يأتى :

٢ ــ انتهاء الغاية	١ _ ابتداء الغاية
٤ ــ الظرفية	٣ _ البعضية
٦ ــ الحجاوزة	 التعليل
٨ ــ الاستعلاء	٧ _ الاستعانة
١٠ - الإلصاق	٩ _ المصاحبة
١٧ التشبيه	١١ _ القسم
١٤ ـ التوكيد	۱۳ ـ بيان الجنس
١٦ ـ الاستحقاق	ه ۱ ـ الملك
١٨ ــ العاقبة	۱۷ ــ النسب
٢٠ التعويض	١٩ ــ المقايسة
٢٢ الاستدراك	۲۱ ــ التعجب.
۲٤ التبيين	۲۳ ــ التبليغ
٢٦ البدلية	م ۲ ــ البعدية
۲۸ التعدیة	۲۷ ـــ العندية
	٢٩ ــ الزيادة
1 . **1 **1	te as with the second second

فإذا زدنا هذه القرائن المعنوية قرينة « الإضافة » صارت هذه القرائن المعنوية تعت مفهوم النسبة ثلاثين قرينة معنوية . ومعنى النسبة واضح فى كل هذه القرائن . على نحو ما نرى فيما يلى :

ابتداء الغاية الطرف الأول: الحدث (ملابس الابتداء) الطرف الثاني: الغاية البعضية « الحدث (ملابس البعض) « الكل الظرفية « الحدث (المظروف) « ظرفه الغلوف » الحدث (المعلول) « العلق التعليل « الحدث (المعلول) « العلق المجاوزة « الحدث (المجاوز) » الحجاوزة « الحدث (المجاوز)

وكذلك الأمر فى البواقى . فالتعليق بواسطة ما يفهم بالحرف من نسبة هو فى حقيقته إيجاد علاقة نسبية بين المجرور وبين معنى الحدث الذى فى علاقة الإسناد . وهذا النوع من التعليق بمعنى الحرف واسع حقل التطبيق فى اللغة العربية الفصحى كما يمكن أن يرى من كثرة القرائن المعنوية التى تستخدم فى هذا التعليق .

وأما التبعية فهي أيضاً قرينة معنوية عامة يندرج تحتما أربع قرائن هي النعت والعطف والتوكيد و الإبدال وهذه القرائن المعنوية تتضافر معها قرائن أخرى لفظية أشهرها قرينة المطابقة ثم إن أشهر ما تكون فيه المطابقة بين التابع والمتبوع هو العلامة الإعرابية كما أن هذاك قرينة أخرى توجد فيها جميعاً هي الرتبة إذرتبة التابع هي الناخر عن المتبوع دا مماً أياكان نوعهما.

فأما النعت فهو يصف المنعوت ويكون مفر دا حقيقياً وسببياً وجملة وشبه جملة وأما التوكيد فمنه لفظى ومعنوى فاللفظى بتكرار المؤكد و المعنوى بألفاظ معينة . وأما عطف البيان فليس يتم بو إسطة الحرف وإنما يفسر التابع فيه ماكان في متبوعه من إبهام فهو مما قبله في وضع يقترب نوع اقتراب من معنى المفعول المطلق المبين للنوع من جهة ومن معنى التمييز أو النعت من جهة أخرى إلا أنه يمتاز عنهما بقرينة التبعية و بعض القرائن اللفظية و تفسير متبوعه يكون بتخصيصه إذا كان نكره وتوضيحه إذا كان معرفة . والنسق تتضافر فيه قرينة التبعية و قرينة الأداة و مطابقة الحركة . والبدل إما مطابق أو اشهال أو بعض أو إضراب وكل ما صح أن يكون عطف بيان صح أن يكون بدلا إلا عند امتناع إعاده بناء الجملة مع حذف المبدل منه وإقامة البدل مقامه فاذا امتنعت هذه التجربة فالتابع للبيان لا للأبدال .

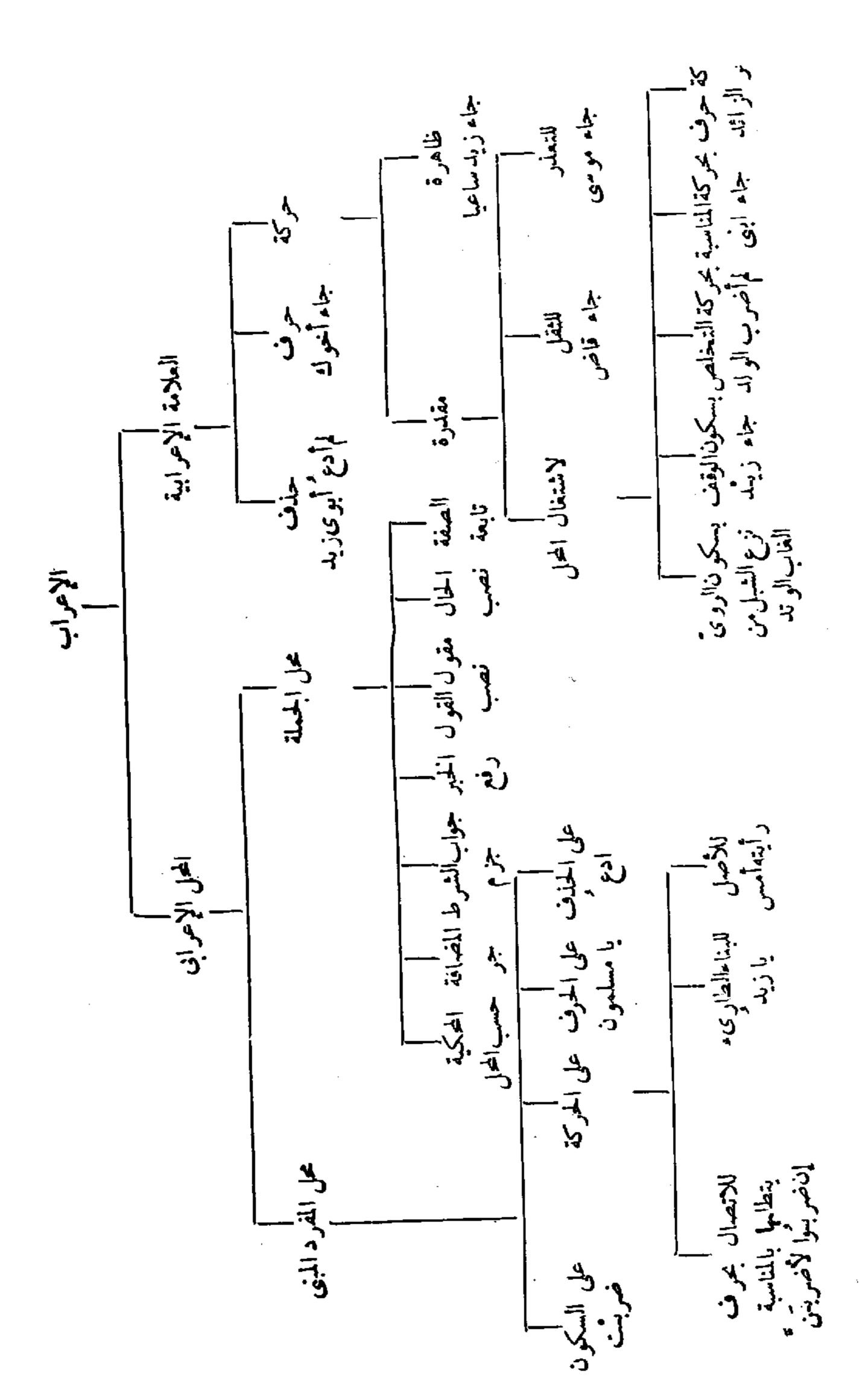
(ب) القرائن اللفظية

ذكرنا عندالكلام في المباني الصرفية أن من المباني ما هو تقسيمي ومنها ما هو تصريفي ومنها للقرائن اللفظية ولم يكن معنى ذلك بالطبع أن مباني التقسيم أو مباني التصريف لا تتخذ قرائن لفظية على المعنى لأن مباني التقسيم (والصيغ الصرفية فروع عليها) تمنحنا قرينة الصيغة كما أن مباني التصريف (واللواصق فروع عليها) تمنحنا أكثر المظاهر التي تظهر بها قرينة المطابقة. ويمكن أن نعد القرائن اللفظية في السياق على النحو التالى:

١ - العلامة الإعرابية
 ٣ - الصيغة
 ١ - الطابقة
 ٥ - الربط
 ٢ - التضام
 ٧ - الأداة

وسنحاول فيما يلى أن نتكلم فى كل واحدة من هذه القرائن على حدة :

العلامة الإعرابية : لقد كانت العلامة الإعرابية أو فر القرائن حظاً من اهتهام النحاة فجعلوا الإعراب نظرية كاملة سموها نظرية العامل وتكلموا فيه عن الحركات ودلالاتها والحروف ونيابها عن الحركات مم تكلموا في الإعراب الظاهر والإعراب المقدر والمحل الإعراب ثم اختلفوا في هذا الإعراب هل كان في كلام العرب أم لم يكن وكان لقطرب ومن تبعه من القدماء والمحدثين كلام في إذكار أن تكون اللغة العربية قد اعتمدت حقيقة على هذه العلامات في تعيين المعاني النحوية . حدث كل ذلك في وقت لم تكن العلامات الإعرابية أكثر من نوع واحد من أنواع القرائن بل هي قرينة وبالحذف لأن العلامة الإعرابية في كل واحدة من هذه الحالات ليست ظاهرة في سنفاد منها معني الباب . حتى حين ننظر إلى مطلق العلامة كمطلق الضمة أو مطلق الفتحة أو مطلق الكسرة فسنجد أنها لا تدل على باب واحد وإنما تدل الواحدة منها على أكثر من باب كما شرحنا من قبل . وفيها يلى تخطيط العلامة الإعرابية واستخدامها في اللغة العربية الفصحي، كما حدد ذلك النحاة : العلامة الإعرابية واستخدامها في اللغة العربية الفصحي، كما حدد ذلك النحاة :

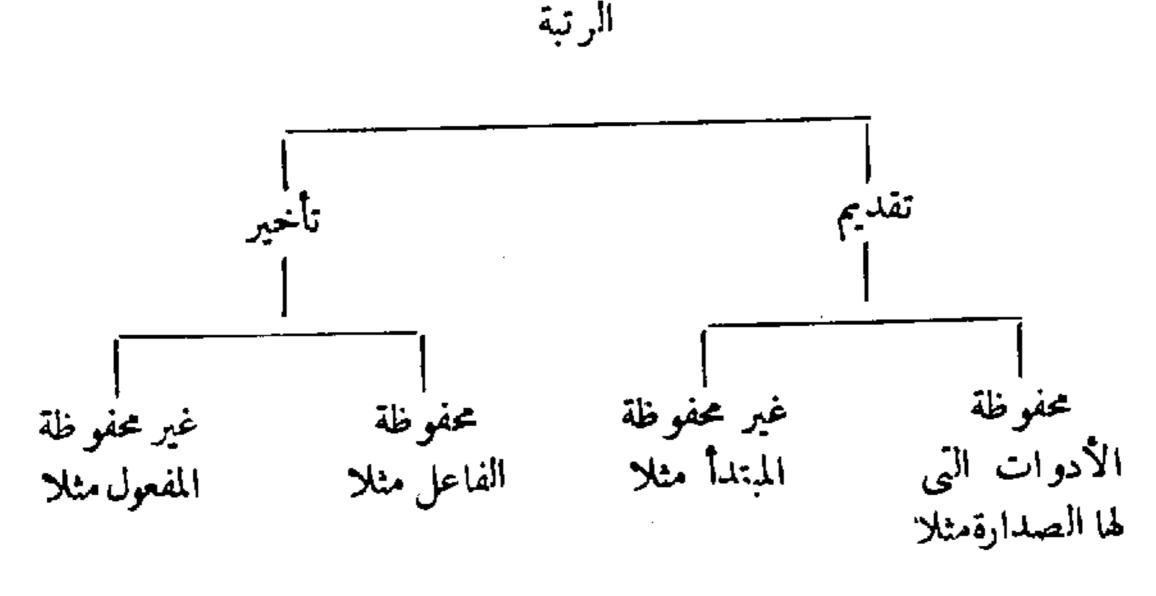


ولا أكاد أمل ترديد القول: إن العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى فلا قيمة لها بلون ما أسلفت القول فيه تحت اسم و تضافر القرائن » و هذا القول صادق على كل قرينة أخرى بمفردها سواء أكانت معنوية أم لفظية و بهذا يتضح أن «العامل النحوى» وكل ما أثير حوله من ضجة لم يكن أكثر من مبالغة أدى إليها النظر السطحى والخضوع لتقليد السلف والأخذ بأقو الهم على علاتها.

٢ _ الرتبة : أميل إلى الاعتقاد أن عبد القاهر حين صاغ اصطلاحه والترتيب ۽ قصد به إلى شيئين أولها ما يدرسه النحاة تحت عنوان والرتبة ۽ (وإن كانوا لم يعنوا بها تماما وإنما فرقوا القول فيها بين أبواب النحو) وثانيهما ما يدرسه البلاغيون تحت عنوان التقديم والتأخير . ولكن دراسة التقديم والتأخير فىالبلاغة دراسة لأسلوبالتركيب لاللتركيب نفسه أىأنها دراسة تتم في نطاقين أحدها مجال حرية الرتبة حرية مطلقة والآخر مجال الرتبة غير المحفوظة وإذاً فلا يتناول التقديم والتأخير البلاغي ما يسمى فى النحو باسم الرتبة المحفوظة لأنهذه الرتبة المحفوظة لواختلت لاختلالتركيب باختلالها ومنهنا تكونالرتبة المحفوظة قرينة لفظية تحدد معنى الأبواب المرتبة بحسبها ومن الرتب المحقوظة فى التركيب العربى أن يتقدم الموصول على الضلة والموصوف علىالصفة ويتأخر البيان عن المبين والمعطوف بالنسق عن المعطوف عليه والتوكيد عن المؤكد والبدل عن المبدل والتمييز عن الفعل ونحوه و صدارة الأدوات في أساليب الشرط و الاستفهام والعرض والتحضيض و نحوها وهذه الرتبة (صدارة الأدوات) هي التي دعت النحاة إلى صوغ عبارتهم الشهيرة «لا يعمل ما بعدها فما قبالها ، ومن الرتب المحفوظة أيضاً تقدم حرف الجو على الجبرور وحرف العطف على المعطوف وأداة الاستثناء على المستثنى وحرف القسم على المقسم به وواو المعيةعلى المفعول معه والمضاف على المضاف إليه والفول على الفاعل آو نائب الفاعل وفعل الشرط على جوابه ومن الرتب غير المحفوظة فى النحو رتبة المبتدأ والخبر ورتبةالفاعل والمفعول به ورتبة الضميروالمرجع ورتبة الفاعل والتمييز بعد نعم ورتبة الحال والفعل المتصرف ورثبة المفعول به والفعل .

وتقوم الرتبة في كل ذلك قرينة من القرائن المتضافرة على تعيين معنى الباب وقد سبق في إعراب «ضرب زيد عمراً» أن كانت الرتبة فعلابين القرائن المستخدمة في تعيين معنى الفاعل لأنه بعد الفعل بحسب الرتبة بل إن الرتبة غير المحفوظة قد تدعو الحال إلى حفظها إذا كان أمن اللبس يتوقف عليها وذلك في نحو ضرب موسى عيسى ونحو أخى صديقي إذ يتعين في موسنى أن يكون فاعلا و في أخى أن يكون مبتدأ محافظة على الرتبة لأنها تزيل موسنى أن يكون في الباب النحوى.

و فيما يلى تخطيط يبين الرتبة :



ويظهرأن بين الرتبة النحوية وبين الظواه رالموقعية رحامو صولة لأن الرتبة حفظ الموقع والظاهرة الموقعية هي تحقيق مطالب الموقع على رغم قواعد النظام كما سيكون شرحه فيما يأتى في موضعه إن شاء الله . والملاحظ أننا لو استعرضنا أقسام الكلم وربطنا بينها وبين قرينة الرتبة فسنجد أن الرتبة تتجاذب مع البناء أكثر مما تتجاذب مع الإعراب وتتجاذب من بين المبنيات مع الأبوات والظروف أكثر مما تتجاذب مع أى مبنى آخر . ومع أننى أنفر من التصدى لتعليل الظواهر اللغوية أجدنى مدفوعا هنا إلى ملاحظة أن عدم وجود قرينة العلامة الإعرابية في المبنيات قد جنح بها إلى قرينة الرتبة وجعل الرتبة عوضا لها من العلامة الإعرابية .

وقد يطرأ على الرتبة غير المحفوظة من دواعى أمن اللبس ما يدعو الى حفظها كما أشرنا إلى ذلك بمثالبن ها ضرب موسى عيسى و أخى صديق وقد يطرأ عليها من ذلك ما يحتم عكسها كالذى نراه من لزوم تقديم الحبر على المبتدأ أحيانا وفى ذلك يقول ابن مالك:

ملتزم فيه تقدم الخبر هما به عنه مبنيا يخبر كأين من علمته نصيرا كالنا إلا اتباع أحمدا

و بحوعندی درهم ولی طر کذا إذا عاد علیه مضمر کذا إذا یستوجبالتصدیرا وخبر المحصور قدم أبدآ

ويتضح مما تقدم ما يأتى :

۱ ـــ أن اارتبة قرينة لفظية وعلاقة بين جزءين مرتبين من أجزاء
 السياق يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه .

الرتبة أكثر وروداً مع المبنيات منها مع المعربات وأن ورودها
 مع الأدوات والظروف من بين المبنيات أكثر اطرادا منه مع غيرها .

سے آن الرتبة بکونها قرینة لفظیة تخضع لمطالب أمن اللبس وقد یؤدی ذلك إلى أن تنعکس الرتبة بین الجزءین المرتبین بها . ویکون ذلك أیضا إذا کانت الرتبة وعکسها مناط معنبین یتوقف أحدها علی الرتبة والآخر علی عکسها نحو

ما أمر جاء بك و أمر ماجاء بك هذا الفارس (شجاع مثلا) و الفارس هذا رضى أخى (مطلوب مثلا) و أخى رضى (بحبى مثلا) قام زيد و زيد قام و زيد قام و و « أزيد قائم » أعرف كيف حدث هذا (كيف مفعول به) و أعرف هذا كيف حدث (كيف مفعول به) و أعرف هذا كيف حدث (كيف بدل)

والذى يبدو لى أن الرتبة فرع على التضام بمعناه العام(١) وإذ لارتبة لغير متضامين .

٣ – مبنى الصّيغة : لقد سبق لنا أن ذكرنا أن الصيغ فروع على مبانى التقسيم فللأسماء صيغها وللصفات والأفعال صيغها كذلك والمعروف أن الفاعل والمبتدأ وناثب الفاعل يطلب فيهاآن تكون أمياء وأن الفعل نواة الجملة الفعلية والوصف أوالصفة نواة الجملة الوصفية التي تكون بوصف معتمد على ننى أو استفهام أو مبتدأ أو موصوف أو نحوه مما يسبق الأفعال فإذا وليته الصفات دخلت في علاقات سياقية شبيهة بما يكون للأفعال من هذه العلاقات ، والمصادر من بين الأسماء تكون مفعولامطلقا ومفعولا لأجله وتنقل إلى معنى الفعل أيضا و المطلوب في الخبر و الحال و النعت المفر دأن تكون صفات ُويكون الخبر والحال والنعت هي العناصر التي اعتمدت عليها الصفات والمطلوب في التمييز أن يكون اسما نكرة جامداً وفي بدل ضمير الإشارة أن يكون اسما وفيما بعد حرف الجر وفي المضاف والمضاف إليه أن يكون اسما كذلك و في المفعول فيه أن يكون ظرفا أومنقولا إلى الظرف من بين المبهمات وفى صدركل جملة عربية ما عدا الجملة المثبتة أن يكونذا أداة كما في النفي والتأكيد والاستفهام والنهي والعرض والتخصيص والتني والترجي والشرط والتعجب والقمم والنداء الخ . ولكن الأداة ستستقل بعلاج خاص فيما بعد إن شاء الله .

وهكذا تكون الصيغة قرينة لفظية على الباب فنحن لا نتوقع للفاعل ولا للمبتدأ ولا لنائب الفاعل أن يكون غير اسم ولو جاء فعل في هذا الموقع لكان بالنقل اسما محكيا كما يحدث عندما نعرب عبارة مثل و ضرب فعل ماض و إذ يصير ضرب مبتدأ وفعل خبرو ماض نعت لأن ضرب هنا حكى وقصد لفظه قصار اسما كالأسماء الاخرى وتحقق للمبتدأ أن يكون اسما .

على أن معانى الصيغ الصرفية تكون وثيقة الصلة بالعلاقات السياقية فنحن نعلم أن الفعل اللازم لايصل إلى المفعول به بغير واسطة ونعلم أيضا

⁽۱) الكر التضام فيما يل يعد قليل ء

آن بعض الصيغ معناها اللزوم وذلك كالمطاؤع والمبنى للمجهول من المتعدى لواحد وأفعال السجايا مثل فعل يفعل بضم العين وغير ذلك فمعنى الصيغة الصرفية يذبىء عن علاقاتها السياقية . ونحن نعلم أيضا أن المتعدى من الأفعال ما وصل إلى المفعول به بلا واسطة ونحن نعلم أيضا أن الثلاثى اللازم الذى يهمز أو يضعف يصير متعديا ومن هنا تصير الصيغة ودلالتها ذواتى أثر نحوى يتمثل في علاقاتها السياقية . ومن قبيل ذلك أن الأفعال التي تدل بصيغتها الصرفية على المشاركة تتطلب فاعلا غير مفرد أو مفردين متعاطفين بالواو ومن هنا تكون الصيغة قرينة دالة على نوع الفاعل فلوجاء الفاعل مفردا ليس بعده معطوف بالواو لأحس السامع في نفسه ترقبا لهذا المعطوف لأن ما دلت عليه القرينة لم يتحقق ، ومن قبيل ذلك أن التوكيد اللفظي يكون بتر ديد المؤكد بصيغته ولفظه وأن التوكيدالمعنوى يكون بصيغ و ألفاظ بعينها فلو أكدت بغير ذلك لم يكن توكيداً. ومنه أيضا أن الفرق بين النواسخ الفعلية وشبيهاتها من الأفعال التامة نحو زال و دام الخ هو فرق في الصيغة أيضًا لأن إحدى الصيغتين في كل يأتي منها المصدر لدلالتها مع الزمن على الحدث و لأن الأخرى لا يأتى منها المصدر لأنها تدل على الزمن دون الحدث وإذا كان المصدر بحكم تعريفه هو اسم الحدث فلا جرم أن ما زال وما دام لايأتى منهما المصدر فلا نتوقع أن نرى جملة مثل وزواله

المطابقة : مسرح المطابقة هو الصيغ الصرفية والضمائر فلامطابقة في الأدوات و لا في الظروف مثلا إلا النواسخ المنقولة عن الفعلية فان علاقاتها السياقية تعتمد على قرينة المطابقة وأما الخوالف فلا مطابقة فيها إلاما يلحق و نعم » من تاء التأنيث . و تكون المطابقة فيما يأتى :

١ ــ العلامة الإعرابية .

الشخس (التكلم والحطاب والغيبة)
 العدد (الإفراد والتثنية والجمع)
 النوع (التذكير والتأنيث)
 التعيين (التعريف والتنكير)

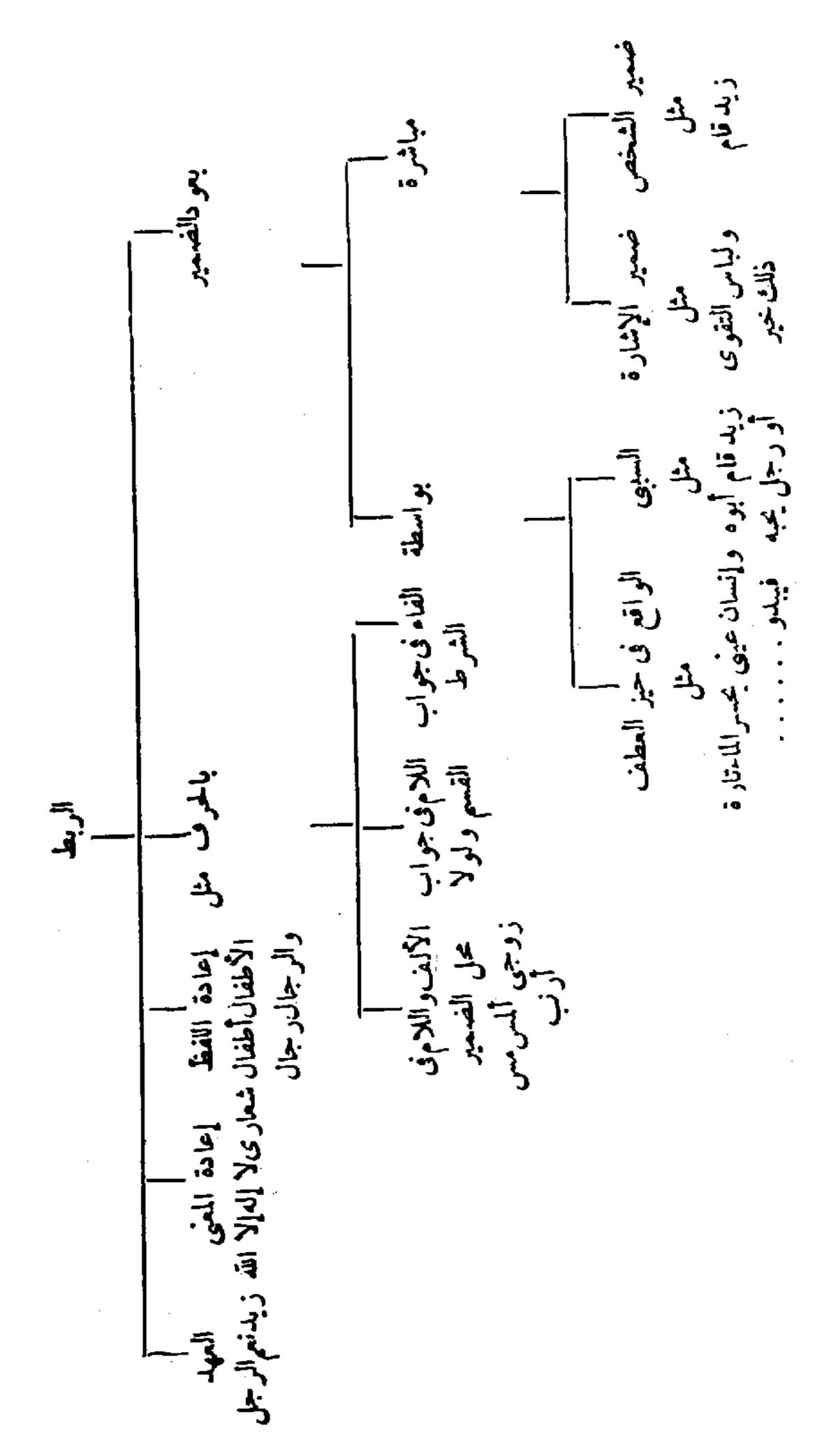
فالعلامة الإعرابية تكون للأسماء والصفات وللفعل المضارع فيتطابق بها الاسمان والاسم والصفة والمضارعان المتعاطفان وأما الشخص فانه تمايز الضمائر بحسبه بين التكلم والخطاب والغيبة ومن ثم تتضح المقابلات بحسبه فى إسناد الأفعال وإذا كان الفعل مسندا إلى الاسم الظاهر فهذا الاسم فى قوة ضمير الغائب أما إذا كان الفعل نواة جملة خبرية مبتدؤها ضمير فان الفعل لابد أن يطابق من حيث الشخص ما تقدمه من ضمير . وأما العدد فانه بميز بين الاسم والاسم وبينالصفة والصفة وبين الضمير والضمير (سواء أكان الضمير للشخص أو للإشارة أو الموصول) ومن هنا يتطابق الاسم والاسم والصفة والصفة ، والاسم والصفة ، والضمير المبتدأ وإسناد الفعل الذي في جملة خبره من حيث الإفراد والتثنية والجمع ، ثم ما يعود على كل ذلك من الضمائر يكون مطابقا له في العدد. وأما النوع فانه يكون أساسًا للأسماء والصفات والضمائر (بأنواعها) وتنطابق الأفعال مع هذه الأقسام عند إسنادها إليها أو إلى ضمائرها العائدة إليها كما تنطابق هذه الأقسام في ذلك فى مواضع التطابق . وأما التعريف والتنكير فلا يكونان إلا للأمهاء فاذا لحقت أَل بالصفة كانت « أَل » موصولة والصفة الصريحة صلتها وتكون «أَل» فى هذه الحالة من قبيل الضمائر الموصولة لا أداة للتعريف ومع ذلك تتطابق بها الأسماء مع الصفات . وأما غير ذلك من أقسام الكلم فلا يقبل و آل ۽ .

و لاشك أن المطابقة فى أية واحدة من هذه المجالات المحمسة تقوى الصلة بين المتطابةين فتكون هى نفسها قرينة على ما بينهما من ارتباط فى المعنى وتكون قرينة لفظية على الباب الذي يقع فيه ويعبر عنه كل منهما . فبالمطابقة تتوثق الصلة بين أجزاء التركيب التي تتطلبها وبدونها تتفكك العرى وتصبح الكليات المتراصة منعز لا بعضها عن بعض ويصبح المعنى عسير المنال . انظر مثلا فيما يأتى :

١ – تركيب صحيح المطابقة : الرجلان الفاضلان يقومان
 ٢ – مع إزالة المطابقة في الإعراب: الرجلان الفاضلين يقومان
 ٣ – مع إزالة المطابقة في الشخص: الرجلان الفاضلان تقومان
 ٤ – مع إزالة المطابقة في العدد: الرجلان الفاضل يقومون
 ٥ – مع إزالة المطابقة في النوع: الرجلان الفاضلتان يقومان
 ٢ – مع إزالة المطابقة في التعيين: الرجلان فاضلان يقومان
 ٧ – مع إزالة المطابقة في جميع ذلك: الرجلان فاضلات أقوم

فقد رأينا من إزالة المطابقة من جهة واحدة أو من جهات متعددة فيها أوردنا من أمثلة أن هذه الإزالة تذهب بعلائق الكلمات وتقضى على الفائدة من التعبير أى أنها تزيل المعنى المقصود كما رأينا أن وجود هذه المطابقة يعين على إدراك العلاقات التي تربط بين المتطابقين ومن هنا نصل إلى فهم طبيعة المطابقة وكونها « قرينة لفظية » على المعنى المراد.

و سالربط: وهذا أيضا قرينة لفظية على اتصال أحد المترابطين بالآخر. والمعروف أن الربط ينبغى أن يتم بين الموصول وصلته وبين المبتدأ وخبره وبين الحال وصاحبه وبين المنعوت ونعته وبين القسم وجوابه وبين الشرط وجوابه الخ. ويتم الربط بالضمير العائد الذي تبدو فيه المطابقة كما يفهم منه الربط أو بالحرف أو باعادة اللفظ أو إعادة المعنى أو باسم الإشارة أو أل أو ديحول أحد المترابطين في عموم الآخر. ويمكن أن نوضح ذلك بما يأتي:



وحين بعودالضميريكون عوده على مذكورمتقدم لفظا ورتبة أولفظا دون رتبة آورتبة دون لفظ ويعود بعض الضمائز على متأخر لفظا ورتبة كضمير الشأن وقد يعود على مفهوم،فاذا عاد على مذكور طابقه من حيث الشخص والعدد والنوع ومنهنا كان الضمير في قوله تعالى : لا لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ۽ عائدا على الكافرين لا على الأبواب ولو أعاده على الأبواب لقال ه منها » وأما عوده على مفهوم من الكلام السابق فنحو قوله تعالى: وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولوكان ذا قربى » فالضمير المستر في كان كما يقول النحاة عائد مفهوم من الفعل « تدع » أي و لوكان المدعو ذا قربي . وقد يكون عود الضمير على مرجعه مباشرا نحو « هذا الذي أعرفه » و قد يكون بو اسطة سببي نحو « هذا الذي أعرف رجلا يعرفه » أو داخلا في حيز جملة معطوفة على الجملة المراد ربطها نحو والذي يبكي فيضحك الناس منه هو الممثل ، ويكون العطف هنا بالفاء فقط ومن ثم تعتبر الفاء هنا رابطا حرفيا وتتضافر في الربط مع الضمير العائد . وقد يستتر الضميرالعائد كما في « هذا الذي قام » وقد يحذف إذا لم يكن ركن إسناد نحو قوله تعالى: ۵ واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ، أى فيه . ومثله قول طرفة : ببهكنة نحت الحباء وتقصيريوم الدجن والدجن معجب كآن البرين والدمالج علقت على عشر أو خروع لم يخضد أى كأن البرين والدمالج عليها علقت على عشر ألخ .

والربط بالحرف يكون كوقوع الفاء في جواب الشرط (ومثلها إذا المفاجأة) فتكون قرينة لفظية على أن ما اقترن بها هو جواب الشرط فاذا قلنا مثلا : هإن رجل منهم كلمك فكلمه ، فانالفاء هنا رابطة بين الجواب والشرط ولو أزيلت لصح في إن التي في صدر الجملة أن تكون مخفقة من الثقيلة وأن يكون فعل الأمر بغير الفاء على سبيل الاستثناف ولكن وجود الفاء أزال هذا اللبس الممكن ، ولا شك أن الفاء حين تزيل هذا اللبس تكون قرينة لفظية على المعنى بربطها بين الشرط والجواب (١) . ومثل ذلك يقال في اللام الواقعة في جواب لولا والواقعة في جواب القسم والفاء الواقعة في جواب

⁽۱) الأشبولي ص ۸۸۵ •

أما ومن هذا يبدو أن الأجوبة تفتقر إلى هذه الروابط الحرفية حتى يعلم بهذه القرائن اللفظية أنها أجوبة .

والربط يكون أيضا باعادة اللفظ نحو قول القائل: « الشرق شرق والغرب غرب و لا يلتقيان ». وقوله تعالى: « الحاقة ما الحاقة » فاعادة المرجع بلفظه رابط أقوى من إعادة ضميره عليه لأن لفظه أقوى من الكذاية عنه ويكثر ذلك في الشعر مثل:

و كذلك يكون الربط باعادة معنى اللفظ وقد مثل ابن مالك لكسر همزة وكذلك يكون الربط باعادة معنى اللفظ وقد مثل ابن مالك لكسر همزة إن بمثال يصلح لذلك هو جملة « خير القول إنى أحمد » ومن ذلك أيضا « شعارى لا إله إلا الله » و « ديدنى لا نجاح بلا تعب » ومثل : « محمد شفيعى نبى الله » و كان الكلام الذي قبل البيان على نية التمام ثم جاء البيان للإيضاح فكان من قبيل الربط ويكون الربط أيضا بالعهد الذكرى نمي زيد نعم الرجل » و « أعطيت سائلا فها قنع السائل » و أل هنا في قوة الضمير أي فها قنع ذلك أو المذكور أو هو والذي يبدو لي أن إعادة اللفظ وإعادة المعنى والعهد الذكرى جميعا من واد واحد .

ومن استعمال اسم الإشارة فى الربط قوله تعالى : « يوم بجمعهم ليوم الحمع ذلك يوم التغابن » وقوله تعالى : « والذين كفروا وكذبوا بآباتنا أو لئك أصحاب النار ... »

ويعود على الاسم الظاهر ضمير الغائب نحو « زيد رأيته » لأنه في قوته في حقل المطابقة إلاأن بكون الظاهر منادى فيكون في قوق ضمير الحطاب شحو « يا زيد بشراك » فان الكاف هنا تقف بازاء زيد أو مختصا فيكون في قوة ضمير التكلم نحو « نحن العرب نكرم الضيف » إذ أن حرف المضارعة هنا هو النون للمطابقة كما يقف الاسم الظاهر هنا بازاء نحن .

التضام: يمكن فهم التضام على وجهين نلخصهما فيا يأتى:
 الوجه الأول أن النضام هو الطرق الممكنة فى رصف جملة ما فتختلف طريقة مها عن الأخرى تقديما و تأخير ا و فصلا و و صلا و هلم جرا و يمكن أن نطلق على هذا الفرع من التضام اصطلاح ٩ التوارد،

⁽٢) البيت مثال صنعه المؤلف .

وهو بهذا المعنى أقرب إلى اهتمام دراسة الأساليب التركيبية البلاغية الحالية منه إلى دراسة العلاقات النحوية والقرائن اللفظية . ومن ثم نتخطاه ونتركه لمن شاء أن يوغل فيه .

(ب) الوجه الثانى أن المقصو د بالتضام أن يستلز مأحد العنصرين التحليلين النحويين عنصرا آخر فيسمى التضام هنا «التلازم» أو يتنافى معه فلا يلتنى به ويسمى هذا «التنافى» وعند ما يستلزم أحد العنصرين الآخر فان هذا الآخر قد يدل عليه بمبنى وجودى على سبيل الذكر أو يدل عليه بمبنى عدمى على سبيل التقدير بسبب الاستتار أو الحذف وهذا هو المعنى الذي نقصد إليه بهذه الدراسة.

قلنا: إن التلازم إما أن يكون بالمبى الوجو دى وهو المذكور وإما أن يكون بالمبى العدمى وهو لا يتحقق بعلامة والملاحظ أن الأكبر في أمن اللبس أن يكون نتيجة الذكر فيكون الذكر قرينة على المعنى المراد ويم ذلك الذكر على طريق الافتقار أحيانا كما في تلازم الموصول صلته وتطلب كلا وكلتا مضافا إليه معرفة مثنى ويطلب العائد مرجعا والتلازم بين حرف الحر ومجروره والمبهم وتمييزه وواوالحال وجملة الحال وحرف العطف والمعطوف والنواصب والجوازم والفعل المضارع والجواب الذي العطف طريق الاحتيار فتذكر الضميمة إذا لم تعن القرائن الأخرى على تقديرها ونستر أو تحذف عند وجود القرينة الدالة عليها لقصد الايجاز والانصراف عن إطناب غير مطلوب يقول ابن مالك :

وبعد فعل فاعل فان ظهـر فهو والا فضمير استر

ولا يكون استتار العلامة التي يتحقق بها المبنى الذي يشير إليه النضام إلا بقرينة فتكون القرينة في الماضي هي وضع صورة الفعل الذي استبر فيه الضمير بازاء صور الأفعال الأخرى ذوات الضمائر المتصلة فتكون المقابلة (أي القيمة الحلافية أو المخالفة) أساسا لفهم خصوص الضمير المستبر المستبر بواسطة صورة فعله دون حاجة إلى ذكر الضمير وودلالة الفعل بصورته الإسنادية في نطاق الحدول على ضمير ما هو التفسير المضبوط لما قصده النحويون باصطلاح و الاستتار ، فليس في المسألة ما يشبه الكلام في الغيبيات والغنيات كما زعم البعض على أن الاستتار في السياق لاينكل على الصورة في الجلول فحسب وإنما يعززه أيضا وجود مرجع في الجملة يدل على خصوص المستر . فالفاعل يذكر اختياراً مع بعض صيغ الماضي لدلالة القرائن عليه عند الاستتاراً ما في المضارع فان حروف المضارعة تفيد المعاني التصريفية التي تؤخذ في الماضي من الضمائر المتصلة فاذا استر الضمير في المضارع فإن حرف المضارعة إحدى قرائن تقديره بل أهم هذه القرائن في المضارع فإن حرف المضارعة إحدى قرائن تقديره بل أهم هذه القرائن والاستتار في الأمر في صورة واحدة هي المخاطب المفر دخوقو فها بازاء بقية الصور يدل من طريق القيمة الحلافية على خصوص الضمير المستر وهكذا والاستتار في ضمير الفاعل ونائب تعين القرائن كالقيمة الحلافية والربط بالمرجع وحروف المضارعة على تعين القرائن كالقيمة الحلافية والربط بالمرجع وحروف المضارعة على تعين القرائن كالقيمة الحلافية والربط بالمرجع وحروف المضارعة على الفاعل ونائب تعين القرائن كالقيمة الحلافية والربط بالمرجع وحروف المضارعة على الفاعل ونائب المنتار مطردا (واجب) ومتى يكون غير مطرد (جائزا) فلا حاجة بنا إلى تكرار ذلك هنا . ذلك أمر الذكر والاستتار .

أما الذكر والحذف فانهما يكونان فيما عدا ذلك من الضمائر وغيرها من أقسام الكلم جميعا على أن يكون الحذف دائما مع وجود القرينة الدالة على المحذوف . فالمضاف والمضاف إليه يتطلب أحدها الآخر ويحذف كل منهما مع وجود القرينة نحو وواسأل القرية ، و و تله الأمر من قبل ومن بعد ، والمبتدأ والحبر متلازمان ويحذف كل منهما بالقرينة .

وحلف ما يعلم حائز كما تقول زيد بعد من عندكما وفى جواب كيف زيد قل دنف فزيد استغنى عنه إذ عــرف

والموصوف وصفته متلازمان ولكن كلا منهما بحذف فتدل عليه القرينة عند حذفه نحو وصليت بالجامع و والمراد المسجد الجامع و نحو و وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، والمراد المسجد الأقصى . والضمير العائد يذكر فيكون قرينة دالة على الارتباط بين جملة فرعية أو نحوها وبين بقية أجزاء الجملة الكبرى ولكنه إذا قامت قرينة أخرى تفيد ما يفيده هذا الضمير أو تدل على هذا الضمير العائد أمكن حذفه نحو و ما هذا الذي صنعت ،

وقوله تعالى: «واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ». ويحذف هذا العائد إذا كان أول مفعولى ظن نحو « زيد ظننت قائما » لوجود القرينة الدالة عليه وهي المبتدأ ، الذي هو مرجع هذا الضمير .

والفعل يذكر أو محذف إذا دلت عليه القرينة بالتفسير نحو وإذا السماء انشقت ۽ أو دخول الأدوات التي تنطلب الأِفعال على الاسم المنصوب نحو و التمس ولو خاتما من حديد ۽ أو أن يذكر ما يطلب المحذوف من غير ذلك نحو وإن زيدا ملك أو كاد ۽ فالحذف لا يتم إلا بقرينة تدل على المحذوف ولا مانع في كل ذلك من ذكر المحذوف . وأما ما يسميه النحاة ﴿ وَجُوبِ حذف الفعل ، فالمعنى في جميعه على غير تقدير الفعل. لقد قال النحاة بحذف الفعل وجوبا فى النداء ولا يستقيم معنى النداء وهو إنشائى مع تقدير الفعل لأن الكلام مع تقديرة سيصبح خبرا والأوضح فيه أنه من الجمل التى تعتمد على الأداة ومعناها ، وقال النحاة بحذف الفعل وجوبا في الاختصاص والأوضح فبه أن نصب الاسم المختص على المخالفة أى أن النصب قيمة خلافية تفرق بينه وبين الخبر في نحو و نحن العرب نكرم الضيف ، . وقال النحاة بوجوب حِذف الفعل مع الصفات المقطوعة والبن فيه أن القرائن الأخرى دلت على الربط بين الصفة والموصوف حتى لم تعد الحركة الإعرابية مناط المعنى فصح الاستغناء عنها انكالا على بقية القرائن وهذا شبيه بما في وخرق الثوب المسمار ، و وجحر ضب خرب ، وقال النحاة بوجوب حذف الفعل في التحذير والأوضح فيه أن ضمير النصب المنفصل يتعدد معناه بين التعدية وهي معنى المفعول به وبين معنى الأداة فيرجع ذلك إلى ما درسناه تحت تعدد المعانى الوظيفية للمبنى الواحد وإذا كان ﴿ إِيَاكِ ۗ ﴾ منقولاً إلى معنى الأداة هنا فلا سبيل إلى فهم معنى الفعل المحذوف. وأما وإن زيداً ضربته وفاراها منمسائلالرتبة والفصل والربط بالضمير وليست من مسائل حذف الفعل وجوبا.

وأورد النحاة عبارات محفوظة قالوا إنهاعلى حذف الفعل وجوبا وأكثر ما يرد من هذه المنصوبات يمكن تفسيره على معنى المخالفة فنكون الفتحة قيمة خلافية تفرق بين معنى هذه المنصوبات في حالة النصب وبين معناها فى حالة الرفع نحو: شأنك والحج ، امرأ ونفسه ، أهلك والليل — عذيرك — هذا ولازعماتك كليهما وتمرا ، كل شيء ولا شتيمة حو . انتهوا خيرا لكم ، الأسد الأسد ، سقيا لك ورعيا و يحك ، حمدا وشكرا ، إنما أنت سيرا سيرا ، له صوت صوت حار ، هو عبد الله حقا ، له ألف عرفا ، حنانيك ، هنيئا مريئا ، أقائما و قد قعد الناس النح .

وأما الأدوات فبعضها يتطلب الأسماء كليتما وإذا الفجائية وإن وأخواتها والنواسخ الأخرى الداخلة على الجملة الإسمية وبعضها يتطلب الافعال كإن ولو ولولا ولوما وألا وهلا وكذلك تنقسم بحسب الدخول على المفر دات والدخول على الجمل ولكل أداة معناها في التعليق النحوى والذلك تعتبر الأداة قرينة من هذه القرائن على نحو ما سنرى بعد قليل و لكن قرينة الأداة ككل قرينة أخرى لا تقف وحدها فى نظام إفادة القرائن وإنما تكون إفادتها فى إطار مبدأ عام سبقت الإشارة إليه هو مبدأ تضافر القرائن، فاذا كانت القرائن الآخرى بحيث تغنى عن ذكر الأداة فلا تكون الأداة بمفردها مناط المعنى فان النص حينتذ يمكن أن يؤمن فيه اللبس بدون ذكر الأداة . فمن ذلك أن التلازم الذي بين همزة التسوية وبين « أم » يجعل « أم » هذه ـ قرينة على الهمزة فيستغنى أحيانا عن الهمزة بقرينة ذكر «أم » نحو «سواء على قمت أم قعدت ، والأمر كذلك مع همزة التعيين نحو ﴿ قَامُم زيد أم قاعد » وبذا يكون الاستفهام قد تم بدون الأداة . وقد تغنى النغمة عن الأداة كما في قولك عند عرضك الطعام على مخاطب : « تأكل » والمعنى المراد « ألا تأكل » وقد يستغنى عن أداة النداء بقرينة قصده ونغمته أيضا

والجمل الفرعية كذلك تحذف عند أمن اللبس أى عند إغناء القرائن عن ذكرها وذلك كحذف جملة حواب الشرط في نحو قوله تعالى : فان استطعت أن تبتغى نفقا في الأرض » الخ وكذلك قوله تعالى : وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » . بل قد تحذف الجملة الشرطية بجزعها عند دلالة القرينة إذ يؤمن اللبس نحو :

قالت بنات العم ياسلمي وإنن كان فقيرا معدما قالت وإنن(١)

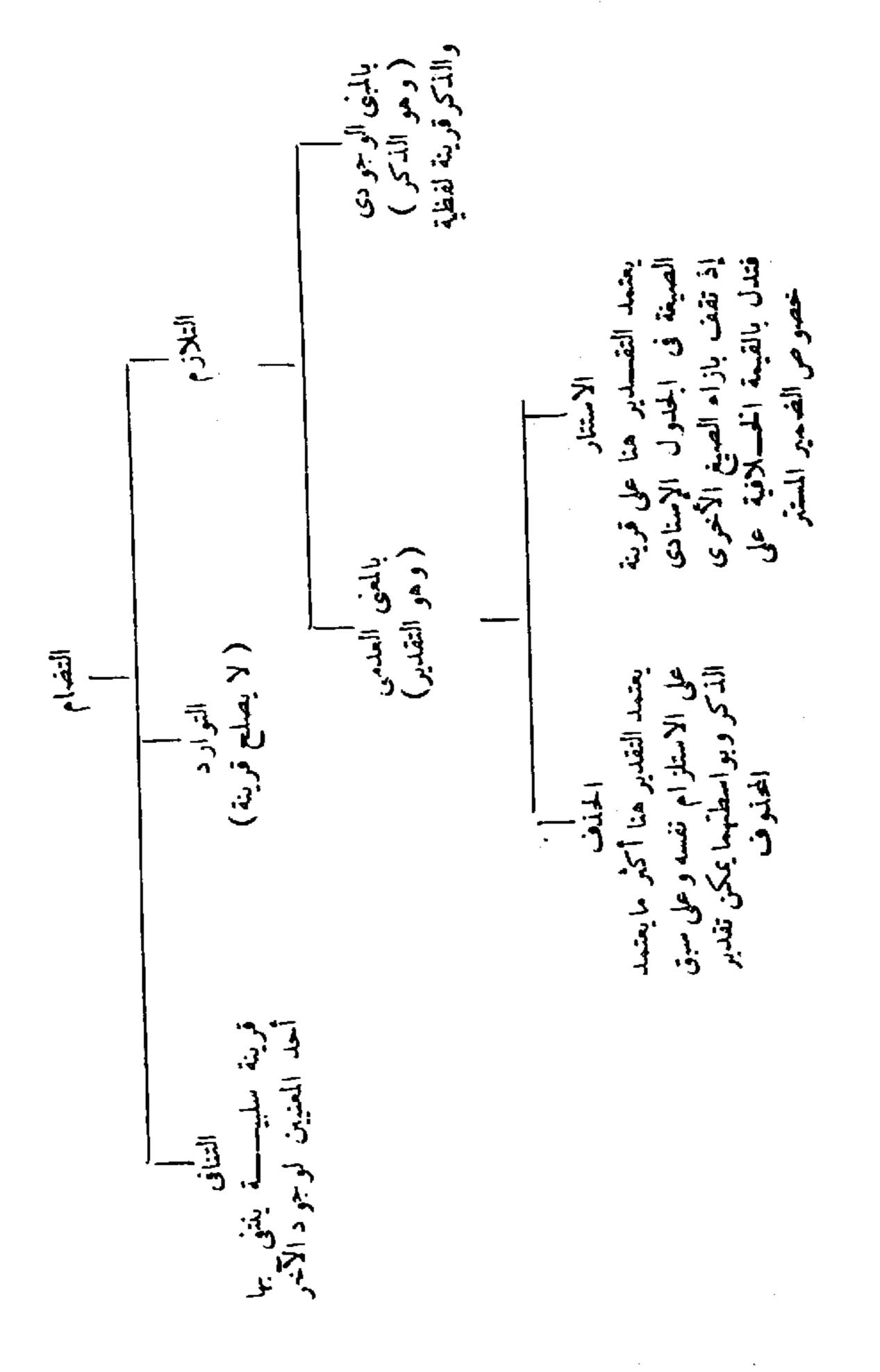
وإذا دلت القرائن على جملة الخبر فأمن اللبس مع حذفها فمن الممكن أن تحذف نحو الجواب على قوله : من الذى حفظ اللرس ؟ بقولك : « على » . أى على حفظ اللرس وتحذف الجملة التى قطع عنها الظرف بقرينة دالة عليها كسبق الذكر وتنوين الظرف للقطع كقوله تعالى : « وأنتم حينيذ تنظرون » أى « حين إذ بلغت الروح الحلقوم » وقد جاء تقدير هذه الحملة على هذه الصورة بخصوصها بقرينة سبق الذكر في قوله تعالى : « فلولا إذا بلغت الحلقوم » .

فالذكر قرينة لفظية والحذف إنما يكون بقرينة لفظية أيضا ولايكون تقدير المحذوف إلا بمعونة هذه القرينة وأهم القرائن الدالة على المحذوف هي الاستلزام وسبق الذكر وكلاها من القرائن اللفظية الداخلة في مفهوم التضام.

والتنافى عكس التضام وإن أدخلناه تحته باعتباره قسيما للتلازم. وهذا التنافى قرينة سلبية على المعنى يمكن بواسطتها أن نستبعد من المعنى أحد المتنافيين عند وجو دالآخر. فاذا وجدنا أل استبعدنا معنى الإضافة المحضة وإذا وجدنا التنوين استبعدنا معنى الإضافة بقسمها وإذا وجدنا المضمر استبعدنا نعته وإذا وجدنا إن المكسورة الهمزة محففة من الثقيلة استبعدنا المضمر أن يكون اسها لها وإذا وجدنا كلا وكلتا استبعدنا فيما أضيف إليهما أن يكون مفردا أوجمعا أو نكرة وإذا وجدنا « ذو » استبعدنا فيما أضيف إليها أن يكون ضميرا وإذا وجدنا حرف الحر استبعدنا فيما يتلوه أن يكون جملة محكية وإذا وجدنا أداة النداء لم نتوقع بعدها الاسم المقترن بأل إلا بواسطة « أى » وإذا وجدنا لولا استبعدنا أن يكون لمبتدئها خبر وهلم جرا . وهكذا يكون التنافى قرينة لفظية سلبية لا إيجابية .

و فيها يلى تخطيط للعلاقة بين القرائن الداخلة تحت عنوان التضام :

⁽١) انظر شرح الأشموني : باب جوازم اللعل •



ويتفرع عن التضام أيضاً مسألة أخرى هي الفصل أو عدم الفصل بين المتلازمين فمن الفصل مثلا ما يحدث من :

١ الفصل بضمير الفصل بين المبتدآ والخبر وبين جزئى الجملة المنسوخة .

٢ ــ الفصل بكان الزائدة بين ما والتعجب

٣ _ الفصل بما الكافة بين إن واسمها

٤ _ الفصل بإن الزائدة بين ما النافية ومنفيها

الفصل بما بين ليت ومدخولها .

٣ ـــ الفصل بالقسم والظرف والمجرور بين إذاً والمضارع .

والملاحظ أن الفواصل هنا أكثرها من الأدوات فلا مخرج عن ذلك الاضمير الفصل وجملة القسم وشبه الجملة وهو الظرف أو الجاروالمجرور. أما عدم الفصل فيتضح من منعه في الحالات الآتية :

١ _ منع الفصل بين لا ومدخولها

٧ _ « الصفة والموصوف.

٣ ــ ه العاطف والمعطوف

ع _ « النواصب (إلا إذاً) والمضارع .

o _ و « الموصول و صلته

۳ هـ الجار والمجرور إلا ما شذمن الفصل بكان الزائدة

وما سبق هو أشهر الأمثلة لظاهرة التضام على وجه استخدامها قرينة الفظية فلا يذبغي أن يؤخذ كما لوكان استقصاء لكل حالات التضام من هذا النوع فحسبنا أن نشرح الظاهرة هنا وأن نترك الاستقصاء لمناسبة أخرى مقبلة، ومعنى أن التضام قرينة لفظية هنا أن الموصول مثلاقرينة على أن الجملة التي بعده صلة وأنه لو لم يتقدمها الموصول لصلحت بصورتها الخبرية أن تكون

صفة إذا تطلبها الموصوف أو حالا إذا تطلبها صاحب الحال أو خبرا إذا تطلبها المبتدأ أو فى محل جر بالإضافة إذا تطلبها الظرف فالذى يتطلب هذه الجملة هو الذى يحدد معناها ، ومن مظاهر قرينة التضام أيضاً أن الاسم الواقع بعد الأدوات التى لا تدخل إلا على الأفعال فى الاشتغال لا يكون إلا منصوباً على المفعولية لفعل محذوف مقلر يفسره المذكور لأنه لو ارتفع لكان مبتدأ ولعدت هذه الأدوات داخلة على الأسماء على عكس حظها من التضام . وفى ذلك يقول الأشمونى : «ولا يجوز رفع الاسم السابق على أنه مبتدأ لأنه لو رفع والحالة هذه الحرجت هذه الأدوات عما وضعت له من الاختصاص بالفعل (1) » .

ولا شك أن التضام مبرر قبول التقدير سواء عند الاستتار , أوعند الحذف فالاستتار والحذف إنما يكونان للعناصر التى تتطلبها عناصر أخرى فيكون هذا التطلب أساساً لقبول تقدير المستتر أو المحذوف أو متعلق الظرف والجار والحجرور وتتضافر معه بالطبع قرائن أخرى كسبق الذكر عند الحذف وكدلالة الصيغة عند الاستتار وقد سبق لنا أن أشرنا إلى ظاهرة و تضافر القرائن و .

٧ — الأداة : وهذه القرينة اللفظية المستخدمة في التعليق تعتبر من القرائن الهامة في الاستعال العربي ولقد سبق أن ذكرنا أن الأدوات في مجموعها من المبنيات فلا تظهر عليها العلامة الإعرابية ومن ثم أصبحت كلها ذات رتبة شأنها في ذلك شأن المبنيات الأخرى التي تعينها الرتبة على الاستغناء عن الإعراب .

وهذه الأدوات على نوعين : أحدها الأدوات الداخلة على الجمل والثانى الأدوات الداخلة على الحمل فرتبها على وحد العموم الصدارة، وأما الأدوات الداخلة على المفردات فرتبها على وجه العموم الصدارة، وأما الأدوات الداخلة على المفردات فرتبها دائماً رتبة التقدم . ومثال أدوات الحمل النواسخ جميعاً وأدوات الني والتأكيد والاستفهام والنهى والترجى والعرض والتحضيض والقسم والشرط

⁽۱) ص ۱۸۸ (محیی الدین) .

والتعجب والنداء، ومثال الأدوات الداخلة على المفردات حروف الجرو العطف والاستثناء والمعية والتنفيس والتحقيق والتعجب والتقليل والابتداء والنواصب والجوازم التي تجزم فعلا واحداً . ولكل أداة من هذه الأدوات ضائمها الخاصة فهي تتطلب بعدها شيئاً بعينه فتكون قرينة متعددة جوانب الدلالة حيث تدل بمعناها الوظيني وبموقعها وبتضامها مع الكلات الأخرى وبما قد يكون متفقاً مع وجودها من علامات إعرابية على ضمائمها . وهذا التعدد في جوانب الدلالة بقرينة الأداة يجعلها في التعليق النحوى قرينة لفظية هامة حداً .

ومن الأمثلة التي يمكن أن نضربها هنا للتعليق بقرينة الأداة ما يمكن أن يستفاد مثلا من واو المعية من التفريق بين المفعول به الذي تدل عليه أساساً قرينة التعدية و ببن المفعول معه و هو تدل عليه أساساً قرينتان إحداها المعية والأخرى الواو . لاحظ مثلا الفرق بين الجملتين الآتيتين :

فهمت الشرح في مقابل فهمت والشرح وكذلك غنيت وزيد آغنية وكذلك غنيت وزيد آغنية

فلا الفتحة بمفردها أغنت فتيلا في تمييز المعنيين ولا هي والرتبة معاً لاتحادها في البابين وإنما يكون التفريق بينهما بأمرين :

- (أ) القيمة الخلافية الناتجة من مقابلة التعدية بالمعية .
- (ب) القيمة الخلافية النائجة من مقابلة وجود الواو وعدمه .

و لماكانت الواو هي مطية المعية هنا فلا يفهم معنى المعية بغير الواو الجنمع في الواو أمر التفريق بين المعنيين فصارت هي القرينة الوحيدة الدالة على المفعول معه وأصبح عدمها قرينة المفعول به . ومثل ذلك ما تفيده أداة الاستثناء من فرق بين البدل و المستثنى في نحو المقابلة الآتية :

حييت القوم زيداً في مقابل حييت القوم إلا زيداً والنفى والقصر في ما قام زيد و ما قام إلا زيد و القصر في اعترف بقيمة الأداة اعترافاً ضمنياً ابن مالك حيث يقول في أدوات الشرط:

فعلين يقتضين؛ قدما يتلو الجزاء وجوابا وسها فقص قصة التضام فيها صراحة وقصة دالة الأداة ضمنيا حيث جعل ضميمتها الأولى فعلا للشرط والثانية جواباً وجزاء.

٨ — النغمة :

ومن قرائن التعليق اللفظية فى السياق التنغيم وهو الإطار الصوتىالذى تقال به الجملة في السياق ولقد ذكرنا من قبل كين تأتى الكلمات العربية على مثال صيغ محددة تعتبر قوالب لها . و نحب هنا أن نعقد شبهاً بين هذه الصيغ الصرفية التي للكلمات وبين صيغ أخرى تنغيمية تتصل بالمعاني النحوية التي للجملة لا للباب المفرد. فالجمل العربية تقع في صيغ وموازين تنغيمية هى هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال محددة فالهيكل التنغيمي اأذى تأتى به الجملة الاستفهامية وجملة العرض غير الهيكل التنغيمي لجملة الإثبات و هن يختلفن من حيث التنغيم عن الحملة المؤكدة . فلكل جملة من هذه صيغة تنغيمية خاصة فاؤها وعينها ولامها وزوائدهاوملحقاتها نغات معينة بعضها مرتفع و بعضها منخفض و بعضها يتفق مع النبر و بعضها لا يتفق معه . و بعضها صاعد من مستوى أسفل وبعضها هابط من مستوى أعلى فالصيغة التنغيمية منحى نغمى خاص بالجملة يعين على الكشف عن معناها النحوى كما أعانت الصيغة الصرفية على بيان المعنى الصرق للمثال . وأنا أتصور أنك لو طلبت إلى أحد المتكلمين أن يحاول نطق بعض الجمل وهو مقفل الشفتين لاستطعت ف هذه الحالة أن تستمع الهيكل التنغيمي للجملة المرادة دون أن تسمع ألفاظ الجملة نفسها وسيكون في مقدورك في هذه الحالة أن تقول ما إذاكانت الجملة المرادة التي لم تسمعٌ ألفاظها استفهاما أو إثباتاً أو تأكيداً. تفعل ذلك دون حاجة إلى تفكير أو استنتاج لأن سياق النغات في كل جملة له من الطابع العرفي المشروط المحدِّدما للكلمة في دلالتها على معناها وما للحركة أو الرتبة في دلالتها على الباب النحوى الخاص.

والتنغيم فى الكلام يقوم بوظيفة الترقيم فى الكتابة غير أن التنغيم أوضح من الترقيم فى الدلالة على المعنى الوظيفى للجملة . وربماكان ذلك لأن ما يستعمله التنغيم من نغات أكثر مما يستعمله الترقيم من علامات كالنقطة والفاصلة والشرطة وعلامة الاستفهام وعلامة التأثر وربما كان ذلك لسبب آخر ، ولكن الذي لا شك فيه أن الكتابة إذا كان لها على النطق ميزة الدوام وإمكان الاستحضار مرة أخرى وإعادة التجربة وتخطى حدود الزمان والمكان فان النطق له عليها ميزة الحياة والحركة والموقف الاجتماعي وربما أصبحت له قدرة مشاركتها عنصر الدوام وإمكان الاستحضار مرة أخرى وإعادة التجربة وتخطى حدو دالزمان والمكان بعد اختراع أشرطة التسجيل والإذاعة والتليفزيون وفي كل هذه الختر عات يحتفظ النص بدلالة النعمة وبالموقف الاجتماعي وبزيد التليفزيون عليها الاحتفاظ بتعبيرات الملامح وحركات أجزاء الجسم كالرأس واليدين مما يجعل الموقف أقرب شيء إلى الحياة .

لقد وصلنا البراث العربى مكتوباً ففقد بذلك عنصر المقام الاجتماعى ولذلك أصبح لزاماً على الكاتب قبل إيراد أى نص أدبى أن يعيد تكوين هذا المقام بوصف الأحداث كالذى نلاحظه فى التقديم لخطبة الحجاج فى أهل العراق مثلا.

ولم يكن لدى العرب نظام للترقيم كالذى نعرفه الآن. لقد كانت اللغة العربية الفصحى في عصرها الأول ككل لغات العالم ربما أهملت أن تذكر الأدوات في الجملة اتكالا على التعليق بالنغمة فكان من الممكن مثلا أن نفهم معنى الدعاء من قولهم «لا وشفاك الله) » بدون الواو اتكالا على ما في تنغيم الجملة من وقفة واستئناف، ومع ذلك لم يكن ثمة مفر لمن دونوا التراث من الاحتفاظ دائماً بهذه الأدوات بسبب عدم وجود ذلك الترقيم أو التنغيم في الكتابة فكان لابد لهم من ضهان أمن اللبس في المعنى؛ بواسطة اطراد ذكر الأدوات. ولكن شاعر أكابن أبي ربيعة استطاع أن يحذف الأداة بلا لبس حين قال : فكان شاعر أكابن أبي ربيعة استطاع أن يحذف الأداة بلا لبس حين قال : ثم قالوا : تحبها ؟ قلت : بهراً ! عدد النجم والحصى والتراب فقد أغنت النغمة الاستفهامية في قوله : « تحبها ؟ » بما لها من صفة وسيلة التعليق عن أداة الاستفهام فحذفت الأداة وبتي معنى الاستفهام مفهو ما من البيت. وإنصافاً للحق هنا لابد أن نشير إلى أنه عكن في بيت ابن أن ربيعة من البيت ابن أن ربيعة

هذا مع تغير النغمة أن يفهم منه معنى التقرير للتأنيب أو التعيير أو الإلجاب الله الاعتراف وإن مجرد قبول احتمال من هذا النوع ليبر ر موقف الاقدمين حين حافظوا على ذكر الأدوات باطراد لأن التراث مكتوب تتضيح فيه العلاقات بالأدوات وليس منطوقاً تتضيح فيه العلاقات بالنغات.

و ثما يتصل بقولنا في « لا وشفاك الله » ما أخطأ النحاة التوفيق في فهمه من قول جميل بن معمر :

لا. لا أبوح بحب بثنة إنهــــا أخذت على مواثقا وعهــودا

فلو اصطنع النحاة لأنفسهم علامات للترقيم لوجدالقارى، نقطة للوقف بعد « لا » الأولى ولأدركوا أن « لا » هذه بنفسها تكون جملة مفيدة يستحسن فى تنغيمها أن نقف عليها نتمام الفائدة. ولما تورطوا فى اعتبارها حرف ننى مؤكداً توكيدا لفظياً بحرف على مثل صورته قال له . ومن الواضلح أن هناك فرقاً بين أن تكون « لا » الأولى حرف ننى مؤكداً أو جملة كاملة الإفادة يستحسن السكوت عليها مو يتطلب التنغيم فى حالة التوكيد وصل الكلام وفى حالة الجملة المفيدة وقفة واستئنافاً .

وللنغمة دلالة وظيفية على معانى الجمل تتضح فى صلاحية الجمل التأثرية exclamatory المختصرة نحو لا ! ، نعم ! ، يا سلام ! ، الله ! الغ . لأن تقال بنغات متعددة ويتغير معناها النحوى والدلالى مع كل نغمة بين الاستفهام والتوكيد والاثبات لمعان مثل الحزن والفرح والشك والتأتيب والاعتراض والتحقير وهلم جراحيث تكون النغمة هى العنصر الوحيد الذى تسبب عنه تباين هذه المعانى لأن هذه الجملة لم تتعرض لتغير فى بغيتها ولم يضف إليها أو يستخرج منها شيء ولم يتغير فيها إلا الننغيم وما قد يصاحبه من تعبيرات الملامح وأعضاء الحسم مما يعتبر من القرائن الحالية .

والتنغيم فى اللغة العربية الفصحى غير مسجل و لا مدروس . ومن ثم تخضع دراستنا إياه فى الوقت الحاضر لضرورة الاعتماد على العادات النطقية فى اللهجات العامية . و فى دراستى للهجة عدن و قفت بواسطة الملاحظة التى أيدتها تجارب المعمل فى بعض نتائجها على نظام التنغيم فى اللهجة ثم حاولت

آن أقارنه بكلامى أنا باللغة الفصحى فوجدت الفروق طفيفة حدا بحيث يمكن مع قليل من التعديلات أن عنل هذا التنغيم كلامى بالعربية الفصحى . وعكن وصف هذا النظام التنغيمى بواسطة تقسيمه من وجهتى نظر مختلفتين : إحداها شكل نغمة آخر مقطع وقع عليه النبر فى الكلام والثانية هى المدى الذى بين أعلى نغمة و أخفضها فى الصوت سعة وضيقا . فأما من حيث وجهة النظر الأولى فينقسم نظام تنغيم الفصحى إلى لحنين : الأول ، وينتهى بنغمة هابطة على آخر مقطع وقع عليه النبر ، والثانى وهو ينتهى بنغمة صاعدة على المقطع المذكور . وأما من حيث وجهة النظر الثانية فينقسم إلى ثلاثة أقسام هى : الواسع ، والمتوسط ، والضيق . ومن جميع هذه الاعتبارات معا نرى أن اللحن العربى للكلام يمكن أن يكون على أحد الناذج التنغيمية الستة الآتية :

الثانى الواسع	الأول الواسع
الثانى المتوسط	الأول المتوسط
الثاني الضيق	الأو ل الضيق

والواسع ما كان نتيجة إثارة أقوى للأوتار الصوتية بواسطة الهواء المندفع من الرئتين فيسبب ذلك اهتزازا أكبر فى الأوتار الصوتية ومن ثم يعلو الصوت . ومن أمثلة استعاله الحطابة والتدريس لأعداد كبيرة من الطلاب والصياح الغاضب ونحو ذلك . والمتوسط يستعمل للمحادثات العادية وهو أقل تطلبا لكمية الهواء وما يصحبها من علو صوت . وأما الضيق فهو المستعمل فى العبارات اليائسة الحزينة وفى الكلام بين شخصين يحاولان ألا يسمعها ثالث على بعد قليل منهما . فالسعة والتوسط والضيق تتصل باصطلاحات على الصوت و انخفاضه هنا .

وأما الاصطلاحان: والأول ، و والثانى ، فلا يصفان إلا نغمة آخر مقطع وقع عليه النبر فى الجملة من الكلام فاذا كان هذا المقطع منحدراً من أعلى إلى أسفل فذلك هو الشكل الأول للمحن العربى وإن كان صاعدا من أسفل إلى أعلى فهو الشكل الثانى ومع أن الشكل الأول هو المستعمل فى

الإثبات والنبى والشرط والدعاء وجميع الجمل حتى إنه ليشارك الثانى فى مجاله وهو الاستفهام والعرض فيشمل الاستفهام بالظروف ونحوها دون الأداتين (هل والهمزة) نرى الشكل الثانى قاصرا على الاستفهام بالأداتين فقط وهو النوع الوحيد من أنواع الاستفهام الذى ينتهى بنغمة صاعدة. قارن العبارتين:

هل جاء زید ؟

تجد اختلافا في النغمة الأخيرة في الجملتين . ولا تصعد النغمة الأخيرة مع الظروف إلا عند إرادة التعبير بجملة الاستفهام عن معان إضافية كالدهشة أو التعالى أو نحوها وفي هذه الحالة نجد جملة « متى جاء زيد » السابقة تنهى بنغمة صاعدة . وينبغي لنا أن نشير هنا إلى أن هبوط النغمة أو صعودها أو تحولها عن المستوى السابق في وسط الكلام أو في آخره لا يكون إلا متفقا مع موقع النبر فلا تتحول النغمة هذا التحول إلا على مقطع منبور وهذه الصلة الوثيقة بين النبر وبين التنغيم لا يمكن انفكاكها ولذلك يكثر أن يقف المرء عند أحد المعانى باحثا عما إذا كان هذا المدى وظيفة النبر بمفرده أو التنغيم بمفرده ثم لا يستطيع الجزم بأنه وظيفة أحده إعلى انفراد .

و إذا و قف المتكلم قبل تمام المعنى و قف على نغمة مسطحة لاهى بالصاعدة و لا بالحابطة و من أمثلة ذلك الوقف عند كل فاصلة مكتوبة فى الآيات الآتية :

ه فاذا برق البصر ۽ وخسف القمر ۽ وجمع الشمس والقمر ۽ يقول الإنسان يومئذ أين المفر » .

فالوقف على « البصر » و « القمر » أولا و « القمر » ثانيا وقف على معنى لم يتم فتظل نغمة الكلام مسطحة دون صعو دأو هبوط أما الوقف عند « المفر » فالنغمة فيه هابطة لأنه وقف عند تمام معنى الاستفهام بغير الأداة أى الاستفهام بالظرف . و كثيرا ما يرى المتكلم أن المعنى يتطلب تقسيم الحملة تنغيميا بحسب الاعتبارات الالقائية إلى فقر تنفسية تتصل بوجو د

مفاصل من الألفاظ كأدوات العطف وغيرها فيقف المتكلم عند كل فقرة تنفسية منها بنغمة مسطحة على نحو ما حدث في الآيات التي أور دناها .

وفى كل من هذه الأشكال الستة للحن التنغيمي العربي يمكن أن يكون الكلام عاديا أو مؤكداً. ويأني التأكيد أيضا من زيادة نسبية في كمية الهواء المسلط على الأوتار الصوتية عند النطق بالمقطع الذي وقع عليه النبر وأريد تأكيده فتأتي المنتيجة في صورة نبر أقوى ومدى تنغيمي أوسع فمثلا تقول لمن يعرف أنه حدث قيام ويشك في شخص القائم « محمد قام » بتوكيد المقطع المنبور من « محمد » وهو « حم » بحيث يصبح المقطع أقوى نطقا وأعلى صوتا منه في الكلام ألعادى . أما إذا كان يعرف أن محمدا قد فعل شيئا ويشك في أنه قيام أو قعود فكل ما تقدم إجراؤه بالنسبة للمقطع « حم » يصبح ضروريا بالنسبة للمقطع « قام » .

ج _ القرائن تغنى عن العوامل:

بعد أن بينت طبيعة القرائن المقالية معنوية كانت أو لفظية فى لالمها على المعنى الوظيفى النحوى أحب أن أضيف إليها كلمة أخرى ته لى باغناء فهم القرائن المقالية عن فكرة العامل النحوى الذى قال به النحاة . لقد اتجه النحاة بقولهم بالعامل النحوى إلى إيضاح قرينة لفظية و احدة فقط هى قرينة الإعراب أو العلامة الإعرابية فجاء قولهم بالعامل لتفسير اختلاف هذه العلامات بحسب المواقع فى الجملة فكانت الحركات بمفردها قاصرة عن تفسير المعانى النحوية لأمور:

۱ – إن المعربات التي تظهر عليها الحركات أقل بكثير جدا من مجموع ما يمكن وروده في السياق من الكلمات . فهناك الإعراب بالحذف والإعراب المقدر للتعذر أو للثقل أو لاشتغال المجل وهناك المحل الإعرابي للمبنيات والمحل الإعرابي للجمل وكل هذه الإعرابات لائتم بواسطة الحركة الإعرابية الظاهرة .

۲ – أننا لو افترضنا أن كل الإعرابات تمت على أساس الحركة الظاهرة فلم يكن هناك إعراب تقديرى ولا إعراب محلى فاننا سنصادف سسوبة أخرى تنشأ عن أن الحركة الواحدة تدل على أكثر من باب واحد ومن هنا تصبح دلالتها بمفردها على الباب الواحد موضع لبس.

ومن هنا كان الاتكال على العلامة الإعرابية باعتبارها كبرى اللوال على المعنى ثم إعطاؤها من الاهتمام ما دعا النحاة إن أن يبنوا نحوهم كله عليها عملا يتسم بالكثير من المبالغة وعدم التحيص وقد سبق لنا مثل هذا القول عند بداية الكلام عن القرائن اللفظية ويكفى لإظهار اهتمامهم بهذه العلامة الإعرابية أن أطلقوا على تحليل النص تحليلا نحويا اسم والإعراب ، (ودو - كما علمونا - اسم يطلق على تفسير أواخر الكلمات بحسب العوامل).

وإذا كان العامل قاصرا عن تفسير الظواهر النحوية والعلاقات السيافية جميعها فان فكرة القرائن توزع أهبامها بالقسطاس بين قرائن التعليق النحوى معنويها ولفظيها ولا تعطى للعلامة الإعرابية منها أكثر مما تعطيه لأية قرينة أخرى من الاهبام . فالقرائن كلها مسئولة عن أمن اللبس وعن وضوح المعنى ولا تستعمل واحدة منها بمفردها للدلالة على معنى ما وإنما تجتمع القرائن متضافرة لتدل على المعنى النحوى وتنتجه لا كما يأنى حاصل الجمع من اجباع مفردات المعلودات بل كما يأبى المركب الكياوى من عناصر محتلفة أى أنه إذا صبح أن تسمى مفردات القرائن عند إرادة التحليل عناص الاستعال اللغوى لا يعرف من أمر ذلك شيئا ولا يعرف إلا قرينة كبرى واحدة يسميها ه وضوح المعنى » ويسميها اللغويون • أمن اللبس » وتقوم هذه القرينة الكبرى من قرائنها الفرعية مقام ناتج التفاعل الكيميائى من العناصر هذه القرينة الكبرى من قرائنها الفرعية مقام ناتج التفاعل الكيميائى من العناصر التي نتج عنها إذ لايشبه منها واحداً بمفرده .

وفائدة القول بالاعتماد على القرائن في فهم التعليق المنحوى أنه ينغى عن النحو العربي :

(أ) كل تفسير ظنى أو منطقى لظواهر السياق .

(ب) كل جدل من نوع ما لج فيه النحاة حول منطقية هذا الماهم الو ذاك وحول أصالة بعض الكلمات في العمل و فرعية الكلمات الأخرى وحول قوة العامل و ضعفه أو تعليله أو تأويله مما از دحمت به كتب النحو دون طائل يكون تحته . ويكفي للاقتناع بحسن تحليل النص بحسب قرائن التعليق مجتمعة أننا نستطيع بواسطة ذلك أن نلمح الصلة أو الرابطة أو العلاقة إن شئت بين كل جزء من أجزاء السياق وبين الأجزاء الأخرى من حيث المهني ومن حيث المبنى في الوقت نفسه . ويستتبع القول بالقرائن واختياره بديلا للقول بالعوامل أننا سنكتني في تحليل الكلمات المعربة بقولنا مرفوع أو منصوب أو مجرور أو مجزوم فقط دون قولنا مرفوع بكذا أو منصوب بكذا الخ، بل يمكننا إذا أر دنا أن نقول مثلا ه مرفوع على الفاعلية ٥ و «منصوب على المفعرلية ٥ و هلم جرا .

وأخيرا أحب أن أضيف أيضا لما يترتب على « تضافر القرائن » من أن بعض القرائن قد يغنى عن بعض عند أمن اللبس . ولقد كررنا القول إن اللغة العربية – وكل لغة أخرى في الوجود – تنظر إن أمن اللبس باعتباره غاية لا يمكن التفريط فيها لأن اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم وقد خلقت اللغات أساسا للإفهام والفهم وإن أعطاها النشاط الإنساني استعالات أخرى فنية ونفسية . فاذا كان من الممكن الوصول إني المعنى بلا لبس مع عدم توفر إحدى القرائن اللفظية الدالة على هذا المعنى فان العرب كانت تترخص أحيانا في هذه القرينة اللفظية الإضافية لأن أمن اللبس يتحقق بوجو دها وبعدمه . ولقد وجدنا في مأثور التراث العربي الكثير من الشواهد والأمثلة على هذه الظاهرة . وسنحاول فيها يلى أن نضرب أمثلة تطبق هذه الظاهرة على القرائن اللفظية كل على حدة :

١ — العلامة الإعرابية : لقد وقع النحاة ضحايا اهتمامهم الشديد بالعلامة الإعرابية حين رأوا النصوص العربية تهمل الاعتماد على قرينة بالعلامة الإعرابية حين رأوا النصوص العربية تهمل الاعتماد على قرينة بالعلامة الإعرابية حين رأوا النصوص العربية تهمل الاعتماد على قرينة بالعلامة الإعرابية المعرابية ا

الحركة أحيانا فتضحى بها لأن المعنى واضح بدونها اعتمادا على غيرها من القرائن المعنوية واللفظية . ومن أمثلة ذلك ما يأتى .

- قالت العرب : خرق الثوب المسمار فاعتمدوا على القرينة المعنوية وهي و الإسناد ، وأهملوا الحركة إذ لايصح أن يسند الحرق إلى الثوب وإنما يسند إلى المسمار فعلم أيهما فاعل وأيهما مفعول .
- قالت العرب: «جمحر ضب خرب» فأغنت عندهم قرينة التبعية وهي معنوية عن قرينة المطابقة في العلامة الإعرابية وهي لفظية وكان الداعي إلى ذلك داعيا موسيقيا جماليا هو المناصبة بين المتجاورين في الحركة الإعرابية وقد سماه النحاة « المجاورة » .
- العرب تقطع النعت فتختلف حركته الإعرابية عن حركة متبوعه
 ويستبدل السياق بالمطابقة في الحركة قرينة التبعية وقد قال الشاعر :

قد سالم الحيات منه القدمًا للأفعوان والشجاع الشجعما

- قال الله تعالى: ﴿ عاليهم ثياب سندس خضر ﴾ بجر ﴿ خضر ﴾ على قراءة وفي هذا يقال ما قيل في إعراب المجاورة من قبل وهو إعراب تدعو إليه أسباب جمالية خالصة لا صلة بينها وبين مطالب المعنى الوظيني ومثله ﴿ إِنْ هَذَانَ لُسَاحَ إِنْ ﴾ .

(4) قال الشاعر :

باليث أم المبا رواجسا ان العجوز حية جزورا

كان أذنية اذا تشوفا قادمنظ أو قلمسا مجرفا

قال صلى الله عليه وسلم: ان قعر جهدم لسبعين خريفا

وسنبع بعقبهم ياتول : لعل زيدا أخانا

وأورد ابن سيدة : اذا اسود جنع الليل فلتأت ولتكن خطاك خفاقا ان حراسنا أسدا وقال ذو اللموة كان جلودهن مموهات علم أشارها ذهما زلالا

ومان دو المحود الله المحدد ال

قال تعالى : دفامسحوا برؤومسكم وأرجليكم الى الكعبين.

قال امرق القيس : كان ثبيرا في عرانين وبله كبير أناس في نجاد مزمل حكى ولحياني أن من العرب من يجزم به (لن) وينصب به (لم) .

ـــ قال الله تعالى : «ن الله برىء من المشركين ورسوله (١) » بجر المعطوف على قراءة و «و إتباع فى الموسيقى اللفظية لا فى المعنى .

- قال تعالى : « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس (٢) » تا فالموفون معطوف على مآن بقرينة الإسناد والتبعية والرفع وموصولية «أل» فكان ذلك عطف موصول على موصول . ولكن ماذا نقول فى «الصابرين» معطوفة إن قرينة الإسناد والتبعية وها معنويتان يقولان إن «الصابرين» معطوفة أيضا على «من آمن » ولكن القرينة اللفظية وهى الواو غير موجو دة إذ حلت علها الياء . فكيف يمكن فهم ذلك إلا على أساس إغناء بعض القرائن تتضافر كما ذكرت .

_ قال الله تعالى: « لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك و المقيمين الصلاة و المؤتون الزكاة و المؤمنون بالله واليوم الآخر أو لئك سنؤتيهم أجرا عظيما » (٣). ماذا يمكن أن نقول في « المقيمين » إلا أن قرينة التبعية التي تحققت بوضوح التعاطف قد أغذت عن العلامة الإعرابية ؟

- قال تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر و عمل صالحا فلا خوف عليهم و لا هم بحزنون » (٤) فما الذى رفع « الصابئون » ؟ الجواب أن قرينة التبعية لوضوحها أغنت عن قرينة العلامة الإعرابية .

ـــ قالت العرب « ما رأيته مذيومان » فأغذت قرينة التضام وما تضافر معها عن قرينة الإعراب التي تكون فيما جاء بعد حرف الجر .

⁽۱) براءة ۳۰

⁽٢) البقرة ١٧٧٠ -

⁽٣) النساء ١٦٢٠.

⁽٤) المائدة ٦٩ • ر

ومما نلاحظه جميعا حين نستمع إلى نشرة الأنباء مثلا أو إلى خطيب أو متكلم أو معلق أننا على رغم ما نسمعه فى الغشرة أو الحطبة أو الكلام أو التعليق السياسي من أخطاء فى الإعراب فاننا نفهم الكلام الذي يقال ويستتبع ذلك بالضرورة أننا نفهم علاقات الكلمات بعضها مع بعض لافرق فى ذلك بين أمى منا و مثقف فنعلم من قول المذيع مثلا : و أجمعت وكالات الأنباء على أن الصين الشعبية أجرت اليوم تفجير ا نوويا ، تدرك المعنى العام الذي ينبى على صلات الكلمات بعضها مع بعض دون الحاجة إلى التحليل ودون الحاجة إلى دلالة العلامات الإعرابية لأن قرائن أخرى قد أغنت عنها . ومن هذا نرى فداحة الحطأ الذي يكمن فى اعتبار الحركات الإعرابية أهم ما فى النحو العربي .

٢ - الرتبة : يتضح الترخص في الرتبة أولا في عدم حفظها والاعتراف بوجود رتبة غير محفوظة في النحو وكذلك عندما تغنى عنها القرائن الأخرى في قول الشاعر :

عليك ورحمة الله ااسلام

فالذي أغني عن رتبة المتعاطفين هنا:

- (أ) ما بين المتعاطفين من شهرة التعاطف على نسق خاص حتى أصبحا كالمثل و ذلك هو التضام .
 - (ب) حفظ الرتبة بين حرف العطف والمعطوف .
- (ح) توسط المعطوف بين الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر مما جعله لا يزال في حيز الجملة فكذلك تغنى القرائن حين تتضافر عن قرينة أخرى يتضح المعنى بدونها .

ومن قبيل إغناء القرائن الأخرى عن الرتبة ما نراه أحيانا من عود الضمير على متأخر رتبة كضمير الشأن .

ونحو خاف ربه عمر وزان نوره الشجروق بيته يؤتى الحكم

ومن ذلك أيضا قول الشاعر:

لعن الإله وزوجها معها هند الهنود طويلة البظر

ومشنوء من بشنؤك وتميمي أنا

۳ _ مبنى الصيغة : ويبدو الترخص فى الصيغة فيما نجده كثيرا فى الرجز من نحو قوله :

الحمد لله العلى الأجلل ﴿ والمقصود الأجل)

أو قوله : أو الفا مكة من ورق الحمى (والمقصود الحام)

ومن ذلك أيضا مجيء الحال جامدة والنيابة عن المفعول المطلق بغير مصدر أو بمصدر فعل غير فعاه وإضافة المتفرقين إلى كلاو كلتا .

وكل ضرورة شعرية فهى ترخص فى قرينة ما وإغناء غيرها عنها وكثير من ذلك يندرج تحت عنوان الصيغة مثل قصر المملود وحلف النون من اللذين واللتين وحلف الألف من لفظ الجلالة وواو هو وياء هى وحلف الألف من ضمير المتكلم و تخفيف المشدد فى القوافى وإبدال حركة من حركة وحرف من حرف أو حلف حرف الجو تحو و تمرون الدياد ولم تعوجوا ، وهلم جرا (١). هذا على المستوى الصرفى أما على المستوى النحوى فقد تأتى الحال جامدة والنعت كذلك والحبر وقد بأتى المفعول المطلق بغير صيغة المصدر وغير ذلك.

٤ — المطابقة : سبق أن ذكرنا أن المطابقة تكون فى الشخص والنوع والعدد والتعيين والعلامة الإعرابية وقلمر بنا الترخص فى المطابقة فى العلامة الإعرابية وأما ترك المطابقة فى الشخص فمنها :

ـ أن ضمير الموصول دال على الغيبة فيعود إليه من الصلة رابط فى صورة ضمير الغائب . ولكن الموصول إذا كان خبر ا ضمير متكلم أو مخاطب فقد سمع عن العرب ترك المطابقة بين العائد والموصول كقوله :

و أنا الذي سمنن أمي حيارة ،

⁽١) ارجع الى الشرائر للألوسي ٠

وقوله :

أأنت الهلالى الذى كنت مرة سمعنا به والأرحبى المعلق فهنا حمل العائد على المعنى لا على اللفظ كما يقول النحاة (ويمكن أن يفهم باعادة الضمير على «أنت» لا على «الذى») وفى ذلك إهمال للمطابقة وهى قرينة لفظية لوضوح المعنى بدونها وأما إهمال المطابقة فى النوع فمنها :

- أن الصفات التي لايوصف بها إلا المؤنث يترك تأنيثها لعدم توهم أنها لمذكر ومن ذلك حائض وطالق و ناشز ومرضع الخ . وقد تحذف الناء عند أمن اللبس « كاقام الصّلاة » و « عيد الأمر » و «من بعد غلبهم »

- أن بعض الصفات على وزن فعيل تصدق على المذكر والمؤنث كقتيل وجريع .

- أن الفعل لا يطابق فاعله المؤنث إذا فصل بينهما « نحو أتى القاضى بنت الفاضل » .

ومن الترخص في المطابقة في العدد قول الشاعر :

ضمن یك أضحى بالمدینة رحله فانی وقیار بها لغریب

إلا أن نجعل جملة ٥ وقيار بها ٤ جملة حالية حذف منها العائد لمعرفة أن قياراً هو جمل الشاعر فكأنه قال وجملي بها ويكون البيت حينئذ شاهداً على إسقاط الرابط لا على اسقاط المطابقة في العدد.

- قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَكُونُوا أُولَ كَافَرَ بِهِ ﴾ فانفكت المطابقة بين الواو وبين كافر دون أن يتأثر المعنى الأن القرائن الاخرى ضمنت هذا المعنى .

• - الربط: يعتبر عود الضمير من الروابط الهامة في الجملة ولكن الارتباط قد يتم بقرائن أخرى فيصبح المعنى واضحا دون حاجة إلى الضمير الرابط ومن ذلك قوله تعالى ٥ واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا » أى و فيه » وقول بعضهم ٥ مررت بالبر قفيز بدرهم . » أى ٥ منه » فترخص في الرابط لضمان الربط بدونه أى بقرائن أخرى .

باتضام: من أمثلة الترخص فى التضام باعتباره قرينة ما يأتى:
 كل ما دلت عليه قرينة أمكن حذفه وقد رأينا من قبل كيف يمكن
 حذف المضاف والموصوف والمبتدأ والخبر والفعل الخ. والحذف إسقاط قرينة أغنت عنها قرائن أخرى.

_ ورداسقاط صلة الموصول في قول الشاعر:

نحن الأولى فاجمع جمو عك ثم وجههم الينا

_ وردحذف المبتدأ من الجملة الحالية في قول الشاعر:

فلها خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنهم مالكا

_ قد تسقط الضميمة التي بعد الظرف وينون الظرف نحو « حينة لا » وقول الشاعر :

فساغ لى الشراب وكنت قبلا أكاد أعلى بالماء الفرات ــ قد تسقط ضميمة المرجع كما فى ضمير الشيء نحو و أنه لايفلح الظالمون » .

الأداة: يسقط حرف النداء ويبتى النداء مفهوما بواسطة قرائن الخرى ويسقط حرف العطف ويبتى العطف مفهوما بقرينة النغمة كقواك: يستمر الامتحان في الأيام الآتية:

السبت الأحد الاثنين الثلاثاء الخ. وتغنى نغمة الكلام عن حرف العطف. وقد تسقط «رب» ويفهم معناها لإغناء الواو عنها أى أن قرينة التضام (بين الواو ورب) قد أغنت عن قرينة الأداة وقد ينزع الخافض ويبقى المعنى مفهوما . وقد سبق أن ذكرنا أن أداة الاستفهام قد أسقطت من بيت عمر بن أبى ربيعة الذي يقول فيه :

ثم قالوا تحبها ؟ قلت بهرا عدد النجم والحصى والتراب لأن قرينة النغمة أغذت عن قرينة الأداة ومن قبيل حذف الأداة حذف ولا ي في قوله تعالى: « تا لله تفتأ تذكر يوسف » . حيث دلت قرينة التضام على المعنى فأمن معها اللبس .

۸ — النغمة : قد تسقط قرينة النغمة لوضوح الكلام بدونها كحالك عين تقرأ قوله تعالى : و أأنت قلت للناس اتخذونى و أمى إلهين من دون الله ، فإنك لو وقفت عند لفظ الجلالة : فإنك لاتقف فى التلاوة بنغمة الاستفهام ولكن بنغمة الترتيل العادى ولا يحس السامع غرابة فى ذلك كما يحسها لوسمع منك جملة وهل رأيت محمداً ، بنغمة التقرير التى فى وقد رأيت محمداً ، مثلا .

فالقرائن تتضافر على إيضاح المعنى الوظينى المحوى . والقرينة تسقط عند إغناء غيرها عنها . وفي إدراك هذه الحقيقة تفسير لكثير مما عده النحاة مسموعا يحفظ ولا يقاس عليه أو عده شاذا أو قليلا أو نادراً أو خطأ . وكم أبدأ النحاة وأعادوا في قوله تعالى : «إن هذان الساحران » ونحن ندرك من فهمنا لظاهرة تضافر القرائن وإغناء بعضها عن بعض أن المناسبة الموسيقية الصوتية دعت إلى إهال العلامة الإعرابية لأن الرتبة واقتران الخبر باللام أوضحا أن لفظ «هذان » لا يمكن فيه إلا أن يكون اسم إن . ولم يعد للعلامة الإعرابية بعد ذلك من الأهمية ما يحتم الاحتفاظ بها ولا سبا أمام إرادة المناسبة الموسيقية بين أصوات المتلازمين .

٢ - الزمن والجهة (١)

ينبغى عند هذا المنعطف فى بحثنا هذا أن نفرق بين الزمن النحوى والزمان على النحو التالى:

(أ) الزمن النحوى وظيفة في السياق يؤديها الفعل أو الصفة أو ما نقل إلى الفعل من الأقسام الأخرى للكلم كالمصادر والخوالف. والزمن بهذا المعنى يختلف عما يفهم منه في الصرف إذ هو وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق فلا يستفاد من الصفة التي تفيد موصوفا بالحدث ولا يستفاد من المصلر الذي يفيد الحدث دون الزمن. وحين يستفاد

⁽١) انظر الجدول في آخر الكتاب .

الزمن الصرفى من صيغة للفعل يبدو قاطعا فى دلالة كل صيغة على معناها الزمنى على النحو الآتى :

ـــ صيغة فَسَعَـلَ وقبيلها تفيد وقوع الحدث فى الزمن الماضى

_ و يفعل « تفيد وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال

ــ وافعل و و و و و

أما في السياق النحوى فسنرى أن الزمن كما ذكرنا منذ قليل هو وظيفة في السياق يؤديها الفعل وغيره من أقسام الكلم التي تنقل إلى معناه .

- (ب) زمان الاقتر ان الذي يكون بين حدثين وهذا الزمان يستفاد من الظروف الزمانية التي ذكر ناها في أقسام الكلم وهي : إذ ، وإذا ، ولما ، وأيان ، ومتى . وهذا المعنى وظيني كالزمن النحوى ولكن الفرق بينهما هو إفادة الاقتران وعدمها .
- (ح) زمان الأوقات وهو المستفاد من الأسهاء التي تنقل إلى معنى الظروف وتستعمل استعالها فيكون ذلك لها من باب تعدد المعنى للمبنى الواحد الذي شرحناه تحت عنوان تعدد المعنى الوظينى فيها سبق ومن هذه الأسهاء ما يأتى من جملة ما سبق إبراده عند الكلام فى الظرف من أقسام الكلم:
 - "المصادر المسوقة لبيان الأوقات نحو آتيك قدوم الحاج .
 - صيغة اسم الزمان . نحو آتيك مقدم الحاج
- بعض الأسماء المبهمة الدالة على أوقات أو ما أضيف إليها كأسماء المقادير مثل و كم ساعة بقيت هناك؟ وأسماء الأعداد نحو و خمسة أيام وثلاث لبال و أسماء الأوقات كحين ووقت وساعة ويوم النح . وكذلك قبل وبعد ودون ولدن وعند وبين ووسط .

_ بقض أمهاء الأزمنة المعينة كالآن وأمس وسحر ومساء وصحوة وعشية وغدوة ، وواضح أن الذي يرتبط بالحدث ارتباطا وثيقا من هذه المفاهيم الثلاثة هو الزمن النحوى الذي هو زمن وقوع الحدث والزمان

الاقتراني الظرق الذي هو زمان اقتران حدثين والمعنى في كلتا الحالة بن معنى وظينى . أما في الطائفة الثالثة فالزمان مستفاد من اسم الوقت والمعنى هنا معجمي لأنه معنى اسم مفرد كامل الاسمية عنى الرغم من أن بعض ما ذكرناه من هذه الأسماء مفتقر إلى الإضافة لأن هذا الافتقار غير متأصل . فاذا أردنا أن ندرس الزمن النحوى إذا فينبغى أن نفهمه كما شرحناه في النوع الأول وفي مقابل ما نراه في زمان الاقتران والأوقات .

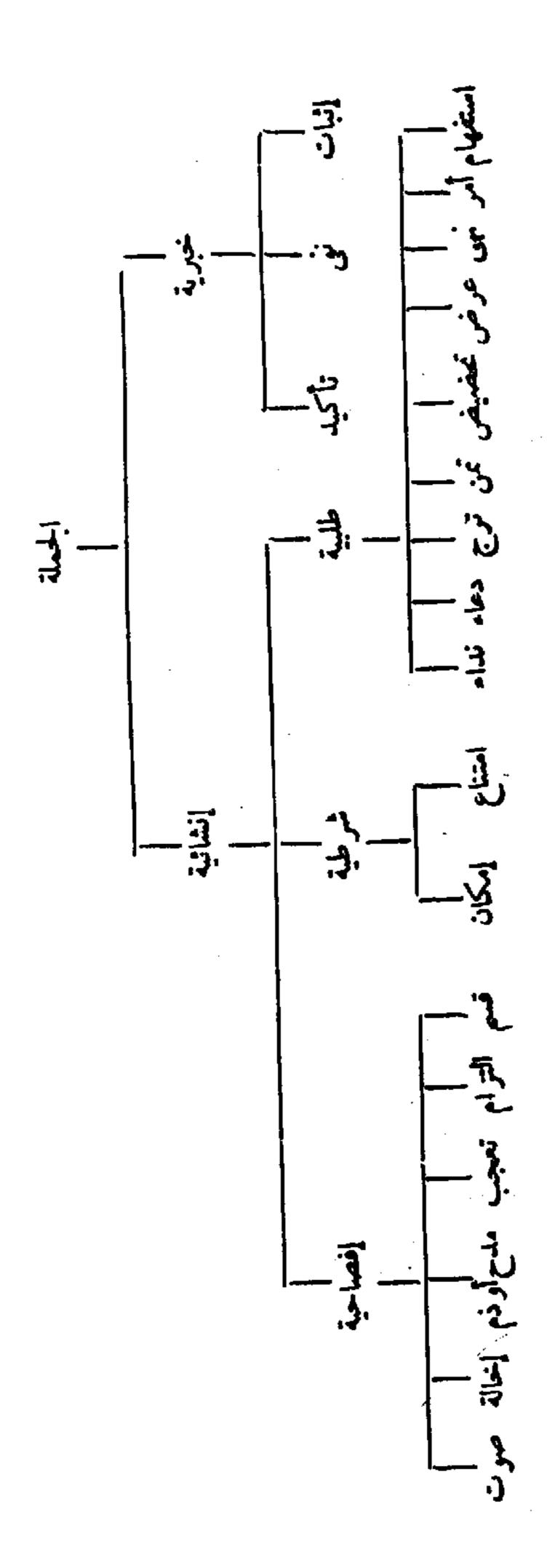
وأوضح ما يفرق بين الزمن والزمان أن الزمان كمية رياضية من كميات التوقيت تقاس بأطوال معينة كالثوانى والدقائق والساعات والليل والنهار والأيام والشهور والحقب والعصور فلا يدخل فى تحديد معنى الصيغ فى السياق ولا يرتبط فى تحديد معنى الصيغ فى السياق ولا يرتبط بالحدث كما يرتبط الزمن النحوى جزءا من معنى الفعل . فزمان الظرف كما قلنا هو زمان اقتر ان حدثى فعلين لافعل واحد ، وزمان ما نقل إلى استعال الظرف من الأسهاء هو مفهوم الاسم على طريق المطابقة وليس مفهوم الفعل على طريق المطابقة وليس مفهوم الفعل على طريق التضمن إن صح أن نلجأ إلى مصطلحات المنطق .

وإذا كان النحو هو نظام العلاقات في السياق فمجال النظر في الزمن النحوى هو السياق وليس الصيغة المنعزلة وحيث يكون الصرف هو نظام المباني والصيغ يكون الزمن الصرفي قاصرا على معنى الصيغة يبدأ بها ويذهي بها ولا يكون لها عندما تدخل في علاقات السياق . فلا مفر إذا من النظر الما الزمن في السياق نظرة تختلف عما يكون للزمن في الصيغة لأن معنى الزمن الما النحوى يختلف عن معنى الزمن الصرفي من حيث إن الزمن الصرقي وظيفة السياق تعددها الضائم والقرائن .

وحين نظر النحاة العرب في معنى الزمن في اللغة العربية كان من السهل عليهم أن يحددوا الزمن الصرفى من أول وهلة فقسموا الأفعال بحسبه إلى ماض ومضارع وأمر ثم جعلوا هذه الدلالات الزمنية الصرفية نظاما زمنيا وفرضوا تطبيقها على صبغ الأفعال في السباق كما يبلو من تسمية الماضي ماضيا

حتى حين يكون معناه في السياق الاستقبال . وواضح أن كل نظام مهما افترض لنفسه من الإطلاق لابد أن يصادف من مشكلات التطبيق ما يتطلب حلولًا من نوع ما . فلما نسب النحاة المضي دائمًا إلى صبغة ﴿ فَحَلَ ﴾ وقبيلها ونسبوا الحال أو الاستقبال دائما إلى صيغتى ويفعل » و و افعل » و قبيلهما نظروا فى الجملة الخبرية المثبتة والمؤكدة فلم يجدوا هذه الدلالات اأزمنية تتأثر تأثرا كبيرا بعلاقاتها فىالسياق . ولكنهم عند نظرهم إلى الجملة المنفية وجدوا المضارع المننى قديدل علىالمضى، وحين نظروا في الجمل الإنشائية وجدوا صيغة «فــَعــَل» تفيد الاستقبال في التحضيضوالدعاء والشرط مثلا ولما كانت قواعدهم التي و ضعوها عزيزةعلى أنفسهم لم يخطر ببالهم أن يعيدوا النظر فى نظام الزمن فى ضوء مطالب السياق وسَاغ لهم فى حرصهم على القواعد أن ينسبوا اختلاف الزمن إلى الأدوات فقالوا إن « لم »حرف قلب وإن ﴿ إِذَا ﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان ولست أدرى لم أحجموا عن نسبة مثل هذا المعنى إلى « إن » الشرطية التي تتحول بعدها صيغة «فَعَـَلَ ّ ا إلى معنى الاستقبال، والخلاصة أناانحاة لم يحسنوا النظر فىتقسيمات الزمن فىالسياق العربى إذكان عنيهم أن بدركوا طبيعة الفرق بين مقررات النظام ومطالب السياق ثم أن ينسبوا الزمن الصرفى إلى النظام الصرفى وينسبوا الزمن النحوى إلى مطالب السياق . وهذه المطالب هي التي اصطلحنا على تسميتها بالظواهر الموقعية . وما دام الزمن النحوى وظيفة فى السياق يؤديها الفعل والصفة الخ : فلا بدأن تلعب القرائن الحالية و المقالية دورها كاملا في تحديد هذا الزمن .

وإذا كان الزمن النحوى وظيفة فى السياق فإن علينا أن ننظر فى هذا السياق لنكشف عن الزمن وإن الذى يمكننا أن ننظر إليه من أنواع السياق هو أنواع مبانى الجملة العربية تنقسم إلى قسمين رئيسيين ها الجملة الخبرية والجملة الإنشائية وتحت كل منهما تفريعات على تحو ما يبدو فيها يلى :



وأول ما يخطر ببالنا هنا أن الجملة المثبتة تحتفظ لصيغتى فَسَعَلَ ويفعل بزمنهما الذي أعطاه إياهما النظام الصرفي فيظل وفَسَعَلَ ، ماضيا ويظل ويفعل حالا أو استقبالا بحسب ما يضامه من الأدوات كالسين وسوف، ثم بحسب ما يعرض للزمن في هاتين الصيغتين من معانى الجهة التي تفصح عنها اصطلاحات البعدو القرب والانقطاع والاتصال والتجدد والانتهاء والاستمرار والمقاربة والشروع والعادة والبساطة أى الحلو من معنى الجهة أو بعبارة أخرى عدم الجهة، فيكون معنى الجهة هنامعنى عدميا. ويتضح ذلك فيما يأتى :

صيغة يفعل	صيغة فدَّعمَلَ	الجهة	الزمن
	كان فعل	البعيدالمنقطع	الماضى
	كان قد فعل	القريب المنقطع	,
	كان يفعل	المتجدد	,
	قد فعل	المنتهى بالحاضر	•
	ما زال يفعل	المتصل بالحاضر	•
	ظل يفعل	المستمر	•
	فعل	البسيط	•
	كاد يفعل	المقارب	₽
	طفق يفعل	الشروعى	•
يفعل		المادى	ا لحال
يفُعل		التجددى	•
يفعل		الاستمرارى	•
يفعل		البسيط	الاستقبال
سيفعل		القريب	
سوف يفعل		البعيد	
سيظل يفعل		الاستمراري	•

فالاختلاف بين زمن وزمن هنا هو في الواقع اختلاف في الجهة لا في المفي و الحال المضى و الحال و الاستقبال فهناك تسع جهات مختلفة الماندي و ثلاث المحال و أربع للاستقبال و بذلك يكون زمن الجملة الخبرية المثبتة في اللغة العربية يقع في ست عشرة صورة يظل هنعل » فيها على مضيه دائما ويدل «يفعل» فيها على الحال أو الاستقبال دائما و بحسب القرينة أو الضميمة . ومن الملاحظ أن تعبيرات الجهة في معنى الزمن هنا تأتى من الأدوات سواء أكانت هذه الأدوات حرفية كما في قد والسين وسوف أم نواسخ كما في كان ومازال وظل و كاد وطفق أو يكون الزمن مصحوبا بعدم الجهة كما في فستعل ويفعل الواردين في بعض الحالات .

أما فى الجملة الخبرية المؤكدة فيظل الفعلان على معناه ما الزمنى الصر فى ولكن أدوات التوكيد تطرأ على الجملة على النحو الآتى :

صيغة يفعل	صيغة فتعـل	الجهة	الزمن
	لقد كان فعل	البعيد المنقطع	الماضي
	ا اینه کان قد فعل	القريب المنقطع	*
	لقد كالخايفعل	المتجدد	1
	لقد فعل	المنتهى بالحاضر	3
	إنه ما زال يفعل	المتصل بالحاضر	1
	لقد ظل يفعل	المستمر	•
	إنه فعل	البسيط	*
	لقد كاديفعل	المقارب	•
	لقد طفق يفعل	الشروعي	• • •
نه يفعل		انعادى	لخال
نه يفعل	1	التجددي	
نه يفعل	1	الاستمراري	
بفعلن	<u>ا</u> ا	البسيط	ستقبل
هملن	الي	القريب	•
سوف يفعل	_j \	البعيد	,
ىو ف يظل يفع ل	ال	الاستمراري	3

وبهذا نرى أن تأكيد الإثبات يمكن أن يتم باللام فقط أو بها مع قد قبل الفعل أو بوضع إن وإسمها الضمير قبل الفعل المراد تأكيده أو باللام قبل الفعل و نون التوكيد بعده ويتضع من ذلك أن الجملة الخبرية المؤكدة والجملة الخبرية المثبتة لا فرق بينها من حيث الزمن، وإنما يكون الفرق في التأكيد وعدمه أما صيغة و فتعل » فتظل دائما لا إضوى وأما صيغة يفعل فانها تظل دائما وسيلة للتعبير عن الخال أو الاستقبال بحسب ما تعين عليه القرائن ؟

وأما الحملة الخبرية المنفية فان الغالب فيها هو استمال المضارع للدلالة على المضى لأنه هو الذي يضام أكثر أدوات النفى (لم ولم وليس وما ولا ولن) فكل هذه الأدوات تأتى لنفي المضارع ولا ينفي صيغة «فَهَمَلَ » منها إلا «ما » وإذا دخلت «لا » على « فقعل » لم تكن للنفي وإنما تكون للدعاء كما يمكن أن يرى من الفرق في الممنى بين : « فلا نامت أعين الجبناء » و « فما نامت أعين الجبناء » و كذلك بين قولنا « لافض فوك » و «ما فض فوك » فإذا عين الجبناء » و كذلك بين قولنا « لافض فوك » و «ما فض فوك » فإذا عرفنا ذلك سهل علينا تصور أن نني الماضى لا يكون لصيغة «فَمَلَ » وأما فيما حالة و احدة فقط هي نني « قد فعل » الذي يكون « ما فَمَلَ » وأما فيما عدا ذلك فنني الماضى يتم دائما بواسطة إدخال الأداة على صيغة «يفعل» عدا ذلك فنني الماضى يتم دائما بواسطة إدخال الأداة على صيغة «يفعل» كما يتضح بالحدول التالى:

يفعل	فعل	ن الجهة		
لم يكن فعل		اليعد المنقطع	الماضي	
لم يكن قد فعل		القريب المنقطع)	
ما كان يفعل ، لم		المتجدد	ď	
یکن یفعل آو کا ن				
لا يفعل			·	
	ما فعل	المنهى بالحاضر	ď	
لمايضعل		المتصل بالحاضر	•	
الميفعل		المشمر		
م يهمل. ا کا شا		البسيط	•	
الميكاديفعل		المقارب)	

يفعل	فعل	الجهة	الزمن
	مافعل	الشروعي	الماضى
ليس يفعل		العادى	الحال
ما يفعل ما يفعل		التجددى	ď
مايفعل		الاستمرارى	9
لايفعل	[البسيط	المستقبل
ا بن يفعل لن يفعل		القريب	ď
ما كان ليفعل		البعيد	Þ
لن يفعل		الاستمرارى	ď

بهذا نرى أن الزمن وظيفة فى السياق لاترتبط بصيغة معينة دائما وإنما كمنار الصيغة التى تتوافر لها الضهائم والقرائن التى تعين على بحميلها معنى الزمن المعين المراد فى السياق، فلا يهم إن كان الزمن الماضى آتيا من صيغة المفتولة أو صيغة اليفعل المعاملة ما ما مامام يمكن بالتفريق بالضهائم والقرائن بين الآزمنة المختلفة أن نختار من بين الصيغتين أصلحهما للدلالة على المعنى الزمنى المراد فى سياق بعينه و هكذا نرى أن الجملة الخبرية المثبتة والمؤكدة لا فرق فيها بين دلالة الصيغة على الزمن فى نظام الصرف و بين هذه الدلالة فى السياق و لعل هذا هو ما غرر بالنحاة فلم يعنوا برصد الفروق الزمنية الدقيقة إلا فى أضيق الحدود به أما فى الحملة الحبرية المنفية فقد رأينا أن أكثر ما يكون نفى الماضى إنما يكون بواسطة المضارع ولعل ذلك أيضا هو الذى جعل النحاة ينسبون معنى الزمن إلى أدوات النفي مع أن الأداة لا يمكن أن تفيد زمنا و إنما يمكنها أن تفيد و الجهة الم وهى تفيدها فعلا فى حالة الجملة المنفية .

وبعد الفراغ من الكلام في الجمل الخبرية الثلاث أحب أن ألى نظرة على جمل الإنشاء وأن أبدأ مها بالجملة الاستفهامية. ولعل الجملة الاستفهامية هي الوحيدة بين الجمل الإنشائية التي تتوافق فيها دلالة الصيغة صرفيا ونحويا على طول الخط فيدل فيها و فدَ مكل العلى الماضي ويدل الفعل الحلى الحال أو الاستقبال بحسب الضمائم والقرائن على نحو ما يبدو في الاستفهام في حيز الإثبات فيها يلى:

	T		
صيغة يفعل	صيغة فسَعـل	ابلهة	الزمن
	هل کان فعل	البعيد المنقطع	الماضي
	هل کان قد فعل	القريب المنقطع	
	هل کان یفعل	المتجدد	•
	أقدفعل	المنتهى بالحاضر	•
	أمازال يفعل	المتصل بالحاضر	
	هل ظل يفعل	المستمر	•
	هل فعل	البسيط	,
	هل کا دیفعل	المقارب	•
	هل طفق يفعل	الشروعى	•
هل يفعل		العادى	الحال
هل يفعل		التجددي	>
هل يفعل		الاستمرارى	3
هل يفعل		البسيط	الاستقبال
أسيفعل		القريب	9
أسوف يفعل		البعيد	3
الميظل يفعل		الاستمرارى	•

والملاحظ أن الجملة الاستفهامية هنا قد بنيت على الإثبات بمعنى أنها المخلت الجملة المثبتة نقطة ابتداء لها فكثر فيها استعال ه هل لا لأنها تدخل على الفعل وقل فيها استعال الهمزة لأنها تدخل على الأداة كالسين وقد وما . ومن الاستفهام ما يبنى على جملة النبي فيكون للإنكار ونحوه وتكون الأداة فيه هي الهمزة كما يبلو فيما يلى :

يفعل	فتعسَل	المهة	الزمن
الم يكن فعل		البعيدالمتقطع	الماضي
الم يكن قد فعل		القريب المنقطع	7
الم بكن يفعل		المتجدد	•
	أما فعل	المنتهى بالحاضر	•
ألمايفعل		المتصل بالحاضر	,
ألم يفعل		المستمر	•
ألم يفعل		البسيط	•
ألم بكد يفعل		المقارب	,
أليس يفعل		الشروعى	•
أمايفعل		العادى	الحال
آما يفعل		التجددي	•
أمايفعل	\ .	الاستمرارى	
ألا يفعل		البسيط	الاستقبال
ألنيفعل		القريب	•
ألن يفعل		البعيد	•
ألن يفعل		الاستمرارى	,
	.	# #L	C to Mile

فالاستفهام من جملة الإثبات يتم بوضع الأداة قبلها والاستفهام من جملة النفي يتم بوضع الأداة قبلها كذلك ويبقى كل من الجملةين بعدأن توضع الأداة على حاله التي كان عليها قبل وضع الأداة وذلك من حيث الدلالة الزمنية وتوزيع الصيغ عليها.

وجمل الإنشاء فيما عدا الاستفهام قاصرة على إفادة الحال أو الاستقبال بمسب القرائن ولا دلالة فيها على المضى . فالحال أو الاستقبال هما معنى الأمر

بالصيغة و الأمر باللام والنهى و العرض و التحضيض و التي و الترجى و الدعاء و الشرط. ومع أن المضى لا يخطر فى معنى هذه الجمل نجد صيغة و فعل تستعمل باطراد لتدل على الحال أو الاستقبال فى التحضيض نحوهلا فعلت و لو لا فعلت ولو ما فعلت وألا فعلت وفى التي نحو و تمنيت أن لو قدحدث كذا عير أن و فتما به بعد ليت ربما دل على زمن ماض نحو و ليته فعل كذا عمو و كذلك يدل و ف ما لا عمل الترجى على الحال أو الاستقبال (مع الاعتراف بأن عسى قد نحول عن معنى الفعل إلى معنى الأداة) . و ويدل و قد ما في الدعاء على الحال أو الاستقبال نحو ورحم الله فلانا على و ولا أصاب الشر فلانا » و كذلك القول في جملة الشرط إذ يدل و ف ما الحال أو الاستقبال نحو و و الا أصاب الشر فلانا » . و كذلك القول في جملة الشرط إذ يدل و ف ما الحال أو الاستقبال بحسب القرينة نحو :

إن قام زيد الآن قمت إن قام زيد غدا قمت إن يقم زيد الآن أقم إن يقم زيد الآن أقم إن يقم زيد غدا أقم

ويتضح ذلك مما يلي :

افعل				 	
	يفعل	فعل	الجهـة	الزمن	نوع الحملة
افعل(الآن) افعل (غدا)			كل الجهات	الحال	الأمر بالصيغة
افعل رسدا	ايفعل (الآن)		D	الاستقبال	
			•	الحال	الأمر باللام
	ايفعل (غدا)		9	الاستقبال	
	لاتفعل(الآن)		,	الحال	النبي
J	ا لا تفعل (غدا)	1	*	ا الاستقبال	

ا فعل	يفعل	فعل	الجهة	الز من	نوع الحملة
	ألاتفعل(الآن)		كل بلحهات	الحال	العرض
	ألاتفعل (غدا)		В	الاستقبال	<u>.</u>
		هلافعلت(الآن)	,	الحال	التحضيض
		هلا فعلت (غدا)	B	الاستقبال	
	أتمني أن	تمنيت أن	i	الحال	التمنى
	ם מ	9 9	79	الاستقبال	
	لعله يفعل (الآن)	عساه يفعل(الآن)		الحال	الترجي
	ه د (غدر)	١ (غدا)		الاستقبال	
ہم ۱۷ حمه	يرحمه الله اللو	1	1	الحال	الدعاء
) j	מ פ	9 1	•	الاستقبال	
	إن يقمزيد (الآن)	نقام زيد (الآن)	d p	الحال	الشرط
	ه (غدا)	,	D	الاستقبال	

على أن مه فى المضى قد يطرأ على التحضيض والتمنى بواسطة النواسخ فيكون الزمن هنا وظيفة الناسخ أكثر مما هو وظيفة سياق التحضيض أو التمنى و ذلك نحو:

هلا كنت قد فعلت ! تمنيت أن لو كنت قد فعلت !

وليس منه «كنت أتمنى أن لو فعلت » ولا «كنت أنمنى أن تفعل » لأن ذلك خبر لا إنشاء .

لقد مبق أن ذكرنا في الكلام عن تقسيم الكلم أن الزمن جزء من معنى الفعل و لكنه ليس جزء أمن معنى الصفة فالفعل «صرب» مثلا فيه عنصران: الضرب المستفاد من الاشتقاق و المضى المستفاد من الصيغة فاذا علمنا أن

الضرب حدث وأن المضى زمن فقد علمنا أن وضرب و فعل ماض . أما وضارب و فهى تدل على موصوف بالضرب على معنى صفة الفاعل أى أن الكلمة لا تدل على وحدث و وهى أيضا لا لا لدل على وزمن و إنما قصارى ما تفيده هو الموصوف بالحدث على معنى صفة الفاعل كما ذكر نا . ولكننا نلاحظ أن هذه الكلمة ذاتها صالحة لأن تلخل في علاقات سياقية كعلاقة الإسناد والتعدية في قولك : و أضارب أخوك زميله و حيث أخوك فاعل و زميله مفعول به لمضارب ، فكلمة ضارب في هذا التركيب محتملة للحال والاستقبال دون تعيين لأحدها ضارب في هذا التركيب محتملة للحال والاستقبال دون تعيين لأحدها و إلا كان في الكلام ليس . فالذي يعين هذه الحملة الوصفية للحال ما يأتى :

١ قرينة حالية : كأن تقال الجملة أثناء وقوع الضرب فتكون
 القرينة هي المقام .

أو ٧ ــ قرينة لفظية : بواسطة الطرف كأن يقال: a أضارب أخوك زميله الآن؟ a فتكون القرينة في المقال .

والذي يعين هذه الجملة للاستقبال أمران أيضا:

١ حرينة حالية : كأن تقال الجملة وقد شاع فى الناس أن الأخ عازم على ضرب زميله ولكن الضرب لم يقع فالمقام دنا قرينة حالية .

أو ٧ ــ قرينة لفظية : بواسطة ذكر الظرف كأن يقال : و أضارب أخوك زميله غداً ؟ و فتكون القرينة في المقال ومن هذا القبيل قوله تعالى : وولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله، أما إذا أضيف الوصف إلى ما بعده فنى معناه من جهة الزمن احتمالان: الدلالة على الماضى: بقرينة حالية أو مقالية كقولك: «أبوبكر قاهر المرتدين » أو هذا ضارب زيد أمس » على الترتيب.

۲ — الدلالة على مطلق الوصف كة ولك في الله تعالى: « واهب النعم » وفي « زيد » من قولك : « قام زيد » أيا أنه « فاعل الفعل » . و في هذه الحالة يكون الوصف خاوا من معنى الزمن .

و يخلو الوصف من معنى الزمن عند استعاله علما كما في هطاهر الوصالح » و ههاني » » و كذلك إذا دخل في إضافة وصفية نحو ه ساحر النظرة » و هطويل الجيد » أو إضافة الجزء إلى الكل مثل : هقائم السيف » و همر فوض الكلام » و هماعة الهاتف و هبلاً عة الحوض » . والمقصود بالوصف هنا ما أحصيناه من قبل عند تقسيم الكلم و « و : صفة الفاعل وصفة المفعول وصفة المبالغة وصفة التفضيل والصفة المشبهة فكل هذه الصفات تخضع للقرينة في إفادة الزمن .

والمصدر كذلك حين يدخل في علاقات سياقية كالإسناد والتعدية يفيد معنى الزمن بحسب القرينة وحين يدخل المصدر في هذه العلاقات السياقية فإما أن يكون على معنى الإضافة . فاذا كان على معنى الإنشاء صار شبيها بالأمر من مادته الاشتقاقية فيصير « ضربا فيداً » شبيها بقولك : « اضرب زيداً » ولكنه ليس هو هو . فهو يشبه من حث :

١ – إسناده إلى مخاطب.

٢ – وهذا المخاطب لايظهر في الكلام.

٣ – والمصدر صالح للحال أو الاستقبال ويتعين أحدها بالقرينة الحالية أو المقالبة . ولكن المصدر في هذه الحالة يختلف عن فعل الأمر من

مادته بأن الأمر للطلب المحض وهذا المصدر للإفصاح فهو قريب الشبه من و نزرًال ، و و تراك ، النخ . مما اعتبر ناه على معنى خوالف الإخالة . فحين قال الشاعر :

فندلا زريق المال ندل الثعالب

لم يكن المعنى الذي قصد إليه مساويا تماما لمعنى و الله و إنما أراد بلك معنى الفصاحيا آخر الفعاليا فيه من الحث والحض على العجلة والحفة في محاولة الهرب ما عززه الشاعر بقوله : و ندل الثعالب ، وهي معان لا توجد في صيغة الأمر المجردة

أما على معنى الإضافة فإن المصدر يحتمل الماضى والحال والاستقبال جميعا ويتعين أحدها له بالقرينة الحالية أو المقالية أيضا فتقول وأعجبى ضرب زيد هراً "فيدل على المضى بقرينة وأعجبى "وتقول: ويعجبى ضرب زيد عمراً الآن أو غدا فيحدد الظرف معنى الزمن بالحال أو الاستقبال وتقول «ضرب زيد عمراً اللاستقبال وتقول «ضرب زيد عمراً اللديد» فتحتاج إلى القرينة الحالية لندل على الزمن فاذا كان هذا الضرب قد حدث فالزمن ماض وإذا كان حادثا فهو الحاضر أو متوقعا فهو المستقبل.

بهذا نعلم أن الصفات والمصادر ليست لها دلالة صرفية على الزمن كما يدل الفعل أى أن النظام الزمنى في الصرف يأخذ في اعتباره الأفعال دون الصفات والمصادر أما في الاستعال حيث يكون النص مسرح القرائن فإن القرائن الحالية والمقالية تضيف إلى الصفات والمصادر معانى جديدة لم تكن لها في الصرف ونحن نرى ذلك مظهراً من مظاهر تعدد المعنى الوظيفي للديني الواحد وهو موضوع سبق أن شرحناه في الكلام عن النظام الصرف ويأتى التعدد هنا من أن الصفات والمصادر تكون أحيانا من قبيل المسند إليه وأحيانا من قبيل المفعول به وأحيانا من قبيل المفعول به الذي يتعدى المتعدى إليه وتكون أحيانا حالا وأحيانا أخرى نعتا وهي مع كل هذا التقلب في المعنى باقية على مبناها فتظل الصفات صفات والمصادر المنظر النها النظر إليها .

تخلص من كلّ ما تقدم من كلام في الزمن النجوى إلى النتائج الآتية :

۱ – الأزمنة فى اللغة العربية الفصحى ثلاثة ولكنها تتفرع عند اعتبار الجمهة إلى ستة عشر زمنا نحويا كما رأينا من قبل و كما يبدو من الجدول الذى تراه أدنى هذا الكلام.

٢ - تظهر الفروق الزمنية الدقيقة في الجمل الخبرية الثلاث (الإثبات والني والتأكيد) وتظهر كذلك في جملة الاستفهام من الجمل الإنشائية . فهذه الجمل تشتمل على الزمن الماضي معبرا عنه بصيغة فرَعل أو صيغة يفعل كما تشتمل على الحال والاستقبال أما بقية الجمل العربية فلا تحتمل الا الحال والاستقبال فقط ؟

٣ – يبدو أن استعال صيغة ويفعل وللدلالة على الماضى مقصور على أساوب النقى سواء أكان هذا النفى في الخبر أم في الاستفهام.

قيبلو أيضا أن استعال صيغة «فَعَل » بمعنى الحال أو الاستقبال
 إنما يكون في التحضيض والتني والترجى والدعاء والشرط.

ه - تأتى تعبير ات الجهة (التي تتفرع الأزمنة على أساسها ستة عشر فرعا كما ذكرتا) بو اسطة إضافة الأدوات الحرفية والنواسخ إلى الأفعال وذلك مثل قد والسين وسوف واللام ونون التوكيد وما ولا ولم ولما ولن وأخواتها وكاد وأخواتها فهذه كلها عناصر لإفادة الجهة المحددة لمعنى الزمن.

7 – أما الظروف الزمانية وما بمعناها من الأسهاء ونحوهافهي تخصص الزمن النحوى عن طريق معنى الاحتواء للحدث الواحد أومعنى الاقتران للحدثين وذلك عندما يعبر بالصيغة الواحدة عن أزمنة مختلفة كالحال والاستقبال فيدل «الآن »مثلا على الحال ويدل «غدا » على الاستقبال.

٧ — كما تلعب القرينة المقالية دورها في تحديد الزمن (بواسطة استخدام الظروف الزمانية مثلا) تلعب القرينة الحالية دور أمشابها في تحديد الزمن أيضا بواسطة المعلومات الخارجية المستمدة من التاريخ أو الجغرافيا أو نحوها.

أرجو عند هذا الحد أن أكون قد بينت الزمن النحوى في اللغة العربية الفصحى كيف يكون صرفيا وكيف يكون نحويا سياقيا ثم كيف يكون مطلقا وهو صرفي فتدل الصيغة بشكلها عليه دلالة لانتخلف وكيف يكون مقيدا بالجهة وهو نحوى فيكون وظيفة في السياق لاترتبط بصيغة بعينها فتصلح كل صيغة بحسب الجهة أن تدل على زمن ما قد لاينسب إليها على مستوى النظام الصرفى . ولكن ما الجهة ؟ يمكن الإجابة على هذا السؤال فيما يلى :

ذكرنا عند تقسيم الكلم أن الفعل يدل باشتقاقه على الحدث ويدل بصبغته على الزمن ولكن هذا الذى قلناه عن الفعل كان على المستوى الصرفى حيث يرتبط الزمن بالصيغة المفردة التي ليست داخلة في سياق و ذكرنا منذ قليل أن صيغة الفعل أوالصفة أو المصدر وهي في السياق ليست بمفردها قرينة على الزمن المراد وإنما تظاهرها في ذلك قرائن أخرى حالية ومقالية في السياق نختار من بينها الجهة لنجعلها موضوع كلامنا هنا .

والحهة aspect تخصيص لدلالة الفعل ونحوه إما من حيث الزمن وإما من حيث الحدث. فهناك جهات في اللغة العربية لتقييد معنى الزمن وقد رأينا ذلك فيها سبق من تفريعات زمنية نحوية ورأينا أن المبافي الدالة على الجهات الزمنية هي في جملها أدوات ونواسخ وقد عددنا منها قد ولم ولما ولن ولا وما والسين وسوف وكان وما زال وظل وكاد وطفق وفوق كل ذلك تلعب الظروف الزمانية دورها الهام جدا في هذا الحجال بتخصيص الزمن النحوى بواسطة الدلالة على توقيت الحدث الواحد الذي يدل عليه الفعل ونحوه في الجملة أو بواسطة الدلالة على الاقتران الزماني بين حدثين مدلول عليهما بعنصرين مختلفين في الجملة . ويتم النوع الأول من نوعي التخصيص الزمي بواسطة الأسهاء ونحوها مما ينقل إلى استعمال الظروف ويدل على أوقات كالآن واليوم وغدا وبعد سنه ومنذ يومين وأمس كما يتم النوع الثاني من التخصيص بواسطة الظروف الزمانية نفسها وهي إذ وإذا وإذا وادة ومتى وأيان فكل واحد من هذه الظروف الزمانية يدل على اقتران زمي

بين حدثين . وقد سبق أن عرفنا كيف تبلغ هذه الظروف غاية أهميتها في تخصيص أزمنة الصفات والمصادر بصفة خاصة كما أنها تبلغ مستوى أعلى من الأهمية في استعالات العناوين الصحفية المعاصرة حيث يستعمل المضارع للدلالة على الماضي والحال والاستقبال ولا يتعين واحد من هذه إلا بواسطة قرينة حالية كعلم القارىء بالحدث قبل قراءة الصحيفة بالاستماع إليه في الإذاعة أو قرينة لفظية هي الظرف الذي يعين زمن المضارع المستعمل . انظر مثلا في نماذج العناوين الآتية :

١ -- طائراتنا تقصف مواقع العدو . (لا ذكر للظرف اتكالا على انتشار النبأ بالإذاعة) .

- ٢ طائراتنا تقصف مواقع العدو أمس.
- ٣ ــ الرئيس يتفقد اليوم مواقع العمل في السد العالى .
 - ٤ ـ المجلس الوطى الفلسطيني ينعقد غدا بالقاهرة.

تلك هى الجهات (أى القرائن المعنية) للزمن وقد رأينا من بين هذه القرائن ما هو حالى وما هو مقالى .

وهناك جهات أخرى لتخصيص معنى الحدث بخصوصه أو قد تكون لنقييد إسناد الحدث إلى المسند إليه فالجهات التى تفيد تخصيص معنى الحدث دون نظر إلى إسناده يتم التعبير عنها بواسطة عناصر صرفية فى المبنى كالتضعيف لإفادة المبالغة فى مثل كسر وكالتكر ار لإفادة معناه فى تحو زلزل و دمدم وهدهد .

ونستطيع فيما يلى أن نور د طائفة من هذه التعبير ات عن الجهة :

المثال	المبنى	الجهة
أكرم	الهمزة	التعدية
کرم	التضعيف))
ز لز ل	تكرار المبنى	تكرار الحدث

المثال	المبى	الجهة
تقاتلا	تاءالتفاعل	المشاركة
استخرج	السين والتاء	الطلب
انكسر	نون الانفعال	المطاوعة
اختار	تاء الافتعال	الاتخاذ
تشجع	تاء التفعيل	التكلف
اقتتلوا	تاء الافتعال	التبادل

أما جهات تقييد علاقة الإسنادفهي ما جمعناه تحت عنواني والتخصيص و و النسبة «عند كلامنا في التعليق النحوى . فاسميناه القرائن المعنوية كالتعدية والسببية و المعية والظرفية المكانية وهلم جرا هي في الواقع جهات في فهم علاقة الإسناد في التركيب فليست مسلطة على الزمن و لا على الحدث في إفادتها التقييد و إنما هي قيو د في الإسناد و إليك أمثلة لها :

المثال	الباب	المبنى	الجهة
ضرب زید عمر آ	المفعول به	الاسمالمنصوب مطلقا	التعدية
جئت رغبة فى ر ۇينك		المصدر المنصوب	السببية
سرت والنيل	المفعول معه	الاسم المنصوب بعد	المعية
		الواو	
جلستحيث جلس	المفعول فيه	ظرف المكان	الظرفية المكانية (١)
زيد			
قمت قياما	المفعول المطلق	المصدر المنصوب	التقوية(٢)
جثت ماشيا	الحال	الوصف المنصوب	الملابسة
قام الناس إلا زيد آ	المستثنى	الاسم بعدإلاو نحوها	الإخراج

⁽١) يدخل في التعبير عن الظرفية ما يفيدها من حروف الجر ٠

 ⁽۲) يدخل في التعبير عن جهة تنوية علاقة الاستاد التركيد بالحرف كاللام ولون
 التركيد وان وغيرها •

المثال	الباب	المبنى	ابلهة
اشتريت قنطارا قطنا	التمييز	الاسمالحامدمنصوبا	التفسير
تحن العرب نكرم المذ	المختص	أو مجرورا بمن الاسم المنصوب بعد ضمير المتكلم	الخلاف
الضيف مشيتعلىالر صيف	حرف النسبة	على المالم	الاستملاء
ت کی گریات ضربته بالعصا	,	الباء	الواسطة
عد عن ذا	•	عن	المجاوزة

بهذا نرى أن الجهات تقع في ثلاثة أنواع :

١ - جهات في فهم معنى الزمن وقد سبقت ومنها ظروف الزمان
 وبعض الأدوات والنواسخ :

٢ -- جهات في فهم معنى الحدث وقد سبقت أمثلتها ومنها المعانى المنسوبة إلى حروف الزيادة في الصبغ .

٣ - جهات فى فهم معنى علاقة الإسناد ومنها ظرو ف المكان والمنصوبات
 وحروف الجو .



الفصلالسادس

الظواهرالسياقية

ذكرنا من إقبل أن الأنظمة من اللغة لامن الكلام وأن اللغة ـــومنها الأنظمة ــ ساكنة صامتة تنشد لنفسها الاطراد وتسعى إلى الإطلاق شأنها شأن كل نظام آخر . وذكرنا كذلك أن الكلام تطبيق على نظام اللغة و أنه دینامیکی متحر ک شأنه فی ذلك أیضا شأن كل تطبیق علی آی نظام ه وإذا عدنا إلى المثل آلذي اختر ناه و من قبل ــ و هو نظام المرور ــ وجدنا أن النظام يقتضي في جميع الحالات أن يكون السير على جانب معين من الطريق و هذه قاعلة في النظام مطردة و مطلقة ، ولكن عملية المرور التي تتم طبقًا لهذا النظام والَّبِي هي في الواقع تطبيق أمين له يحدث لها أن تصادف بعض المشكلات أخيانا كأن يكون الجانب المختار للمرور مشغولا بإصلاح الطريق أو ببقايا حادث وقع فيتحم فى هذه الحالة أن يتحول المرور إلى الجانب الآخر من الطريق على عكس ما يطلبه النظام و لكن هذا يعتبر حلا من حلول مشكلات التطبيق . فإذا عبر عنه بمجموعة من القواعد تفصل ما يتبع من الإجراءات عند انشغال الجانب المختار للمرور من الطريق اعتبر ذلك نظامًا فرعيًا يؤيد النظام الأصلى ولا يطعن فيه . وفى نظام اللغة ما يشبه نظام المرور تماما كما أن فى الكلام ما يشبه حركة المرور التى بمحكمها هذا النظام . فالنظام الصوتى للغة يقرر مثلا أن الدال مجهورة و أن التاء مهموسة . ويصر النظام على اطراد هذه القاعدة وإطلاقها ولكن الكلام وهو التطبيق العملي لنظام اللغة قد بشتمل على دال ساكنة متروعة بتاء متحركة وهنا نجد أن تجاور الحرفين على هذا النحو يتسبب في صعوبة عضوية تتحدى محاولة المحافظة على ما قرره النظام كما يتسبب التقاء المتقاربين دائما فى احتمال اللبس لو حاولنا فى نطقهما عبثا أن نرضى مطالب النظام لأن جهر الدال الساكنة المتبوعة بتاء متحركة أمر ثقيل التحقيق فى النطق وهنا تظهر مشكلة من مشاكل التطبيق بحلها السياق بظاهرة الإدغام فتكون الدال والتاء فىالنطق كالمتاء المشددة تماما (قعد تُ = قَعَمَتُ) . و «الإدغام ، الذي ذكرناه

واحدة من الظواهر السياقية التي تحل مشاكل النظام اللغوى والتي سنشرحها تباعا بعد قليل وربما سميناها لماما « الظواهر الموقعية » .

قلت إن محاولة جهر الدال الساكنة المتلوة بالناء تنسب في ثقل العملية العضوية أوفى اللبس وكلاها مشكلة من مشكلات التطبيق . ولكن ثقل العملية العضوية ليست سببا في حدوث الظواهر السياقية جميعا لأن بعضها لو نفذ في نطقه النظام كما هو لم نحس ثقل العملية النطقية في نطقه أبدآ ، فلو أن المتكلم عزف عن الوقف بالسكون وأعطى الحرف الأخير حركته التى أعطاه النظام إياها لما كان في ذلك أي نوع من أنواع الثقل من الناحية العضوية بل على المكس من ذلك تماما نرى قوافى الشعر تأبى فعلا تطبيق ظاهرة الوقف بالسكون ونعوه في الكثير جدا من الحالات ولها في ذلك نظام فرعى عروضي خاص بها . ولكن الأسس التي تتحكم في تحقيق الظواهر السياقية لا يتحتم أن تنبى جميعا على ثقل العملية النطقية بالضرورة وإنما تنبى كذلك على مراعاة أمن اللبس كما رأينا وعلى الاعتبارات الذوقية في صياغة السياق العربي . فإذا أردنا أن نعبر عن جميع ذلك بعبارة شاملة قلنا إن الأساس الذي يتحكم في تحقق الظواهر السياقية إنما هو : كراهية التقاء صوتين أو مَهُمُ يُدَّيُّ يِتنافى التقاؤها مع أمن ألبس أو مع الذو ق الصياغي للفصحي فتحدث الظاهرة لعلاج موقف التني فيه هذان الأمران فعلاو ذلك نتيجة لما قضى به أحد أنظمة اللغة للمبانى خارج السياق و ذلك على غرار ما نراه في العرض الآتي لأشهر الظواهر السياقية في الفصحي :

in in		على غرار ما تراه في العرص		
تفسير ها	الظاهرة الموقعية الناتجة	انجاه الذوق العربى		
الضدان هنا هما الصوتان المتنافران في النطق	ظاهرةالتأليف	١ _ كراهية توالى الأضداد		
الضيدان هما الحركة و هى مظهرالاستمراروالصمت	و الوقف	3 J Y		
وهومظهرالتوقف الضدان قيمتان صوتيتان متنافرتان	و المناسبة)) <u> </u>		

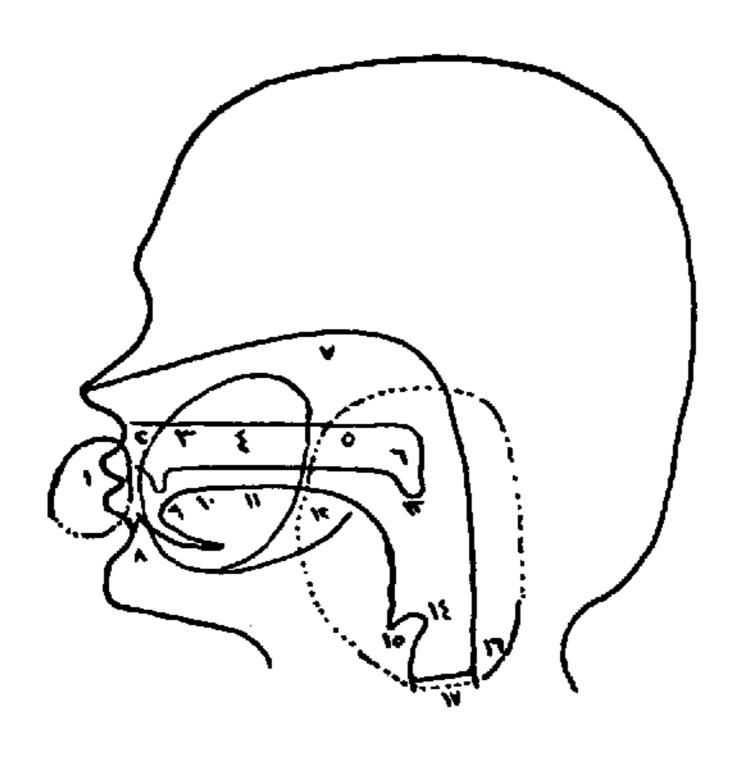
مرة الإعلا التوصل الإدغام المتخلص الحدف))	,	,	•		٦,
الإدغام	•		•	•	_	٦
الإدغام	•		•	•	_	٦
التخلص	•	,	•			
_				•	—	V
الحدف)	•				
		•	.)	•		٨
الإسكان			1			
الكمية	•	•		•		1.
لإشباعوا	1 >	•	•	•	 .	11
النبر	1	•	•			11
التنغيم		•	1	•		۱۳
	النبر	و الإشباع و ا	و النبر	ه النبر	ا د د النبر	س و النبر

فإذا كانت اللغة العربية تكره توالى الأضداد وتكره كذلك توالى الأمثال فها الذي يرتضيه ذوقها إذا؟ من الواضح أن النظام اللغوى و الاستعال السياقى جميعا يحرصان في اللغة العربية الفصحي على المتقاء المتخالفين أو بعبارة أخرى بحرصان على التخالف و يكرهان التنافر والتماثل. فأما كو اهية التنافر

فلاً نه ينافى المفوق العربي وأما كراهية التماثل فلأنه يؤدي إلى اللبس. فإذا أحبت اللغة العربية التخالف فذلك لأنه يعين على أمن اللبس بواسطة ما يهيئه من المقابلات أو الفروق بين المتخالفين أى بواسطة استخدام القيم الحلافية التى أشرفا إليها من قبل وقلنا إنها لاغبى عنها للوصول إلى الوضوح أو بعبارة أخرى للوصول إلى أمن اللبس، ومن هنا كانت الظواهر الموقعية التى ترد فى السياق لتفادي ما تكرهه اللغة من تنافر أو تماثل تتجه دائما إلى المحافظة على التخالف على نحو ما سنرى حين الكلام فى كل ظاهرة موقعية نتناولها فى الصفحات التالية . ومع أن علاج التنافر إنما يكون بالاتجاه إلى عكسه وهو التماثل نجد الظاهرة الموقعية تكتنى (كما فى ظاهرة التأليف مثلا) بتفادى التنافر وهو محظور أول دون الوصول إلى التماثل وهو الحظور النائى و ذلك بالوقوف عند حد التخالف .

١ _ ظاهرة التأليف

لاحظ اللغويون منذ القدم عند النظر في تأليف الكلمة العربية من أصولها البلائة (المفاء والهين واللام) أن هذه الأصول يجرى تأليفها حسب أساس ذوقي وعضوى خاص يتصل بتجاور مخارج الحروف الأصول التي تنألف منها الكلمة أو تباعدها بالنسبة إلى أما كنها في الجهاز النطني ولقد لاحظ الأقدمون أن الكلمة العربية إذا أريد لها أن تكون فصيحة مقبولة فإنها تتطلب في غارج حروفها أن تكون متناسقة ولا تتسامح اللغة فتتخلى عن هذا المطلب إلا في أضيق الحلود في حالات الزيادة والإلصاق ونحوها وقبل أن نوغل في شرح هذه الظاهرة ينبغي أن نرسم الجهاز النطني و نقسمه عبوعات المخارج إلى ثلاث مناطق و نسمي إحداها عليا أو قصوى والثانية وسطى والثالثة سفلي أو دنيا على النحو التالى:



۱ — الشفتان العليا الطبق (الحنك الصلب) .
۳ — اللغة (الحنك الرخو) . ۲ — اللهاة .
۷ — الطبق (الحنك الرخو) . ۸ — الأسنان السفلي .
۷ — التجويف الأنني (الحيشوم) . ۸ — الأسنان السفلي .
۹ — طرف اللسان .
۱۰ — مقدم اللسان .
۱۱ — وسط اللسان .
۱۲ — الحلقوم
۱۲ — الحلق المحلق .
۱۲ — الحلق المحلق .
۱۲ — الحلق المحلق .
۱۲ — الحلال الخلفي المحلق .

١٧ – الحُنجرة وبهاالأوتار الصوتية .

والمخارج العربية حين تنسب إلى المناطق التى حددها اللغويون القدماء بالنسبة لدراسة ظاهرة انتأليف تبدو كما يلى :

(أ) المنطقة الأولى (الشفتان) (ب) المنطقة الثانية (مقدم اللسان)

ا - الشفوى (بمو). ٣ - الآسناني (ثذظ)

ا - الشفوى الأسناني (ف) ٤ - الأسناني اللثوى (ت د ض ط من زص)

من زص)

ا - اللثوى (ن ل ر)

ا - الغارى (ج ش ى)

(ح) المنطقة الثالثة (مؤخر اللسان و الحلق)

y _ الطنق (ك= g)

٨ ــ اللهوى (الجلقومي خ غ ق)

٩ _ الحلتي (ع ح).

١٠ ـ الحنجري (١٠)

يقول السيوطى (١): وقال ابن دريد في الحمهرة: اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم و دون حروف الولاقة كلفته جرسا واحدا وحركات مختلفة. ألا ترى أنك لو ألفت بين الهمزة والهاء والحاء فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاء في بعض اللغات لقربها منها نحو قولم في أم والله وهم والله و قالوا في أراق وهراق ولو جدت الهاء في بعض الألسنة تتحول وإذا تباعدت مخارج الحروف حسن التأليف.

قال واعلم أنه لا يكاد بجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس و احد في كلمة و احدة لصعوبة ذلك على ألسنتهم » .

ويروى الشيخ السيوطى عن الشيخ بهاء الدين صاحب عروس الأفراح أن رتب الفصاحة متفاوتة فإن الكلمة تخفوتثقل بحسب الانتقال من حرف إلى حرف لا يلائمه قربا أو بعدا . فاذا كانت الكلمة ثلاثية فتر اكيبها اثنا عشر :

١ ــ الانحدار من المخرج الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى نحوع دب

۲ _ الانتقال من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط و و و الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط و و و و و يظهر أن الراء خطأ مطبعى صحته الباء) .

٣ _ من الأعلى إلى الأدنى إلى الأعلى و ع م ٥

ع ل ن الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى و من الأعلى إلى النون خطأ مطبعي صحته الهاء)

⁽۱) المزمر ص ۱۱۵ ۰

نحو ب دع	 من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى
ر د بع د	 من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط
, ف ع	٧ - من الأدنى إلى الأعلى إلى الأدنى
ه ف د م	٨ - من الأدنى إلى الأوسط إلى الأدنى
، د ع م	 من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى
دمع	١٠ - من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى
ر ا ر نع ل	١١ - من الأوسط إلى الأعلى إلى الأوسط
ر ن م ل	١٢ – من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط

ثم يقول: إن أحسن هذه التر اكيب الأول فالعاشر فالسادس وأما الخامس والتاسع فهما سيان في الاستعال وإن كان القياس يقتضي أن يكون أرجحهما التاسع وأقل الجميع استعالا السادس.

ويظهر أن الشيخ بهاء الدين و كذلك السيوطى لم يكلف نفسه عناء استقصاء الإمكانات التى تحتملها الكلمة العربية من هذه الناحية استقصاء كاملا فكان عليهما أن ينظرا إلى القضية مثل النظرة الرياضية الإحصائية التى نظرها الخليل فى كتاب الهين حيث حسب الطرق التى تجتمع بها الحروف فى الكلمة الواحدة فضرب ٢٨ × ٢٨ × ٢٨ وحصل منها على عدد المواد التى يمكن للغة العربية أن تعد د الكلات تحت كل واحدة منها . ولا شك أن الشيخ بهاء الدين والسيوطى كليهما لم يكن أمامهما عمل معقد كالذى قام به الخليل لأن العدد المضروب هنا لن يكون ٢٨ بعدد الحروف وإنما يكون ٣ الخليل لأن العدد المضروب هنا لن يكون ٢٨ بعدد الحروف وإنما يكون ٣ بعدد أنواع المخارج فتضرب فى نفسها مرتين (٣×٣×٣) فتكون احمالات تركيب الكلمة من هذه الأنواع سبعة وعشرين احمالا . فاذا احمالات تركيب الكلمة من هذه الأنواع سبعة وعشرين احمالا . فاذا والرقم (١) للأوسط والرقم (٣) للأعلى صار فى وسعنا أن نعبر عن التواليف والرقم (٢) للأوسط والرقم (٣) للأعلى صار فى وسعنا أن نعبر عن التواليف الممكنة وغير الممكنة على السواء وأن نصور ذلك على النحو التالى :

ق و م		<u>ل و م</u>	1,17	×	111
ع ب د	714	ن م ل	*1*	ن و ر	711
ع 🗚 🕰	414	د م ع	411		۳۱,۱
ع دب	174	<u>ر</u> س م	177	ت د م	111
ع رس		د ر س	YYY	<u>ب</u> د ر	**1
ع ل 🗚	۳۲۳	ن ت ق 	444	ب د ع	
<u>ح ق و</u>	144	د ع به	144	ف ع م	171
ع ه د	774	ن ع ل	777	ب ع د	
×	۲۲۲	ر ق ع	444	و ق ح	

وبالتأمل فى هذا التوزيع الشامل لإمكانات تجاور أنواع المخارج (لأن مادة البحث هنا أنواع المحارج أى مجموعاتها الثلاث لا المحارج المفردة ولا الحروف) يمكن أن نستنبط الحقائق الآتية :

1 – أن فكرة تقارب المخارج و تباعدها هي فعلا أساس هذه الظاهرة في اللغة العربية الفصحي (ظاهرة التأليف) فبحسبها تتجاور الحروف في الكلمة أولا تتجاور. وهذه الظاهرة هي التي استعان بها القدماء من نقاد الأدب في الكشف عما سموه و التنافر اللفظي وعلى أساسها بنوا نقدهم لكلمة ومستشزرات و التي وردت في معلقة امرىء القيس ولعبارة وليس قرب قبر حرب قبر ٤ ومرجع كل ذلك كما ذكرنا إنما هو إلى الذوق العربي الذي يتجه إلى ما اصطلحنا على تسميته و كراهية النضاد أو التنافر و التنافر و النافر و النافر

٢ — أن عبارة ابن دريد القائلة : و إذا تباعدت مخارج الحروف حسن تأليفها ، أكثر صدقا وأقل تورطا من قوله : و اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت ، لأن العبارة الأولى لم تتورط كما فعلت العبارة الثانية في ادعاء ثقل الكلمات المؤلفة من حروف متقاربة تقاربا لاتنافر فيه مثل :

رس م – درس – ب د ر – ف ج ، – و ق ح – و تعوها .

" ان عبارة الشيخ بهاء الدين المفصلة لاتحكى القصة كلها بدليل ما استدركته أنا عليه من تواليف لم بذكرها وهى التى وضعت تحتها خطا فى الحدول الذى سبق ولحذا أرفض أن تكون مقالته شاملة .

خارج العشرة التأليف إذا بنيت على المخارج العشرة التي ذكر ناها سابقا كل منها على حدة فلر بما كانت أجدى فى شمول هذه الظاهرة الموقعية من دراستها مؤسسة على هذه المناطق الثلاث التي يشتمل كل منها على مخارج متعددة .

ولربما كان من الممكن أن يضاف إلى الاعتبار العضوى المجرجى
 هذه الدراسة اعتبار القيمة الصوتية من تفخيم و ترقيق فيمكن يهذا أن ندعى
 مثلا ندرة تجاور أحد المطبقات مع أحد الغاربات و هى أشد الحروف استفالا.

٦ - هذه الظاهرة الموقعية (التأنيف) مرتبطة أشد الارتباط بدراسة المستعمل والمهجور من مواد اللغة وهي بهذا المعنى تر تبط بمعنى الكلمة العربية الفصحى نوع ارتباط.

٢ ـ ظاهرة الوقف

يدل الوقف بوسائله المتعددة على موقع هو فى طابعه ؛ « ميف صلى م مفاصل الكلام يمكن عنده قطع السلسلة النطقية chain of utterance فينقسم السياق بهذا إلى دفعات كلامية spoken groups تعتبر كل دفعة منها السياق بهذا إلى دفعات كلامية speech event معناها كاملا « و اقعة تكليمية عبل فكر الجواب مثلا فإن الو اقعة النكلمية معناها كاملا كالوقف على الشرط قبل ذكر الجواب مثلا فإن الو اقعة النكلمية حين شدمل على أكثر من دفعة كلامية و احدة .

ولعل ظاهرة الوقف باعتبارها موقعية من موقعيات السياق العربى ترجع إلى كراهية توالى الأضداد» أو «كراهية التنافر» إن شئت اسها آخر لهذا المظهر من مظاهر الذوق العربى ، فالحركة مظهر من مظاهر الاستمرار

في الأداء والصمت الذي يأتى عن تمام المعنى جزئيا أو كليا أو عن انقطاع النفس أو لأى سبب يدعو إلى قصد الوقف يعتبر عكس الحركة تماما فبينه وبين الحركة تنافر . والحركة التى تقع في نهاية الدفعة الكلامية لابد لمقطعها أن يكون من نوع (صح) وهو نوع لا يقع عليه النبر وهو في آخر الدفعة الكلامية أبداً وانعدام النبر في هذا المقطع يضعف الحركة في النطق ويجعلها من قبيل الروم وهو الاصطلاح الذي أطلقه النحاة على الوقوف بها ضعيفة بل من قبيل الإشهام الذي هو نهيؤ الشفتين لنطق الحركة دون جلوث هذا النطق . ومن ثم تكون الحركة الأخيرة في ضعفها وقصورها عن الوصول إلى الأذن غير ذات قيمة كبيرة باعتبارها قرينة لفظية على المهني ومن هنا اختار الاستعال أن يذهيء ظاهرة الوقف دفعا للتنافر و دلالا على موقع انتهاء الدفعة الكلامية وهو موقع يرتبط بهام المعني جزئيا ، أو كليا كنا ذكرنا . ولقائل أن يقول فلم بقيت هذه الحركة في قوافي الشعر ولم يلجأ الشعراء إلى ظاهرة الوقف يستعماونها في نهاية كل بيت من أبيات القصيدة : والحواب على ذلك من وجهين :

الأول: أن الشعر موسيقى والموسيقى تكون بالحركة والمدولا تكون بالسكون ولذا كان الشعر أشد حرصا على الحركة فى قوافيه منه على السكون ومع ذلك لم يرفض الشعر السكون رفضا تاما فارتضى القوافى المقيدة بالسكون لا لحبه للسكون نفسه وإنما لاصطناع تقييد القافية باعتباره طريقة تعبيرية ذات قيمة خاصة فى مجال المزاج الشعرى

الثانى: أن الحركات التى فى قوافى الشعر يغلب فيها ألا تبقى على كمينها القصيرة فإن الطابع الإنشادى للشعر العربى بجعل الشاعر يترنم بالشعر فيشبع حركاته الأخيرة بما يسمى إطلاق القافية فتطول الحركة وتصبح مدا والوقف على المد تباركه القاعدة حتى فى الاستعال غير الشعرى .

ولاوقف وسائل متعددة غير الإسكان: فله غير الإسكان الروم والإشمام والإبدال والزيادة والحذف والنقل والتضعيف. فالروم إضعاف صوت الحركة دون أن تختفي تماما على الأذن والإشمام عدم النطق بالضمة ولكن مع

الإشارة بالشفتين إليها فلا يدركه إلا من يرى شفى المتكلم أى أن الإشهام لاقيمة له بالنسبة للأعمى ولا المبصر عند الإظلام ويذكر النحاة أن معناه مرتبط بالفرق بين الساكن أصلافلا إشمام فيه وبين المسكن بالوقف ففيه الإشمام . وأما الإبدال فهو إبدال الألفِ من تنوين المنصوب وتنوين إذا ومن نون التوكيد الخفيفة وكذلك إبدال الهاء من تاء التأنيث التي تلحق الأمماء . وأما الزيادة فهي زيادة هاء السكت بعد الفعل المعتل المجذوف الآخر نحو أعطه وأرجه وعه وقه وكذلك بعد ما الاستفهامية لحاجة الصيغة إليها فى كُلُّ ذَلِكَ بعد أن انتقصها نظام اللغة وذلك لإشباعها في الكلام . و أما الحذف فهو حذف التنوين من آخر المنون مرفوعا كان أو مجرورا ومن آخر المقصور مطلقا وحذف إشباع الضمير في به وله وحذف ياء المنقوص مع التنوين في الاسم المنقوص المنكر و في لغة ترد الياء دون التنوين. وأما النقل فتحويل حركة الحرف الآخير من الكلام إلى الساكن قبله لبيان حركة الإعراب أو التخلص من التقاء الساكنين إلا إذا كان ما قبل الآخر ممنوعا تحريكه . وأما التشديد فليس المقصود به تضعيف الحرف وإنما هو شبيه بقلقلة بطيئة للحرف الموقوف عليه وهو يلاحظ فى يومنا هذا فى القاء والإملاء، على التلاميذ وفى كلام المحاضرين المتأنين والمتأنقين ويلاحظ فى و قف الدكتور طه حسين على جمل كلامه حين بحاضر ، فهو يجعل تشديد الحرف الأخير المسكن للوقف وسيلة من وسائل الإبلاغ السمعى لإرادة التأكيد أو أى معنى آخر مناسب . ويزعم النحاة أن التأنى في نطق هذا ألحرف الساكن الأخير هو من قبيل التشديد وأن سببه هو بيان أنه متحوك أصلا فيتبحرك عند الوصل ويقولون إن هذه الظاهرة لاتكون في الحرف الآخير إذا كان همزة كبناء لأن القصر يغى عنها والنبرقرينة على وجودها عند عدم القصر والعرب لاتضعف الهمزة إلا إذا كانت عينا في الكلمة . وهذه الظاهرة لأتكون أيضاً في حرف لين جاء بعد حرف متحرك كما في سَرُو وَبَقَرِي وَانْقَاضَى ولا في الحرف الآخر الصحيح إذا سبق بحرف صحبح ساکن نمو و بکر ، .

٣ - المناسبة

و مما يعود في الذوق العربي أيضا إلى كراهية التنافر ما يسمونه ظاهرة المناسبة vowel harmony فالمعروف أن الفتحة وألف المد من قبيل صوتى واحد وأن الكسرة وياء المد من قبيل آخر وأن الضمة وواو المد من قبيل ثالث فكل حركة من هذه الحركات الثلاث تناسب ماكان من قبيلها . ولقد لاحظ النحاة أن موقعا ما قد يتطلب حركة معينة بحكم النظام أي بحسب القاعدة ولكن هذه الحركة المطلوبة قد تتنافر مع ما يجاورها أو على الأقل لا تناسبه ومن هنا يبلو السياق وقد انخذ في مكان هذه الحركة حركة أخرى تتناصب مع ما يجاورها .

ولقد سجل النحاة تحت عنوان المناسبة حركة واحدة هي الكسرة قبل ياء المتكلم من نحو وهذا كتابي » ولكننا نستطيع أن نضيف إلى ذلك عدد آ من حركات المناسبة في مواقع أخرى ومن هذه الحركات ما يلي :

١ - بناء الماضى على الضم لمناسبة واو الجاعة في نحو ضربوا فهذه
 الضمة لا يمكن تفسير ها إلا تحت عنوان المناسبة :

٢ - تحريك عين المضارع المسند إلى واو الجهاعة بالضم فى جميع حالاته الإعرابية نحو يضربون ولن يضربوا ولم يضربو فهذه الضمة للمناسبة أيضا.

٣ - تحريك لام فعل الأمر بالضم عند إسناده إلى الواو نحو اضربوه
 و ذلك للمناسبة كذلك .

عريك لام الفعل المضارع المسند إلى ياء المخاطبة بالكسر لمناسبة
 الياء في جميع الحالات الإعرابية نحو تضربين ولن تضربي ولم تضربي .

ه ــ تحريك لام فعل الأمر عند إسناده إلى ياء المخاطبة بكسرة لمناسبة الياء بحو اضربي .

٦ - تحريك أو اخر هذه الأفعال جميعا بالفتحة عند إسنادها إلى ألف الاثنين نحو قولك ضربا - يضربان - لن يضربا - لم يضربا - اضربا .

٧ - إذا كان الفعل معتل الآخر بالألف فإن الفتحة الى على عين الكلمة والتي تعتبر الألف مداً لها تبتى بعد حذف الألف في بعض تصريفات الفعل لتكون قرينة على الألف المحلوفة ويسميها النحاة حين شدركة الدليل ، ومن تعبيراتهم المحفوظة في ذلك قولم : « والفتحة قبلها دليل عليها » . فهذه في الحقيقة حركة لمناسبة الألف لأنه لا يوجد فعل معتل الآخر هالألف دون أن تكون عين الكلمة فيه مفتوحة لمناسبة هذه الألف ولا تسمى منه الفتحة « حركة الدليل » إلا بعد حذف الألف أما والألف موجودة في المناسبة .

۸ - مما يدخل تحت المناسبة أيضا إعراب المجاورة كما فى وجحر ضب خرب وحيث يتضح المعنى بقرينة معنوية هى قرينة الصلاحية للإسناد وعدمها فيصبح اعتبار المناسبة الموسيقية للحركات أهم من المحافظة على إعراب القاعدة .

٩ - ومما يعد من قبيل المناسبة أيضا ما يسميه النحاة و الإتباع على اللفظ عليس لهذا النوع من الاتباع مبرر من القاعدة ولهذا السبب لا بمكن تفسير الإتباع على اللفظ إلا فى ضوء المناسبة الصوتية الموسيقية بين صوتين حين تتضافر القرائن على بيان الحر فلا يحتاج إلى حركة التابع بين القرائن المالة عليه .

ع ـ الاعلال والابدال

قد يبدو القارىء من أول وهلة أن هذا العنوان و الإبدال والإعلال و يحمل فى طيه زعما بأن العرب كانوا ينطقون شيئا ثم أبدلوا به شيئا آخر أو أعلوه , وهذا الظن أبعد ما يكون عن الصواب فالتقابل هنا ليس بين مستعمل قديم متروك ومستعمل جديد منطوق . وإنما التقابل كما ذكرنا من قبل هو بين ما يقرره النظام وما يتطلبه السياق أى بين القواعد الصوتية وبين الظواهر الموقعية ويتخذ الإبدال فى اللغة العربية الصور الآتية :

- (أ) إبدال الصحيح بالصحيح كإبدال الطاء من تاء الافتعال إذا كانت فاؤه حرفا مطبقا وهو الصاد والضاد والطاء والظاء، وكابدال الدال بهذه التاء إذا كانت فاء الكلمة دالا أو ذالا أو زايا . فمثال الأربعة الأوائل اصطبر واضطر واطلع واظطلم ومثال الثلاثة الاخيرة اداًان واد كر وازداد .
- (ب) إبدال الصحيح باللبن وذلك كإبدال الهمزه بالواو والياء في كساء وقائل وصحائف وقوائل كإبدال الهمزة أيضا بأولى الواوين في أول الكلمة مثل أوائل وأواق وأواصل والأولى. ومن ذلك أيضا إبدال التاء بالواو إذا كانت الواو فاء للافتعال نحو اتسكل.
- (~) إبدال المد بالصحيح كجعل ثانية الهمزتين حين تكون ساكنة في الكلمة نفسها مدآ لحركة أولاها نحو آثر وايتمن.
- (د) إبدال اللين باللين كجعل الواوياء فى رضى وحد ينة وعيادة و ديار وحياض و أعطيت ولى ونبسم وعصى وكجعل الياء واوأ فى موسر وقضو ومرموة ورموان وخورى وتقوى وحزوى .
 - (٨) إبدال اللين بالمد كجعل الألف ياء في غزيل.
- (و) إبدال المد بالمد كجعل الألف ياء مد فى دنانير ومصابيح وجعلها وأو أثملودة فى بويع وقوتل.

ويحلو للنحاة أن يسموا الصور أ ، ب ، ح ، صور و إزالة ، والصور

د، ه، و، صور و إحالة ،

نحن نعلم أن الحرف الابن إذا تحرك فقد بصحح كما فى أقوال وبيان وقد يعتل كما فى قال وبان . وإذا سكن فقد يصحح كما فى قول وبيع وقد يعتل كما فى صورة وحيلة . فالاعتلال وارد على حرف اللبن سواء أكان متحركا أم ساكنا ولكن هذا الاعتلال يعرف لدى النحاة وبالإعلال وهو الظاهرة الموقعية التى سنحاول شرحها الآن . وموضوع الإعلال كما رأينا هو الحرف اللبن وهو الواو والياء (دون الألف) ويكون الإعلال فى هذين الحرفين بإحدى طرق ثلاث :

- (۱) القلب : وملخصه أن الواو والياء إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفا كما في قال وباع ونوى ورمى وغزا ولا تقلبان إذا سكن ما بعدها أو كانتا عينا لفعمل كم حرور وعيس أو لفهمل الذى الوصف منه على وزن أفعل نحو عور وعين أو افتعل الواوى كاجتوروا أو ما آخره زيادة تختص بالأسلاء كم وران أو كانت إحداها أول حرفين مستحقين لهذا القلب نحو حيروان .
- (ب) النقل: فإذا كانت الواو أو الياء عينا للفعل أو الاسم الجارى مجرى المضارع مسبوقة بساكن صحيح نقلت حركتها إلى الساكن الصحيح قبلها نحو يقوم وببيع ومقول ومبيع إلا إذا كان الفعل تعجبا أو مضعف اللام نحو ما أقبوله ويَبَديبَض فإذا أعلت عين المصلوه الإعلال بالنقل نقلت حركتها إلى الفاء وقلبت الواو أو الياء ألفا نحو استقامة وإقامة وحذفت من المصلو إحدى الألفين لالتقاء الساكنين فيكون هذا النوع من المصادر مجالا للقلب والنقل والحذف جميعا .
- (ح) الحذف: تحذف الواو والياء عند التقاء الساكنين كما فى وقاضي و و غاز و والاستثقال و نقل الحركة أو حلفها هو الذى يؤدى إلى التقاء الساكنين و تكون الواو أو الياء أول هذين الساكنين فتحذفان فى هذا الموقع بعكس ما يحدث فى الحروف الصحيحة التى إذا التى ما كنان منها حرك أولهما بالكسر كما شرحنا ذلك فى حينه فلا يحدث

الصحيح في هذه الحالة ولا يدخل حذفه حين محدث بحسب القواعد الأخرى في نطاق ظاهرة الإعلال وإنما يعالج تحت عنوان ظاهرة حذف الصحيح .

ومما يتصل كذلك بموقعية الإعلال (بالحذف) حذف فاء الثلاثي في المضارع المفتوح حرف المضارعة نحو يتعد والأمر نحو عيد والمصلو المكسور الفاء الساكن العين نحو عيدة وكذلك حذف الهمزة من المضارع وامم الفاعل واسم المفعول مما عدى بالهمزة نحو يكرم فهو مكرم ومكرم.

ه ـ التوصل

قلنا إن نظام اللغة العربية يأذن لبعض الكلمات أن يبدأ بالساكن من الناحية النظرية ومن ذلك أداة التعريف التي يروى فيها ابن مالك أن و أل حزف تعريف أو اللام فقط ، فتكون اللام فقط هي أداة التعريف بجعلها ساكنة في بداية الكلمة المعرفة ، ومن ذلك أمراك للذي كاضرب وأمر الحماسي كانطلق وأمر السداسي كاستخرج ومصاهر الحاسي والسداسي كانطلاق واستخراج وغير ذلك من الكلمات المحفوظة ، ولقد اصطلح الإملائيون على أن يضعوا قبل الحرف الساكن الذي تبدأ به هذه الكلمات ألفا لاصلة لها بتركيب الكلمة فطريا ولا ينطقها عمليا ولا معني لها إلا الدلالة على الموقع المعين الذي كتبت فظريا ولا ينطقها عمليا ولا معني لها إلا الدلالة على الموقع المعين الذي كتبت أمام واو الحاعة في نحو فضربوا ، و و قاموا ، و و قعدوا ، فالألفان ليستا من بنية الكلمة والألفان لا تنطقان ولكن إحداهها تتقدم الساكن الذي بدأت به الكلمة لندل عليه وثانيهما تتلو الواو التي أسند إليها الفعل لندل عليها وعلى أنها واو الجاعة ووليست واو الجمع التي حلفت النون بعدها للإضافة ويظهر ذلك من وليست واو الجمع التي حلفت النون بعدها للإضافة ويظهر ذلك من مؤازنة : و ضاربوا زيداً ، و و ضاربو زيد ، .

يسمع نظام اللغة إذا بالبدء بالساكن ولكن السياق الاستعالى (أى الكلامى) يكره توالى الصمت والسكون: الصمت الذى سبق الكلام مباشرة والسكون الذى اتصف به الحرف الساكن الذى بدأت به الكلمة فحين تواليا – وكلاهما وسكون ۽ – أصبحا في نظر الموق العربي أشبه ما يكونان بالتقاء الساكنين الذي ترى مطالب الاستعال أنه ينبغي التخاص منه . ومن هنا جاءت اللغة بقاعدة فرعية لهذا الموقع فقالت : و إنه لا يجوز الابتداء بالساكن ۽ والمقصود هنا في الاستعال أما في نظام اللغة فهو موجود فعلا والكلمات في نظام اللغة تبدأ بالساكن .

و معنى هذا أن بعض الكلمات يبدأ بحرف ساكن وأنه يذهى للمتكلم أن يتحاشى النطق بالكلمة على الصورة التى قررها لما نظام اللغة . وعلى المتكلم في هذه الحالة أن يتوصل إلى النطق بهذا الساكن الذي بدأت به الكلمة بواسطة وسيلة صوتية طار ثة ليست من بنية الكلمة وقد جاءت همزة الوصل في الكلام لتكون وسيلة هذا التوصل إلى النطق بالساكن فمثاها في النطق وعدم حسبانها في البنية أيضا . وعدم حسبانها في البنية أيضا . والمعنى الذي تأخذه من هذا الشرح هو أن الزوائد في واستفعل ، هي السين والتاء فقط وليست الألف إلا وسيلة إملائية كما أن الهمزة المكسورة في النطق وسيلة نطقية في بداية الصيغة . ويترتب على ذلك أن تكون الزيادة في وانفعل ، هي النون الساكنة فقط .

فإذا وقعت إحدى الكلمات المبدوءة بالساكن حسب نظام البنية في أول المكلام قدم المتكلم لنطقها بهمزة تسمى همزة الوصل تتنوع حركاتها بحسب ظاهرة المناسبة كما بينته كتب الصرف أما إذا وقعت هذه الكلمة في وسط الكلام فلن تكون هناك حاجة إلى الهمزة لأن الحرف الأخير في الكلمة السابقة التي تلاها الساكن المذكور مباشرة سيقوم بتحمل وظيفة الوصل بواسطة الحركة التي يشكل بها فيقوم هو مقام الهمزة وتقوم حركته مقام حركة الهمزة . فكلمة و المؤلف ، حين يبدأ بها الكلام تتحمل الهمزة . ولكن الهمزة نفسها تختى في وسط الكلام في نحو و قال المؤلف ، ويحل لام قال وحركته محلها ومحل حركتها . ومن ذلك أيضا أن المكلمة المعرفة بلام التعريف إذا كانت هي نفسها مبدوءة بالساكن مثل كلمة الكلمة المعرفة بلام التعريف إذا كانت هي نفسها مبدوءة بالساكن مثل كلمة الكلمة المعرفة بلام التعريف إذا كانت هي نفسها مبدوءة بالساكن مثل كلمة

و استقلال ، فإن لام التعريف الساكنة الداخلة على الكلمة تصبح وسيلة للتوصل إلى النطق بالسين التي فى بداية و استقلال ، و بذا تصبح أداة التعريف متحركة غير ساكنة و تنطق الكلمة على صورة و ليستيقلال ، فمطالب السياق هنا غيرت صورة الرمز و أبقت على و ظيفته فصيرت الأداة و ل ، بدل «ال »ولكن التعريف هو الوظيفة فى الحالتين . والوظيفة التي تدل عليها همزة الوصل أيها وجدت فى بداية الكلام هي أنها علامة على هذه البداية — بداية النطق وليس بداية الجملة بالضرورة . وهذه دون شك دلالة على الموقع تجعل الهمزة ذات صلة بالهيكل العام للمعنى .

7 _ الأدغام

أشرنا من قبل إلى أن النظام قد يصادف مشاكل في تطبيقه حين يتعارض مع مطالب السياق فالتعارض بين قواعد النظام و مطالب السياق أمر مألوف في اللغات جميعا و هو مألوف في اللغة العربية أيضا ولقد مثلنا من قبل بالتقاء الدال الساكنة والتاء بعدها فالنظام يقول: إن الدال الساكنة مجهورة وينبغي أن تظل كذلك باطراد ولكن السياق الذي جاء بعدها بالتاء له مطالب في هذا الموقع تتعارض مع قاعدة النظام فالسياق هنا يتطلب الإدغام الذي يصبر الدال الساكنة و بعدها التاء على صورة تاء مشددة ولقد اهم سيبويه بظاهرة الإدغام هذه حتى جعلها مناط دراسته للأصوات العربية كلها و صنحاول فيها يلى أن نلخص نظرة سيبويه إلى ظاهرة الإدغام تلخيصا يقربها إلى طريقة فيا يلى أن نلخص نظرة سيبويه إلى ظاهرة الإدغام تلخيصا يقربها إلى طريقة التناول الحديئة للظواهر الموقعية ويلهب ببعض ما في أسلوب سيبويه من عوض و تعقيد يصادفهما القارىء أحيانا .

الإدغام في نظر سيبويه أنواع:

(1) الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسائك لهما موضعا واحدا لايزول عنه ـــ كالميم بعد الميم في كلمتين متتاليتين .

(ب) الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين ــ كالجيم بعد الشين و الباء بعد النون .

- (ج) الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا كالدال بعد الطاء والثاء بعد الناء والضاد بعد الناء .
- (د) الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه أو من غير موضعه كالدال بعد الصادأو الشين أو الجيم .
- (A) قلب السين صادا في بعض اللغات لوجود القاف بعدها في كلمة
 و احدة .
 - (و) الشاذ الذي خفهوه على ألسنتهم وليس بمطرد.
 - و فيما يلى بيان كل نوع على حدة :

(أ) المثلان

وضع سيبويه لإدغام المثلين عللا وأصولاترجع في النهاية إلى ما أطلقنا علبه ظهرة «كراهية التقاء الأضداد والأمثال » التي تسيطر على الذوق العربي فى الصوغ السياق. والأصل الذي يرجع إليه سيرويه في ذلك ماعبر عنه بقوله: • كلما توالت الحركات أكثر كان الإدغام أحسن ۽ فاللغة العربية تكره توالى المتحركات في الكلام و تأباه في الكلمة الواحدة إذا زادت المتحركات على أربعة حروف وينضح هذا حين نعرب كلمة « ضربتُ » حيث نقول إن الفعل هنا مبنى على السكون منعاً لتو الى أربعة متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة . ولكن اللغة على أية حال اغتفرت تو الى أربعة متحركات في حالات قليلة منها لفِظ « عَلَسِط » قال سدويه : «ولا يكون ذلك في غير المحذوف » وربما قصد بهذه العبارة أن توانى المتحركات الأربعة ربما أنبأ عن ساكن محنوف وربما كانت هذه الكلمة في الأصل «عُلاَبِط» فحذفت منها الألف . وواضح أن القول بأن توسط الألف بين اللام والباء هو اعتراض ساكن بين متحركين بمعنى أن الألف « ساكنة » يحمل في طبه إما جرثومة وإما فكرة منطقية تقضى بأن الألف هنا ما دامت لا يمكن أن تصفها بالحركة فلابد أن تكون ساكنة والنتيجة في كلتا الحالتين أن توسط الألف بين اللام والباء في علابط يجعل الأمر مختلفا والكلمة مقبولة ، أما من وجهة نظرنا فالألف « حركة طويلة » والحركة لا توصف بالحركة ولا بالسكون.

وهنا يصف سيبويه أربعة أنساق من الحروف المتحركة بمكننا أن نمثلها على طريقة رموز العروضيين بأن نجعل الحرف المتحرك على طورة (–) والساكن على صورة (٥) فنر مز إليها كما يأتى والإدغام هنا للمثلين :

ارلا: (- - - - - - -): ارلا

حيث توالت حروف خمسة متحركة أدنم ثالثها فى رابعها وهذه أحسن حالات الإدغام ومن أمثلتها جَعَلَ لك على جَعَلُ لك صلى المؤلفة أحيل الله على المؤلفة وحجازى كما يزعم سيبويه . فعل لبيد والبيان أى النحريك فى ذلك عربى جيد وحجازى كما يزعم سيبويه .

ئانيا.(---- = ----).اينا

سبق أول المثلين بمتحرك و احد فقط و تُـلى الثانى بساكن فأصبح الإدغام حسنا و ذلك مثل يـَـدُ دَ اوُ دَ على على على المثل يـَـدُ دَ اوُ دَ على على المثل يـَـدُ دَ اوُ دَ على المثل يَـدُ دَ اوْ دَ المُ دَالَ المُ دَالَ المُ المُ المُ المُ المُ المُ دَالمُ دَ المُ المُنْ المُ المُنْ المُ المُ المُ المُثَلِقُ المُ المُ المُ المُنْ المُنْ المُ المُنْ ا

ئائا: (مد _ _ = مده _)

التي المثلان المتحركان و قبل أو لهما حرف مد فأصبح الإدغام حسنا والبيان أحسن ويعلل سيبويه ذلك بأن حرف المد عند اعتبار الإدغام يكون بمنزلة المتحرك و ذلك نحو المال ملك على المن و مثله: أتحاحوني و لا الضالين و راد ما الفالميني و يظهر أن الواو والياء اللينتين المشكلتين بالسكون تعاملان في هذه الحائة معاملة واو المدويائه على نحوما في الأمثلة التي أور دها سيبويه إلاإذا كانت مدغمة فهما بعدها نحوولي يتزيد ولى يزيد وعلو وليد عدو وليد والملك تسرى القاعدة نفسها على أصبه تصغير أصم ودويبة تصغير دابة و ثوب بكر = ثوب بكر، أما الياء والواو المتحركتان فتعاملان معاملة الحروف الصحاح.

(ابعا: (ه ـ ـ = ه اختلاس -)

فإذا سبق المثلان المتحركان بساكن فنى ذلك الإخفاء بالمختلاس حركة المتحرك الأول وليس فيه الإدغام بسكونما قبله وذلك نحو ابن تُوح

واسم موسى و دلو واقد و ظبى باسر و ولى يتزيد و عدو وكيد . ويدلل ميبويه بعد ذلك على إخفاء المتحرك الأول من هذين المثلين بأمثلة تتصل بالبند و ثالثا ، السابق منها .

وإنى بما قد كلفتنى عشيرتى من الذب عن أعراضها لحقيق وقول غيلان بن حربث :

و امتاح منى حلبات الهاجم شأو مدل سابق اللهامم وقال أيضا:

وغير سفع مشل بحامم

فالأمر فى هذه الشواهد أمر إخفاء لاإسكان ولاإدغام لأنه لو سكن وأدغم لانكسر الشعر ولكن الشاهد الأول لو ورد تركيبه فى النثر لجاز فيه الإدغام بحسب قاعدة البند و ثالثا ، ولا يجوز فى النثر الإدغام فى اللهام والقرادد واليحامم لأن لام ميزانها الصرفى تتكرر فى المفرد ومن ثم يلزم تكرارها فى الجمع بخلاف نحو الهوام لأن ميميها ليستا لامين فى الميزان الصرفى .

خامسا: (- رُو وَ) وكذلك (_ بى ى َ)

لاً إدغام فى هذه الحالة نحو ادعُوا واقدا واظلم ِى ياسراً فيترك المد على حاله فى الانفصال .

سادسا : (ـــى ئ) وكذلك (ـــو و)

فيه الإدغام نحو. اخشى يـاسراً واخشوا واقداً لأن الياء والواو هنا ليستا حرق مد .

سابعا: (نحو اقتتلوا ويقتتلان)

فيه الإظهار والإخفاء ولا إدغام إلاعند بعض العرب الذين يقولون: تَتَلُوا يَقْتَلُونَ ومنه: تأخذهم وهم يخصّمون أو يقولون: قتلوا.

هذا ما يرويهسيبويهمن إدغام الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعا و احداً لايزول عنه وو اضح هنا من الأمثلة والشو اهد التي جاء بها سيبويه أنه ينظر إلى ذلك في الكلمة الواحدة كما ينظر إليه في الكلمتين إذ تتواليان فيكون المثلان آخر أولاها وأول ثانيتهما فما يورده من قواعد الإدغام هنا صادق على نسق البنية المفردة كما هو صادق على نسق السباق و يمكن النظر إلى كلا النسقين من وجهة نظر الإدغام الناشيء عن كراهية التقاء المثلين.

(ب) المتقاربان

ثم يتكلم سيبوبه عن النوع الثانى من أنواع الإدغام وهو الإدغام فى الحروف المتقاربة التى هى من مخرج واحد أو من مخارج متقاربة فبضع للإظهار ثلاثة ضوابط كما يأتى :

۱ — الإظهار فى الحروف التى من مخرج و احد وليست بأمثال أحسن
 الإظهار و نظام اللغة بجب التخالف) .

٧ ــ والإظهار في المختلفة المخارج أحسن لأنها أشد تباعداً . • والحالة هنا حالة تخالف أيضا) .

۲ حسنا . (وهذا بسبب تفضيل التحالف كذلك) .

م يقسم الإدغام في هذا المجال إن ثلاثة أقسام بحسب سلوك مجموعات الحروف :

۱ - فدن الحروف مالا يدغم فى مقاربه ولا يدغم فيه مقاربه كما لم يدغم
 من قبل فى مثله (ء اوى) .

۲ ومن الحروف مالا يدغم في مقاربه ولكن يدغم فيه مقاربه
 (م ف ر ش) .

٣ _ ومن الحروف ما يدغم فى مقاربه ويدغم فيه مقاربه •

فأما الطائفة الأولى التي تأبى الإدغام فى جميع صوره فهى (• ا و ى) و الهمزة بخصوصها من هذه المجموعة إدا استثقلت لم يكن تخفيفها بواسطة الإدغام وإنما يكون بطرق أخرى بشملها التغيير أو الحذف ولعل سدويه

يستعمل كلمة التغيير هنا عمدا ليشمل بها القلب والإبدال والتسهيل : وأما الألف فإنها لاندغم فى غيرها مطلقا ولكن سيبويه ينص عنى الهاء بصفة خاصة لما بينها وبين الألف من صلة قربى فى نظره . والواو والياء لاندغمان فيما يقاربهما حتى لوسبقهما الفتحة فصارتا مظنة الإدغام لكوتهما أصبحنا حرفى لين لاحرفى مد . وقد مثل سيبويه لذلك بأمثلة هى : رأيت قاضى جابر و دلو مالك و غلامى جابر و أخرج ياس . و الإدغام ممتنع من باب أولى إذا كانت الياء والواو مدا نحو ظلموا مالكا و اظلمى جابراً.

وأما الطائفة الثانية (التي لاتدغم في مقاربها ولكن يدغم فيها مقاربها) فهي أربعة حروف أيضا هي :

(م ف ر ش) فالميم لاتدغم في الباء نحو أكرم به بل إن النون تصير إليها قبل الباء نحو و العنبر ، و ومن بدا لك، ولكن الباء تدغم في الميم نحو (اصحمطر أ = اصحب مطر ا) . والفاء لاتدغم في الباء قال سيبويه لأنها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا وانحدرت إلى الفم وقد قاربت من الثنايا مخرج الثاء فلم تدغم فيما لاتدغم فيه الثاء نحو واعرف بدراً ، ولكن الباء قد تدغم في الفاء للتقارب ولأنها قد ضارعت الثاء فقويت على ذلك لكثرة الإدغام في حروف الفم نحو قولك (اذهف ي ذلك = إذهب في ذلك). والراء لاتدغم فى اللام و لا فى النون لأنها مكررة وهى تَـَفَـَــُثُنَّى إذا كان معها غيرها فكرهوا أن يجحفوا بها بإدغامها فيما لا يتفشى ولا يكرر (ويقوى ذلك أن الطاء وهي مطبقة لاتجعل مع التاء تاء خالصة لأنها أفضل منها مالإطباق) وذلك قولك (اجبر لبطة) و (اختر نقلا) واكن قد تدغم اللام والنون مع الراء نحو (هر ايت =هل رأيت) و (مر ايت =من رأيت). والشين لاتدغم في الجيم لأن الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء فصارت منزلتها منها منزلة الفاء من الباء فاجتمع هذا والتفشي فكرهوا أن يدغموها في الجيم كقولك (افرش جبلة) ولكن تدغم الجيم في الشين كما أدعمت اللام والنون في الراء نحو (أخر شيدًا = اخرج شيدًا). وأما الطائفة الثالثة المقاربة الى يدغم بعضها فى بعض فبيانها كما يلى : الهاء والحاء: ويقعان من حيث التقدم والتأخر على صورتين :

م ح = ح ح نحو اجببَحَملا = اجبه حملاً قالادغام حسن لقرب المخرجين و اتفاقهما في الهمس و الرخاوة . و لكن البيان أحسن لاختلاف المخرجين و تأبئي حرو ف الحلق على الإدغام .

ح ه = ح ه فلا تدغم الحاء في الهاء نحو امدح هلالا لأن ما كان أقوى على الإدغام . أقرب إلى حروف الفم كان أقوى على الإدغام .

٧ ــ الهاء والعين : ويقعان من حيث التقدم والتأخر على صورتين أيضا :

ع = ح ح نحو اجنب خنب المحمد الإدغام المحمد والرخاوة ولما سبق من أن حروف الحلق تتأبى على الادغام .

ع م = ح نحو اقطح علا العلام المغرجين ولأن المحمد عنو المحمد المعرب المخرجين ولأن المحمد عنو المحمد المحمد

العين و الحاء: ويقعان من حيث التقدم و التأخر كذلك على صورتين :

ع ح ح ح نحو اقبطتحشملاً = اقطع حملا والإدغام هنا حسن لا يما من مخرج واحد . والبيان حسن كذلك .

ع = ع ع نمو امل حرفة = امدع عرفة. ولكن البيان أحسن، ويلاحظ أن الحاءين المدعمتين أو بعبارة أخرى الحاء المشددة هي الصورة التي تحققت بها المقاربات في خمس من الحالات الست الماضية . وأن اللهجات الحديثة العامية تفضل العين المشددة كلما كانت العين ثانية المتقاربين و ذلك نمو اجبعنبة = اجبه عنة و امد عرفة - امدع عرفة .

٤ - الغين والحاء: ونجدها كلك على صورتين:

غ خ = خ خ نحو ادمتخلّفاً = العنع خلفا و هذا الإدغام حسن ولكن البيان أحسن .

غ = غ غ نحواسلُخُنْسَكَ = اسلخ غنمك ولكن البيان أحسن لأن الغين مجهورة وهما من حروف الحلق التي تتأبي على الإدغام .

القاف والكاف : وهما على صورتين :

ق ك = ك ك نحو المنحكيّلَدة = الحق كلدة لقرب المخرجين وكونهما من حروف اللسان واتفاقهما في الشدة ولكن البيان يتساوى في الحسن مع الإدغام.

ك ق = ق ق نحو انه َ قَطَّنَا = انهك قَطَناً فالإدغام حسن هنا لقرب مخرجهما إلى ألحلق فشبهت بالحاء مع المغين ولكن البيان أحسن .

الجيم والشين: سبق أن قرر سيبويه أن نسق (شج) لا إدغام فيه نحو ه افرش جبلة » أما الصورة الأخرى أى:
 جش ش ش نحو ابع مشبرة المعتبع شيئة الادغام حسن لأنها من مخرج واحد وهامن حروف وسط اللسان ولكن البيان يساوى ذلك في الحسن .

اللام والراء: قضت إشارة سيبويه إلى امتناع الإدغام في (رل)
 تحو (اجبر لبطة ه ولكن

ل ر تحو اشغر جبّه اشغل رجبة والإدغام هنا أحسن والبيان حسن ،

۸ - النون والراء : مضى قول سيبويه إن الراء لاتدغم فى النوں نحو اختر
 نقلا ولكن

- ن ر = ر ر نحو مرايت = من رأيت فالإدغام لقرب الخرجين على طرف اللسان و التماثل فى الشدة و يكون هذا الإدغام بغنة و بلاغنة .
- النون واللام : أما إذا تقدمت اللام على النون فلا إدغام فى ذلك
 حسب ما يأتى تحت رقم ١٦ فيما بعد . ولكن .
- ن ل = ل ل نحوماً لك = من لك ويكون الإدغام هنا بغنة وبغير ها ويرى سيبويه أن علة الإدغام قرب النون من اللام على طرف اللسان .
- ١٠ النون والميم : لا إدغام عند تقدم الميم بحسب ما يأتى تحت رقم ١٦
 فيما بعد واكن
- ن م = م م والإدغام هنا لأن صونهما واحد ولاتفاقهما فى الجهر و الحدود على الحد
- 11 _ النون والباء : لاإدغام عند تقدم الباء حسب ما يأتى تحت رقم 1 و و اكن نب = م ب نحو مسمبيك = من بلك و عمر = عنبر فتقلب النون ميما ولم يجعلوها باء لبعدها في المخرج و أنها ليس فيها غنة فأبدلوا في مكانها أشبه الحروف بالنون و بالباء وهو الميم
- ١٢ النون والواو : لا إدغام عند تقدم الواو حسب ما يأتى تحت رقم ١٦٠ ن و = و و تحو موجد = من وجد والإدغام هنا بغنة أو بغيرها لأن الواو من مخرج ما أدعمت فيه النون و هو الباء والميم.
- ن ى = ىى نعوميكون = من يكون والإدغام منا لأن الياء أخت الى عنى المواو وهو يكون بغنة وبغيرها .

12 – النون وحروف الفم: لا إدغام عند تقدم أحد هذه الحروف على نحو ما تحت رقم ١٦ ولكن :

ن ثم أى حرف فموى = إخفاء النون بجعلها غنة متفقة فى التوقيت مع وضع اللسان فى مخرج حرف الفم الذى يأتى بعد النون وإطالة مدة النطق بهذا الحرف المصاحب للغنة حتى يصير بمقدار حرفين أولهما ساكن والثانى متحرك . و ذلك نحو من جاء و من كان و من قال .

١٥ – النون وحروف الحلق : فيها البيان دون الإدغام .

- بحميع الحروف ثم النون: فيها البيان دون الإدغام إلا اللام في هنري المري عنوي عنوي عنوي عنوي المري عنوي عنوي عنوي عنوي المري عنوي المري فيجوز فيها الإدغام والبيان أحسن .

۱۷ - <u>لام التعریف</u>: تدغم فی تث دذر زس ش ص ض ط ظ ل ن و تسمی حینهٔ دقمریة

۱۸ – لام غير التعريف : كما فى هل وبل مع بقية الحروف : الإدغام فى بعضها حسن مثل الراء والطاء والدال والتاء والصاد والزاى والسين وكذلك الظاء والثاء والذال وهو

أضعف من السوابق وهو أضعف من ذلك مع المضاد والشين ومثاله: هر أيت . ونحو

تقول إذا استهلكت مالا للذة

فكيهة هشمئ بكفيك لاءق

فلع دا ولكن هنيعين منيها

على ضوء برق آخر اللين ناصب

والنون إدغامها فيها أقبع .

وعند النظر فى العلل التى جاء بها سيبويه الإدغام والإظهار فى هذه المقاربات يستطيع المتأمل أن يستخلص القاعدة التى تختى وراء إدغام المقاربات ويمكن تلخيص هذه القاعدة فيها يأتى :

١ – من الظروف المناسبة للإدغام أن يتقارب محرجا الحرفين المتتاليين أو أن يتفق هذان الحرفان في الصفة والمقصود بالصفة هنا طريقة النطق كالشدة والرخاوة أو القيمة الصوتية كالتغنيم والترقيق أو وضع الصوت كالجهر والهمس.

٢ – مما يكثر فيه الإدغام أن يكون بين حروف الفم ويعبرسيبويه عن ذلك بقوله: إن حروف الفم أصل في الإدغام ومعنى ذلك أن الحروف غير الفموية أقل تعرضا للإدغام والمقصد بالفم هنا من الغار إلى اللهاة .

٣ - لا يتم الإدغام بين حروف اللسان وجروف الحلق وربما كان
 ذلك راجعا إلى عدم تقارب المخارج فهو على عكس ما فى رقم ا

(حروف طرف اللسان والثنايا

وأما النوع الثالث من أنواع الإدغام وهو الإدغام فى حروف اللسان والثنايا فهو كثير مطردولكن البيان فى بعضها مسموع أو أكثر أو أمثل فاذا جعلنا ثانى الحرفين المتجاورين هو العنوان حصلنا على أحد عشر مدخلا للراسة هذا النوع من الإدغام ، ولكن قبل أن تحصى هذه الحالات يجدر بنا أن نشير إلى بعض القواعد الهامة التى جاء بها سيبوية مثل:

- (۱) الحروف (زس ص) لا تدغم فی الحروف (ت ث د ذط ظ) وإن أدعمت هی فیها .
- (ب) الحروف نفسها (ز س ص) لاتدغم فى (ض) ولا يدغم هو فيها . (ح) ما أدنحمته من حروف طرف اللسان وهو ساكن يدغم وهو متحرك

وهو متحرك كما يحدث للمثلين وهو كالمثلين حسنا وقبحا وإخفاء كذلك.

- (د) تاء الافتعال بعد (ث د ذر ص ض ط ظ) تدغم فيما قبلها أو تتحول إلى دال بعد (د ذ ز) وإلى طاء بعد الأربعة المطبقة وكون هذه التاء تدغم فيما قبلها هو عكس ما تقرره القاعدة رقم (ه) وهي تقول :
 - (ه) الأصل في الإدغام أن يجعل الأول من جنس الآخر .

و بعد هذه المقدمة يمكننا الآن أن نور د المداخل الأحد عشر التي ذكر ناها جاعلين ثانى الحرفين عنوانا و أو لهما هو التفصيل الذي تحت هذا العنوان :

١ – الثاء وما يسبقها :

ظ ث = ث ث نعو احفظ ثابتا والإدغام أكثر وأجود ذ ث = ث ث و خذ ثابتا ت ث = ث ث انعت ثابتا

٢ ــ الذال وما يسبقها :

ظ ز = ذ ذ و احفظ ذلك والإدغام أكبر وأجود ث ذ = ذ ذ ابعث ذلك و الإدغام أكبر وأجود د ذ = ذ ذ و أبعد ذلك

٣ ــ الظاءوما يسبقها :

ذ ظ = ظ ظ و خد ظالما ث ظ = ظظ و ابعث ظالما ط ظ = ظ ظ و اهبط ظاهرا

السين و ما يسبقها :

ص س = س س د افحص سالما ز س = س س د رز سلیما ت س = س س د ذهبت سلمی والبیان عربی حسن

```
والبيان عربى حسن
                  نحو قدسمعت
                                  د س = س س
                  « ابعث سلمة
                                 ث س = س س
     والبيان أمثل
                   لا مذساعة
                                 ز س = س س
                  و احفظ سلمة
                                 ظ س = س س

 الزای ومایسبتها:

                ه افحص زهرة
                                   ص ز = ز ز
                « احبس زهيرا
                                   س ز = ز ز
والبيان عربى حسن
                و اضبطرزهیرا
                                   ط زر= ز ز
                و احفظ زهيرا
                                   ظ کُز = ز ز
                  ه مذ زمان
                                    ذ ز = ز ز
                                ٣ ــ الصادوما يسبقها :
                أحيس صابرا
                               س ص ≔ ص ص
                انعت صابرا
                               ت ص = ص ص
                 و خدصابرا
                               ذ ص ≔ ص ص
                و أوجز صادقاً
                               ز ص ≕ ص ص
                                ٧ ــ الدال وما يسبقها :
     والبيان جائز
                و انعت داو د
                                   ت د = د د
                 و خذ داو د
                                   ذ د = د د
     و اضبط دخلك والبيان جائز
                                   ط د = د د
                               🔥 🗀 الطاء وما يسبقها :
                 و انقدطاليا
    والبيان جائز
                                 دط = طط
                و انعت طالبا
                                 ت ط = طط
                و احفظ طالبا
                                 ظط=طط
```

٩ ـــ التاء وما يسقها :

د ت ٔ = ت ت نحو انقدتلك والبيان جائز

ث ت ت ت ت د ابعث تلك

ط ت = ث ت ، انقط تاء الكلمة والبيان جائز

١٠ -- الضاد وما يسبقها :

ط ض = ض ض د خالط ضيفك

ت ض ص ه ثارفضجت ضبجة ركائبه

ظ ض = ض ض ه احفظ ضيفك

ذ ض = ض ض و خذضيفك

ث ض = ض ض

١١ - الشين وما يسبقها :

ط ش = ش ش و اضبط شا کرا

ت ش = ش ش د انعت شاکرا

د ش = ش ش . و انقد شا کرا

ض ش = ش ش د عارض شاکرا

ظ ش = ش ش د احفظ شاکرا والبیان عربی جید

ذ ش = ش ش و خدشاكرا

ث ش = ش ش ه ابعث شاكرا

لقد ذكرنا من قبل خمس قواعد جاء بها سيبويه بمناسبة إدغام حروف اللسان والثنايا و قد كانت القاعدة الرابعة منها تدور حول تاء الافتعال و ما تدغم به من الحروف . وإذا أر دنا أن نبين المقصود بهذه القاعدة فخير ما نفعله فى ذلك هو الإتيان بالأمثلة لها وقد أورد سيبويه أمثلة يمكن أن نقدمها على الصورة الآتية :

وقد شبه بعض العرب الأربعة المطبقة فى غير الافتعال بها فى الافتعال فقالوا : فحصط برجلى وضبطه وحفطه ، وقال علقمة بن عبدة :

و فى كل حى قد خبط بنعمة فحق لشأس من نداك ذنوب

وهنا موضع يكون الإدغام فيه أقوى من البيان وهو أن تسكن الناء وتتلوها (ث د ذ ز ط) نحو ادا رأتم واثا قلتم واذ كر وازين واطوع وقد سبق لنا في المداخل السالفة أن بينا حكم الإدغام في هذه المواقع .

(د) الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه أو من غيره

أما النوع الرابع من الإدغام فهو حسب عبارة سيبويه « الحرف الذي يضارع به خلك الحرف وليس يضارع به خلك الحرف وليس من موضعه » وملخص خلك أن الصاد والشين والجيم إذا تلها الدال ألحق بها نوع من الإدغام يتناول الصفة ولا يتناول المخرج لأن المخرج في كل الأحوال مقارب ولا يتغير فالصاد والشين يلحقهما الجهر والجيم تلحقها الرخاوة إذا جاءت الدال بعدهن. مثال ذلك:

مصدر (بتفخيم الزاى) أشدق أجدق أجدل أجدل أجدل

وقد يضارعون بالصاد الساكنة قبل الدال صادات متحركة لاتتبعها الدال كما في (مصادر مزادر) و (صراط زراط) .

(ه) قلب السين صادا في بعض اللغات لوجود القاف أو الغين أو الحاء بعدها في كلمة واحدة

و ذلك بحوصُّقت وصبقت والصَّمَّلَة وصالغ وصلَّخ و ذَلك كما قالوا فى ماطع صاطع لقرب الخرجين والإطباق : (و) الشاذالذي خففوا به على ألسنتهم وليس بمطرد

وذلك نحو ست = سدس وكانه مر عرحلة كان فيها سدت وعند تميم و د = و ترد (عندا لحجازيين) ضارعوا به فدد المحازيين فأدعموا

أحست = أحسست مست مست = مسست = مسست الطبع = المقيد المية الم

٧ ـ التخلص

لقد عرفنا أن السكون وحدة في النظام الصوتى للغة العربية يقف في مقابل الحركة أيا كانت هذه الحركة فتحة أو كسرة أو ضمة فيكون بينهما قيمة خلافية فالنظام الصوتى يشتمل على السكون بهذا الوصف . وهو يشتمل على السكون بهذا الوصف . وهو يشتمل على السكون أيضا في القواعد الصوتية الخاصة نحوه ليس في اللغة ابتداء النطق بالساكن » و ه ليس في اللغة التقاء الساكنين » و ه من قواعد اللغة الوقف بالسكون » و ه لم جرا . ويشتمل النظام الصرفي على ظواهر تتحقق

 ⁽۱) أغلب المثن أن الثنية في المغرج والتفايم بين اللام في هذا الموضع وبين المساد
 المظهرة قبل الطاء جعل النحاة يخلطون بينهما في السمع وأن تكوين الكلمة في الحالتين
 عر و اضطجع » •

بإسكان حرف من الحروف كالتصغير يتحقق بياء ساكنة ويشتمل النظام النحوى على ظواهر تتحقق بالإسكان كبناء بعض الصيغ والكلمات على النحوى على ظواهر تتحقق بالإسكان كبناء بعض الصيغ والكلمات على الدي ومعنى كل ذلك أن النظام اللغوى في صوره المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية يقرر السكون علامة على وظائف لاتؤ دى إلا به.

ولكن السياق كما ذكرنا من قبل ديناميكي متحرك ويأتي عن حركته أن تكون له بعض المطالب فقد تكون الكلمة السابقة مبنية على السكون والكلمة اللاحقة مبدوءة بحرف ساكن كما في قولك: «اعرض اقتراحك» فالكلمة الثانية تبدأ بحرف ساكن هو القاف وليست الألف التي قبلها إلا علامة إملائية على الوصل ولا تنطق الألف هناو إنما ينتقل المتكلم من الضاد إلى القاف بواسطة كسرة التخلص.

وقد تكون الكلمة السابقة مجزومة بالسكون واللاحقة مبدوءة بالساكن نحو «لم يكن الذين كفروا» أو «لم يطل انتظارى» فيتطلب السياق في هذه الحالة شيئا غير الذي قدره النظام لأن النظام قرر السكون ولكن السياق قرر التخلص من هذا السكون و عمدت اللغة إلى أن تجعل من مطلب السياق قاعدة فرعية خاصة أو نظاما فرعيا ضيقا يسمى التخلص من التقاء الساكنين.

وطريقة التخلص من التقاء الساكنين كما رأينا هي كسر أولهما إذا كان صحيحا _ و هذه الكسرة ليست جزءا من بنية الكلمة وليست جزءا من هيكلها الحركي وليست حركة إعرابية لها ولكنها علامة على موقع معين التقى فيه ساكنان في وسط الكلام ومن ثم يكون التخلص من التقاء الساكنين ظاهرة موقعية من ظواهر السياق و تكون الصلة الوحيدة بينه و بين نظام اللغة هي صلة التعارض و هي صلة سلبية .

و المعروف أن اللغة العربية قد تقبل التقاء الساكنين و تغتفره إذا كان الله من مقررات النظام ما هو أولى بالإعتبار من التقاء الساكنين و ذلك نحو الوقف بالسكون على آخر الكلام و بعده سكون الصمت و تفادى فك المثلين المتحركين في وسط الكلام و من المغتفر أن يلتني الساكنان في الوقف نحو قبل بعد – عين – قوم المخ . و من المغتفر كذلك أن يلتني الساكنان إذا كان قبل بعد – عين – قوم المخ . و من المغتفر كذلك أن يلتني الساكنان إذا كان

ثانيهما أول مثلين مدبحمين وقد يحدث أن يكون الأول منهما في هذه الحالة حرف لين مشكلا بالسكون أو أن يكون حرف مد وبعدها في الحالتين حرف مشدد و ذلك نحو نو يبته مدها مثان ما أبحاجوني و لا الضالين الحاقة ما الحاقة ما الحاقة ما الحاقة ما الحاقة مويخة مويخة مويخة مويخة الحريقة الخرق قولك . و كذلك قولك . ما النافية ، لا الناهية ، في الحارة الخرة .

و ظاهرة التخلص من التقاء الساكنين في السياق تصبح جزءا من سليقة العربي وعادة منعاداته النطقية فاذا تعلم لغة أجنبية لاتمنع التقاء الساكنين فان هذا العربي سرعان ما يخضع للعادات النطقية العربية فيسعى إلى التخلص من التقاء الساكنين كلها صادفه فاذا صادف كلمة مثل display في اللغة الإنجليزية فإما ألا يكون عارفا بتركيب الكلمة من جزءين هها dis و play و في هذه الحالة يكسر السين وإما أن يكون عالما بذلك فيكسر الباء ويكون النطق إما في صورة display على الترتيب.

وفى الفصحى المعاصرة صورة من صور الاغتفار دعت إليها ضرورة التفريق بين المعانى ولست أدرى ما إذا كانت هذه الصورة مراعاة فى القديم أولاً . فاذا قرأنا العبارة الآتية :

وولما وصل الضيف تقدم حاملاً العليم إلى المنصة " أدركنا أنها يمكن أن تلتبس بعبارة « ولما و صل الضيف تقدم حامل العليم إلى المنصة » والشيء الوحيد الذي يمنع هذا اللبس هو مد الألف في كلمة « حاملا » واغتفار الساكنين في هذا الموضع و نحوه. فهل كان القدماء يفعلون ذلك في إلقائهم الكلام ؟ لا أحد يدرى . ومثل ذلك ما كنا نسمعه في الإذاعة من قولهم «سافر مندوبو الرئيس إلى العواصم العربية المختلفة »ليدعوا الملوك والرؤساء إلى الالنزام بسياسة عربية و احدة ضد المصالح الأمريكية إذا أعطت أمريكا الأسلحة والطائرات للعدو الصهيوني « فلا يفهم من هذه الحملة «المسموعة » ما إذا كان هناك مندوب و احد أو مندوبون متعددون إلا بمعونة السياق الأكبر أو اغتفار التقاء الساكنين بمد الواومن كملة «مندوبوالرئيس» .

لا ينبغى لذا أن نفهم الحذف على معنى أن عنصرا كان موجودا في الكلام ثم حذف بعد وجوده ولكن المعنى الذى يفهم من كلمة الحذف ينبعى أن يكون هو الفارق بين مقررات النظام اللغوى وبين مطالب السياق الكلامي الاستعالى فنظام اللغة مثلا يقرر أن المضارع المرفوع المسند إلى ألف الاثنين أو واو الحاعة ينهي بنون تسمى نون الرفع ويقرر كذلك أن توكيد المضارع يجرى بنون مشددة مركبة من عنصرين أولهما نون ساكنة وثانيهما نون متحركة ولو أن المضارع المسند إلى ألف الاثنين أو واو الحاعة أكد بالنون الثقيلة لكان معنى ذلك أن النظام اللغوى قضى بتوالى ثلاث نونات: نون الرفع ثم (نون ساكنة × نون متحركة = نون مشددة) وهذا مما أين المنوق العربي الذي يكره توالى الأمثال ومن هنا يتدخل هذا اللوق الاستعالى بحذف نون الرفع و ترك نونين إحداها ساكنة والأخرى متحركة تبدوان معا في صورة وحدة صوتية واحدة مشددة . ويعمد متحركة تبدوان معا في صورة وحدة صوتية واحدة مشددة . ويعمد الاستعال إلى اتخاذ هذا الإجراء إجراء مطرد أيحدث كلما حدث الموقع الذي يتطلبه و من هنا يكون قاعدة فرعية أو نظاما فرعيا بالفسة للنظام اللغوى العام.

ومن أمثلة ذلك أيضا أن نظام اللغة يقرر أن التاء حرف من حروف المضارعة وأن التفاعل يبدأ يتاء زائدة هي تاء التفاعل و معي ذلك أن التفاعل إذا جاء على صورة المضارع المبدوء بالتاء فقد توالت في الفعل تاءان ملحقتان بأوله ها تاء المضارعة و تاء التفاعل وعندئذ تظهر مطالب الاستمال الذي يكره توالى الأمثال فتجعل حذف التاء الثانية خير الصياغتين نحو قوله تعالى: و ولا تنابزوا بالألقاب ، و قول الحديث و لاتنازعوا ولا تحاسدوا ولا تباغضول ... وكونوا عباد الله إخوانا ، فحذف تاء التفاعل هنا أفضل من الإبقاء عليها . ولكن قد يحدث أيضا أن تكون فاء الكلمة في هذا المضارع تاء و عندئذ تتوالى ثلاث تاءات فيكره الذوق الاستعالى توالى هذه التاءات تاء و عندئذ تتوالى ثلاث تاءات فيكره الذوق الاستعالى توالى هذه التاءات في الشرة و يصبح حذف تاء التفاعل أمرا أكثر تفضيلا و ذلك نحو و ولا تتابعوا في الشرة و يصبح حذف تاء التفاعل أمرا أكثر تفضيلا و ذلك نحو و ولا تتابعوا في الشرة و يصبح حذف تاء التفاعل أمرا أكثر تفضيلا و ذلك نحو و ولا تتابعوا في الشرة و يصبح حذف تاء التفاعل أمرا أكثر تفضيلا و ذلك نحو و ولا تتابعوا في الشرة و يصبح حذف تاء التفاعل أمرا أكثر تفضيلا و ذلك نحو و ولا تتابعوا في الشرة و يصبح حذف تاء التفاعل أمرا أكثر تفضيلا و ذلك عو و ولا تتابعوا في الشرة و يصبح حذف تاء التفاعل أمرا أكثر تفضيلا و ذلك عوله و لا تتابعوا في الشرة و يصبح حذف تاء التفاعل أمرا أكثر تفضيلا و ذلك عوله و لا تتابعوا في الشرة و يصبح حذف تاء التفاعل أمرا أكثر تفضيلا و ذلك عولا تتابعوا في الشرة و يولد تلك يولد و لا تتابعوا في الشرو المناسود و المناسود و

وليس هذان المثالان كل ما هنالك بالنسبة لهذه الظاهرة . والمهم أن يكون معلوما هنا أن دراسة هذه الظاهرة (ظاهرة الحذف) هي دراسة لحذف الحروف الصحيحة أما حروف اللين والمد فان دراسة حذفها تكون في ظاهرة الإعلال بالحذف .

۹ _ الاسكان

مرة أخرى ايس الإسكان تغييرا يطرأ على الاستعال بمعنى أن تستعمل العرب شيئا متحركا ثم تعدل عن الحركة إلى الإسكان ولكن المقصود بالإسكان هنا هو فرق ما بين مقررات النظام اللغوى ومطالب السياق الاستعالى فالنظام اللغوى يقرر أن الفعل الماضى يبنى على الفتح وقد أخله النظام ذلك من الماضى المسند إلى المفرد الغائب الذى اعتبره النحاة صورة قياسية تعتبر نقطة بداية أو أصلا لانظر إلى كل ما يدل على الفعل الماضى من صيغ تصريف الفعل . ومن الضمائر التى يسند إليه الماضى ضمائر متصلة متحركة أو مبدوءة بحركة فاذا علمنا أن الصيغة القياسية (فَعَلَ) تشتمل على حركات ثلاث وأن الضمير الذى يسند إليه الفعل الماضى قد يكون متحركا عرفنا أننا أمام صورة من الصور التى قررها نظام اللغة مما تتوالى من هنا يلجأ المفوق الاستعالى العربي إلى إسكان لام الفعل التي عليها علامة من هنا يلجأ المفوق الاستعالى العربي بعد أن كان مبنيا على الفتح . يفعل المذوق الاستعالى ذلك لأنه يكره تو الى أربعة متحركات فيها هو كالكلمة الواحدة . الاستعالى ذلك لأنه يكره تو الى أربعة متحركات فيها هو كالكلمة الواحدة . وهذا الإسكان ملحوظ في الإسنادات الآتية :

ضربات م	تعو	تاء المتكلم .	، ألى	لماضى	إسنادا	· —	1
ضربنا	•	تاءالمتكلم					
ضربات		تاءالمخاطب					

ضرب ت	نحو	تاءالمخاطبة	إلى	الماضى	إسناد		٤.
ضربتما	P	ضمير المخاطبين	Ð	ď	D	_	•
ضربتم	Ð	ضمير المخاطبين	ď	ħ	ð	_	٦
ه و ع ضربت ن	ď	ضمير الخاطبات	ď	Ď	*		٧
ضربن	B	ضمير الغائبات	3	Þ	y		٨

وكل صيغة من هذه أو جدها الاستعال كذلك منذ البداية فلم تكن الصيغة مفتوحة اللام على الألسنة ثم سكنت لامها بل الصيغ المفتوحة اللام موجودة أيضا ويمكن رؤيتها نحو ضرب ، ضربت ، ضربا ، ضربنا . فالنظام يقرر أن الفتح للجميع والاستعال يوزع الصيغ بين للفتح والإسكان يحسب كراهية توالى المتحركات .

١٠ ـ الكمية

المقصود بالكمية اعتبار القيمتين الحلافيتين اللتين تسميان والطول والقصر ، فالطول في الحروف الصحيحة تشديد والقصر إفراد والطول في حروف العلة مدوالقصر حركة . وقد سبق لنا أن رأينا هذين الاصطلاحين يتر ددان في دراسة المقاطع فذكرنا أن منها الأقصر والقصير والمتوسط والطويل . وليس يخفي ما للكمية من صلة في التفريق بين الصيغة والصيغة وبين الكلمة والكلمة فالفرق بين فعمل وفعمل وفعمل فرق في الإفراد والتشديد والفرق بين فعمل وفاعل فرق في المافرة بين في وفاعل فرق في المحركة والمد أيضا وبذلك تكون الكمية عظيمة الأهمية في مجال القيم الحركة والمد أيضا وبذلك تكون ذات صلة عظيمة بالمعنى أو على الأصع الحلافية في اللغة ومن ثم تكون ذات صلة عظيمة بالمعنى أو على الأصع بالحانب السلبي المدمى من هذا المعنى أي أن الجزء السلبي من معنى و لم عالم الموست و لام و ولا غيرها مما يستبدل بها في التركيب من اللام و الحركة أنها ليست و لام و ولا غيرها مما يستبدل بها في التركيب من اللام و الحركة

(أو المد) والميم وأما الجزء الإيجابى من معناها فهو وظيفتها التى تؤديها في إطار نظام اللغة من كونها للنبى والمعانى الأخرى. فالاختلاف في الكمية إذا يعتبر في قوة مفهوم المخالفة الذي قال به الشافعية و ذكرناه في المقدمة.

وعما يتصل بالكمية ما يلاحظ في الكلمات المنتهية بألف أو واو أو ياء وتتلوها كلمات مبدوءة بالساكن على نحو ما سبق في ظاهرة التوصل وذلك نحو دالفتي العربي » و و القاضي الفاضل » و «يدعو الله «فالألف في المثال الأول تفقد كميتها وتصبح من ناحية المدة في طول الفتحة والياء في المثال الثاني تفقد الكمية وتصبح في طول الكسرة والواو في المثال الثالث تفقد طولها وتصبح في مقدار الضمة . ولقد كان النحاة يلاحظون هذه الظاهرة ويعتبرونها جزءا من ظاهرة التخلص من التقاء الساكنين ويقولون: إن الألف والواو والياء تحذف للتخلص من التقاء الساكنين وكأنهم أرادوا القول والواو والياء تحذف للتخلص من التقاء الساكنين وكأنهم أرادوا القول والواو والياء تعذف للتخلص من التقاء الساكنين وكأنهم أرادوا القول والواو والياء تعذف للتخلص من التقاء الساكنين مركة دليل على المحذوف ولكن الذي يبدو أسلم منهجيا في رأيي هو النظر إلى الأمر كله في إطار دراسة ظاهرة الكمية باعتبارها شديدة الصلة بالموقع وبالنبر ثم بالمعني في النهاية.

وينبغى أن يكون واضحا تماما أن هناك فرقا عظيما جدا بين كمية الحرف وبين الملة التي يستغرقها نطق الصوت, والكمية جزء من النمطية اللغوية فهى جزء من النظام وألمدة هي الوقت الذي يستغرقه النطق فهي جزء من تعليل الكلام. والكمية مقابلات وقيم خلافية ولكن المدة تقاس بالثواني والوحدات الزمنية الأكبر من الثواني والكمية هي الطول والقصر النسبيين غير المرتبطين بمقاييس الزمان الفلسني أما المدة فمرتبطة بالزمان الفلسني . وأخيرا قد يكون الحرف مفر دا (أي قصير الكمية) ولكن مدة نطقه تكون أطول من المشدد (أي الطويل الكمية) ولكن مدة نطق تكون أطول من المشدد (أي الطويل الكمية) في بعض المواقع قارن مدة نطق الكافين في كلمة وشكمًاك وأي كثير الشك فمدة المفردة أطول .

١١ ـ الاشباع والاضعاف

أقصد بالإشباع نقوية النطق بالصوت وعكسه الإضعاف وهما يرتبطان بالموقع فى السياق ويمكن بحسب ظاهرة الإشباع و الإضعاف أن نرصد للحرف فى مكانه من الدفعة الكلامية ثمانية مواقع بيانها كما يلى :

١ - بداية النطق كموقع الكاف من كت*ب* ٢ – الوسط بين حركتين كمو قع التاء من كتب ٣ – المشدد في الوسط كموقع اللام من علم ٤ -- الساكن في الوسط كمو قع العين من معلوم · و المتحرك بعد ساكن في الوسط كو قع اللام مِن ِ `معلوم ٦ – الساكن قبل الآخر المسكن بالوقف كموقع الجيم من استخرجت ٧ – الساكن المقرد في آخر الكلام كموقع الباء من اضرب ٨ – الساكن المشدد في آخر الكلام كموقع اللام المشددة الساكنة بالوقف

غإذا أردنا أن تنسب إلى الحروف في هذه المواقع إشباعا فإنه يمكن القول إن أضعف ما يكون الحرف إنما يكون وسطا بين حركتين (الموقع رقم ٢) وأقوى ما يكون إنما يكون ساكنا مشدها في آخر الكلام (الموقع رقم ٨). واختلاف هذه المواقع إشباعا وإضعافا في الكلام صادق حتى مع التغاضى عن اعتبارات النبر التي سنشر حها بعد قليل. وينبغي لنا أن نقول هنا إن فخاهرة الإشباع والإضعاف المذكورة قد تحت دراستها في لهجة عدن المعاصرة وأن تطبيقها على اللغة العربية الفصحى ينبغي أن يؤخذ مع التسامح فهو نتيجة ملاحظة دائبة لاتدعمها نجارب آلية كما حدث عند دراستها في طبخة عدن.

وربما كانت ظاهرة الإشباع والإضعاف هى التفسير المقبول الوحيد لعدد من الظواهر المفردة المبعثرة فى العربية الفصحى وجمعا لها تحت عنوان واحدو فى إطار ظاهرة واحدة ومن ذلك ما يأتى : ١ يمكن أن نرجع تقسيم الضمائر بين الاتصال و الانفصال إلى هذه
 الظاهرة فالضمير المنفصل مشبع والضمير المتصل مضعف.

۲ – ويمكن فى حدود الضمائر المنفصلة فقط أن تلاحظ أن الضمير المواحد المنفصل ريما كان له نطقان : نطق مشبع ونطق مضعف بحسب موقعة من الكلام كما يبدو مما يلى :

الإشطاع	الإضعاف
الضمير المنفصل	الضمير المتصل
ر َ و هـو	. و هنو
آ ر فهرو	فهو
ر مارو	لمو
آهر آهر	أهثو
الذي	أل _ الاذ
ها	13
مده ــ منی	ذي
هؤلاء	أولاء
إياك	ك
	

٣ – ربما كان للاختلاف في صور بعض الظروفوالأدوات تفسير
 قى ضوء هذه الظاهرة كما يلى :

مِذ	منذ
ئد	لدى ــ لدن
کی	اکی
•	من
ع	على
•	ما (الاستفهامية)
عل	لُعل
لكن وإن وأن المخففتان	لكن وإن وأن الثقيلتان

و كذلك نلاحظ هذه الظاهرة في المقابلات الآتية ربى
 رب سوف سن سف، ستو يشفين يشفين يشفين
 هم يشابكمو كتابكم
 كتابكمو كتابي كتابي كتابي للميث كتابي فيخيذ فيخيذ

إن ضم هذه الظواهر المبعثرة فى العربية الفصحى تخت عنوان واحد ليجعلها أسهل فهما وأوغل فى طرق النمطية اللغوية .

يأمركم (بالاختلاس)

یآمرکم (بالتحریک)

۱۲ - النير

سبق أن شرحنا قواعد النبر الأولى والثانوى أو بعبارة أخرى نبر القاعدة أو النبر كما يقع في إطار نظام الصرف صاه تا صهت القاعدة الصرفية . ولقد ذكرنا من قبل كيف يصادف النظام والقواعد التي يتكون مها بعض المشاكل عند التطبيق و ذكرنا أن الظواهر السياقية ليست أكثر من حلول صوتية لهذه المشكلات . ونظام النبر الذي شرحنا من قبل يصادف بعض المشكلات في التطبيق كذلك و تأتى حلول هذه المشكلات في صورة حل صوتى للمشكلة هو اختلاف في البنية المقطعية بين ما قررته القاعدة وما تطلبه سياق الكلام . وهنا فقط يعتبر النبر ظاهرة سياقية لأن كل القواعد التي مياق الكلام . وهنا فقط يعتبر النبر ظاهرة سياقية لأن كل القواعد التي ذكرنا النبر ليست واحدة منها حلا صوتيا لمشكلة معينة في موقع معين وإنما هي نظام النبر في صرف اللغة العربية الفصحي كما يلاحظها المرء عند قراءة هي نظام النبر في صرف اللغة العربية الفصحي كما يلاحظها المرء عند قراءة

القرآن وهي الشكل العربي الوحيد للفصحي الذي يشتمل على عنصر التواتر المتعمد . ومن أمثلة هذه الحلول لمشكلات تطبيق النبر ما يأتى :

1 — ذكرنا فى الكلام عن ظاهرة والتوصل ان الكلمة المبلوءة بالساكن إذا وقعت فى بداية الكلام توصل المتكلم إلى الساكن الذى فى أولها بواسطة همزة الوصل وفى هذه الحالة تتغير بنية المقطع الأقصر وهو الحرف الساكن الذى بدأت به الكلمة وكان على صورة (ص) وتصبح مقطعا متوسطا مقفلا على صورة (ص ح ص) فالصاد الأولى هى همزة الوصل والحاء حركتها والصاد الثانية هى الساكن الذى توصلنا إلى النطق به والذى كان بمفرده مقطعا مستقلا بحسب القاعدة التى فى نظام اللغة . والمقطع على صورته الأخيرة (ص ح ص) مقطع كلامى لا لغوى .

فاذا جاءت الكلمة وسطا في الكلام تطلبت حلا من طراز آخر فاذا كان للينا كلمة والمؤلف ، فانها تبدأ بالهمزة في بداية الكلام في نحو قولك والمؤلف يقول ، وهنا يكون أول مقطع كلامي منها مكونا من الهمزة والحركة واللام (صحص) ولكن هذه الكلمة في وسط الكلام تختلف عن ذلك . فاذا نظرنا إلى الفعل الماضي وقال ، مبنيا على الفتح وجدناه مكونا من مقطعين أحدها وقا ، وهو يساوى (صم) والثاني ول ، وهو يساوى (صم) والثاني ول ، وهو يساوى (صم خ) . فاذا وضعنا كلمتي : وقال » و المؤلف ، معا تغيرت البنية المقطعية في كل منهما بحسب مطالب السياق ويصبح التركيب المقطعي الكلامي مخالفا للتركيب المقطعي اللغوى الذي شرحناه وتكون الصورة الكلامية للمقاطع في الكلمةين هي :

قا + لل + م + ؤل + لف

والمقطع الثانى هنا هو موضع الظاهرة الموقعية حيث امتد المقطع الكلامى من نهاية كلمة سابقة إلى بداية كلمة لاحقة وحل محل مقطعين من مقاطع نظام اللغة هما ول ل و أى المقطع الأخير من و قال و والأول من و المؤلف .

٢ — ذكرنا فى المكلام عن ظاهرة « الكمية » أن الكلمات التى تنتهى بالألف أو الواو أو الياء إذا وقعت إحداها قبل كلمة مبدوءة بالساكن فقد حرف المد فى بهايتها كميته وأصبح بمقدار الحركة من ناحية « المدة » التى يستغرقها النطق بحرف المد . ومعنى ذلك أن البنية المقطعية قد اختلفت بمطالب الكلام عما كانت عليه حسب مقررات القاعدة . فكلمة «القاضى» تنتهى بمقطع وضى » وهو فى كمية (ص م) و كلمة «الفاضل » تبدأ بمقطع ولى " و كميتها (ص) وعندما نقول عبارة «القاضى الفاضل » يتطلب نظام بنية الكلمتين أن يكون المقطعان على صورة « ضى ل » ولكن الياء بحسب طاهرة الكمية أو كما قال النحاة العرب بحسب التخلص من التقاء الساكنين تفقد كميتها وتصبر بمقدار الكسرة ويصبح المقطعان مقطعا واحدا على صورة « فضى ل » وكذلك مورة « فضيل » ويتم نطق الكلمتين على صورة « القاضلفاضل » . وكذلك الأمر فى :

" - كذلك يتطلب السياق الاستعالى أحيانا بعض الظواهر الموقعية مثل هاء السكت والإشباع وألف الندبة وإطلاق القافية وغير ذلك مما يأتى عنه تغير في البنية المقطعية عما قررته لها القاعدة . وكل هذا التغير في البنية المقطعية صالح لأن يغير مواقع النبر في الكلام عما كان عليه في الكلات لمفردة .

الزوائد والملحقات كذلك تغير البنية المقطعية ومواقع النبر ويكنى أن نلاحظ الفرق بين موقعى النبر في وضرّبَ وفي وضرّبَهُ مما على المقطع الأول في المثال الأول وعلى الثالث في الثاني .

صاف إلى ما تقدم من التفريق بين نبر القاعدة و نبر الاستعال أنه يمكن أن نقسم نبر الاستعال إلى عادى و تأكيدى و لا يمكن هذا التقسيم في النوع الأول. والفرق بين هذين النوعين من النبر يمكن تلخيصه من وجهة نظر علم الأصوات اللغوية في أمور:

- (1) أن ضغط الهواء الناشيء عن حركة الحجاب الحاجز أثناء ضغطه على الرئتين من أسفل أكبر في حالة النبر التأكيدي منه في حالة النبر العادي .
- (ب) أن هذا الضغط الأكبر يُمرِ ثُن بن الأوتار الصوتية كمية من الهواء أكبر من كميته في النبر العادى وهذه بدورها تسبب علوا في الصوت كما هو معروف من تحليل علو الصوت وانخفاضه.

به _ ولا شك أن الاعتبار الإيقاعي في نبر السياق الاستعالى أوضع منه في نبر النظام الصرفي لأن نبر النظام الصرفي نبر الكلمة المفردة والصيغة المفردة والكلمة ربما قصرت بحيث لاتشتمل إلا على مقطع واحد منبور فلا تتسم بسمة الإيقاع وأما السياق الاستعالى فانه يحرص على إظهار موسيقى اللغة بحفظ المسافات المتساوية أو المتناسبة بين مواقع النبر مما يعطى اللغة موسيقاها الخاصة التي تعرف بها بين اللغات وإن مجرد الاستماع الى شخص أجنبي يتكلم العربية فيطيل الحركة ويقصر المد ويضع النبر في غير موضعه ليكشف عن قيمة النبر والكمية في تكوين موسيقي اللغة .

ولا شك أن الإيقاع إذا كان يعطى للغة موسيقاها الخاصة فانه لا يحدد معنى وظيفيا ولا معجميا ولا دلاليا فى السياق الكلامى ولو أن وظيفة النبر اقتصرت على إعطاء الكلام هذا الإيقاع الحاص ما استطعنا أن نربط ربطا مباشرا بين النبر وبين المعنى . والمعروف أن هناك لغات تعطى النبر معنى صرفيا ومعجميا فتفرق به بين الفعل وبين الاسم وقد اتحدا فى الصورة الكتابية فاللغة الانجليزية مثلا تفرق بالنبر هذا النوع من التفريق فى مثل الحالات الآتية

فعل	مو ضبع النبر	أسم	مو ضع النبر
contract	المقطع الثاني	contract	المقطع الأول
interest	3	interest	,
contrast	•	contrast	,

أما اللغة العربية فلا تفرق بالنبر بين الأسهاء والأفعال أى أنها لا تعطى النبر معنى وظيفيا في الصيغة أو في الكلمة ولكنها تمنحه معنى وظيفيا في الكلام أي في معنى الحملة. ويتضح ذلك إذا قارنا في النطق بين جملى:

أذكر الله و أذكرى الله

فالمعروف أن هذا الموقع من المواقع التى تفقد فيها الياء كميها فتصبح بمقدار الكسرة في الكلام مثلها في ذلك مثل الياء في عبارة و القاضي الفاضل التي ذكرناها من قبل ومن هنا تصبح أحوال الأصوات في الجملتين واحدة وتصبح فرصة اللبس سائحة هنا فلا يعرف السامع ما إذا كان المتكلم يخاطب رجلا أو امرأة . هنا يتدخل النبر فيفرق بين الاسنادين فيكون النبر في الجملة الأولى على مقطع همزة الوصل ويكون في الجمئة الثانية فيكون النبر في الجملة الأولى على مقطع همزة الوصل ويكون في الجمئة الثانية على مقطع الكاف ليدل على طول الياء لأن النبر يقع على ما قبل الآخر إذا كان المقطع الأخير متوسطا (رى) وما قبل الآخر قصيراً (ك) حسب كان المقطع الأخير متوسطا (رى) وما قبل الآخر قصيراً (ك) حسب القاعدة (الثانية ٢ ب) من قواعد النبر الأولى . فيكون النبر هنا ذا وظيفة تشبه وظيفة حركة الدليل على المحذوف في نحو وتسعون وحبث تدل الفتحة على ألف وسعى والمحذوفة .

١٣ - التنغيم

في الذي قدمناه من الكلام في التنغيم يبدو التنغيم جزءا من النظام النحوى للغة في الوقت الذي أحصيناه فيه مع الظواهر السياقية ومن الواضح أن النظام ثابت وتحليلي وأن الظواهر السياقية تركيبية فما الوجه الذي يبرر إحصاء التنغيم بين الظواهر السياقية إذاً؟ من الممكن أن يجاب على ذلك من وجوه :

1 - ذكرنا في الكلام عن التنغيم في النظام النحوى أن كل نوع من أنواع الحمل يتفق مع هيكل تنغيمي خاص يقف منه في إطار النظام النحوى موقف الستفعل » مثلا من واستخرج » موقف الصيغة الصرفية من المثال أي كموقف المثال . ولكن اللغة لها جانبان من حيث تقوم الصيغة مقام القالب بالنسبة المثال . ولكن اللغة لها جانبان

كما عرفنا فى تقسيم الجمل : الجانب التعاملي والجانب الإفصاحي وأولهما آقرب إلى الاستعال الموضوعي للغة وثانيهما أقرب إلى الجانب الذاتي . وهذا الجانب الإفصاحي يغلب عليهالطابع التأثري exclamatoryرمن أمثلته التعجب والمدح والذم وخوالف الإخالة وخوالف الأصوات وكل هذه تتحقق غالباً في صورة صيحات انفعالية تأثرية . وقد يكون المتكلم بهذه الماغة الإفصاحية في مقام يتطلب منه أن يغير وظيفة الجملة من التعامل إلى الإفصاح كـ لذى يحدث من المعلقين على مباريات كرة القدم فبدل أن يصبح باللفظ الإفصاحي وهيه ، كما يصيح أى متفرج يحرص على أن يستمر في الجملة الإخبارية التعاملية التى كان يقولها ولكنه يغير وظيفتها إلى الإفصاح وتعطيها نغمة لفظ وهيه ۽ عندما يري الكرة دخلت فعلا إلى منطقة الهدف وهولم يكمل الحملة . وقد يقول : جول » بنغمة « هيه » فيخبر ويفصح فى الوقت نفسه . وهذا حل صوتى لمشكلة من مشكلات النظام عند تطبيقه ويعارضه أثناء التطبيق مع مطالب السياق . والمعلق ينقل رسالةين بهذه الطريقة إلى السامعين أو لاهما الإخبار عن النتيجة (و للإخبار نغمة خاصة في نظام التنغيم) و ذلك بواسطة جملة خبرية التركيب و ثانيتهما نقل الانفعال باعتباره دعوة إلى الجمهور للمشاركة فيه وذلك بواسطة إعطاء التركيب الخبرى المذكور نغمة إفصاحية تأثرية كنغمة صيحات المشجعين في مدرج الملعب .

ومن هذا القبيل ما يحدث من أن يحيى المرء شخصا يكرهه هو ويود أن الو اختفى عن ناظره فيحتفظ بالعبارة العرفية للتحية ولكنه يغير وظيفتها ويحملها من نغمة الكراهية وتعبيرات الملامح التى تصاحبها ما يجعل التنغيم هنا ظاهرة سياقية وذلك كان يجعل المتكلم شفتيه على صورتهما التى ينطقان بها والكسرة » ويضيق عينيه ويقلص ما بين حاجبيه حين ينطق التحية بنغمة الكراهية قائلا: «كيف حالك يا عزيزى ».

۲ من المواطن التي يصير فيها التنغيم ظاهرة موقعية في السياق أن يعمد
 المتكلم إلى التظاهر بأمر هو عكس ما يتطلب الموقف من تنغيم كأن يقص

المتكلم أمر حادثة مات فيها عدد من أصحابه وأقربائه ولكنه يريد أن يبدو هادثا في سرد القصة لئلا يثير أحزان السامعين بصورة أشد فيصطنع لهذا الكلام الذي يحتمل نغمة الحسرة والجزع نغمة أخرى فيها هدوء وتماسك. فهنا تعطى الجملة وظيفة جديدة ونغمة غير نغمتها التي في النظام ويكون التنغيم ظاهرة سياقية.

٣ - يحدث أحيانا أن يستعمل المتكلم النعمة على صورة تقوى من العلاقة بين إحدى كلمات السياق وبين معناها الذى سيقت له . فاذا قال و بلاد بعيدة ، عبر عن شدة البعد بمد الباء مدا طويلا و كذلك الفتحة التى بعدها من كلمة و بعيدة ، ونطق الباء والفتحة على نغمة واحدة مسطحة عالية نوعا ما . وإذا أراد أن يقول إنه قذف حجرا إلى أعلى فوصل إلى علو شاهق فلر بمامنح ذلك التنغيم نفسه لكلمة وفوق افمد حرف المد منها بصورة ملحوظة ورفع الصوت به . وهذه الظاهرة يستغلها ملحنو الأغانى كثيرا ، ملحوظة ورفع الصوت به . وهذه الظاهرة يستغلها ملحنو الأغانى كثيرا ، وإذا أراد التعبير عن التراوح بين مكانين بقوله : ورايح جاى ، أعطى وإذا أراد التعبير عن التراوح بين مكانين بقوله : ورايح ، أعلى من نغمة والحياى ، ثم يكور الكلمتين نغمة خاصة كان يجعل نغمة ورايح ، أعلى من نغمة والحيء بهذا النوع من التنغيم .

هذه بعض الأمثلة التى تجعل التنغيم ظاهرة موقعية تحل مشكلة تطبيق نظام التنغيم في النحو على السياق الاستعمالي حين تتعارض قواعد النظام مع مطالب السياق.

الفصلالسابع

المعسيم

لقد رأينا أن اللغة العربية الفصحى مكونة من أنظمة لغوية هى النظام الصوتى والنظام الصرفى والنظام النحوى للغة . وحين نسمى أفكارا مركبة ما نظاما فلا بد أن تكون بين بعضها وبعض علاقات عضوية معينة وكذلك أوجه خلاف بين كل واحدة منها وبين الأخرى بحيث تؤدى كل واحدة منهما فى النظام وظيفة تختلف عما تؤديه الأخرى . فللنظام إذاً تكامل عضوى واكتمال وظيفى يجعله جامعا مانعا بحيث يصعب أن يستخرج منه شيء وأن يضاف إليه شيء . ومن طبيعة النظام اللغوى أن يصلح لا للجدولة الوأن يضاف إليه شيء . ومن طبيعة النظام اللغوى أن يصلح لا للجدولة الوأن صح هذ التعبير – فيكون له من معانيه بعد رأسي وبعد آخر أفتى ويكون من التقاء كل معنى في البعد الرأسي بمعنى آخر في البعد الأفتى وحدة معنية من وحدات النظام . ولما كان طابع النظام اللغوى عضويا وحدة معنية من وحدات النظام . ولما كان طابع النظام اللغوى عضويا في هذا الحد أصبح من الصعب على اللغات أن تستعير الواحدة منها جزءا من نظام الأخرى ومن ثم لم نجد لغة تستعير من لغة أخرى أحد أصواتها أو طاهرة سياقية من ظواهرها أو صيغة صرفية أو حرف زيادة أو ملحقا من ملحقاتها أو علاقة نحو بة من علاقاتها .

والسؤال الذي ينبغي أن نعرف إجابته الآن هو: « هل يمكن أن يكون المعجم نظاما من أنظمة اللغة كما كان النظام الصوتى والصرفى والنحوى ؟ » للإجابة على هذا السؤال ينبغي أن ننظر في الأمور الثلاثة التي نسبناها إلى أنظمة اللغة لنرى في كل أمر ما إذا كان يتحقق أولا يتحقق للمعجم. وهذه الأمور الثلاثة هي:

- (أ) العلاقات العضوية والقيم الخلافية بين المكونات
- (ب) الصلاحية للجدولة (أى أن يوضع فى صورة جدول)
 - (ح) عدم إمكان الاستعارة بين لغة ولغة

أما من حيث العلاقات العضوية فليس بين كلمات المعجم أى علاقة عضوية وقد يكون بين كل طائفة من هذه الكلمات علاقة اشتقاقية معنية

هي اشتر اكها في أصول المادة و لكن هذه العلاقة الاشتقاقية تختلف عمّا نقصده من العلاقة العضوية لأن العلاقة العضوية لأية وحدة من وحدات النظام تدخلها في علاقة خلافية مغ بقية الوحدات جميعا أيا كان موضعها من النظام فاذا نظرنا مثلا إلى جدول الصرف وأخذنا وحدة من وحداته التقسيمية كالاسم مثلا وجدنا هذا الاسم يختلف عن كل ما عداه وقد بينا ذلك تحت عنوان أقسام الكلم اأمر بى فى موضعه من هذا الكتاب فالاسم يختلف عن الصفة باعتبارات وعن الفعل باعتبارات أخرى وعن الضمير والخالفة والظرف والآداة كذلك ، وكل ذلك في إطار النظام الصرف . وكذلك لو نظرنا فى المعانى التصريفية كالتكلم أو الخطاب والغيبة أو الإفراد والتثنية والجمع أو التذكير والتأنيث وجدنا أن كل معنى من هذه المعانى له مكانه فى النظام لا يتركه ولا يطغى على أماكن المعانى الأخرى . فالتكلم والخطاب يتصلان بالأفعال والضمائر ولكن الغيبة تضم إلىهذين الأسماء والصفات لأن الاسم والصفة في قوة ضمير الغيبة كما يقول النحاة ولذلك يسند الفعل إليهما على الصورة الى يسند بها إلى ضمير الغيبة . ذلك هو ما نقصده بالعلاقات العضوية بين وحدات النظام . والمعجم ليس كذلك ومن ثم تنتنى عن كلماته سمة العلاقات العضوية فلا يكون نظامًا.

والأمر الثانى هو صلاحية أى نظام لغوى للجدولة وقد رأينا كيف أمكن وضع النظام الصوتى والنظام الصرفى والنظام النحوى للعربية الفصحى في صورة جداول ذات أبعاد رأسية وأخرى أفقية تتشابك فيها العلاقات وتقوم القيم الخلافية في كل جدول حارسا أمينا لأمن اللبس فى النظام والسياق معا . وواضح أن المعجم لا يمكن أن يوضع فى صورة جدول لأنه كما قلنا تنقصه العلاقات العضوية بين مكوناته ومن شروط إمكان أى جدول أن يوضع أن يكون بين مكوناته هذه العلاقات العضوية كما ذكرنا . وإذا كان المعجم غير صالح للجدولة فلا يمكن أن يكون نظاما لغويا .

والأمر الثالث الذي تتميز به الأنظمة اللغوية هو صعوبة الاستعارة بالنسبة لوحداتها من لغة إلى أخرى فلا تستعار أداة ولا رتبة ولا صيغة ولا باب نحوى من لغة إلى لغة أخرى في العادة و الملاحظ أن مجال الاقتراض بين اللغات هي الكلمات المفردة و هي مكونات المعجم. ولقد اشتملت اللغة العربية منذ الزمن القديم في العصر الجاهلي على مفردات مستعارة من لغات أخرى في الشرق والغرب كالسكر من السنسكريتية والابريسيم والاستبرق من الهاوية و الإقليم والقسطاس والدينار من الإغريقية و لكن العربية الفصحي من الهاوية و الإقليم والقسطاس والدينار من الإغريقية من طرق التركيب لم تستعر من واحدة من هذه اللغات قاعدة ولا طريقة من طرق التركيب ولا أداة و لا جزءاً آخر من أجزاء أنظمها . ومعنى ذلك كله أن المعجم لا يمكن لهذا السبب أن يوصف بأنه نظام .

هذه فروق ثلاثة بين الأنظمة اللغوية وبين المعجم وهناك أمر آخر يرجع إلى الوظيفة الاجهاعية للغة في عمومها . فالمعروف أن لغة كل قوم إنما تسمى تجاربهم الاجهاعية فتضع للمسميات أمها وتضع للأعمال أفعالا وتضع للعلاقات فيها بينهما أدوات تربط بين الكلمات في السياق . ويتم كل ذلك في حدو د العرف المحلي لهؤلا القوم ومن ثم تحتلف المردات من لغة إلى لغة لأن تعارف جهاعة ما لا يتشابه بالضرورة مع تعارف الحهاعة الأخرى . ودعلي ذلك أن الحهاعات تختلف بيئاتها فتختلف مسمياتها فاذا كانت بيئة ما تسمى و الحمل ، فان بيئة أخرى تسمى و اللاما ، وبيئة ثالثة تسمى والفيل ، وكذلك قد تسمى بيئة من البيئات طعاما لايكون معروفا للبيئة الأخرى ومثل الطعام العادة والآلة والتقليد و أنواع التجارب المختلفة. ومعنى هذا أن أية المغة من لغات العالم لايعرفون جميع التجارب الإنسانية جميعا لأن اللغة علية ولأن أصحابها لايعرفون جميع التجارب الإنسانية فحتى لو تصورنا غير ممكن أن تنتظم هذه التجارب إنسانية كلها في نظام معين (وهو أمر غير ممكن أن تنتظم هذه التجارب بينسانية جديدة باستمرار) فان أية لغة علية لا يمكن أن تنتظم هذه التجارب جميعا .

وإذا لم يكن المعجم كما رأينا نظاما من أنظمة اللغة لأنه لاتتوافر له مقومات النظام فلابد أن يكون منهج المعجم متجها إلى دراسة وقائمة » من النظام تشتمل على جميع ما يستعمله المجتمع اللغوى من مفردات.

ومن طبيعة هذه القائمة الضخمة التي هي في حوزة المجتمع في عومه الا يحيط بها فرد واحد من أفراد هذا المجتمع مهما بلغ حرصه على استقصائها لأن ظاهرتي الارتجال والتوليد وها مستمرتان لابد أن تقفا به دون الإحاطة بالكلمات المرتجلة والمولدة التي هي في طريقها إلى الشيوع العرفي. ولكن أفراد المجتمع يتوزعون مفردات هذه القائمة فيها بيهم كل بحسب بيئته وثقافته وحياته الاجتماعية فيستقل كل فرد بطائفة منها يعرف معانيها معرفة عامة ويعرف ما لبعض هذه المعاني من ظلال دقيقة مختلفة، أما ما في أيدى ويعرف ما لبعض هذه المعاني من ظلال دقيقة مختلفة، أما ما في أيدى الآخرين من هذه القائمة فلا يتفق ما لدى كل فرد منهم إلا مع بعض ما لدى الفرد الذي كنا نتكلم عنه ويبقي بعد ذلك أكثر ما في أيديهم مجهولا بالنسبة لمذا الفرد جهلا لايزيله إلا أن يعني المتخصصون من هذا المجتمع بتلوين كل مفردات اللغة و معانيها في صورة معجم ليرجع إليها هذا وذلك من الراغبين في الاطلاع على هذه المفردات والمعاني . لهذا كان تلويين المعجم ضرورة لمؤية لكل عجمع متقدم وكان لا بد أن يتم تلوين المعجم على صورة تمكن لو د يطلع عليها أن يعرف الكثير من المعلومات التي توضح ما يحيط كادتها الأساسية وهي الكلمة .

ولكن ما الكلمة ؟ أمن السهل تعريفها ؟ أو يمكن أن نحدها تحديدا دقيقا في السباق كلما أر دنا ذلك فنقول هنا تبدأ وهنا تنهى ؟ أنعتبر المبانى الصرفية التي تتحقق بها الظواهر الموقعية وكذلك اللواصق الصرفية أجزاء كلمات أم نعتبرها كلمات مستقلة ؟ كل أو لئك قضايا لابد من الإجابة عليها قبل أن نتناول طريقة شرح المعنى المعجمي وطبيعة هذا المعنى .

سبق أن فرقنا بين اللغة وبين الكلام وقلنا إن اللغة مجموعة من الأنظمة والعلاقات وإن الكلام هو النطق أو الكتابة بحسب قواعد هذه الأنظمة والعلاقات. ونحب أن نضيف هنا أن المعجم ليس نظاما ولكنه مع ذلك جزء من اللغة. ومثل الأنظمة بعلاقاتها ومثل الكلمات كمثل قواعد الشطرنج. لأن قواعد الشطرنج نظام ينتظمه جدول (إن صح هذا التعبير) قوامه المربعات ذات العلاقات فيها بينها فالمربعان قد يختلفان من حيث العلاقة الرأسية بأن يكون كل منهما في صف رأسي مختلف عن الآخر، وقد يختلفان من حيث علاقة

الصف الأفتى وقد يختلفان من حيث علاقة الصف الماثل. ولكن الاختلاف بين أى مربع وبين المربعات الآخرى مهم جدا في الوظائف التي تؤديها هذه المربعات أثناء اللعب. ولكن فهمنا للشطر نج لا يتم بمجرد وجود الرقعة فقط وإنما لابد من القطع المختلفة الشكل أو المبنى والوظيفة أو المعنى في اللعبة. فقو اعد لعبة الشطر نج ومربعاته كنظام اللغة صرفا ونحوا وقطع الشطر نج المختلفة الشكل والوظيفة كالكلمات وحركات اللعب نفسها كالكلام الذي يحتاج إلى اللغة بما فيها من أنظمة وكلمات وكما أن اللعبة تطبيق لقو اعد الشطر نج كذلك الكلام تطبيق لقو اعد اللغة . فالمعجم على رغم كونه قائمة من الكلمات كذلك الكلام تطبيق لقو اعد اللغة . فالمعجم على رغم كونه قائمة من الكلمات التي لا تنتظم في نظام معين إنما يعتبر جزءا من اللغة من حيث يمد اللغة بمادة علها وهي الكلمات المخترنة في ذاكرة المجتمع .

علينا الآن إذا أن نشرح طبيعة الكلمة في المعجم في ظل هذا التفريق بين مفهومي اللغة والكلام . المعروف أن اللغة باعتبارها نظاما أكبر لابد أن تكون صامتة وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك لأن النظام لاينطق ولكن الذي ينطق هو الكلام في إطار هذا النظام . والمعجم جزء من اللغة لامن الكلام وعتوياته الكلمات التي هي مختزنة في ذهن المجتمع أو مقيدة بين جلدتي المعجم وهي صامتة في كلتا الحالتين . ومن ثم يكون المعجم صامتا كصمت اللغة ويكون ذلك منسجها مع كونه جزءا من اللغة . وحين يتكلم الفر د يغترف من هذا المعين الصامت فيصير الكلمات ألفاظا ويصوغها بحسب الأنظمة من هذا المعين الصامت فيصير الكلمات والنظم من وادى القوة إلى وادى الفعل . اللغوية . فالمتكلم إذاً يحول الكلمات والنظم من وادى القوة إلى وادى الفعل . وبعد قليل نفصل القول في أن معنى الكلمة في المعجم متعدد و يحتمل و لكن

- (۱) ما فى السياق من قرائن تعين على التحديد (وقد سبقت الإشارة إلى القرائن المقالية).
- (ب) ارتباط كل سياق بمقام معين يحدد فى ضوءالقرائن الحالية (وسنرى شرح ذلك فيما بعد) .

ولو لم تكن الكلمة المعجمية صامتة فى ذاكرة المجتمع أو بين جلدتى المعجم لكانت بالضرورة منطوقة على ألسنة المتكلمين . ويظهر جلاءالغموض فى هذه المسألة بالتأمل فى السؤال الآتى : كيف يأمل المتكلم فى أن يكون واضحا وهو يستعمل كلمة ذات معنى متعدد ومحتمل ؟ و الإجابة هى أن المتكلم لا يستخدم الكلمات وإنما يحولها إلى ألفاظ محددة الدلالة فى بيئة النص .

نعم ! « ألفاظ » . لأن الكلمة الصامتة صورة صوتية مفردة فى ذهن المجتمع أو صورة كتابية مفردة بين جلدتى المعجم . والصورة دائما غير الحقيقة . فحين يلتقطها المتكلم يحولها .

(١) من الصورة إلى الحقيقة الحسية (سمعيا أو بصريا).

(ب) من الإفراد (وهو طابع المعجم) إلى السياق الاستعمالي (وهو طابع الكلام) .

عندئذ يحرك بها لسانه ناطقا أو يده كاتبا فيتحول اعتبارها من «كلمة » إلى و لفظ ، . ففرق ما بين الكلمة و اللفظ هو فرق ما بين اللغة والكلام فاللغة (والكلمة وحدة من وحداتها) صامتة والكلام (واللفظ جزء من نسقه) محسوس . واللغة سكون والكلام حركة .

وهذا هو أحد أوجه الاعتراض على من عرف الكلمة من النحاة بأنها:

و اللفظ المفرد » أو « لفظ وضع لمعنى مفرد » لأن هذا التعريف يغفل
عن حقيقة الفرق بين الكلمة وبين اللفظ كما حددناها هنا . وحاول بعض
النحاة أن يعرف الكلمة بأنها « قول مفرد » فلم يكن أسعد حظا من صاحبيه
و الأسباب و اضحة لأن القول ربما يكون من أكثر من لفظ و احد و تقاليد
التحليل في اللغة العربية تجعل مقول القول دائما في صورة جملة . وسيجد
القارىء الكثير من محاولات تعريف الكلمة والرد عليها في كتابنا « مناهج
البحث في اللغة » فمن شاء فليرجع إلى ذلك في الكتاب المذكور .

عند هذا الحد أجدنى مدفوعا إلى استكشاف الطبيعة العرفية للكلمة وما يتصل بذلك من مبحث التفريق بين اللغة والكلام. ولقد تناول الباحثون

⁽۱) في مقالات الاسلاميين للأشعرى جـ ٢ ص ٢٤٦ : « وقد زعم الجباني أن الانسان لو كان أخرس عيبا يكتب كانما كان الكلام موجودا مع كتابته،

القدماء أصل اللغة بالتأمل فانقسموا في رأيهم إلى قسمين يقول أحدها و بالتوقيف » ومعناه أن اللغة هبة من الله للإنسان في إجهالها و تفصيلها أي أن كل كلمة في اللغة جاءت من عند الله تعالى حتى « القصعة » و «القصيعة » كما روى بعضهم واحتجوا في تبرير هذا القول بما ورد في الكتب المقلسة ومنه الآية القرآنية : « وعلم آدم الأسهاء كلها » . وقسم آخر يقول بالمواضعة ومعناها أن اللغة من وضع المجتمع تعارف الناس عليها يقول بالمواضعة ومعناها أن اللغة من وضع المجتمع تعارف الناس عليها لتعارف . وأنا بدورى أقول إن اللغة التي علمها الله تعالى لآدم هي الاستعداد المفطري لاتخاذ لغة ما والتفاهم بواسطتها فاللغة اتى وهبها الله له هي ظاهرة الجناعية كان Parole يسميه عامها وليست لغة بعينها مما يسميه عامها ولي كتابي « اللغة بين المعيارية والوصفية » نقاش لطبيعة الرموز اللغوية فمن شاء فليعد إليه وقد المعيارية والوصفية » نقاش لطبيعة الرموز اللغوية فمن شاء فليعد إليه وقد كان ممن المكن أن اكتفى بهذه الإشارة لولا أنني أحب هنا أن أضيف بعض التأكيد للعلاقة العرفية بين الكلمة وبين معناها .

من الملاحظ أن المسمى الواحد تختلف أسهاؤه من لغة إلى لغة . فالرجل في العربية يقابله man بالإنجليزية وكذلك Thomme بالفرنسية وهلم جرا . وقد يقول قائل إن «الرجل » و man و المحتلفون من حيث اللون والعادات والأخلاق والنظرة إلى الحياة والتاريخ بقدو ما يختلف الرجل العربي عن الرجل الانجليزي والرجل الفرنسي فالمفهومات مختلفة بين الكلمات الثلاثة وهذه مبررات مقبولة لاختلاف التسمية من لغة إلى لغة . ولكن هذا ليس صوابا لأن الثلاثة تصدق عليهم بالعربية كلمة «الرجل » وبالانجليزية كلمة man وبالفرنسية كلمة والعمل الواحد أو الحدث الواحد أيضا تعبر عنه اللغات الثلاث بطرق والعمل الواحد أو الحدث الواحد أيضا تعبر عنه اللغات الثلاث بطرق أن كل مجتمع من المجتمعات الثلاثة التي عبرت عن هذه المعاني اختار طريقة أن كل مجتمع من المجتمعات الثلاثة التي عبرت عن هذه المعاني اختار طريقة خاصة للتعبير عنها فأصبح المعني الواحد الذي في متناول المتكلمين باللغات خاصة للتعبير عنها فأصبح المعني الواحد الذي في متناول المتكلمين باللغات خاصة للتعبير عنها فأصبح المعني الواحد الذي في متناول المتكلمين باللغات خاصة للتعبير عنها فأصبح المعني الواحد الذي في متناول المتكلمين باللغات خاصة للتعبير عنها فأصبح المعني الواحد الخية معات. فكيف يصل كل

مجتمع إلى اختيار كلمة معينة ليدل بها على هذا المعنى ؟ الجواب : بالتعارف . إذا فها هو أساس التعارف ؟ الجواب : الاعتباط لا المنطق ولا الطبيعة .

و ذلك أن نظم الحروف هو تواليها فى النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف فى ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى فى نظمه لها ما تحراه . فلو أن واضع اللغة كان قد قال « ربض » مكان ضرب لما كان فى ذلك ما يؤ دى إلى فساد » (١) .

لقد أشرنا في مقدمة هذا الكتاب إلى أن « علم البيّان » و هو فرع من فروع وعلم البلاغة » يصلح أساسا نظريًا لبناء علم خاص بدراسة المعجم نظريا وعمليا يسمى « علم المعجم » . أما نظريا فان هذا العلم يمكن أن يشرح لنا كيفية وضع الكلمات وهى رموز للمعانى فيتناول الاشتقاق والارتجال والتعريب والنحتوالتوليد وهلمجرا من الطرقالي يبينها فقهاللغة والتي يمكن للكلمة العربية أن تبنى على أسامها ويشرح كذلك القيمة العرفية لدلالة الكلمة مبينا الفرق بين العرف الخاص والعرف العام فى معنى الكلمات ويشرح لنا طبيعة المعنى المعجمي وتعدده واحياله والفرق بينه وبين المعنى الوظيق والمعنى الدلالى ويشرح لنا المقصود بالكلمة مع محاولة تحديد حدودها على أسس شكلية فيقول لنا متى تبدأ الكلمة العربية ومتى تنتهى وما الذى يعتبر كلمة مستقلة وما الذي يعتبر جزء كلمة ويشرح لنا الدلالات الاستعالية للكلمة ما بين الحقيقة والمجاز ويبين لماذاكان المعنى المجازى معتبرا فى المعجم ويتناول مباحث نظرية بيانية أخرى لاغنى للمعجم عنها. وأما عمليا فيشرح لنا أفضل منهج لوضع المعاجم ذاكر آالغايةالأساسية من كتابة المعاجم وما الذي يتوقعه المرء حين يتناول المعجم في يده ليكشف عن كلمة ومن هنا يتطرق إلى الصلة بين المعجم وبين علم الصوتيات ثم إلى الصلة بينه وبين نظام الإملاء و ما يشتمل عليه نظام الإملاء من إشارات صوتية وصرفية ثم إلى الصلة بين المعجم وبين علم الصرف وكذلك الصلة بين شواهده وبين علم النحو (لأن الكلمة المفردة لاتتصل بالنحو ولكن الشواهد على طرق استعمالها ومعانيها تتصل به) ثم يذكر بعد ذلك أمثل طريقة لشرح الكلمة وقيمة

⁽١) دلائل الإعجالِ ص ٤٠

الاستشهاد في تحديد المعنى ويلمح إلى تطور البنية etymology وتطور الاستشهاد في تحديد المعنى ويلمح إلى تطور البنية والتضام الافتقارى الدلالة semantic shift بالنسبة لبعض الكلمات والتضام الافتقارى والأسلوبي للكلمات إلى غير ذلك مما يتناوله المعجم ممن الأمور العملية.

وأوضح ما في علم البيان من مباحثه و الدلالات الاستعالية للكلمة . والمعروف أن الواضع يضع الكلمة أو لا للمعنى الحقيقي العرفي وليس للمعنى المجازى الفني ولكن كلمات اللغة دائماو في كل مجتمع أقل بكثير جدا من تجارب هذا المجتمع فلو أن المحتمع اكتنى باستخدام الكلمات في معانيها الحقيقية لأصبحت تجاربه التي تعبر اللغة عنها محدو دة ولضاع معظم تجارب المجتمع في متاهات النسيان لأن الكلمة عقال المعنى والمعنى الشار د بلا عقال لابد له أن يضل ويضيع إلى الأبد و كذلك كان لابد من حل لهذه المشكلة في اتجاهين :

- (ا) محاولة إثراء اللغة بإيجاد كلمات للمعانى التى لم يعبر عنها ولم توضع لها كلمات من قبل .
- (ب) محاولة الانحراف بالمعنى العرفى للكلمة إلى معان أخرى فنية بيانية تسمى المعانى المجازية كالتشبيه والاستعارة والمجاز المرسل.

غير أن هذه المعانى الفنية المحازية يكثر ترديدها على الألسنة مع إطلاقها المحازى الفنى فحين يطول عليها الأمد في هذا الاستعال يميل الناس إلى اعتبار دلالها على المعنى المجازى الجديد دلالة عليه على سبيل الحقيقة ومن ثم يصبح معنى الكلمة متعددا وترصد لها هذه المعانى المتعددة في المعجم فتكون الكلمة بين جلدتى المعجم محتملة لكل معانيها المعجمية المختلفة المنشأ حتى توضع في سياق يحدد لها واحدا من هذه المعانى.

والعرف ملك المجتمع ولا يمكن أن يكون ملكا للفرد مهما كانت قوته . والحقيقة أن الفرد يحس دائما أنه عاجز عن تغيير النظم العرفية في مجتمعه ويحس كما يقول علماء الاجتماع من أتباع المدرسة الفرنسية بجبرية الظواهر الاجتماعي المجتماعية حتى إنه في النهاية يشعر بأنه مضطر إلى مطابقة الاستعمال الاجتماعي في جميع مظاهر سلوكه . وكل ذلك صادق على النشاط اللغوى للفرد ينشأ ليجد أمامه مجموعة ضخمة من الكلمات المحددة الأشكال صرفيا والمحددة

المعانى (وإن تعددت) معجميا . ويتعلم فى البيت وفى المدرسة عن طريق المعيارية المتزمتة فيهما كيف يطابق الاستعال الاجهاعى سواء من ناحية المبنى أو من ناحية المبنى فإن الفرد يطلب إليه فى سبيل المطابقة الاجهاعية أن ينسى كل شىء حتى ميله الذى كان له فى البداية إلى أن يقيس فى صياغة الكلمات قياسا صرفيا مطردا يتعارض أحيانا مع السماع فيعلمونه كيف يقول حمراء لا أحمرة وخضراء لا أخضرة وسوداء لا أسودة وهلم جرا . وأما من جهة المعنى فإنه يطلب إليه أن يحافظ على الرابطة العرفية بين الكلمة وبين معناها فلا يستعمل الكلمة بمعنى شخصى فردى غير عرفى لأنه لو فعل ذلك لما فهمه أحد ممن يسمعونه لانفكاك الرابطة في أذهابهم بين اللفظ المسموع وبين المعنى المقصود . وقديما لتى الشاعر عقوبته الاجهاعية فسخر الناس منه عندما استعمل معانى فردية وقالوا في السخرية منه إن «المعنى في بطن الشاعر » .

حقا إن الباب ليس موصدا أمام تصدى الأفراد لارتجال الكلات للمعانى ولتحويل الدلالة من معنى إلى آخر . والأفراد يفعلون ذلك فى كل زمان ومكان لا يحد حريبهم فى هذا المجال شىء ماداموا قادرين على ممارسة هذه اللعبة . ولكن النشاط الفردى شىء والقبول الاجتماعى لما أوجده الفرد شىء آخر . فالشرط الأساسى لأن يصبح هذا الصوغ الجديد أو الاستعال الجديد الذى جاء به الفر دجزءا من مفر دات اللغة هو أن يتقبله المجتمع ويشيع استعاله فيكتسب العرفية الضرورية لكلمات اللغة . لقد جاءنا مع التنمية وتشعب أنواع النشاط فى المجتمع وغزارة المادة المكتوبة والمسموعة فها بعد ثورة ١٩٥٧ حشد هائل من الكلمات الجديدة التى بدأت كل واحدة منها على لسان فرد من الكتاب أو المتحدثين فتقبلها المجتمع وأعطاها بالرواج عرفية للاستعال فأصبحت جزءا من اللغة ومن شاء أن يرى شاهدا على غلير مقالى و دور اللغة فى مجتمعنا المعاصر » وقد تشر بمجلة الحجلة فى عدد شهر يونية سنة ١٩٤٦ . بل إنتى إذا لم تخنى الذا كرة قد لعبت هذه اللعبة وأنا بعد طالب فى مدرسة دار العلوم العليا فى العام ١٩٤٤ — ١٩٤٥ . فلقد كانت كلمة و إشاعة » قبل ذلك التاريخ على قدر علمى هى الكلمة فلقد كانت كلمة و إشاعة » قبل ذلك التاريخ على قدر علمى هى الكلمة فلقد كانت كلمة و إشاعة » قبل ذلك التاريخ على قدر علمى هى الكلمة فلقد كانت كلمة و إشاعة » قبل ذلك التاريخ على قدر علمى هى الكلمة في المدر المدر العلوم العليا غل قدر علمى هى الكلمة في المدر المدر العلوم العليا في قدر علمى هى الكلمة في المدر العدم المدر العدم العليا في العدم على قدر علمى هى الكلمة و المدر العدم المدر العدم العدم العدم العدم المدر العدم العدم العدم العدم على المدر علمى هى الكلمة و المدر العدم الكلمة و العدم العدم العدم العدم العدم العدم العدم العدم الكدم العدم العدم العدم العدم العدم الكدم العدم العدم

العرفية التى يقصد بها و الحبر غير المحقق الصدق و كان الناس يستعملونها في الكلام والكتابة و في نوبة من نوبات المطالب التى تعود الطلبة أن ينادوا بها كنا نناقش أمر مطالبنا مع أستاذ لنا في حجرة الدراسة وخطر لي وأنا أربد التكلم عن و إشاعة ما أن كلمة و شائعة و ربما كانت أصدق في التعبير عن المعنى المقصود فاستعملها ورضى الاستاذ عن هذا الاستعال الجديد و قرظه و استعمله في أحاديثه الدينية في إذاعة القاهرة فقلده الناس فيه و اكتسبت الكلمة الرواج بينا كنت أنا من جانبي أرقب نمو هذا الوافد الجديد في الاستعال وأسر في نفسي شيئا من الاعتزاز به .

وكلنا يعلم كيف يتحول المعنى تحولا مقصودا أحيانا ويتطور تطورآ عاديا أحيانا أخرى . فمعظم المصطلحات الفقهية الإسلامية في العبادات وغيرهاكالصلاة والزكاة والصيام والحج والهدى والسعى ونحوها محول عن معان لغوية عامة إلى معان اصطلاحية خاصة عن طريق القصد والتعمد . كما أن من الملاحظ في تطور الدلالة من عصر إلى عصر أن هذا التطور يعتبر صدى لتحول اجتماعي خارج حقل اللغة يتضاءل فيه الاهتمام بأحد المسميات ويتعاظم فيه الاهتمام بمسمى آخر فيغلب الآخر على الكلمة التي كانت تدل على ﴿ الأول كلفظ الحرية مثلا حين ألغى الرفيق وألغى معه التقسيم الاجماعي إلى عبد وحر أصبح لفظ الحرية يستعمل استعمالا مجازيا أولا بمعنى القدرة على الاختيار سياسيا تم استمر إطلاق الكلمة على هذا المعنى حتى اقتربت في دلالتها عليه من الحقيقة وضعف فيها عنصر المجاز فلا يلمحه إلا صاحب التفكير اللغوى •وقد تسوء سمعة الكلمة لطول ارتباطها بمداول غير كريم فتطرح هذه الكلمة وتستعمل كلمة أخرى في مكانها غير مثقلة بارتباطات ممجوجة من جهة المعنى فتستخدم فيه أولا على طريق المجاز ويعتبر عنصر الدلالة المجازية فيها مناط التبرير في قبولها حيث يعتبر استعمالها المجازي نوعا من التنزه عن ذكر الكلمة الأو لى التي ساءت سمعتها . ثم يطول الآمد على

⁽۱) انظر كيف كا ن التطور الاجتماعي سببا في تحول دلالة طائفة من الكلمات العربية مثل الصعلوك والسياسة والبلد والقرية والمركز والنقطة والمهد والثورة والفتنة والربع والدولة (بنت الشاطيء _ لفتنا ٠٠) .

استعال الكلمة الثانية فتسوء سمعها أيضا ولا يزال هذا المدلول الممجوج يستهلك الكلمات واحدة بعد الآخرى إلى مالا نهاية . انظر مثلا تعاقب الكلمات الآتية على معنى مكان قضاء الحاجة : غائط حلاء حكيف بيت أدب مرحاض حورة مياه حلم . وقد كانت كل واحدة من هذه الكلمات قبل إسقاطها مما لا يأنف الناس من الجهر باستعاله في الكلام . ولا يعلم إلا الله ما الكلمات التي ستتعاقب بعد ذلك على هذا المدلول الذي عجبه النوق في جهر الكلام . وهذه العرفية في الاستعال وكل ما يتصل بها من مشاكل تعتبر قيدا على مداخل المعجم بمعني أن المعجم لاينبغي مطلقا أن يشتمل على كلمات يخترعها الأفراد قبل أن تروج هذه الكلمات وتصل إلى مستوى الاستعال العرفي حتى ولو كان صاحب المعجم يتنبأ لهذه الكلمة بعينها بالرواج والوصول إلى المستوى العرفي لأن المطلوب هو العرفية الواقعية لا المتوقعة الا المتوقعة الكلمة الواقعية لا المتوقعة العرفية المستوى العرقية المستوى العرفية الكلمة المتوقعة لا المتوقعة المستوى العرفية المستوى العرفية المستوى العرفية المستوى المستوى العرفية المستوى العرفية المستوى العرفية لا المتوقعة لا المتوقعة لا المتوقعة المستوى العرفية المستوى العرفية المستوى العرفية المستوى العرفية المستوى العرفية المستوى المتوقعة المستوى العرفية المستوى المستوى المستوى المستوى العرفية المستوى ا

و الآن ننتقل إلى تناول المعنى المعجمي بالتحليل من النواحي الآتية :

- (١) التعدد والاحتمال في المعنى المعجمي .
 - (ب) شرح المعنى كيف يكون .
- (ح) صلة المعنى المعجمي بأنظمة اللغة الثلاثة الصوتى والصر في والنحوى .
- (۱) قلنا إن من طبيعة المعنى المعجمى أن يكون متعددا و محتملا وهاتان الصفتان من صفاته تقو دكل منهما إلى الأخرى فإذا تعدد معنى الكلمة المفردة حال انعز الها تعددت احبالات القصد و تعدد احبالات القصد يعتبر تعددا في المعنى . والذي يجب ألا يغيب عن أذهاننا دائما أن الكلمة في المعجم لا تفهم إلا منعزلة عن السياق وهذا هو المقصود بوصف الكلمات في المعجم بأنها و مفردات ، على حين لاتوصف بهذا الوصف وهي في النص حاشا بعد استخراجها منه لتحديد معناها المناصب . وإن تعدد معنى الكلمة في المعجم يرجع إلى صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق وثبوت ذلك لها بسبق استعالها في نصوص عربية قديمة وحديثة. ومن صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق يأتي

تعدد معناها واحتماله فى حالة الإفراد. وإذا أردنا أن نضرب مثلا لتعدد معانى الكامة المفردة واحتمالها فلدينا مثالان نور دهما هنا و نرصد تعدد المعنى فيهما و هما كلمتا « صاحب » و « ضرب ».

فأما كلمة صاحب فيتعدد معناها على النحو التالي :

صاحب الجلالة	نحو	۱ — لقب (أ <i>ى</i> ذو)
صاحب البيت	*	Y مالك
صاحبي	*	۳ – صديق
صاحب رسول الله	*	٤ – رفيق
صاحب المصلحة	ÿ	ه ـ منتفع
صاحب الحق	9	٦ – مستحق
صاحب نصيب الأسد	*	٧ مقتسم

فكلمة صاحب بمفر دها تحتمل هذه المعانى السبعة ولا تختص بواحد منها الا عند التضام مع المضاف إليه وهذا التضام أضعف صورة من صور الدخول فى سياق ولذلك يعتبر كل مثال من الأمثلة السبعة الواردة مما يحدد معنى واحدا معينا للكلمة . وأما كلمة « ضرب » فمن معانيها ما يأتى :

ضرب زید عمر آ	نحو	١ – عاقب
ضرب الله مثلا	ď	۲ ــ ذکر
ضرب له قبة	ď	٣ _ أقام
ضرب العملة	Ð	٤ — صاغ
ضر ب له مو عدا	Ð	د ــ حدد
ضرب في الأرض	ď	۳ — سعی
ضرب خمسة في ستة))	٧ - حسب

وقد تأتى فى تعبير فتفيد بالتضام غير ذلك كإفادة معنى «الارتباك» فى عبارة « ضرب أخماسا فى أسداس » والمعنى معجمى فى الكلمة المفردة فقط أما حين تدخل فى السياق فإن معناها لايسمى معجميا نظرا إلى أنالسياق يحفل بالكثير من القرائن الحالية والمقالية التى قد تعطى الكلمة من المعانى

ما لا يردعلى بال صاحب المعجم وقد سبق أن شرحنا بعض ذلك عند دراسة النبر والتنغيم حين وازنا بين «اذكر الله » و «اذكرى الله » وحين قلنا عن بعض العبارات مثل « نعم » و « لا » و « ياسلام » إنها قد تفيد بالنغمة من المعانى ما يتعارض مع معناها المعطى لها فى المعجم . ولعل تعدد المعنى واحتماله من جهة و تحدده و تعيمه من جهة أخرى «و الفارق الأساسى بين الكلمة التي فى المعجم واللفظ الذى فى السياق .

(ب) ما الذي يتوقعه المرء عندما يمسك بالمعجم ليكشف عن معنى كلمة ما ؟ أو بعبارة أخرى أي نوع من أنواع المعلومات يتوقع الطالب أن يجده في المعجم وأيها لا يتوقع أن يجده ؟ دعنا أو لا نقل إن المعجم ليس كتاب قواعد لأنه ليس نظاما من أنظمة اللغة فلا ينبغي للطالب أن يكشف في المعجم عن قاعدة صوتية أو صرفية أو نحوية لأن القسواعد بقروعها المذكورة تتكفل بشرح المعنى الوظيني بواسطة وصف سلوك الرموز التي دون الكلمة أي سلوك الأجزاء التحليلية ويجمع هذه الفروع كلمة لا قواعد » التي تقابلها الكلمة الانجليزية النحوى . وأما المعجم فهو الخطوة التالية بعد القواعد في تتابع المستويات التحليلية للمعنى ولا يأتي بعد المعجم من هذه المستويات المتقدم . أما الإجابة الانجابية فهي أن الطالب ينبغي أن يتوقع من المعجم أن يقدم له المعلومات الآتية :

ا طريقة النطق من المعروف أن أنظمة الكتابة في اللغات المختلفة تقصر دون تمثيل النطق تمثيلا صوتيا دقيقا لأن الأغراض العملية للكتابة الإملائية لا تنطلب الرمز للفروق الصوتية الدقيقة التي لاتهم القارىء العادى كالإخفاء والإقلاب والإدغام بغنة وهلم جرا وإنما ينبغي لكل نظام إملائي أن تكون غايته المنشودة أن يمثل الحروف phonemes في الكتابة بأن يجعل لكل حرف من حروف اللغة (وقد يشتمل الواحد منها على عدد من الأصوات

كما بينا بالنسبة للنون) رمزا كتابيا واحدا مستقلا ، وهذه الغاية المنشودة لم تصل إليها لغة من لغات العالم حتى الآن ولم يصل إليها نظام الإملاء العربى كذلك و من شاء أن يعرف تفصيل ذلك فليرجع إلى كتابى ﴿ اللغة بين المعيارية والوصفية ». ولكننا نستطيع أن نضرب المثل هنا بالحروف التي لاتنطق كالواو التي في « عمرو » والحروف التي لاتكتب كواو المد في « داو د » والحروف التي تنطق ويكتب رمز غيرها من الحروف كالألف في 🛚 رمي 🕊 وهلم جرا . ولهذا السبب أصبح من المحتمل للكلمة العربية كما يمثلها نظام الإملاء أن تكون عرضة للخطأ فى النطق ومن ثم يتوقع طالب المعجم حين يكشف عن معى الكلمة أن يبدأ المعجم بأن يحدد له طريقة نطقها ما دام النظام الإملائي لايصل إلى هذه الغاية . وفي لغات العالم الحية معاجم خاصة لنطق الكليات كالمعجم الذى و ضعه دانيال جو نز لنطق كلمات اللغة الانجِليزية و أطلق عليه اسم: English Pronouncing Dictionary و لعل الصلة الشديدة الانفكاك بين الهجاء الانجليزي ونطق الكلمات في تللك اللغة يبرر وضع معجم خاص لنطق كلماتها . أما الطريقة التي درجت عليها المعاجم العربية للوصول إلى هذه الغاية (إيضاح طريقة النطق) فهي أن تصف حركات الكلمة ومدها وإعجام الحروف أو إهالها فتقول مثلا في كلمة «تبعة» بفتح فكسر ففتح أو تقول عند خوف اللبس المطبعي بالتاء الفوقية المثناة. فالباء التحتية فالعين المهملة . ومن ذلك أيضا ألا تفصل القول في حركاتها وحروفها وإنما تلجأ إلى قياس هذه الكلمة على كلمة أخرى أشهر مها في الاستعمال فتجعل الكلمة الشهيرة كالميزان اأصرفي للكلمة المشروحة فتقول مثلاً : ﴿ رَدُّ البيت كُنُّع ﴾ فيعرف أن هذا الفِعل من باب فعل يفعل بقتح العين في الصغتين فيفيد القارىء من ذلك من جهة النطق ــ وربما الصرف كذلك ـف الوقت نفسه :

۲ - الهجاء: وما دامت الأنظمة الإملائية لا تنطابق مع النطق بالضرورة ولا سيما حين تراعى اعتبارات أخرى بعضها تاريخى و بعضها لغوى (صوتى أو صرفى أو نحوى) و هلم جرا فلا بد أن يكون هجاء الكلمات غير متسم أحيانا بالاطراد التام ولابد أن يختلف أساس هجاء كلمتين قد يبدو لأول

وهلة أنهما متشابهتان مثل: «غزا» و «جزى» فعلى المعجم فى هذه الحالة أن يكون مظنة من مظان الإجابة على كيفية كتابة كلمة ما فيقدم هذا العون لمن لا يعرف ما يختنى خلف هاتين الألفين من اعتبارات صرفية . ومثل ذلك يقال فى الكلمات التى تشتمل على الهمزات التى يختلف موضعها من الصورة الكتابية للكلمة بين الإفراد والكتابة على ألف أو واو أو ياء فعلى المعجم أيضا أن يكون مظنة الوصول إلى هجاء هذه الكلمات مادام استخراج القاعدة من كتب قواعد الإملاء يتطلب قلرا معينا من المعرفة بقواعد اللغة لا يتوافر إلا لمن لا حاجة به إلى البحث عن طريقة هجاء الكلمات . أما الرجل العادى الذى لا بصر له بقواعد اللغة فلبرجع فى شأن الهجاء إلى المعجم .

٣ — التحديد الصرف : و ثما ينبغى للمعجم أن يقدمه للقارىء تحديد المبنى الصرفى للكلمة كما إذا كانت الكلمة اسها أو صفة أو فعلا أو غير ذلك فتقديم هذا التحديد الصرفى للكلمة يعتبر الخطوة الضرورية فى طريق الشرح لأنه لا يمكن لإنسان أن يربط ما بين كلمة ما وبين معناها المعجمي إلا إذا عرف مبناها الصرفى فحدد معناها الوظيفى أولا . و يحدث أحيانا أن تأتى كلمة على صيغة صرفية محايدة مثل :

فاعل : لصفة الفاعل و الأمر من فاعل نحو و قاتل » فعل : للصفة المشبهة و المصدر نحو د عدل » فعيل : لصيغة المبالغة و لمعنى مفعول نحو د رفيع » أفعل : للفعل الماضى و صفة التفضيل و الصفة المشبهة نحو « أسمى »

فانعزال الكلمة فى المعجم قد يكون بيئة صالحة للبس فى معناها فعلى المعجم أن يعطيها من طرق الشرح ما يوضع معناها الصرفى كالتضام بأن يقول : مثلاً و الأشرف الفاضل فى الشرف و فنعلم من هذا أن المقصود صفة التفضيل بقرينة التضام مع أداة التعريف أو يقول و أشرف على الشيء أطل عليه و فيعرف من التضام أن المقصود الفعل. وفى كلمة مثل والمختار والمختار بمعنى الفاعل الذي يختار المعجم قبل شرحها أن يقول مثلا: و والمختار بمعنى الفاعل الذي يختار

لنفسه و بمعنى المفعول من يقع عليه الاختيار » أو شيئا شبها بذلك فقوله بمعنى الفاعل و بمعنى المفعول تحديد صرفي لكلمة محايدة أو يقول: «العدل بمعنى الصفة العادل و بمعنى المصدر الإقساط في الحكم ». فلا يمكن في حالة «المختار » و «العدل » ولا في غير هما أن يكون الشرح مفيدا إفادة تامة دون التحديد الصرفي للكلمة.

٤ - الشرح : ويكون شرح الكلمة بذكر معانيها المتعددة التي يصلح كل واحد مها لسياق معين . ولكن هذا الشرح أيضا يتطلب أمورا لابد للمعجم من الوفاء بها حتى تتحتق فائدته بالنسبة لطلاب معانى الكلمات .

أولا: لابد أن يعنى المعجم بعرض الأشكال المختلفة إن وجدت للكلمة الني يشرحها وهذه الأشكال المتعددة قد توجد جنبا إلى جنب في الاستعال في عصر واحد كأن بسجل المعجم وجود صورتين مثلا لكلمة «ميزة» تبدأ إحداها للهيئة بالكسر والمدوتبدأ الثانية للمرة بالفتح فالسكون فيذكرها باعتبارها جاريتين على الألسنة بدرجة واحدة أو متقاربة . وقد تكون الأشكال المختلفة للكلمة محتافة العصور كأن تكون للكلمة صورة قديمة إما مهجورة أو مستعملة في الوقت المامهجورة أو مستعملة وصورة أخرى أحدث مها مستعملة في الوقت الماضر و ذلك مثل : « بكة » و « مكة » . والمؤسف حقا أن المعاجم العربية قليلة العناية بتسجيل التطور الشكلي للكلمات على عكس ما تفعل المعاجم الأوربية كمعجم أو كسفورد الكبير الذي أعطى الكثير من العناية لما أطلق عليه اسم « وجهة النظر التاريخية » بالنسبة لتطور الكلمات .

ثانيا: تخصيص مدخل لكل اشتقاق من اشتقاقات المادة أو على الأصح لكل مشتق من مشتقات المادة لأن الاشتراك في حروف المادة يعتبر صلة رحم بين الكلمات من حيث الشكل ولا يعتبر بالضرورة صلة رحم من حيث المعنى وقد ضربنا مثلا لهذا بالحل والحل والحلول و تشترك ثلاثها في الأصول و تختلف في المعانى ، ولقد درجت المعاجم العربية على جعل حروف المادة

هى المدخل ثم تعدد الكلمات الداخلة تحتمها على غير ترتيب وبلا قاعدة محددة لهذا التعدد .

وقد كنا نسمع أن معاجم اللغات الأخرى تشتمل على أعداد من الكلمات أكثر مما تشتمل عليه المعاجم العربية . فإذ قد عرفنا أن المعاجم العربية لاتعدد الكلمات بمداخل مستقلة وإنما تعدد المواد كلا منها بمدخل خاص أدركنا أن المعاجم الأجنبية ربما كانت أكثر عدد مداخل لا عدد كلمات من المعاجم العربية . فاللغة العربية دون شك و اسعة الثراء بما منحها التاريخ العربي المجيد من مفردات وهي قابلة لزيادة هذه الثروة بما وهبتها طبيعتها العبقرية في الصياغة من إمكان الاشتقاق و الارتجال و التعريب و تغليب الصيغ على نحو ما اقتر حناه تحت عنوان « النظام الصرفي » و هلم جرا .

ثالثا: شرح المعانى المختلفة المتعددة للكلمة الواحدة . وينبغى للشرح أن يكون واضحا وأن يتجنب قدر الطاقة الشرح بالمرادف فقط لأن الترادف التام مشكوك فى أمره لما أصبح معروفا فى دراسة أصول التعارف على وضع الرموز للمعانى من ضرورة استقلال المعنى الواحد بالرمز الواحد فالكلمتان اللتان تعتبر ها متر ادفتين لا يوجد بينهما فى الواقع إلا منطقة مشتركة من المعنى ثم يستقل كل منهما بأقليمه الحاص خارج منطقة التداخل فاختلاف ظلال المعنى بهذه الصورة مطعن خطير فى فكرة الترادف . .

ومنذا الذي يقول إن السيف والمشرفي والحسام والهندواني والفرند كلها بمعنى واحد؟ لاشك أن كل اسم من أسهاء السيف هنا يستقل بملحظ خاص ، ومن ثم يحسن في الشرح أن يستوفي ذلك الشرح قدر الطاقة بأكثر من مجرد المرادف . كما يذبغي أن تستوفي استعالات الكلمة لغويا وفنيا إذا كانت الكلمة قد دخلت الاستعال الاصطلاحي . فاذا تعددت معانيها الفنية كما في كلمة «الفاعل » مثلا ، فهو في النحو اسم مرفوع وفي علم الحريمة هو الحجرم وفي الفاسفة هو المؤثر وهو ضد القابل ، فيحسن في هذه الحالة أن يشير المعجم إلى فروع العلم التي تستخدم فيها الكلمة استخداما اصطلاحيا قبل البدء في شرح معناها الاصطلاحي ، كأن يقال مثلا :

الفاعل الذي يفعل وفي النحو الاسم المرفوع الذي يسند إليه فعل متقدم مبنى للمعلوم ، وفي الحريمة الذي يجنى الجناية وفي الفلسفة المؤثر وهو ضد القابل النخ .

وجما يرد على الحاطر فى هذا الصدد أن الكتاب العرب المعاصرين يبدون الكثير من الإهال عند اختيار مصطلحاتهم الفنية فيختارون للتعبير الاصطلاحي كلمات لانتصل بما أريد بها من معنى و ذلك كأن يريد الكاتب التعبير عن معنى و الإحساس » فيسوق لذلك المعنى كلمة والشعور » و هى كلمة لها معنى فني آخر ، أو حين يريد الكاتب أن يعبر عن فكرة فنية ما فيأتى للتعبير عنها بكلمة ذات استعال عرقى عام فليس لها استعال سابق في الاصطلاح و ذلك كالتعبير عن فكرة و الطلاق » بكلمة و اليمين » ، أو حين يريد الكاتب أن يعبر عن معنى يوصل إليه لغة بصيغة صرفية أو حين يريد الكاتب أن يعبر عن معنى يوصل إليه لغة بصيغة مرفية معينة فيستعمل للتعبير عن هذا المعنى صيغة أخرى ذات معنى يختلف تماما عن المعنى المقصود كأن يريد التعبير عن معنى و محددة » أى لها حد و تعريف المعنى المقصود كأن يريد التعبير عن معنى و محددة » أى لها حد و تعريف تتعين به فيستعمل لهذا المعنى كلمة «محدودة » غير عابىء أو لعله غير فطن الى أن هذه الكلمة الأخيرة معناها و قاصرة » أى لا توصف بالعموم ولا بالشمول .

رابعا: الاستشهاد على كل معنى من المعانى الى يور دها المعجم للكلمة لأن شرح المعنى بدون استشهاد على الشرح لا يعطى فكرة واضحة عن طريقة استعال الكلمة أى أن القيمة الحقيقية لهذا الاستشهاد تكمن فى الكشف عن الطرق المختلفة التى يمكن بها أن تستعمل الكلمة فى نطاق التركيب بعد أن عرف معناها المفرد لأن مجرد الكشف عن هذا المعنى مهما تعددت المعانى المشروحة لا يمكن أن يرشد إلى طريقة الاستعال فى التراكيب المختلفة باختلاف الرتبة والتضام وغيرها من القرائن. وينبغى للاستشهاد أن يختار اختيارا حسنا محيث يمثل المعنى المقصود تمثيلا أمينا سواء أكان هذا المعنى المختارا حسنا محيث سوقيا كان المعنى سوقيا كان المنا أم عرفيا عاما. فاذا ذكر المعجم للكلمة معنى سوقيا كان الأفضل أن يكون الاستشهاد عليه من كلام السوقة أما إذا كان المعنى المختار أدبيا جاليا فان الشاهد ينبغى أن يؤخذ من النصوص الأدبية الجميلة.

خامساً: أن يتوخى المعجم تحديد ضمائم الكلمة طبقا للوجه الأول من وجهى فهمنا للتضام(١) وهو الذي أطلقنا عليه والتوارد»، والوجه الآخر وهو والتلازم ، وقد أشرنا إليهما في دراسة النظام النحوي.

وينبغى هنا أن يشير المعجم إلى تغير المدى مع كل ضميمة تتوارد مع الكلمة أو تتلازم معها فيقول في الحالة الأولى مثلا : صاحب الدار مالكها وصاحب رسول الله رفيقه وصاحب الفضيلة المثقف في الشريعة الإسلامية وصاحب الجلالة الملك وصاحب المعالى الوزير وصاحبي صديقي وهلم جرا . ذلك هو المراد بالمتوارد الذي هو أحد وجهى التضام . ويقول في الحالة الثانية وهي حالة التلازم : رغب فيه طلبه وعنه كرده وإليه استعانه وهكذا . ومن قبيل التضام ما يساق من أمثلة التعبير ات المسكوكة مثل يضرب أخياسا في أسداس ويلتي الحبل على الغارب ويضع الأمور في نصابها وغير ذلك من العبارات التي تنوسي فيها ما كان لها من المعنى البياني حتى أصبحت كالأمثال لاتحتمل التغيير ومن دنا جاء وصفها و بالمسكوكة » . وإنما ينبغي كالأمثال لاتحتمل التغيير ومن دنا جاء وصفها و بالمسكوكة » . وإنما ينبغي ذكر الضهائم هنا لأن الاكتفاء بذكر الكلمة دون ضهائمها لا يصل بالمعجم غيمة المنشودة ويضيف إلى ما في المعجم من عموم المعني و تعدده و احتماله عنصرا آخر سلبيا جديداً خطيراً هو و اللبس » .

(ح) والذي لا أمل من تكراره في هذا المقام أن المعنى المعجمي متعدد ومحتمل. وهذا هو وجه الشبه من جهة بينه وبين المعنى الوظيني للمناصر التحليلية ووجه الاختلاف من جهة أخرى بين هذين المعنيين والمعنى الدلالي للسياق. ومما أو د أن أشير إليه هاهنا أن المعجم ينتفع بنتائج المستويات التحليلية التي سبقت وهي النظام الصوتي والنظام الصرف والنظام النحوى وهي النظم المسئولة عن تحديد المعنى الوظيني أي أن المعجمي يستعين بالمعنى الوظيني . وقد رأينا كيف توقعنا للمعجم أن يحد طريقة النطق وطريقة الهجاء والمبنى الصرفي كماير تبط شرح المعنى المعجمي في تحديد ضمائم الكلمة وسوق شواهدها بضرورة إيراد بعض الإشارات النحوية .

⁽١) راجع معنى النضام في دراسة القرائن اللفظية في النظام النحرى •

وفيها يلى نص من القاموس المحيط الفيروزبادى يمكن أن ننظر فيه لنرى مقدار وفائه بمطالب علم المعجم أو مقدار قصوره فى هذا المضهار:

« (ردح) البيت كمنع وأردحه أدخل شقة فى مؤخرة ، أو تكاثف عليه الطين ، والردحة – بالضم – سترة فى مؤخرة البيت ، أو قطعة تزاد فى البيت . وكسحاب الثقيلة الأوراك ، والحفنة العظيمة ، والكتيبة الثقيلة الحرارة ، والدوحة الواسعة ، والجمل المثقل حملا ، والمخصب ، ومن الكباش الضخم الألية ، ومن الفتن الثقيلة العظيمة جمعه ردح ، ومنه قول على رضى الله عنه : • إن من ورائكم أموراً مهاحلة ردحا ، ويروى والردح الوجع الخفيف ، والردحى بالضم – بقال القرى ، ولك عنه ردحة – بالضم – ومرتدح أى سعة » .

و بعد فقد رأينا من هذا النص ما يأتى :

ا – تعدد المعنى المعجمى لكلمة (ردح) إذ كان لها معنيان ، وكان للردحة معنيان أيضا ، وللرداح ثمانية معان مختلفة . وكل واحد من المعانى المتعددة للكلمة المفردة يظل محتملا للقصد حتى ترد الكلمة في سياق فيكون لها معنى واحد فقط .

۲ – رأينا كذلك كيف حدد القاموس طريقة نطق الكلمة بقوله: ردح كمنع فها دمنا نعلم الحركات التي في كلمة «منع » وأنها ثلاث فتحات متوالية فإن قوله «كمنع » يصبح في قوة قوله : مفتوحة الأول والوسط والآخر.

٣ - أما من ناحية هجاء الكلمة فقد لمحنا في كل مشتق من مشتقات هذه المادة كيف يكتب ولكن غالبية المشتقات جاءت على القواعد الإملائية المحضة فلم يكن فيها ما يدعو إلى النظر في طريقة هجائها ولكن واحدة منها مثلا هي ٥ الردحي ٥ قد اختلطت فيها قواعد الإملاء بالاعتبار ات الصرفية

فأصبح هجاؤها وكتابة آخرها بالياء مما يطلبه بعض الناظرين في معناها فجاءت صورتها الإملائية هنا عونا لهذا البعض.

٤ – وحين قال القاموس: «ردح كمنع » أعطانا معلومات صرفية عددة فبين لنا باب الفعل الثلاثي الذي ينتمي إليه (ردح) إذ لم تقتصر هذه المعلومات التي عرفناها من قوله: «كمنع » على صورة الماضي وإنما دلت الكلمة أيضا على حركة عين مضارعه وأنها فتحة فكأنه قال: ومضارعه (يردح) مفتوح العين.

ه ـ أعطانا القاموس هنا صورة توضع لنا قيمة التضام في إيضاح المعنى وطريقة الاستعال إذ قال : « ولك عنه ردحة بالضم ومرتدح أى سعة ، ، ولو أنه قال : « والردحة السعة » لما أمكن لنا أن نعرف منى تكون كذلك ولكان في قوله تعميم غير حميد لا يذهب بأثره إلا إبراد الضمائم التي يكون هذا المعنى بها .

7 — وربما أرجعنا قوله: «ويروى ردحاً » إلى محاولة إيفاء حق «وجهة النظر التاريخية » بايراد الروايات المختلفة للكلمة ، ولكن ذلك بأية صورة من صوره لا يمكن اعتباره من قبيل التطور الصرفى لشكل الكلمة وetemology وهذه المعاجم أيضا إلى در اسة التطور الدلالى للكلمة الواحدة من عصر الى عصر وهذان الحانبان من « وجهة النظر التاريخية » المذكورة يستحقان عناية المجامع اللغوية والهيئات والأفراد لما يكمن وراءهما من الفائدة الكبيرة التى تعود على تاريخ حياة اللغة الفصحى .

ولقد رأينا في قول القاموس: « ومنه قول على رضى الله عنه :
 إن من ورائكم أمورا متماحلة ردحا » مثلا للاستشهاد على المعنى . وقد علمنا
 الاستشهاد يعين على معرفة طريقة الاستعمال في التراكيب .

ذلك هو المعجم ، وتلك طبيعة منهجه و حدود ما يطلب منه . ولعل المتعدد والاحتمال اللذين ذكر تاها للمعنى الوظينى أولا ثم للمعنى المعجمى المتعدد والاحتمال اللذين ذكر تاها للمتعنى المقال مهما توافرت القرائن ثانيا يشيران إلى ضرورة عدم الاكتفاء بمعنى المقال مهما توافرت القرائن المقالية لأن هذه القرائن (معنوية أو لفظية) لا تغنى بأى حال عن القرائن الحالية التى نستمدها من المقام . والمقام وما يمكن أن يستمد منه من القرائن التحديد المعنى هو موضوع الفصل التالى تحت عنوان والدلالة » .



الفصلالثامن

يحلو لكثيرين من أساتذة اللغة العربية في أيامنا هذه أن يشيروا إلى ما يعتبرونه نقطة ضعف فىالنحو العربى و «و ارتباطه الشديد بطابع الصناعة حتى إنه يعرف أحيانا باسم « صناعة النحو » ثم خلوه من الارتباط بالمضمون مما جعله يبدو فى نظرهم جسدا بلا روح ، والمضمون الذى يقصده هؤلاء هو موضوع علم المعانى فهم يقولون إن علمي النحو والمعانى لايمكن الفصل بين أحدهما وبين الآخر إلا مع التضحية بالمعنى على مستوى العلمين جميعا ويوغلون في المحاجة فيقولون إن ما تركه لنا عبدالقاهر الجرجاني من دراسات ف دلائل الإعجاز وغيره يعتبر إشارات ذكية إلى الطريق الذي كان على النحاة أن يسلكوه بدراستهم للنحو وبخاصة ما قام به عبد القاهر من دراسة « للنظم » فى اللغة العربية . و أنّا أو افق مو افقة تامة على كل هذا الذي يدور في أذهان الأساتذة الكرام و ألاحظ أنهذه العبار ات الصادقة كانت تدعو إلى الغوص فى خضم هذه المشكلة بايضاح الطريقة الى يمكن بواسطمها أن يصبح للنحو العربى «مضمون » والتي يمكن بها مزج معطيات علم النحو بمعطيات علم المعانى لنصل منهما معا ممتزجين إلى تنظيم دراسة الفصحي على أساس جدید لم یخطر ببال سیبویه و لا ببال عبد القاهر ، ولکن لم یحاول واحد من الأساتذة أن يمزج أحد العلمين بالآخر ليخرج منهما دراسة نحوية تعنى بالتركيب كما تعنى بالتحليل وتختص بمعانى الجملكا تحتني بمعانى الأبواب الفرعية التي في داخل الجمل .

ولكن إذا فهمنا من كلمة الصناعة الدراسة الشكلية التي تعنى بأشكال المبانى المختلفة للمعانى المختلفة فلابد من الاعتراف بأن علوم البلاغة العربية كلها – وليس علم المعانى فقط – دراسة شكلية ومن ثم تكون البلاغة صناعة كما كان النحو صناعة . ولهذا السبب بالذات لم تقم علوم البلاغة في أية مرحلة من مراحل تاريخها الطويل بدور المنهج النقدى الأدبى المتكامل في أية مرحلة من مراحل تاريخها الطويل بدور المنهج النقدى الأدبى المتكامل

لأنها لم تتخط النقد الشكلي إلى نقد المضمون إلا مع الكثير من القصور حتى على مستوى فهم القدماء أنفسهم لفكرة النقد.

ولكن البلغاء في إطار شكلية البلاغة التي ذكرناها ربما فطنوا إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية وانها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها وأن هذه الثقافة في جملتها بمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجماعية المختلفة الني يسمون كلامنها ءمقاما ۽ فمقام الفخر غير مقام المدح وهما يختلفان عن مقام الدعاء أو الاستعطاف أو النَّني أو الهجاء وهلم جراً . وكان من رأى البلاغيين أن « لكل مقام مقالا ، الأن صورة «المقال ، speech event تختلف في نظر البلاغيين بحسب «المقام » context of altuation و ما إذا كان يتطلب هذه الكلمة أو تلك وهذا الأسلوب أو ذاك من أساليب الحقيقة أو المجاز والإخبار أو الاستفهام وهلم جرا ومن عباراتهم الشهيرة فى هذا الصدد قولهم : ﴿ لَكُلُّ كُلُّمَةً مِعْ صِاحِبْهَا مَقَامٌ ﴾ . وبهذا المعنى يصبح للعلم الحديد الذي يأتى من امتزاج النحو والمعانى « مفهون » لأنه يصبح شديد الارتباط بمعانى الجمل ومواطن استعالها وما يناط بكل جملة مها من « معنى ». ولقد كان البلاغيون عند اعتر افهم بفكرة « المقام ، متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم لأن الاعتراف بفكرتى «المقام » و «المقال » باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن فى الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة .

وفكرة «المقام» هذه هي المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي يذبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء « المقال » . ومن المعروف أن إجلاء المعنى على المستوى الوظيني (الصوتى والصرفي والنحوى) وعلى المستوى المعجمي فوق ذلك لا يعطينا إلا «معنى المقال » أو «المعنى الحرفي » كما يسميه الأصوليون وهو —مع الاعتذار الشديد للظاهرية —معنى فارغ تماما من محتواه الاجتماعي

والتاريخي منعزل تماما عن كل ما يحيط بالنص من القرائن الحالية التي تشبه ما يسمونه في المرافعات وهي القسرائن ولقد كان على بن أبي طالب ذات الفائدة الكبرى في تحديد المعنى . ولقد كان على بن أبي طالب كرم الله وجهه فاهم تماما لكل هذه الحقائق التي نحاول شرحها حين رد على هتاف الحوارج و لاحكم إلا لله » بقوله : و كلمة حتى أريد بها باطل » وكان يعني أن الناس ربما قنعوا بالمعنى الحرق لهذا الهتاف أي يمعنى و ظاهر النص » فصدقوا أن الحوارج أصحاب قضية تستحق أن يدافع الناس عن المقام الحقيقي الذي ينبغي لهذه الحملة أن تفهم عنها وربما غفل الناس عن المقام الحقيقي الذي ينبغي لهذه الحملة أن تفهم في ضوئه وهو مقام و محاولة إلزام الحبجة سياسيا بهتاف ديني » ، فالمقام في هذا الهتاف من السياسة والمقال من الدين ، و كان ينبغي للناس أن يفهموا المقال في ضوء المقام .

والفرق بين ما يسميه المناس و نص القانون و وبين ما يسمونه و روح القانون ، هو فرق ما بين الاكتفاء بمعنى و المقال ، وبين عدم الاكتفاء به والمغوص وراء المراد الحقيقي للمشرع وهو معنى و المقام ، يقول أحمد أمين : و بل يظهر لى أن عمر كان يستعمل الرأى في أوسع من المعنى الذي ذكرنا ، ذلك أن ما ذكرنا هو استعمال الرأى حيث لانص من كتاب ولا سنة ، ولكنا نرى عمر سار أبعد من ذلك ، فكان يجهد في تعرف المصلحة التي لأجلها كانت الآية أو الحديث ، ثم يسترشد بتلك المصلحة في أحكامه ، وهو أقرب شيء إلى ما يعبر عنه بالاسترشاد بروح القانون لا بحرفيته ، وأقول أنا إن معنى ذلك أن عمر لم يكن يكتنى بمعنى و المقال ، أو بعبارة أخرى لم يكن يكتنى بمنطوق الآية أو الحديث وإنما كان يتوغل في سبيل معرفة أسباب الزول وظروفه الاجتماعية والتاريخية أى أنه كان يتخطى المعنى الحرفي إلى المعنى وظروفه الاجتماعية والتاريخية أى أنه كان يتخطى المعنى الحرفي إلى المعنى ولا يقف عند معنى و المقال ، وإنما يضم إليه معنى و المقام ، ما حدث ومن قبيل استغلال معنى و المقال ، والمراوغة بننى و معنى المقام ، ما حدث من أن اليهو دفى المدينة حيمًا سمعوا الآية القائلة : و منذا الذي يقرض الله قرضا من أن اليهو دفى المدينة حيمًا سمعوا الآية القائلة : و منذا الذي يقرض الله قرضا من أن اليهو دفى المدينة حيمًا سمعوا الآية القائلة : و منذا الذي يقرض الله قرضا من أن اليهو دفى المدينة حيمًا سمعوا الآية القائلة : و منذا الذي يقرض الله قرضا

⁽١) فجر الاسلام من ٢٣٨ •

حسنا » قالوا : « إن الله فقير و نحن أغنياء » فقال أبو الدحداح وقد فهم « المقام » فهما حقيقيا : « إن الله كريم استقرض منا ما أعطانا « . وهذا يذكرنا بالمستشرق الذى سمع أحد الدراويش فى إحدى طرقات القاهرة يصبح « مدد ! » و كان المستشرق يعرف المعنى المعجمي للكلمة ولكنه لا يعرف ما وراءها من « مقام » ولذلك استفسر : « أى نوع من المدد يريده ذلك الرجل » ؟ و أخيرا ينبغي لنا أن نشير إلى أن المفسرين قد فطنوا منذ زمن سحيق في القدم إلى الفرق بين ظاهر القرآن وباطنه فكان فهمهم لهذا الفرق تفريقا منهم بين المعنى « المقالي » و المعنى « المقامي » ، فاذا كان المعنى الدلالي يعتمد على هاتين الدعامتين فإن الشكل التالى ربما يوضح العلاقة بيهما توضيحا كافيا :

المعنى الدلالي المعنى الفال المعنى المقال المعنى المقال وهو مكون من ظروف وهو مكون من المعنى المعجمى الوظيني + المعنى المعجمي الداءالمقال وهي التي تشتمل وهو يشمل القرائن الحالية (وكل وهو يشمل القرائن الحالية (وكل كلا وجدت (١)

وقد يستعار «المقال » المشهور «المقام » الطارى (وهو ما يسمى بالاستشهاد أو الاقتباس) أثناء الحديث ، والأصل فى ذلك أننا نستطيع أن نوفق بين كلام ذائع الشهرة انقضى مقامه الأصلى الذى قيل فيه وبين مقام مشابه وجدنا أنفسنا فيه الآن فنور د الكلام القديم الشهير فى المقام الجديد على سبيل التلفيق . وكلما قوي التناسب بين المقال الشهير وبين المقام الطارى عكان ذلك من حسن الاستشهاد . ولقد رزق أبو بكر رضى الله عنه القدرة على حسن

 ⁽۱) سبق أن ذكرنا أن القرائن المقالية منهاما هو معنوى وما هو لفظى النظام النظام النظام
 النحوى من هذا البحث .

الاستشهاد فمن ذلك استشهاده بعد وفاة الذي صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين ، ولقد قال عمر عند سماعه هذا الاستشهاد ما معناه : والله لكأنى لم أسمع هذه الآية من قبل . ومن ذلك أيضا ولعله حدث في اليوم نفسه في اجتماع السقيفة استشهاده أمام الانصار بقول طفيل الغنوى :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلفت أبو أن يملنونا ولو أن أمنـــا همو أسكنونا في ظلال بيوتهم

بنا تعلنا فى الخافقين فزلت تلافى الذى يلقون منا لملت ظلال بيوت أدفأت وأظلت

ولقد كان لكل من هذين الاستشهادين أثره الحاسم فى إصلاح مقامين من أخطر مقامات الفتنة فى التاريخ الإسلامى .

وقد يستخدم النص الواحد في الاقتباس بحيث يرد جزء منه على جزئه الآخر كالذي يروى عن أحد علماء الأزهر وكان بينه وبين زميل له ميل المنافرة فلخل المسجد الأزهر ذات يوم من أيام الشتاء فوجد زميله استلقيا تحت دفء الشمس وقد غطى وجهه بمنديل فظنه ناتما فوقف عنده وقال والفتنة نائمة و فاعتدل زميله من رقدته و قد تصنع صورة الذي أوقظ من نوه وقال وقال وقال وقال المعن الله من أيقظها وفرى من ذلك أن عبارة الحديث قد انقسمت الى قسمين رد ثانيهما على أولهما والمغزى من وراء كل ذلك أن من المقال ما يتصف بصفات معينة أو ما تتوافر له مزايا معينة تجعله صالحا للاستحضار من المقامات التي تشبه مقامه الأصلى الذي قبل فيه فيصبح المقال القديم جزءا من المقام الحديد فيدخل في تحليل هذا المقام الجديد . ولقد كنا نسمع ونحن من المقام الجديد فيدخل في تحليل هذا المقام الجديد . ولقد كنا نسمع ونحن بعد طلبة في دار العلوم أن قبيلتين عراقيتين ذواتي آصرة حدث بينهما نزاع بعد طلبة في دار العلوم أن قبيلتين عراقيتين ذواتي آصرة حدث بينهما نزاع فكان مجن ندب للصلح بينهما أستاذنا المرحوم الشاعر على الحارم وكان وكيل دار العلوم في ذلك الحين وقد سمعنا أنه نجح نجاحا عظيما حين استشهد بقول البحرى :

شواجر أرماح تقطع دونها شواجر أرحام ملوم قطوعها إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها

فبكى لسماع هذا الشعر رجال القبيلتين و تصالحوا وما ذلك إلا لأن المقال القديم المشهور قد قيل مرة أخرى في مقام يكاد يكون نام الشبه بمقامه الأصلى القديم .

وللوصول إلى المعنى في صورته الشاملة لابد أن نستخدم الطرق التحليلية التي تقدمها لنا فروع الدراسات اللغوية المختلفة التي فصلنا القول فيها من قبل وهي الصوتيات والصرف والنحو (أى الفروع الحاصة بتحليل المعنى الوظيئي) ثم المعجم (وهو الحاص بالمعنى المعجمي). والحقائق التي نصل إليها بواسطة المتحليل على هذه المستويات حقائق جزئية بالنسبة إلى المعنى الدلالي. ذلك بأن هذه الحقائق إما أن تكون وظائف (كما في الصوتيات والصرف والنحو) أو علاقات عرفية اعتباطية (كما في المعجم). فالوظائف تتضح كما سبق نتيجة للتحليل على المستويات الثلاثة الأولى أما العلاقات العرفية الاعتباطية التي ذكر ناها فالمقصود بها العلاقات بين المفردات وبين معانيها. ولقد سبق لنا عند الكلام وجدنا هذه الجملة الهرائية التي أور دناها في التقديم لدراسة «النظام النحوى» أن وجدنا هذه الجملة الهرائية مكتملة الوظائف ولكنها تفتقد العلاقات العرفية المعجمية لأنها ليست مكونة من كلهات ذات معنى و كذلك تفتقد العنصر الاجتماعي وهو «المقام». ولقد كان اكتمال الوظائف سببا في قدرتنا على اعراب الجملة ولكن قصورها معجميا واجتماعيا حال بينها وبين أن تكون نصا عربيا مفهوما.

وكذلك الأمر حين تنفر د العلاقات العرفية بين الكلمات ومعانيها بالوجو د فلا تكون هناك و ظائف و لا مقام . إن مجرد وضوح هذه العلاقات لا يؤدى إلا إلى فهم للكلمات المفردة على المستوى المعجمى إذا نها هنالم توضع فى سياق . ووضوح معانى المفردات لا يكشف حيى عن المعنى الحرفى الذي سميناه وظاهر النص » أو معنى « المقال » لأن الذي لدينا هنا هو « المفردات » وليس « النص » وذلك أيضا لأن معنى « ظاهر النص » يحتاج إلى الوظائف

(المعنى الوظينى) كما يحتاج إلى العلاقات العرفية بين المفردات ومعانيها (المعنى المعجمى) إذ منهما معا يكون معنى و المقال ، وانفراد العلاقات العرفية بين المفردات ومعانيها بالوجود يجعل الأمر بحاجة أيضا إلى معنى و المقام ، أو المعنى الاجتماعى الذى هو شرط لاكتمال و المعنى الدلالى ، الأكبر ، ومعنى هذا بالتالى أننا حين نفرغ من تحليل الموظائف على مستوى الصوتيات والصرف والنحو ومن تحليل العلاقات العرفية بين المفردات ومعانيها على مستوى المعجم لانستطيع أن ندعى أننا وصلنا إلى فهم المعنى الدلالى لأن الوصول إلى هذا المعنى يتطلب فوق كل ما تقدم ملاحظة العنصر الاجتماعى الذي هو المقام .

وهذا العنصر الاجتماعي ضروري جدا لفهم المعنى الدلالي فالذي يقول هذه لفرسه عندما يراها ، « أهلا بالحميلة » يختلف المقام معه عن الذي يقول هذه العبارة لزوجته فمقام توجيه هذه العبارة للفرس «و مقام الترويض وربما صحب ذلك ربت على كتفها أو مسح على جبينها . أما بالنسبة الزوجة فالمعنى يختلف بحسب المقام الاجتماعي أيضا فقد تقال هذه العبارة في مقام الغزل أو في مقام التوبيخ أو التعيير بالدمامة . فالوقوف هنا عند المعنى المعجمي لكلمتي «أهلا» التوبيخ أو التعيير بالدمامة . فالوقوف هنا عند المعنى المعجمي لكلمتي «أهلا» و الحميلة » و على المعنى الوظيفي لها والباء الرابطة بينهما لا يصل بنا إلى المعنى الدلالي ولا يكون وصولنا إلى هذا المعنى الدلالي إلا بالكشف عن المقام الذي قبل فيه الذي .

والذي يتكلم إلى نفسه يكشف عن مقام من نوع آخر . ولست أحب أن أشير هنا إلى الجانب النفسى والطبى لهذا المقام لأن ذلك أمر لا يتصل بالمدواسات اللغوية إلا من حيث هو جزء من و مقام ه ما . ومهما يكن من أمر فان هذا المقام وأشباهه كمقام الدعاء والصلاة وتقييد المواعيد والعنوانات وأرقام التليفون في المفكرة وكالقراءة ، في الحلوة ونحوها هو مما يعوزه الطابع التهفون في المفكرة وكالقراءة ، في الحلوة ونحوها هو مما يعوزه الطابع الاجماعي الواضح حتى إن هذه المواقف لتصلح أن تسمى و مواقف و فردية لا ومقامات و اجماعية . ومن قبيل ذلك أيضا أن تقو دسيارتك بتفسك ثم نجد أمامك شخصا آخر يقو دسيارة فلا يلتزم بها قواعد المرور ويسبب لك شيئا

بالنسبة إليك أنت فقط في سيارتك فلا يسمعها معك إنسان. فهذا موقف فردى أيضًا ولا يتوافر له عناصر المقام الاجماعي . ومن قبيل ذلك أيضًا من يغنى لنفسه دون أن يسمعه أحد أو على الأقل دون أن يكون غناؤه للإسماع . والبذى يتثاءب وبختم تثاؤبه بنداء لفظ الجلالة فكل هؤلاء المتكلمين يقصر أمر الموقف معهم عن أن يكون مقاما اجتماعيا بالمعنى الذى نقصده ولكن وصف أي وموقف » من هذه المواقف بأنه « اجتماعي » لا يأتى من طبيعة تكوينه وإنما يأتى حين ننظر إليه باعتباره نمطا سلوكيا معينا داخلا فى نسيج ثقافة اجتماعية ما بمعنى أن أفراد المجتمع جميعا يقفون هذه المواقف بعينها عندما تنهيأ لها المناسبة ولكنهم يقفونها أفراداً . وهذه الأنماط من السلوك يتلقاها الفرد عن مجتمعه فيكتسبها منه ويصبح سلوكه مشروطا بطرقها مفرغا فى قوالبها التي حددها المجتمع وهذا مناط لزعمها اجتماعية في أصلها . فالفرد يتعلم من مجتمعه كيف يقرأ القرآن بصوت مسموع وبنغات ترتيلية خاصة ويكتسب معتقداته فى طفولته من المجتمع ويتعلم منه كيف يدعو الله وكذلك يتعلم كيف يستشهد لنفسه بالشعر أو أى شكل تعبيرى آخر بحسب المناسبة دون أن يسمع الناس حوله ما يقول . ويتعلم من المجتمع كيف يختم التثاؤب بذكر الله بصوت مسموع فهذه المواقف على رغم كونها لاتحمل طابع الاتصال الاجتماعي يمكن اعتبارها أنماطا سلوكية لغوية فينسب إليها-إلكونها أنماطا — قدر من الطابع الاجتماعي .

وهناك نوع من المقامات الاجهاعية يمكن أن نسميه مقامات اللغو الاجهاعى أو كما يسميها مالبنوفسكى phatic communication يتبادل الناس فيها الكلام ولكنهم لايقصدون به أكثر من شغل الوقت وحل موقف اجهاعى لولا هذا اللغو لكان فيه حرج والكلام الذي يقال في هذا المقام ليس مقصودا لذاته فقد يكون موضوعه الطقس أو السياسة أو أى موضوع عام آخر والحقائق التي يشتمل عليها هذا الموضوع معروفة عند طرفي المحادثة فلايفيد أحدها من مهاعها أى قدر من المعلومات الجديدة ولكن كلا من الطرفين يلغو رفعا للحرج الذي يتوقعه نتيجة للصمت . مثال ذلك أن تكون في حجرة النظار أحد الأطباء بمفردك ولم يحضر الطبيب إني عيادته فتظل بمفردك تنتظر

قدومه وفجأة يقدم عليك زائر آخر للطبيب فتضمكها الحجرة ولا ثالث لكها. فلو سكتما ولم يفتح أحدكما بابا للكلام لأصبح الموقف بينكما مفعما بنوع من الحرج الاجتماعي الذي يشعر معه كل منكما برغبة في إنهاء الموقف . والحيلة الاجهاعية لتجنب هذا الحرج هي فتح موضوع لتبادل الكلام. ولكن كيف يمكن لأحدكما أن يفتح موضوعا وليس ببنكما تجارب مشتركة ولم ير أحدكما الآخر قبل اليوم . الجواب على ذلك أيضا أن المجتمع الذى اخترع حيلة فتح الموضوع حدد بعض الموضوعات العامة الطابع لهذا الغرض بحيث لايتعب إنسان فى البحث عنموضوع وهذه الموضوعات ذات طابع عام غير شخصى بحيث لايتأذى بفتحها إنسان لاغائب ولاحاضر فمن ذلك الكلام في الطقس ومايحس المتكلم والسامع منحر أو بردأو جو ربيعي أو خريني لطيف مع تذكر تجارب سابقة عن حالات جوبة تستحق التذكر . وقد تدءو مناسبة زيارة الطبيب إلى أن يفصح كل منهما للآخر عما يشكو منه وعن تطور مرضه. ومن الموضوعات المفضلة في هذه المواقف في البلاد العربية بخاصة الكلام في السياسة و فى القضايا القومية . وبروى بعض الظرفاء أنه إذا تقابل انجليزيان فكلامها فى الطقس وإذا تقابلءربيان فكلامهما فىالسياسة وإذا تقابل يونانيان فكلامهما فى المطاعم والكلام فى أوساط النساء عن الأزياء والأولاد وبين الحدم عن أسرار المخدومين وبين الطلبة عن الامتحان و الأساتذة و هلم جرا . و الكلام في كل ذلك ليسمقصو دأ لذاته إلا حين يتحول اللغو إلى مناقشة تتطاب أنيكون لكل من الطرفين رأى يدافع عنه ولكن المقصود باللغو فى كل هذه الحالات رفع الحرج الاجتماعي عن شريكبن في موقف خلقته الصدفة :

أما نوع المقامات الذي اكتمل فيه الطابع الاجتماعي فهو الذي يتحقق فيه وجو د عناصر تجعل المقام مركبالا بسيطا أي تجعله «مقاما» لا «موقفا» كالمثال الذي أور دناه من قبل عن الرجل الذي قال لزوجته: « أهلا بالجميلة » فقد ذكر نا أن الاحتمالات التي تحتملها هذه التحية تتنوع بتنوع المقامات المكنة من مقام غزل إلى مقام تبويخ إلى مقام تعيير وكيد ولا يمكن لواحد من هذه المعانى أن يؤخذ أخذا مباشرا من المعنى المعجمي لكلمة « أهلا » ولا المعنى المعجمي لكلمة « أهلا » ولا المعنى المعجمي لكلمة « أهلا الجميلة » ولامن المعنى الوظيفي لأي منهما ولا للباء التي

ربطت بينهما في السياق أي أن معنى الغزل أو التوبيخ النح لا يؤخذ من و المقال ، وإنما يحتاج إلى اعتبار «المقام» بالضرورة .

دعنا نتأمل مثلا مما يوضح ضرورة اعتبار «الكقام » في تحديد المعنى الدلالي . كلنا قد تعلم أن «يا » من حروف النداء و أن كلمة «سلام» اسم من أسهاء الله تعالى وهي كذلك ضد الحرب . فإذا أخذنا بالمعنى الوظيني لأداة النداء والمعنى المعجمي لكلمة «سلام» حين ننادي «ياسلام» فان المعنى الحرف أو المقالي أو ظاهر النص أننا ننادى الله سبحانه و تعالى لا أكثر ولا أقل. ولكن هذه العبارة صالحة لأن تدخل فى مقامات اجتماعية كثيرة جدا ومع كل مقام منها تختلف النغمة التي تصحب نطق العبارة فمن الممكن أن تقال هذه العبارة في مقام التأثر و في مقام التشكيك و في مقام السخط و في مقام الطرب و في مقام التوبيخ و في مقام الإعجاب و في مقام التلذذ و في مقامات أخرى كثيرة غير ذلك ، وظاهر النص في عبارة والسلام عليكم ، أنها تحية إسلامية بجاب عليها بأحسن منها أو مثلها . ولكن هذه العبارة بذاتها قد تتحول إلى معنى المغاضبة فقد يطول النقاش بينك وبين إنسان في موضوع ما ويتمسك كل منكما برآيه فحين تيأس من إقناع صاحبك. وتريد أن تعلن له عن انهاء المقابلة بالمغاضبة توليه ظهرك منصرفا وتشير بيديك إشارة الذي ينبذ شيئا وراء ظهره من فوق كتفه وتقول مع هذه الإشارة والسلام عليكم ۽ وتلمب مغاضباً . فهذا المعنى لايفهم من مجرد المعنى الوظيفي منفردا ولا المعجمي منفردا ولا هامعا ولكنه يتوقف في النهاية على د المقام ، الاجتماعي المعين . وقد تقال هذه العبارة بعينها فيفهم منها معنى الهزل في مقام يتعين فيه ذلك . ولبيان هذا المقام وأبعاده الاجتماعية بمكن أن نتصوره على النحو التالى : الأستاذ واقف بالملوج يلتى محاضرته على ما يقرب من مائى طالب وقد انهمك فى شرح نقطة دأمة من نقاط المحاضرة والطلبة ينصتون بشغف واهتمام بما يقوله الأستاذ حتى ليسمع كل منهم تردد أنفاسه . وقد تعود هؤلاء الطلبة من أستاذهم عدم الرضى عن التأخر عن بدء المحاضرة فكان اأو احد مهم إذا تأخر دخل المدرج وهو يحس بقدر غير قليل من الحجل فيدخل الملوج متسللاً على أطراف أصابعه ويجلس على أقرب مقعد إلى باب الدخول بجده خالياً . ومن الطلبة واحد عرف بينهم

وشيء من الغفلة وسوء التقدير وعدم فهم المواقف الاجتماعية ومطالبها فهما تاما . وذات يوم كان الطلبة والأستاذ على هذه الحال في المدرج وكان هذا الطالب قد تأخر وفجأة دخل المدرج بعد ربع ساعة من ابتداء المحاضرة فلم يتسلل إلى أقرب مقعد ولم يحس شيئا من الحجل وإنما بدا أزهى من طاووس وهو يلج باب المدرج متئدا في مشيته مع شيء من تصنع الوقار وقال لكل من في المدرج : و السلام عليكم ، ومد بها صوته . لاشك أن رد الفعل الوحيد لهذه العبارة التي يزعمونها بجرد تحية إسلامية أن يضحك الطلبة والأستاذ كثيرا فهذا الضبحك هو الرد الذي إن لم يناسب والمقال ، فقد ناسب والمقام ، تماما . ولقد رأينا أن العناصر التي يشتمل عايها المقام الاجماعي هنا هي : المحاضرة ولقد رأينا أن العناصر التي يشتمل عايها المقام الاجماعي هنا هي : المحاضرة — تعود الحجل من التأخر — المتكلم الذي لم يخجل — السامعون الصامتون وأخيرا عبارة السلام عليكم نفسها ، وربما احتملت هذه العبارة تحليليلا وظيفيا وأخيرا عبارة السلام عليكم نفسها ، وربما احتملت هذه العبارة تحليليلا وظيفيا أو معجميا عند الحاجة كأن يكون هذا الطالب النغ في السين مئلا فهذا يضيف أو معجميا عند الحاجة كأن يكون هذا الطالب النغ في السين مئلا فهذا يضيف أو معجميا عند الحاجة كأن يكون هذا الطالب النغ في السين مئلا فهذا يضيف الى دواعي الضحك داعيا صوتيا لغويا .

وإذا كان والمقال ، المكتوب لايقع في أثناء قراءته في وقت لاحق في مقامه الاجتماعي الذي كان له في الأصل فان هذا المقام الأصيل من الممكن بل من الضروري أن يعاد بناؤه في صورة وصف له مكتوب حتى يمكن للنص أن يفهم على وجهه الصحيح . و في بناء هذا المقام الأصيل بناء جديداً بواسطة وصفه كما كان لابد من الرجوع إلى الثقافة عموما والتاريخ بصفة خاصة . وكلما كان وصف المقام أكثر تفصيلا كان المعني الدلالي الذي نريد الوصول إليه أكثر وضوحا في النهاية حين تصبح كل عبارة من عبارات النص واضحة بما يجليها من القرائن الحالية التاريخية والقرائن المقالية التي في وصف المقام . فالذين يقرعون خطبة الحجاج بن يوسف الثقني على منبر الكوفة دون أن يعرفوا المقام الذي قيلت فيه هذه الخطبة ربما انهموا الحجاج بنهم بعيدة عنه أولها موء السياسة ما دام قد استهل و لايته على قوم لم يجربهم من قبل ولم يرهم بكل هذا العنف . ولكن المقام الذي يشتمل على إيضاح العلاقة بين العراقيين وبين بني أمية ربما شمل من الحوادث الماضة حادثا كقتل عبان ومعركة

صفين ومقتل الحسين وتشيع العراقيين وكراهيتهم ابنى أمية ورغبة الامويين في تأديب هؤلاء العراقيين حتى لابئوروا بهم أو يعصوا ولاتهم ومن هنا يصبح من الضرورى أن يأتى وصف المقام فى صورة مقدمة للخطبة تجرى على نحو شبيه بما يأتى :

كان عبد الملك بن مروان قد أرسل الحجاج واليا من قبله على العراق وكان أهل العراق من الشيعة يكرهون الأمويين ويعصون ولاتهم فلما دخل الحجاج المسجد وكان ضئيل الجسم صعد المنبر وأرخى فضل عمامته على وجهه وصمت صمتا طويلا حتى هم بعض الناس أن يحصبه وقال عمير بن ضابىء البرجمي وكان بين الناس في المسجد . قبح الله بني أمية إذ يرسلون إلينا مثل هذا فرفع الحجاج ما كان أرخى من عمامته وحسرها عن وجهه وقال :

أنها ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العامة تعــرفونى

فكل هذه العبارات التي قدمنا بها للخطبة ليست أكثر من وصف المقام الاجتماعي التاريخي الذي قيلت فيه هذه الخطبة وبواسطته ينتني عن الخطبة أن يكون معناها سوء السياسة إلى أن يكون معناها الحزم . على أن هذا المقام الذي وصفناه بكلمات قليلة يمكن أن يكون وصفه هو كل ما قيل في تاريخ الفتنة الكبرى وما بعدها ولكن الاكتفاء بهذا الوصف انختصر يفترض أن القارىء على علم بهذا التاريخ .

ولهل السبب الرئيسي في ضرورة التزام طلاب اللغة العربية وأدبها بدراسة مقررات من التاريخ الإسلامي والفلسفة الإسلامية والتفسير والحديث والأدب والشريعة وغيرها أن طالب اللغة العربية حين ينظر في نص أدبى معين ينبغي أن يكون له من المعلومات الشاملة في هذه الفروع جميعاما يعينه على فهم والمقام ، الذي قبل فيه هذا النص حين يلخص له هذا المقام . وقد تعودنا أن نقول لطلبتنا دائما عن هذه الفروع التي يطلقون عليها والعلوم المساعدة ، إنها فروع إيضاح المقام النصوص التي تصادفها في التراث العربي . ويمكن إيضاح هذه النقطة بالمثال الآتي :

إذا وقف معلم اللغة العربية يشرح لطلابه بيتا لمروال بن ابى حفصه بقدل فه :

أنى يكون وليس ذاك بكائن لبنى البنات وراثة الأعمام

فلن يستطيع أن يشرح هذا البيت أى قدر من الشرح إلا إذا مس علم الميراث ولومسا خفيفا وإذا شرح لهم رسالة إخوانية يقول مرسلها لمن يرسلها إليه: وأنت جوهر الفضل وهيولاه » فلن يعرف كيف يشرح هذه العبارة لتلاميذه إلا إذا ألم إلماماً يسيراً بالمقولات وبالفلسفة وإذا أراد أن يشرح لهم الرسالة الهزلية لابن زيدون فانه سيضطر إلى معرفة الكثير من فروع المعرفة لأن الرسالة مليئة بالإشارات التاريخية والفلسفية والشرعية واللغوية وغيرها . فكل هذه العلوم المترابطة تتحد في كل مماسك لتوضح «المقام » للنص المكتوب .

ويحتم الأصوليون على من يتصدى لاستخراج الأحكام من القرآن أمورا لا ينبغى أن يغفل عنها هي في الواقع « مقام » لافهم . فعليه مثلا :

- ١ ألا يغفل عن بعضه في تفسير بعضه .
 - ٢ ألا يغفل عن السنة في تفسيره .
 - ٣ أن يعرف أسباب نزول الآيات .
- ٤ أن يعرف النظم الاجتماعية عند العرب .

فهذه العناصر الأربعة يمكن اختصارها فى كلمة «المقام» فلا ينبغى لمن يتصدى لتفسير آية أن يغفل عن مقامها يقول صاحب أصول التشريع الإسلامي (١): و فإذا غفل عن بعضه لم يسلم استنباطه من الزلل و تعرض عمله للفساد فلا ينبغى مثلا أن يفسر قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولباء» مع الغفلة عن قوله تعالى: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم و تقسطوا إليهم »، ولا قوله تعالى:

⁽١) الأستاذ على حسب الله .

و والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » مع الغفلة عن قوله تعالى :

و يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوه ن فها لكم عليهن من عدة تعتدونها » ، ولا قوله تعالى : و والذين يتوفون منكم ويندون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » مع نسيان قوله تعالى : و وأولات الأحيال أجلهن أن يضعن حملهن » . ولا قوله تعالى : و انفروا خفافا و ثقالا » مع إهيال قوله تعالى : و ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله » . فالآيات التي نهى عن الغفلة عنها جزء من و مقام » فهم الآيات التي اقترنت بها وأريد تفسيرها والاستنباط منها .

و من قبيل ذلك أيضا أننا لو نظرنا إلى قوله تعالى : ٩ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ، فاكتفينا بظاهر نص هذه الآية عما يحيط بهذاالنص من ظروفأخرى فقطعنا فهمنا لهذا النص عن مقامه لكان هذا الفهم فهما خاطئا لرأى الإسلام في الخمر ولبدا الأمر فى النهاية وكأن الإسلام لم يحرم الخمر إذهو يفاضل بين المنافع والإثم فى تناولها و فى اجتنابها . ولكن المقام اللازم للفهم الصحيح لهذا النص القرآنى يمكن وصفه بعناصر متنوعة منها حب العرب للخمر واقترانها فى أذهانهم بمفاهيم،وقرة جدا عندهم كفكرة والمروءة، و والسؤدد، ووالعز، كما يمكن فهم ذلك من أشعار هم كمعلقة طرفة ومعلقة عنترة ومعلقة عمرو بن كلثوم . تم كراهية الإسلام للخمر وعزمه على صرف العرب عنها بغير ظفرة تم رغبة الإسلام في تألف القلوب و في تحبيب المشركين في الدخول في حظير ته وكذلك رغبته في توقى شحذ المقاومة في نفوسهم مما حدا بالإسلام إلى تجنب تحريم الرق دفعة واحدة كما تجنب تحريم الخمر دفعة واحدة إذا بدأ بالموازنة بين إعمها ونفعها فابتهل الضائقون بالخمر كعمر بن الخطاب إلى الله أن ينزل في الجمر حكما شافيا فنزل قوله تعالى : ﴿ إَنَّمَا ٱلْحَمْرُ وَالْمُيْسِرُ وَالْأَنْصَابِ و الأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ۽ ذلك هو المقام الذي ينبغي أن نفهم المقال في ضوئه على أننا لا ينبغي لنا أن ننسى عنصرا هاما من عناصر المقام هنا

جاء لاحقا (أو ملحقا) لنزول الآية الثانية وهو القاعلة الأصولية التي تقول الأمريفيد الوجوب الذلايكمل فهمنا للنص هنا إلامع اعتبار هذه القاعدة . وإذا كان المقام ضروريا للفهم فانه يكون أحيانا ضروريا لعدم تحديد فهم بعينه كالذى نلمحه في مقام التعمية والإبهام والإلغاز إذ يكون اللبس الذى تسببه التعمية أو يأتى عن الإبهام والإلغاز مقصو دا لذاته فلولافهم المقام هنا والمعرفة بأنه مقام تعمية ما قبل الناس المقال ولا أقبلوا عليه ولا اعترفوا بأنه نص يستحق عناء النظر الجاد . ويتضح ذلك مئلا في قول الشاعر في خياط أعور خاطه له قباه :

خاط لى عمرو قبساء ليت عينيه سواء فاسأل الناس جميعا أمديح أم هجـــاء

فلا سبيل إلى معرفة ألتمنى بلفظ و لبت » أكان للخياط أم عليه إلا بمعرفة ما إذا كان الشاعر قد رضى عن قبائه أو سخط عليه . و لكن إخفاء هذا الجانب من الرضى أو السخط في بطن الشاعر حال بين الرضى أو السخط وبين أن يكون مقاما لفهم النص وأحل محله مقام التعمية فأصبحت التعمية جزءا من المعنى وأصبح اللبس الذي فيها مقصودا لايراد دفعه .

وهل لنا أن نزعم قصد التعمية أو عدم القصد إلى تحديد شق بعينه من شقين ممكنين للمعنى أو بعبارة أخرى عدم القصد إلى تحديد أحد الاحبالين في الفهم عندما نقرأ قوله تعالى: ووترغبون أن تفكحوهن ؟ ؟ إن هذا النص يحتمل حرفي الحر: وفي » و وعن » فيصبح المعنى صالحا لأن يكون: ووترغبون في نكاحهن » أو على العكس من ذلك ووترغبون عن نكاحهم » . فهل لنا أن في نكاحهن » أو على العكس من ذلك ووترغبون عن نكاحهم » . فهل لنا أن نزعم هنا أن التعمية مقصودة في النص لأن بعض يتامي النساء كن من الجميلات نزعم هنا أن التعمية مقصودة في النص لأن بعض يتامي النساء كن من الجميلات اللاتي يرغب الأولياء في نكاحهن وكان البعض من الدميات اللاتي يرغب هؤلاء الأولياء عن نكاحهن ؟ إن الرغشرى (١) يلمح تلميحا إلى قصد التعمية هؤلاء الأولياء عن نكاحهن ؟ إن الرغشرى (١) يلمح تلميحا إلى قصد التعمية

⁽١) الكشاف : تلسير الآية رقم ١٢٧ من صورة النساء .

ولا أريد أن أصرح وقد لمح هو . وإن كنت أحب أن أشير إلى أن إسقاط حرفى الحر هنا يجعل الآية صالحة للمعنيين فى وقت واحد .

إن مجموع الأشخاص المشاركين في المقال إيجابا وسلبا ثم العلاقات الاجهاعية والظروف المختلفة في نطاق الزمان والمكان هو ما أسميه «المقام» و هو بهذا المعنى يختلف بعض اختلاف عن فهم الأولينُ الذين رأوه حالا ثابتة state ثم جعلوا البلاغة مراعاة مقتضى الحال . ويؤخذ المقام _ كما فهمناه هنا ــ دائما من نسيج الثقافة الشعبية زمانيا في تطورها من الماضي إلى الحاضر إذ يرثمها جيل عن جيل فتكون عنصر ربط بين هذه الأجيال ومن ثم نكون الضمان الوحيد لاستمرار المحتمع في التاريخ ، ثم مكانيا حيث يترابط بها أفراد الجيل الواحد من هذا المجتمع وادام كل ونهم قد نشأ في خضم هذه الثقافة وجعل مها مهجا لحياته في المجتمع أو بعبارة أدق جعل مها مجرى لسلوكه لا يملك التحول عنه حتى إنه ليتصرف في ظرف بعينه تصرفا بعينه وكلما تكرر الظرف تكبرر التصرف نفسه . وليس المقصود بالثقافة هنا أى معنى يرتبط بالتعليم والتثقيف وإنما المقصودبها هنا ما يشمل مجموع العادات وطرق السلوكوالتقاليد والمعتقدات والخزعبلات والفلكلور الشعبى والأحاجى ووسائل التكسبوالعواطف الجماعية والنظرة الجاعية إلى الأحداث والأشياء . وبحسب هذا الفهم الشامل لفكرة والمقام، يعتبر النص « المقال » ــ منطوقا كان أم مكتوبا ــ غير منبت عمَّن ساقه ومن سيق إليه . ولو أننا حاولنا فهم المقال منفصلا عن المقام لجاء فهمنا إياه قاصرًا مبتورًا وخاطئاً: إن من يقرأ قول شوقى:

وما للمسلمين سواك ذخر إذا ما الضر مسهمو ونابا

ليرى في «مقال » البيت حين يقطعه عن «مقامه» أن شوقيا يجعل النبي صلى الله عليه وسلم (وهو ميت في ضريحه الطاهر) ملاذا للشعوب الإسلامية (وهي تعيش وتسعى وتكافح وتستطيع من الحيلة والحركة والفاعلية ما لايستطيعه ميت في جدته) فكيف هذا ؟ إن مهى البيت يتضح في ضوء « المقام » مالا يتضح بدونه . في المقام أن المسلم يتوسل إلى الله و « و في ضوء « المقام » مالا يتضح بدونه . في المقام أن المسلم يتوسل إلى الله و « و

القادر المعين بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو الوسيلة وهو المشفّع عند الله والله يجيب المضطر إذا دعاه وتوسل إليه (لاحظ كلمة الضر في البيت) ، والمسلمون في حاضرهم مضطرون ضعاف بين الأمم وهم لايصلون في مراتب التقوى إلى مرتبة المجتمع الصالح ومن ثم فهم بحاجة إلى شفيع ووسيلة قربي وزلني إلى الله مخافة ألا تجاب دعواتهم بدونه . وكل هذه الحقائق تأتى من خارج النص ويشير إلى أن المعنى بدون هذه الاعتبارات الاجتماعية والدينية غير مكتمل . وليس الفرد الذي نشأ في إطار هذه الثقافة بحاجة في تفهم البيت إلى كل هذا الشرح الطويل وإنما يتقبله ويفهمه فهما سريعا في تفهم البيت إلى كل هذا الشرح الطويل وإنما يتقبله ويفهمه فهما سريعا عما لهذا الفرد من نشأة في إطار هذه الثقافة .

هذاهو المقصود بفكرة والمقام » . فهو يضم المتكلم والسامع أو السامعين والظروف والملاقات الاجهاعية والأحداث الواردة relevant في الماضي والحاضر ثم البراث والفلكلور والعادات والتقاليد والمعتقدات و الخزعبلات ولولا هذا المقام وما يقدمه العنصر الاجهاعي من قرائن حالية حين يكو نالمقال موضوعا الفهم لاعتبر الناس البهائم والأحجبة والسحر وهي مما يشتمل على كلمات لاتفهم ضربا من ضروب الهراء أو لما أعطوه ما يعطونه من تقبل وتسامع على الأقل ولقد سبق أن سقنا نصاهر اثيا في الكلام عن النظام النحوي وأشر تا إليه في سياق ذلك الفصل وبرهنا من وضوح الوظائف فيه على إمكان وأشر تا إليه في سياق ذلك الفصل وبرهنا من وضوح الوظائف فيه على إمكان المحرابه على رغم خلوه من عنصري المعنى المجمى والمقام الاجهاعي . أما في السحر والبائم والتعاويذ فان المعنى الدلالي يتوقف على المقام الاجهاعي السحر والبائم والتعاويذ فان المعنى الدلالي يتوقف على المقام الاجهاعي فلمنه النصوص غير المفهومة بسبب حاجبها إلى الوضوح الوظيني والمعجمي الشعمة والتعويذة هو قبولها في مقامها الخاص في إطار الثقافة الشعمة .

سبق أن وضعنا تخطيطا للمعنى الدلالي في أول هذا الفصل فجعلناه يشتمل على عنصرين لا غنى له عن أحدها. وذانك هما المعنى المقالي (ويشمل المعنى الوظيني – المعنى المعنى المقالية الأخرى) والمعنى المقامى الوظيني – المعنى المعجمى – القرائن المقالية الأخرى) والمعنى المقامى

(ويشمل ظروف أداء المقال + القرائن الحالية) . ومعى اشتمال المعنى الدلالي و هو قمة تحليل المعنى اللغوى على كل هذه العناصر أن كل دراسة تعليلية سبقت في هذا الكتاب تتجه أساسا إلى المعنى كما ذكرنا لك في المقلمة سواء في ذلك النظام الصوتى والنظام الصرفي والنظام النحوى والظواهر الموقعية والمعجم وتحديد المقام ثم ما يرتبط بكل ذلك من قرائن حالية أومقالية كإشارة اليدين و تعبير ات الملامح و عمزات العينين و رفع الحاجب وهزالرأس وجميع الحركات العضوية مما يعتبر قرائن حالية في أثناء الكلام ثم التعبيرية بحوالف الأصوات وبالتأفف والفحفحة والتأوه وأصوات الشفتين المختلفة عما يعتبر من القرائن المقالية في أثناء الكلام أيضا .

وقد يتوقف المعنى الدلالي أحيانا على الوظائف التحليلية كدلالة الحرف باعتباره ومقابلا استبداليا » يؤثر عدم وضوحه على المعنى فاذا نادى المزكوم الشديد الزكام على شخص يدعى « مأمون » فهذا مظنة لسوء الفهم فالمعروف أن الميم تتفق مع الباء في الخرج و لكنها تختلف عنها من حيث توجد المغنة في الميم ولا توجد في الباء وغنة الميم يمكن نطقها في الأنف الصحيح ويتعذر نطقها في الأنف المزكوم وحين تتعذر الفنة تصير الميم إلى الباء ومن ثم يصير النداء ه يا بأبون » و لما كانت الباء الأولى و اقعة في مقطع غير منبور وكانت الثانية بداية مقطع وقع عليه النبر كما عرفنا من القو اعد الذي ذكر ناها في حينها أصبحت الباء الأولى غير و اضحة في السمع كوضوح ذكر ناها في حينها أصبحت الباء الأولى غير و اضحة في السمع كوضوح مناط اعاد المعنى الوظيفي لأن الميم الأولى لم تتضح في السمع فبقيت وظائف موقعها كما هي وتفتر ض الأذن خطأ في هذه الحالة وجو د الميم الأولى على حالها و ذكن الميم الثانية اتضحت في الأذن على صورة الباء فاذا غضب المنادى لظنه و ذكن الميم الثانية اتضحت في الأذن على صورة الباء فاذا غضب المنادى لظنه أنه نودى و يا مأبون » فذلك دليل اعتماد المعنى الدلالى على الوظيفة التى تناط بالحرف باعتباره و مقابلا استبداليا ».

وأما قيمة الظاهرة الموقعية في السياق فتبدو عندالتأمل في كلمة والأمان ، وتحديد المقصود من الهمزة في البداية أهي همزة قطع فتكون الكلمة مثنى و تحديد المقصود من الهمزة وصل و تكون الكلمة كلمة و أمان ، ألحقت بها أداة و الأم ، أم هي همزة وصل و تكون الكلمة كلمة و أمان ، ألحقت بها أداة

التعريف. ومثل ذلك ما أشرنا إليه في دراسة النبر من اختلاف فهم الإستاد بين و اذكر الله و و اذكرى الله و بحسب اختلاف مكان النبر في السمع وكذلك ما أشرنا إليه عند الكلام في الصلة بين النغمة وبين المعنى انحوى في بيت عمر بن أبي ربيعة وفي بيت جميل بن معمر . وأما اختلاف المعنى باختلاف الصيغة ووظيفها فهذا و اضح من كل سطر خططته في الكلام عن النظامين الصرفي والنحوى تقريبا . ونستطيع هنا كذلك أن نعطى مثالا بأن نسوق جملة : و هذا محرم شرعا و لأن فهم المنصوب هنا يتوقف على القرينة المعنوية التي تؤخذ عادة من السياق بمعونة القرائن الحالية التي في المقام المنصوب مفعول لأجله و إذا فهمنا منه معنى الواسطة كانت الواسطة قرينة مغنوية على أن هذا المنصوب مفعول لأجله و إذا فهمنا منه معنى الواسطة كانت الواسطة قرينة معنوية على أن المنصوب هنا إنما هو على نزع الخافض وإذا فهمنا من المقام معنى الظرفية فالنصب كذلك على نزع الخافض وإذا فهمنا منه بيان النوع معنى الظرفية فالنصب كذلك على نزع الخافض وإذا فهمنا منه بيان النوع معنى الظرفية فالنصب كذلك على نزع الخافض وإذا فهمنا منه بيان النوع معنى الظرفية فالنصب كذلك على نزع الخافض وإذا فهمنا منه بيان النوع معنى الظرفية فالنصب على معنى النائب عن المنصوب على النصوب على النحو التالى :

المفعول به إذا فهمنا من المقام و تعدیة ، و یکون المعنی و صعدت
 مکانا عالیا ،

۲ — نائب المُفعول المطلق إذا فهمنا من المقام و توكيدا » و المعنى حينة ذ و علوت علوا ».

٣ – المفعول الأجله إذا فهمنا من المقام و سببية ، والمعنى على ذلك
 و صعدت الأعلو ، .

وكما أن المعنى الوظيفى يحدده النظام فى اللغة والموقع فى السياق كما يحدد العرف الاعتباطى المعنى المعجمى الذى يربط بين الكلمة ومدلولها فكذلك يعين المقام أو لا على تحديد هذه المعانى جميعا بما يستفاد منه من القرائن المعنوية ويعين المقام أو لا على استكال المعنى الدلالى الأكبر فى إطار الثقافة الشعبية . ولا يضاح هذه النقطة الآخيرة يمكن أن نضرب مثلا بكلمة و خليفة ، التى ولا يضاح هذه النقطة الآخيرة ممكن أن نضرب مثلا بكلمة و خليفة ، التى يختلف معناها باختلاف المقام من مقارنة العبارات الآتية :

- ١ قال تعالى: وإنى جاعل فى الأرض خليفة » .
- ٣ حال الشاعر: «خليفة الله يستسقى به المطر».
- س _ هزرت مولد السيد البدوى فرأيت الحليفة على ظهر حصانه "

المعنى المعجمى لهذه الكلمة المفردة حين تكون خارج السياق يكاديكون و الحدا في عمومه وهو « الحليفة من يخلف سلفا في عمل أو نحوه » . ولكن المعنى الدلالي له في هذه الجمل على الترتيب هو :

- ١ _ الجنس الإنساني .
 - ۲ _ أمير المؤمنين .
 - ٣ _ شيخ الضريح .

على أن الثقافة الشعبية من السعة والتشعب بحيث يصعب اتخاذها على حالها أداة لتحديد المقام وإنما يستحسن أن نجرى لعناصرها المفيدة فى تحليل المعنى نوعا من التنظيم والتبويب الذى نتمكن به من الوصول إلى تحديد المقام وسترى أن نسيج الثقافة الشعبية تلتى فيه أوضاع مقررة وتجارب ذات أنواع عددة ومسالك معيارية لاحرية للفرد فى تطبيقها أو عدمه ومطابقتها أو عدمها فمثل حرية الفرد فى إطار هذه الجبرية الاجتماعية كمثل ما يراه المعتزلة من حرية إرادة الفرد فى مجالها الضيق فى نطاق إرادة الله سبحانه وتعالى فهو يحاسب لما له من إرادة فردية واختيار فردى ولكن هذه الإرادة الفردية فهو يحاسب لما له من إرادة فردية واختيار فردى ولكن هذه الإرادة الفردية فهو يماس ما أراده الله من إرادة فردية وقوانين فى هذا الكون.

والحياة الاجهاعية مسرح أكبر لكل ممثل فيه دور خاص ذو كلمات عددة وحركات معينة فإذا لم يحسن الفرد أداء كلماته وحركاته أصابه من الحيبة ومرارة الفشل ما يصيب الممثل الفاشل الذي يئول أمره إلى سماع الاستهجان من النظارة والمتفرجين. وقد يؤدي سوء الأداء لدور أحد الممثلين إلى إصابة غيره من الممثلين بعدوى الفشل لأن دور كل من الممثلين يذبى من حيث الأداء الكلامي والحركي على دور غيره من الممثلين على المسرح من حيث الأداء الكلامي والحركي على دور غيره من الممثلين على المسرح وهو من ثم يتأثر إجادة أو تقصيرا بأداء الأدوار الأخرى. وسنحاول فيا يلى

أن نشرح الطريقة التبويبية التي يمكننا بها تبويب المقامات في إطار الثقافة الشعبة .

وأول ما نلاحظه أن التحليل والتبويب يمكن أن ينبني على الأسس الآتية :

- ١ دور الفرد في المجتمع .
- ٢ دور الفرد في الأداء .
 - ٣ -- غاية الأداء.

و سنفصل القول في كل و احد من هذه الأسس على حدة .

١ – دور الفرد في المجتمع :

ذكرنا أن الحياة الاجماعية مسرح أكبر وأن لكل فردمن أفراد المجتمع دور أمحدداً من حيث الأداء الكلامي و الحركي ، وأن النجاح الاجتماعي للفرد منوط بحسن أداء درره على مسرح الحياة . فقد يكون الفرد أبا أو أخا أو ابنا أو عضوا في ناد أو جماعة أو رئيسا أو مر موسا أو أعلى أو أدنى أو خادما أو مخدوما أو صديقا أو شريكا أو أستاذا أو طالبا أو مربية أو باثعا أو مشتريا أو موظفًا أو أجيرًا أو متطوعًا ، وقد يكون عسكريًا أو مدنيًا أو عاملًا يدويًا أومفكرا أوصاحب مهنة أو عاطلا أو غنيا أو فقيرا أو مثقفا أو جاهلا أوجاداً أو هازلاً أو قائدًا أومقو دأوهلم جراً . وواضح أن الكلمة الواحدة بعينها قد يختلف معناها بحسب الدور الذي يؤديه الفرد. فعبارة و إنه يشرب كثيراً ، مثلاً إذا قيلت في طفل صغير دلت على نوع من المشروبات إما إذا قيلت في رجل مشهور بمعاقرة الخمر فانها تُدل على نوع آخر من المشروبات. وعبارة و لا ينبغي لي أن ألبس هذه الملابس القصيرة ، تختلف دلالتها الاجتماعية والمقاييس ألتى وصفت بالقصر بحسب ما إذا كان المتكلم رجلا أو امرأة . وعبارة ﴿ أَنَا أَحِبُ هَذَهُ اللَّعِبَةُ ﴾ يختلف معناها حين يقولها طفلُ عنه حين يقولها رجل بل يختلف حين يقولها متفرج عنه حين يقولها لاعب . وإننا إذا نظرنا إلى عضوية الأسرة باعتبارها دورآ اجتماعيا للفرد فسنجد لكل عضو في الأسرة عبارات تناسب دوره لايقولها غيره من أفراد الأسرة الآخرين. فالعبارات التي يستعملها الأب غير العبارات التي تردعلى لسان الأم فالأب مثلا لا يقول ه ياحبيبي ه إذا كان يخاطب الكبار من أبنائه ولكن الأم تقول ذلك باسراف. والبنت لاتكلم أباها في شئونها الخاصة ولكنها تكلم أمها. والأخ الأصغر في الأسرة يتاني التوجيه والتصحيح من بقية أفراد الأسرة وليس له فرصة لأن يوجه الآخرين أو يصحح أخطاءهم، ولوحاول ذلك لكانت تلك مناسبة طيبة للضحك وللتدليل والإعجاب بالصغير الطموح غير الواعي بدوره في الأسرة.

ومعنى ذلك بالطبع أن الأدوار موزعة توزيعا محكما بين أفراد الأسرة ولكل دور مها عبارات وحركات ومواقف نفسية واجهاعية ومعان تختلف من فرد إلى آخر من أعضاء هذه الأسرة فالموقف الاجهاعي والنفسي الخ لكل عضو يختلف عن مواقف بقية الأعضاء حتى إن الإخوة في الأسرة مع اندراجهم جميعا تحت عنوان والبنوة » بالنسبة لأبيهم وأمهم واشتر اكهم في «الأخوة » يتقاسمو نه بالتساوى فيها بينهم تختلف أدوارهم من حيث السيطرة والحضوع والحزم أو التدليل في المعاملة وتحمل المسئوليات في نطاق الأسرة والقرب أو البعد من الأبوين والاعتماد أو عدم الاعتماد عليهما . ومع أنني لا أريد أن أقفز إلى استنتاج الحقائق من طبيعة هذه الأدوار قبل أو أنها الذي يأتي بعد إيفاء القول فيها حقه من البيان أستطبع أن أقرر هنا أن الدور الاجتماعي بعد إيفاء القول فيها حقه من البيان أستطبع أن أقرر هنا أن الدور الاجتماعي الأساسين الآخرين : « دور الفرد في الأداء » و « غاية الأداء » في إطار هذا الأساس الأول المذكور : « دور الفرد في المجتمع » . وسيأتي شرح ذلك بعد قليل .

قد يكون الفرد واحداً من مجموعة من الأصدقاء الذين يقضون وقت فراغهم معا في منتدى معين ويتنزهون معا ويذهبون إلى السيها معا ويذلك يصدق عليهم اللفظ العامى وشلة » أو اللفظ الفصيح وثلة ». والغالب في دور كل واحد من أفراد هذه الثلة أن يحدده عرف الصحبة وقوة الشخصية والخبرة فيها بينهم فيكتسب سلوك كل واحد منهم حيال الآخرين نمطية معينة وأسلوبا بحدداً. وربما كونوا فيها بينهم ولغية » خاصة بهم

قوامها بعض المفردات المرتجلة التي يراعي في ادتجالها ألا يفهمها غيرهم من يتصل بهم . وقد عودنا المسرح عند التصدي لتصوير هذا النوع من العلاقة الاجتماعية على توقع أن يكون لكل دور من أدوار أفراد هذه المجموعة مفردات خاصة وأسلوب خاص في الأداء الحركي.

وللطالب في مدرسته دور محدد الكلمات والحركات . فلو أننا رأينا قصة طالب في مدرسة ثانوية يريد أن يو قد لنفسه سيجارة فلا يجدما يو قدها به ويلمح الطالب ناظر المدرسة عن يعد فيذهب إليه ويقول وتسمح بالولاعة ؟ ، فلا ينبغى عند تحليل هذه العبارة وتحديد معناها أن نكتني منها بما يدل عليه الفعل والجار والجرور المؤنث أو بأن أسلوب الجملة هو الاستفهام الدال على التماس أو أن أداة الاستفهام قرينة لفظية أغنت القرائن الآخرى عن ذكرها طبقا لمبدأ الترخص في القرينة الذي أشرنا إليه من قبل. فهذا النوع من التحليل المقالي مهما كان دقيقا فلن يصل بنا إلى أهم عنصر من عناصر معنى هذه الجملة وهو أنها تدل على وسوء تربية ، وهو عنصر لا يمكن الوضول إليه إلابقهم دور كل من الطالب والناظر في مجتمع المدرسة ثم يفهم و المقام » الذي تم فيه و المقال » في حدو د العلاقة الاجتماعية المحددة بين الناظر و الطالب ثم ما في هذا المقام من عدم التناسب بين المقال وبين هذين الدورين الاجتماعيين . وهما يقع على عاتق ناظر المدرسة في هذا المقام – باعتبار ذلك جزءا من دوره الاجتماعي - أن يبادر بتأديب هذا الطالب ويرده إلى مطابقة معايير العرف الاجماعي الذي يحكم سلوك كل من أعضاء مجتمع المدرسة حيال الاخر .

ولعضوية ناد بعينه نمطية أو معيارية خاصة في السلوك تحددها من الناحية الرسمية لائحة النادي و من الناحية الاجتماعية علاقات الأعضاء داخل النادي بعضهم ببعض وعلاقاتهم في معترك الحياة العامة خارج النادي . ولقد أصبح من نمطية سلوك أعضاء النوادي بصفة عامة حيث التظاهر بالحاه والغني والتسامي الاجتماعي وقد ينعكس هذا على كل ما يقوله العضو أو يفعله تقريبا . ومن هذه الخطية في الوقت الحاضر التخفف من القيود التي يفرضها العرف التقليدي خارج النادي على الأفراد بالنسبة لقضايا السفور والاختلاط العرف التقليدي خارج النادي على الأفراد بالنسبة لقضايا السفور والاختلاط

ومزاولة الرقص والسمر . فالتعارف بين الأعضاء يتم بطريقة أسهل مما يحدث خارج النادي وقد تشترك السيدة المعروفة خارج النادي بالاحتشام في السباحة داخل النادى فتبدى من أجز اعجسمها ما لا تسمح لنفسها بابدائه في أي مكان آخر خارج النادى . و للشابات ملابس تصلح لتنهب إلى ^{ال}نادى بها وملابس أخرى لاتصلح ومقياس الصلاح وعدمه خاضع لاعتبارات التباهى بآخر ما أخرجته بيوت الأزياء من نماذج بحيث يدل الثوب على تطور صاحبته مع تطور المدنية والتقدم! ومعنى ذلك أن ما يفعله أعضاء النادى أو يةولونه يخضع لمعيارية عرفية اجتماعية مهما كان ع, فها خاصا وكان مجتمعها ضيقا . وقد يكون الفرد أحد محترفى لعبة بعينها كأن يكون لاعبا فى فريق لكرة القدم أو الملاكمة أو غيرها فيتسم سلوكه الحركى وأداؤه الكلامى بنمطية معيارية تجعله متميزًا في ذلك عن الآخرين الذين ليس لهم هذا الانتماء . وهذه المعيارية ملحوظة بالطبع أثناء أداء اللعبة الى يتخصص فيها الفريق لأن هذه اللعبة لها قوانينها ومعاييرها وأخلاقياتها ولها فوق ذلك عقوبات لمن يخالف هذه المعايير . فالأمر أثناء اللعب واضح لا جدال في معياريته و قد يؤثر عقاب المخالف في مستقبله المهنى إذ أن الفصل من عضوية الفريق و الإيقاف عن مزاولة اللعبة عقوبات محتملة . أضف إلى ذلك أن نوع اللعبة التي يمارمها الفرد قد ينعكس على مجازاته واستعاراته وكناياته كعبارات « الضربة الفاضية » و ﴿ إصابة الهدف » و « رحت واخده شمال » و و الضرب تحت الحزام ٥. وقد تشيع هذه الاستعالات أحيانا خارج العرف الحاص فتكتسب عرفية عامة .

وقد يتعود الفرد الصلاة في مسجد بعينه يلتى فيه دائما بروادله دائمين ويستمع إلى خطيب هذا المسجد ويحضر درسه الديني بعد الصلاة مع بقية المصلين فتحدث بينه وبين هؤلاء المصلين علاقة فكرية ونفسة خاصة فيها يتعلق بوجهة النظر الدينية والأخلاق الدينية والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالقضاء والقدر مما يترك أثرا ظاهرا في انجاهاته السلوكية ومواقفه العقلية والعاطفية المختلفة بحيث يقترب هذا السلوك وتلك المواقف اقترابا أكيدا جدا من سلوك بقية المصلين ومواقفهم مما يبرد تسميهم بمجتمع اقترابا أكيدا جدا من سلوك بقية المصلين ومواقفهم مما يبرد تسميهم بمجتمع

المسجد . وكذلك قد يؤدى الإلف وكبرة اللقاء بين هذه المجموعة إلى أن يتعرف كل من أفرادها على الآخرين فتز داد الشركة الفكرية بيهم وتنشأ بعنم أخوة في الله ووحدة في الآراء تعتمد إلى حد كبير على الجو السائد في المسجد وعلى تعاليم إمام المسجد و دروسه و نظرته إلى المسائل الاجهاعية والحلقية . فاذا سمعت أحدرواد هذا المسجد يقول و فسد الزمان » فلا يبنغى أن نقف في فهم معنى هذه العبارة على مجرد تحليل « المقال » فتكتنى بظاهر النص وإنما ينبغى أن نتعدى ذلك إلى اعتبار « المقام » الذي يكشف لنا عن ضوء جديد يضى علنا طريق تحليل المعنى فاذا عرفنا أن هذا القائل يغشى ضوء جديد يضى علنا طريق تحليل المعنى فاذا عرفنا أن هذا المسجد فلر بما مسجدا بعينه ويتأثر بالجو الفكرى السائد لدى رواد هذا المسجد فلر بما فهمنا في النهاية أن الزمان لم يفسد حقيقة إلا في رأى هذا الرجل المتز مت فهمنا في النهاية أن الزمان لم يفسد حقيقة إلا في رأى هذا الرجل المتز مت في دينه و نظرته إلى الأمور . و مثل ذلك يقال في انهاء الفر د إلى طريقة صوفية ما فاذا سمعت هذا الفرد يقول : « سمعت هاتفا يقول . . . » فضع المقال في ضوء المقام وافهم المغنى بحسه .

وبنتمى الفرد إلى قبيلة أو قرية أو مدينة أوحى من مدينة فيكتسب ما قد يكون هناك من معيارية سلوكية أو تعبيرية أو عرفية سائدة في القبيلة أو القرية أو الحي فيخضع ما يقوله وما يفعله في المواقف المختلفة لهناه المعيارية مختلفا في ذلك عن أبناء القبائل والقرى والمدن الأخرى فني القاهرة مثلا مختلف أبناء حي الحسينية في كلامهم ونظرتهم إلى المواقف المختلفة في التعامل مع الآخرين عن أبناء الحلمية مثلا ونجد مثل هذا الاختلاف أبناء الريف لقريتين المتجاورتين من قرى الريف وإذا قرأت رسالة أرسل بها أحد أبناء الريف لقريب له نازح عن القرية فرأيت في الرسالة : « أفراد الأسرة يقرئونك السلام * فاعلم أنه يرسل إلى قريبه تحية ما يربو على ثلاثمائة من يقرئونك السلام * فاعلم أنه يرسل إلى قريبه تحية ما يربو على ثلاثمائة من يقرئونك السلام * فاعلم أنه يرسل إلى قريبه تحية ما يربو على ثلاثمائة من الآده بين عدد كبير من الأفراد يشتر كون في الانتساب إلى جد أعلى توفي من نحو مائتي عام تقريبا وتشتمل يشتر كون في الانتساب إلى جد أعلى توفي من نحو مائتي عام تقريبا وتشتمل هذه الأسرة الريفية على خلايا أسرية تتكون كل خلية مها من أب وأم هذه العبارة نفسها في رسالة من أحد أبناء المدينة فاعلم أن المقصود بالأسرة هنا رجل وامرأة وأطفالها وقد يكون مجموع فاعلم أن المقصود بالأسرة هنا رجل وامرأة وأطفالها وقد يكون مجموع

هؤلاء جميعا خمسة أفراد أو دون ذلك فانظر إلى الكلمة الواحدة ذات المعنى الواحد بنى لمعناها طابعه المعجمي العام واختلف معناها العددي بين الريف والمدينة أي بحسب الاعتبارات الاجتماعية والجغرافية في والمقام، .

و يمكن لنا أن ندعى مثل ذلك عند النظر إلى الانهاء إلى إقليم ما ذى ثقافة شعبية متميزة عن ثقافات الأقاليم الأخرى من الأمة نفسها لأن معيارية السلوك فى ظل عرفية هذه الثقافة نجعل و المقام ، يختلف عنه فى الأقاليم الأخرى . فالصعيدى الذى ينزل القاهرة ليزور أصدقاءه بها يؤذيه جدا أن يسأله إنسان من غير أفراد و الأسرة ، عن حال زوجته أو صحتها أو بعض شونها لأن الزوجات هناك فى الصعيد عجبات لا يراهن غريب عن الأسرة وفى السؤال عن الزوجة إشارة ضمنية إلى أن السائل يعرفها معرفة تسمع له بالسؤال عنها وفى السؤال اهتمام بشخصها غير مستحب لدى زوجها لصدوره من رجل غريب عن الأسرة . ولو أن الصعيدى المسئول كان على غير علم بنمطية السلوك لدى أهل القاهرة فلر بما نهر هذا السائل بسبب جرأته و غير المهذبة » .

ع ـ دور الفرد في الأداء:

وقد يكون الفردها متكلها أو كاتبا أو سامعا أو قارئا أو مناقشا أو محادثا أو لاغيا أو واعظا أو مخاطبا حطابا رسميا أو خطيبا أو محاضرا أو مساعدا على إنجاز عمل أو مخططا أو منظها أو ساحرا أو راقيا أو مصليا أو داهيا أو تاليا للقرآن أو مسبحا وهلم جرا . وقد يكون منفرداً أو واحداً من جاعة . ولامر ما اصطنعت اللغة بين معانيها العامة معانى التكلم والخطاب والغيبة والإفراد والتثنية والجمع ،والحنس والعهد والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير والبناء للمعلوم والبناء للمجهول وهلم جرا مما يشير إلى اعتداد اللغة باختلافات والمقام ، الذي يجرى فيه والمقال ، من جهة واعتدادها من جهة أخرى بدور الفرد في الأداء الكلامي إيجابا وسلبا . ولقد كانت هذه المعانى دائما في اللغات المختلفة أساس تنوع الإسناد وأساس تنويع الضائر في صورها ومعانيها كما يتضع عما قدمنا الكلام عنه في النظام الصرفي من هذا البحث

غير أننا لاننظر هنا إلى هذه المعانى نظرة الصرفيين وهي وظيفية خالصة و إنما نجعل هذه الأدوار المختلفة للفرد فى الأداء من نسيج المقامات الاجتماعية الى يتم بها تحليل النص ويتضح ذلك من استخدام الضمائر والأسماء الظاهرة في الكلام . وإن من ينظر إلى خطب الزعماء السياسيين والوعاظ والشعار ات و الهتافات و الإعلانات ليستطيع أن يجد الضوء القوى الذي يمكن له أن يسلطه على هذا الموضوع . فالزعماء في خطبهم يفضلون العدول عن ضميري التكلم إلى كلمة والشعب، فيقولون وإن الشعب يريد » في مكان و نحن نويد ، أو ﴿ أَنَا أَرِيد ﴾ لما في استعمال ﴿ أَنَا ﴾ من إيحاء بالفردية والتسلط ولما في ﴿ نحن ﴾ من احتمال تعظيم النفس . و المعلوم أن مقامي التسلط و تعظيم النفس ليسا ممايقرب الزعماء من قلوب الجماءير . ويفضل الواعظ غالبا أن يعدل عن استعمال ضمير المخاطبين إلى ضمير المتكلمين فهو يتحاشي أن يقول : وينبغي أن تعودوا إلى حظيرة الدين ﴾ ويقول في مكان ذلك : و ينبغي لنا أن نعو د إلى حظيرة الدين ، ، ويتحاشى أن يقول و غفر الله لكم ، ويقول : ﴿ اللَّهُمُ اغْفُرُ لَنَا ﴾ بل إن المقام قد يقتضي أحيانا أن يعدل المتكلم عن ضمائر الخطاب لما فيها من المواجهة المحرجة أحيانا إلى فسحة نحموض دلالة الغيبة التي نلحظها في استعمال الموصول مبتدأ أو شرطا وما أجمل عبارة النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : ﴿ مِنْ أَكُلُ لَحْمَ جَزُورٍ فَلْيَتُوضَا ۗ ﴾ بدلاً من أن يتجه إلى شخص بعينه فيقول و قم فتوضأ ما دام وضوؤك قد انتقض لما أعلمه من ذلك بالقرائن » أو بدلًا من عبارة أخرى هي و من أحدث فليتوضأ ، لأن الذى يقوم للوضوء حينينذ سيكون معترفا بأنه أحدث وهذا مسبب للخجل.

على أن الأمر لايقتصر على تقليب العبارة بين التكلم والحطاب والغيبة أو الافراد والتثنية والجمع وإنما يتعدى ذلك إلى ما يقوم به الفرد من المشاركة بلور معين في موقف معين . فمن الأدوار التي يؤديها الفرد بالكلام الإعانة على انجاز عمل ما كالصياح والتشجيع في المباريات الرياضية بغية الإعانة على الانتصار والفوز في المباراة وكالذي يقوم به العال من غناء جماعي أثناء أداء العمل لايقصلون به التطريب ولكنهم يقصدون إيجاد إيقاع معين لحركة أداء العمل لايقصلون به التطريب ولكنهم يقصدون إيجاد إيقاع معين لحركة

العمل لولاه لأدى التب إلى التباطؤ في العمل ، ولولا ما يسببه هذا الخناء من صيغ العمل بصبغة القسلية لكان الإحساس بمشقة العمل أكبر . ومن قبيل ذلك الهتافات في المظاهرات السياسية لأن هذا الهتاف لايقصد به إيصال معلومات كانت من قبل مجهولة وإنما يقصد به توليد الحاس لقضية ما وكل هذه الأدوار التي يؤديها الفرد بالنسبة للموقف المعين لو نظرنا إلى ما يحدث فيها من « مقال » لكانت هذه الأدوار هي غايات الأداء . فالفرق بين « دور الفرد في الأداء » و « غاية الأداء » « و فرق في النظرة إلى صلة الأداء نفسه إما بالموقف أو بالمقال .

٣ ــ غايات الأداء:

وأكبر غايات الأداء اللغوى على الإطلاق غايتان :

(١) التعامل. (ب) الإفصاح

(۱) . فأما التعامل فهو استخدام اللفة يقصد التأثير في البيئة الطبيعية أو الاجتماعية المحيطة بالفرد فيدخل في ذلك البيع والشراء والمخاصة والتعليم والبحث العلمي والمناقشات الموصلة إلى قرارات والتأليف والحطابة والمقالة السياسية والتعليق الإذاعي و نشرة الأخبار وهلم جرا . وأما الإفصاح فهو استعال اللغة بقصد التعبير عن موقف نفسي ذاتي دون إرادة التأثير في البيئة ولا يتحتم في هذه الحالة أن يكون الإسماع مقصودا ومن ذلك اللغو والغناء مع عدم قصد الإسماع والتعجب والمدح والذم والإنتاج الأدبى بصوره المختلفة وإنشاء الشعر الغنائي بصفة خاصة . وكما اعتدت اللغة باختلاف دور الفرد بالأداء فجعلت من معانيها العامة التكلم والخطاب المخ اعتدت كذلك بغايات الأداء فجعلت من معانيها العامة التكلم والخطاب المخ اعتدت كذلك بغايات الأداء فقسمت معاني الجملة العربية إلى خبر وإنشاء وقسمت الخبر إلى إثبات و نني و توكيد وقسمت الإنشاء إلى طلب و شرط وإفصاح وقسمت الطلب والشرط و الإفصاح كلا إلى أقسام مختلفة ولكن إذا كانت اللغة قد فعلت ذلك فإن اللغويين لم يفطنوا إلى تقسيات اللغة فيها يختص بالمقابلة اللغة قد فعلت ذلك فإن اللغويين لم يفطنوا إلى تقسيات اللغة فيها يختص بالمقابلة

بين التعامل و الإفصاح ومن ثم جعلوا الجملة الإفصاحية من قبيل الحبر أحيانا والإنشاء أحيانا أخرى مع وضوح الفرق بين طابع التعامل الذى يسود الحبرية ومعظم الإنشائية وطابع التعبير الذاتى الذى نلحظه فى الجملة الإفصاحية وقد سبق أن أشرنا إلى الحطأ الذى كان من النحاة حين فسروا «أوه» بكلمة وأتوجع». وربما وقف «الدّعاء» بين التعامل والإفصاح بحيث لا يكون من قبيل أحدها إلا بعد النظر فى غاية الأداء فاذا كانت غايته استنزال غضب الله أو رحمته فهو تعامل وإذا كانت غايته التعبير عن الرضى أو السخط فهو إفصاح . والاستسقاء دعاء من قبيل التعامل ولكن قول السائل لمن أعطاه فهو إفصاح . والاستسقاء دعاء من قبيل التعامل ولكن قول السائل لمن أعطاه صدقة «الله يخلف عليك» إفصاح لأن الغاية منه التعبير عن الرضى . ومثله ما نراه من دعاء فى الرسائل الإخوانية نحو « بلغنى — أطال الله بقاءك — »

ومن غايات الأداء الاتفاق والتشجيع والمصادقة والتنبيط والشم والتمقير والترجى واللعن والفخر والتحدى والتحضيض والاستخفاف والتحقير والتعظيم والإغاظة والإيلام والمعاداة والمداراة والتملق والنفاق والتحبب والغزل واللوم والدعابة والإغراء والاستقبال والتوديع والإلزام والترحم والتحية والتعجب والتهنئة والنصيحة وغير ذلك من المعانى التعاملية والإفصاحية ولكل غاية من هذه الغايات عباراتها المعيارية التي تقال فيها وذلك مصداق ولكل غاية من هذه الغايات عباراتها المعيارية التي تقال فيها وذلك مصداق قول البلغاء: «لكل مقام مقال » و «لكل كلمة مع صاحبتها مقام ».

ومع مراعاة التفاعل بين دورالفرد في الأداء وغاية الأداء في إطار دورالفرد في الحجتمع يمكننا أن نصل إلى فهم «المقام» الذي يقال فيه «المقال» ، فنصل بواسطة ذلك إلى المعنى الدلالي الأكبر الذي هو نتيجة تضافر العناصر الثلاثة المكونة له (المعنى الوظيفي و المعنى المعجمي و المقام) . وهذه العبارات المعبارية العرفية التي تؤدي كل منها إلى غاية محددة من غايات الأداء هي في طابعها أنساق من تضام التوارد الذي أشرت إليه في الكلام عن القر اثن اللفظية وجعلته قسيما لتضام التلازم . وفيما يلي بعض هذه العبارات المعيارية (١) وقد وصفت كل طائفة منها تحت غاية من غايات الأداء المعيارية (١) وقد وصفت كل طائفة منها تحت غاية من غايات الأداء

⁽١) انظر و اللغة في المجتمع ، تأليف م م و لويس وترجمة مؤلف هذا البحث ،

وآمامها وصف مختصر لعناصر المقام مع ملاحظة أن الغاية عنصر من عناصر المقام :

أولا: عبارات غايمًا الحطاب العادى:

العبارة

اسمع يا فلان
يا سيدى العزيز
يا سيدى الفاضل
بعد إذنك
بعد إذن سيادتك
خد بالك
وانت مالك
اليمين در
الجب عما يأتى
ارفع مقتك وغضبك عنا
اشفع لنا
مددك ياسيدنا

بعض عناصر المقام الآخرى:

من الصديق الصديق المتودد غالبا مقدمة للاعتراض المتحص مساور أو مألوف الشخص محترم أو غير مألوف المتنبيه والتحذير المتأنيب للتأنيب تعذير من الأعلى للأدنى أو بين الصديقين نداء عسكرى

فى ورقة الامتحان دعاء مع النوجه إلى الله سبحانه و تعالى دعاء موجه للنبى صلى الله عليه وسلم دعاء موجه إلى أحد الأولياء

طــرد.

ثانيا: عبارات غايتها الوداع:

رح لحالك

مع السلامة إلى اللقاء ربنا يجمع فرقتنا باى باى أسأل الله تعالى أن يجمع شملنا الحى يتلاقى

يقولها كل الناس لكل الناس و داع من مثقف لآخر و داع من أم أو زوجة و داع أطفال و داع من ذوى الثقافة الدينية والعربية و داع من ذوى الثقافة الدينية والعربية و داع صعيدى

ثالثاً: عبارات غايتها الاستقبال:

بعض عناصر المقام الآخرى:

تحية شائعة على مختلف المستويات
لاستقبال العائد من السفر
لمن لم تكن رؤيته متوقعة
تحية شائعة في أوساط النساء
تحية الأليف للأليف
لمن تندر زيارته
لغير المرغوب في عجيته
ترحيب و دعابة لشخص مألو ف

العبارة أهلا وسهلا الحمد نقد على السلامة فرصة سعيدة زارنا النبي إيه النور ده كله خطوة عزيزة خطوة عزيزة ليه اللي جابك لأكرنا القط جانا ينط

رابعا: عبارات غايتها الإلزام:

وعد الحر دين عليه

كلام شرف

للإلزام بتنفيذالوعد للارتباط بالوفاء للإلزام بموقف معين للإلزام بالأمانة للالتزام بالصدق لاتمام التعاقد لالتزام البائع بتسليم السلعة للالتزام البائع بتسليم السلعة للالتزام بالدفع و الإستلام للالتزام بالتنفيذ للالتزام بالتنفيذ للإلزام بالتنفيذ للإلزام المسلم بحفظ دم من قالها لإلزام القائل بالتنصل مما قال لإلزام القائل بالتنصل مما قال

لاتكن مثل فلان الناس كلهم عار فين أمانتك والله العظيم أقول الحق قبلت قبلت التوقيع على وثيقة التوقيع على وثيقة كلمة إرساء المزاد العلني هذا وعد لا إله إلا الله الا الله الا الله الا الله الى حار قال هذا

خامسا: عبارات غايتها الرجّاء:

العبارة

والني

بعبض عناصر المقام الأخر: رجاء تسمعه باللهجة الليبية أو بين المثقفين سألتك بالله من الأدني للأعلى اعمل معروف رجاء على ألسنة النساء والأطفال رجاء لمن تكلمه ببعض الكلفة والنبي يافلان يقولها العوام مقت علبك الني رجاء تسمعه في لهجة أم درمان عليك الني عليك الله رجاء فيه عدم ألفة أرجوك رجاء مع تذكير بالدالة دا أنا أخوك من الأعلى للأدنى أو المساوى . آکون شاکر لو ۰۰۰۰ رجاء في أمر صعب لصالح ضعيف ميش عايز تكسب ثواب يقولها المتسولون للمارة

سادسا: عبارات غايبها الترحم:

ترحم عام يقال على جميع المستويات ألله يرحمه من مثقف عادي رحمه الله يقولها الشيوخ والمثقفون ثقافة عربية رحمة الله عليه عليه رحمة الله شائع على جميع المستويات والله كان طيب يقولها من له ثقافة دينية خياركم السابقون يقولها أصحاب الثقافة العربية جعل الله مثواه الجنة ترجم صعيدى الله يوسع لحايده الايشبشب الطوبة اللي تحت راسه ترحم قاءرى ترحم نسائى الرحمة تنزل عليه

بعض عناصر المقام الأخرى :	العبارة :
ترحم شائع	كلتا لها
تقال فيمن طال مرضه	والله ارتاح

ابعا: عبارات غايبها التعجب:

یا سلام (بتنغیم خاص) تعجب شائع تعجب الساخر تعجب مع رفع كلفة إش إيه الجهال دا يا حلاوة يقولها العوام يا حلاو تك یا حلولتی تقولها النساء يابن الإيه تعجب بين الخلطاء تعجب غزلي یا وعدی تقولها الفتيات المتفؤنجات

ثامنا : عبارات غايتها التحية :

بعض عناصر المقام الأخرى : تعية فيها بن أو لاد البلدفي القاهرة في الصباح تحية مشربة بالغزل أو الملق .

العبارة : صباح الورد بنصبح فلان بيصبح الور د فتح للنبي

تاسعا: عبار أت غايتها النهنئة:

تهنئة شائعة تهنئة وتودد يقولها صاحب الثقافة العربية تقال بعد توقيع العقود أو البدء في عمل ما لا دعاء الصداقة تهنئة مع كلفة تكتب ولا تقال للملق أو التقرب لتملق الشخص ذي النفوذ للنجاح بعد تعب وكفاح يقولهاالعوام

مبروك مبروك يافلان مبارك ربنا يتمم بخير والله فرحنا لك بهنيك أجمل الهاني نهىء أنفسنا بنيء المنصب آلف مبروك ربنا يزيدك من نعيمه

عاشراً: عبارات غايتها النصح:

أنصحك اسمع كلامى الدين النصيحة أناك أغشك إذا كنت عايز النصيحة إذا كنت عايز الحد والله أنا خايف عليك

نصح مع التخويف والتحذير تقال للعنيد والمندفع تقال عند توقع الشلث أو عدم الانتصاح للإقناع باخلاص النصيحة تقال لدفع الشك وتأكيد النصبع للنصح والتهديد

العبارة :

بعض عناصر المقام الآخرى يقولها من له نفوذ على المنصوج نصح بعد استشارة نصح و تأنيب

والله أنا رأبي كذا أحسن شيء تعمل كدا والناس يقولوا عنك إيه

وبعد فقد رأينا هذه النماذج العشر لغايات الآداء ورأينا أن هذه الغايات فيست إلا جزءا من أجزاء المقام وأن الأجزاء الأخرى من المقام يمكن جمعها من الظروف الحيطة بالمقال من متكلم وسامع أو سامعين واعتبارات اجتماعية وتاريخية وجغرافية وهلم جرا وأن الذي ذكرناه تحت عنوان : و بعض عناصر المقام الأخرى » لم يكن فعلا إلا بعضا من هذه العناصر أما جمع كل العناصر فلا يتم إلامع التحليل الدقيق للظروف .

ويتضح لنا بهذا أن الثقافة الشعبية تشتمل على نماذج محددة من غايات الأداء التى تصلح كل غاية منها لأن تكون نقطة بداية لتحليل المقام . ولعل البلاغيين العرب حين تكلموا عن « مقتضى الحال » كانوا يقصلون شيئا قريبا نما أطلقنا عليه هنا « غاية الأداء » ومن هنا يكون مقتضى الحال كا نفهمه جزءا من المقام في فهمنا أيضا وليس المقام كله . على أنه لا يمكن لنا أن ندعى مع هذا أن الثقافة الشعبية هي حاصل جمع طائفة عظيمة من المقامات . إن فهم الثقافة الشعبية بهذه الصورة خطأ فاحش لأن الثقافة الشعبية مكمن العناصر التي تتكون منها المقامات حين ينضم بعض هذه العناصر المعنية ملى بعض وإن الإمكانات العقلية التي تأتي من تأليف هذه العناصر بعضها للى بعض وإن الإمكانات العقلية التي تأتي من تأليف هذه العناصر بعضها مع بعض لا يمكن حصرها أبداً ومن ثم لا يمكن حصر المقامات الممكنة في شعبية ما . والأمر الوحيد الذي يمكن الكلام فيه بشيء من الضبط هو نماذج المقامات وليس المقامات نفسها .

وكما أن للنبر نظاما في إطار النظام الصرفى تصيبه الظواهر الموقعية في مجرى السياق الكلامي وكما أن للتنغيم نظاما في إطار النظام النحوى يخضع لمطالب السياق حين يردفيه وقد شرحنا ذلك من قبل فكذلك غايات الأداء يصبح لكل غاية منها عبارات معيارية خاصة من الناحية النظرية ولكن مطالب

الاستعال ومناسبة المقام ربما تطلبت نقل عبارة ذات غاية محددة إلى غاية اخرى . فمن ذلك مثلا أننا أور دنا أمام عبارة ﴿ السمع يا فلان ﴾ أنها يقولها الصديق للصديق وهذاهو فعلا موضعها فى الخطاب العادى ولكنها قد تتحول إلى غاية أخرى هي الهديد أو التقديم للنصح وعبارة « لليمين در » قِد تتحول من غايبها العسكرية المحددة إلى السخرية من شخص تطرده . وعبارة و رح لحالك ۽ ربما تحولت عن غايبها العادية وهي الطرد الى معنى غزلى هو التمنع والدلال وعبارة ومع السلامة ، ربما تحولت عن غايتها العادية وهي الوداع إلى غاية أخرى هي السخرية عند الطرد أو التعبير عن عدم الرغبة في الرؤية مرة أخرى . وقد تقال عبارة «خطوة عزيزة » للتأنيب على التأخر ويمكن أن تقال عبارة ﴿ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَارَفَيْنَ أَمَانَتُكَ ﴾ عند السخرية من خيانة المخاطب و يمكن في عبارة و لا إله إلا الله يا أن تقال للتأفف أو للذكر أو في الأذان ويمكن في عبارة ومش عايز تكسب ثواب " أن تقال في السخرية عندالدعوة إلى أداء عمل إضافي يستحق عليه أجر ولكنه لا ينتظر دفعه وكذلك عبارة وخياركم السابقون ، يمكن أن تكون تعليقا ساخرا عند فصل موظف سيء السمعة مع انتظار فصل آخرين على شاكلته أما عبارة و ياسلام ، فقد سبق أن ذكرنا ما يمكن لها من المعانى المختلفة باختلاف تنغيمها وكل عبارات التعجب يمكن أن تتحول عن غايبها إلى السخرية أيضًا ومثلها عبارات النهنئة أيضًا .

ومن تعويل غايات الأداء على المستوى النحوى أن الإثبات و و خبر قد يتحول إلى الشرط والذي يأتيني فله درهم ، أو إلى إنشاء الدعاء نحو و رحمه الله ، وأن النبي كذلك في و لاقدر الله ، وأن الاستفهام قد يتحول إلى التقوير نحو و أتأتون الذكران من العالمين ، وأن النداء قد يتحول إلى التعجب و ياعجبا ، وكذلك الاستغاثة تتحول إلى التعجب نحو و يافة ، وأن الأمر يتحول إلى الدعاء نحو و اللهم ارحمه ، وأن الحملة تتحول من أصلية إلى فرعية فتكون صلة أو صفة أو خبرا أو حالا أو مضافا إليه أو مقول قول ، ولكن هذا التحول النحوى في غاية أو حالا أو مضافا إليه أو مقول قول ، ولكن هذا التحول النحوى في غاية الأداء لا يعتبر من قبيل تعدد المعنى الوظيني المها ال

وإنما تأتى الصلة بين ذلك وبين المقام من أن تحول المعنى الوظيني للجملة لا يكون فى الغالب إلا بعون القرائن الحالية وهى من المقام .

وحين قال البلاغيون: «لكل مقام مقال» و «لكل كلمة مع صاحبها مقام » وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية القصحى فقط وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على حد سواء. ولم يكن « مالينوفسكى » وهو يصوغ مصطلحه الشهير Context of situation يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح الشهير أف سنة أو مافوقها. إن الذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجلوه في كتب لم بألف سنة أو مافوقها. إن الذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجلوه في كتب لهم نعت اصطلاح و المقام » ولكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح مالينوفسكي من تلك الدعاية بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في كل الانجاهات وبراعة الدعاية الغربية الدائية .

ولم يكن أقل من هاتين العبارتين صدقا في تحليل اللغة بصفة عامة ما سبق النحاة العرب إليه من قولهم و الإعراب فرع المعنى ، فهذه أيضا واحدة من جوامع الكلم إذا فهمنا بالإعراب معنى والتحليل ، لأن كل تحليل لا يكون إلا عند فهم المعنى الوظيني لكل مبنى من مبانى السياق . فيكون التحليل حينهذ على مستوى الصوتيات والصرف والنحو أما المعنى فيكون التحليل حينهذ على مستوى الصوتيات والصرف والنحو أما المعنى المعجمى فهو علاقة عرفية لايصدق عليها قولهم : والإعراب فرع المعنى والمعنى الدلالي فهو شامل للعناصر الثلاثة وهي المعنى الوظيني والمعنى والمقام .

هذا هو الانجاه الصحيح والضرورى في الكشف عن المعنى . وهذه هي الاعتبارات المختلفة التي ينبغي أن تراعي في تشقيق المعنى . وإن تطبيق هذا المنهج في الكشف عن المعنى ينبغي أن يصدق على النصوص المنطو قة ذات المقام الحاضر الحي كما ينبغي أن يصدق على النصوص المكتوبة ذات المقام المنقضي والذي يمكن أن يعاد بناؤه بالوصف التاريخي . ومن هنا تأتي قيمة هذا المنهج لدراسة كتب البراث العربي . وإن الاكتفاء بالمعنى الحرف أو معنى ظاهر النص يعتبر دائما سببا في قصور الفهم ومن التعبيرات الشائعة عند الانجليز قولم في العبارة البريئة المظهر السيئة الأثر

مامعناه : ليس العبرة مما قيل وَلكن بالطريقة التي قيل بها .

ومغزى هذا أن المعنى الحرفى غير كاف لفهم ما قيل لأنه قاصر عن المداء الكثير من القرائن الحالية التى تدخل فى تكوين المقام . وإن الكثير من نصوص تراثنا العربى قد جاء غامضا لأن الذين رووا هذه النصوص لم يعنوا بايراد وصف كاف للمقام الذى أحاط بالنص . ومن ثم ينبغى لنا أن نبلل الجهد مضاعفا عند التصدى لشرح هذه النصوص حتى نستطيع إعادة بناء المقام بناء على أساس من التاريخ ومن علم النفس والمجتمع العربى القديم والاقتصاد القديم أيضا والمزاوجة بين كل أولئك بواسطة الحيال الحصب والعقل الثاقب النفاذ .

والله تعالى و لى التوفيق ومنه العون .

	•	

مَطَبِعَةُ النَجَلِحِ ٱلِجَعَدُيدَةِ الدارالبيضاء

			•
		•	
			•